بسم الله الرحمن الرحيم



١٣٨٤م - ١٣٩٥م

نحن أبناء هذا البلد لنا تراث، ولنا تاريخ، ولنا أمجاد، فيجب علينا أن نتحرى السبل التي توصلنا إلى هذا التاريخ وهذا التراث وهذا المجد... فهاهي السبل واضحة.

نحن لدينا أعظم وأشرف وأنبل ميراث وهو القرآن، فما يأمرنا به القرآن يجب أن نتبعه وما ينهانا عنه يجب أن ننتهي عنه.

نحن لنا أجداد، وأمجاد وتاريخ وتراث. فلماذا نتنصل من كل هذا، ونلتفت يمينًا وشمالًا، كأننا ليس لنا أصل أو تراث أو تاريخ، ونتلمس السبل ونتلمس المناهج ونتلمس المبادئ؟

نحن تراثنا أشرف تراث، وتاريخنا أشرف تاريخ، وأمتنا خير أمة أُخرجت للناس، إنما الذي ينقصنا في ذلك هو أن ندرس هذا التاريخ وهذا التراث.

«من خطاب هام لجلالة الملك فيصل المعظم»

هذا الكتاب

جهد علمي وتوثيقي بذله الاستاذ عبدالقدوس الانصاري في جمع المعلومات المتناثرة هنا وهناك في بطون المراجع الموثقة والمظان المحتمل وجود معلومة فيها تفيد الموضوع ... وإضافة للجهد العلمي والتوثيقي في الدراسة والبحث كان جهده (الاستنطاقي) بين شيوخ القبيلة وشعرائها وأفرادها أكبر وأوفىٰ..

فقد قام المؤلف بزيارات (ميدانية) استنطق فيها الكائن والمكان..وتعرّف بنفسه علىٰ كل ما أمكن التعرف إليه وبه.. وهذا ما جرىٰ عليه الأنصاري في بحوثه ودراساته التوثيقية ؛ لذلك جاء هذه الكتاب [بنو سُليم] يتحدث عن تاريخهم ومجريات أحوالهم كما يتحدث عن شعرهم وأدبهم وعن عاداتهم وأعرافهم.

الطبعة الأولىٰ لهذا الكتاب [بنو سُليم] كانت في العام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م وقد طبعه مؤلفه..والآن تأتي هذه الطبعة الثانية بطلب ورغبة من (الأستاذ صالح السلمي) وقد أذنت له (دارة مجلة المنهل) بهذه الطبعة الخاصة ،نزولاً عند رغبتهم ، وإن كانت (دارة مجلة المنهل) تعدّ لإعادة طبعه ضمن مشروع إعادة طبع كتب الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري (رحمه الله) لنفادها من السوق ، ولحاجة الدارسين والباحثين والقراء إليها..

بكل التقدير نشكر للأستاذ / صالح السلمي ما بذل من جهد في هذه (الطبعة الخاصة) لهذا الكتاب القيم..

مجلة المنهل

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلىٰ يوم الدين.

مما لا ريب فيه أن الأديب عبد القدوس الأنصاري -رحمه الله تعالىٰ-(١) لم يدفعه إلىٰ الكتابة عن تاريخ بني سُليم إلا الإعجاب بتاريخ هذه القبيلة العريقة، وإنصافها في ميدان البحث والتأليف التاريخي والاجتماعي، غير متزلفٍ لأحد ولا مستجدٍ فضل أحد؛ لذلك جاء كتابه شهادةً للتاريخ، بعيدة عن المحاباة والتكلف، راعىٰ فيه الأمانة العلمية التي دأب عليها - رحمه الله-(٢).

إن أهمية هذا الكتاب تكمن في كونه المصدر الأول الجامع لتاريخ بني سُليم عبر العصور المتعاقبة منذ عصر الجاهلية حتي العصر الحديث، ولا يمكن لباحث في

---

(١) عبد القدوس بن القاسم الأنصاري (١٣٢٤-١٤٠٣هـ/ ١٩٠٦-١٩٨٣م) كاتب، وصحفي، ولغوي، ومؤرخ سعودي؛ انظر ترجمته في (عبد القدوس الأنصاري؛ حياته وأدبه، تأليف نبيل المحيش، عبد القدوس الأنصاري وإسهاماته العلمية والثقافية «أبحاث ملتقىٰ العقيق الثقافي» إعداد ومراجعة محمد الدبيسي وعيد الحجيلي، عبد القدوس الأنصاري شاعرًا تأليف عبد الله أحمد باقازي، الأدب الحجازي بين التقليد والتجديد تأليف ابراهيم الفوزان، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية إعداد دارة الملك عبد العزيز).

(٢) انظر: عبد القدوس الأنصاري: «تمرتان لرحلة واحدة» المنهل، ج٩، س٣٦، مج٣١ رمضان ١٣٩٠هـ.

تاريخ القبيلة أن يستغني عنه.

كما أن هذا الكتاب لا يرصد بين ثناياه سردًا لمفاخر القبيلة وأيامها فقط؛ إنما سُطر لتوثيق كثير من حوادث الإسلام المهمة، فهو ليس حكرًا علىٰ بني سَليم في المملكة العربية السعودية فحسب؛ بل هدية لهم في كل مكان يتواجدون فيه؛ سواءً كانوا في الجزيرة العربية أو الشام أو مصر أو بلاد المغرب الإسلامي، وهدية لكل مهتم بالتاريخ العربي الإسلامي.

لذلك رأينا في «مركز تقدُم للدراسات والبحوث» وبتوجيه من الشيخ/ عوض الله بن أحمد السُلمي[(١)] إعادة طبع الكتاب «طبعةً ثانية» بعد أن نفدت الطبعة الأولىٰ من أسواق الكتب، وقد قامت إدارة المركز بالتواصل مع أبناء الأديب عبدالقدوس الأنصاري عبر بوابة «مجلة المنهل»[(٢)] لأجل هذه الغاية، فوجدت كل الترحيب والتقدير من إدارتها المتمثلة في رئيس تحريرها الأستاذ/ زهير الأنصاري الذي سمح لنا بطباعة الكتاب وفق المواصفات الحديثة، ولا يسعنا في هذا المقام إلا تقديم الشكر والعرفان له ولجميع آل الأنصاري الكرام.

---

(١) الشيخ عوض الله بن أحمد القايدي الهميعي شيخ قبائل الهمعان من بني سُليم، من أعيان مدينة جدة ومنطقة الحجاز، رجل أعمال، أحد أهم رموز قبيلة بني سُليم في العصر الحديث، قدم الكثير من المساهمات والمشاريع المؤسسية لخدمة المجتمع.

(٢) أول مجلة أدبية - تاريخية تصدر في المملكة العربية السعودية، أنشأها ورأس تحريرها عبد القدوس الأنصاري، وصدر العدد الأول منها في شهر ذي الحجة ١٣٥٥هـ / مارس ١٦٣٩م في المدينة المنورة، واستمرت مدة فيها ثم انتقلت إلىٰ مكة المكرمة ثم إلىٰ مدينة جدة ولا زالت تصدر فيها حتىٰ وقتنا الحاضر. (انظر: الصحافة في المدينة المنورة..تاريخها وأثرها في الحركة الأدبية، تأليف محمد بن إبراهيم الدبيسي، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية إعداد دارة الملك عبد العزيز).

ولإعطاء الكتاب حقه من العناية، خِدمةً له واعترافا بفضل مؤلفه، وُجّهت الدعوة لبعض المعنيين بهذا الشأن؛ لنقد الكتاب، وتحليل معلوماته، وإبداء آرائهم وملحوظاتهم، فأبدىٰ بعض الباحثين والعارفين بأحوال القبيلة في العصر الحديث ملحوظاتٍ علىٰ القسم الأول من هذا الكتاب، الذي تحدث فيه المؤلف عن رحلته[(١)] التي قام بها إلىٰ محافظة الكامل وبعض قرىٰ بني سُليم ضمن اهتمامه بأحوال القبيلة وتاريخها.

وتجدر الإشارة إلىٰ أن اهتمام بني سُليم بتاريخهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام ليس من العصبية القبلية المقيتة في شيء، فولاؤهم لأوطانهم ولأمتهم الإسلامية العظيمة أولاً وأخيراً وأبدًا .

والكتابة عن قبيلة سُليم – كالكتابة عن أي قبيلة عربية- تنطلق من دوافع الكتابة عن التاريخ العربي الإسلامي، فالقبيلة العربية ليس لها شرف وعز دون عز الإسلام وشرفه، فهو الذي رفع من شأنها وأزال خلافاتها وصراعاتها الداخلية والخارجية، وشرّفها بالمشاركة في نشر دين الله، وتبليغ الرسالة المحمدية السمحاء، وكفىٰ بذلك مفخرا، ولسُليم مفاخر إسلامية – كغيرها من القبائل- حلت محل مفاخر الجاهلية، فهي أحق بالاعتزاز والفخر؛ منها قول النبي ﷺ: «أنا ابن العواتك من سُليم»[(٢)]، ومنها أنّ منهم الصحابي الجليل عمرًا بن عنبسة السُلمي الذي كان في

---

(١) التي خصص لها عددًا خاصا من مجلة المنهل باسم «تمرتان لرحلة واحدة» المنهل (ج٩، س٣٦، مج٣١) رمضان ١٣٩٠هـ، كما أكد لي الأستاذ أحمد محمد محمود أن هذه الرحلة ستكون ضمن المجلد السابع عشر من سفره الكبير المعنون بـ«جمهرة الرحلات: الرحالة السعوديون».

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٥٨٥)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٤١)، وابن وهب في

يوم من الأيام رُبع الإسلام، ورابع أربعة فيه، ومنها أنَّها شكّلت عُشر الجيش المسلم الذي فتح مكة بقيادة النبي ﷺ ، كما أنها شاركت في الفتوحات الإسلامية في شرق الدنيا وغربها، حتىٰ إن أول حيّ أسس في الأندلس بعد فتحها كان من بني سُليم، ولها غير ذلك مما يجده القارئ بين دفتي هذا الكتاب .

والله من وراء القصد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

صالح بن مخضور السلمي

مدير مركز تقدُم للدراسات والبحوث

المكلف

=

«الجامع في الحديث» (١١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٣٦)، وأبو بكر الدينوري المالكي في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٣٩٠) وغيرهم، وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف الجامع» (٢٣٢٦).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فهذا كتاب «بني سُليم» يتحدث عن تاريخهم، ومجريات أحوالهم، وتقلبات الدهر عليهم في رفع وخفض، وفي تمدد وتقلص، كما يتحدث عن شعرهم وأدبهم، وعن عاداتهم وأعرافهم.

والكتاب -من حيث شموله لكل ما ذكر آنفًا- من الممكن أن يُتخذ مرجعًا، في موضوعين هما:

- تاريخ هذه القبيلة عبر التاريخ.
- وتاريخ الإسلام والعرب الذي له علاقة ما بها.

وقد بحثت فيما وصلت إليه يدي من المراجع، لعلي أعثر علىٰ كتاب مُؤلَّف في القديم أو الحديث في تاريخ بني سُليم، فلم أعثر علىٰ ذلك، اللهم إلا ما ورد من أن أبا القاسم بن بشر الآمدي المتوفىٰ سنة (٣٧٠هـ) كان ألف دواوين قبائل العرب، ومنها ديوان عن شعراء بني سُليم وشعرهم -وقُد فقد هذا الديوان- مما سيأتي الحديث عنه بتفصيل أوفىٰ في محله من هذا الكتاب.

وقد راجعتُ -لنسج خيوط هذا الكتاب- كثيرًا من المصادر التاريخية،

والدينية، والأدبية، والجغرافية، والاجتماعية، والسياسية، مما أوضحت أغلبه في هوامش صفحات الكتاب. كما راعيت الانسجام بين فصوله، ليبرز في حلقات مترابطة مع بعضها برباط وثيق.

والكتاب -يعرض علىٰ قارئه «أشرطة» متناسقة فيها كل الصيد -تقريبًا- عن مراحل تاريخ بني سُليم منذ الجاهلية ومنذ كانوا جميعًا مستقرين في ديارهم الأصلية بهذه البلاد، إلىٰ أن رحلت أفراد منهم... فجموع إلىٰ المغرب والمشرق، وإلىٰ الشمال والشرق الجنوبي... وهو يتتبع هجراتهم هذه، وحركاتهم، وسكناتهم، وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية الجديدة فيها، وأحوالهم العلمية والدينية والأدبية والحربية والإدارية.

وقبيلة سُليم من أعرق القبائل العدنانية، وهي معروفة لها المكانة في الجاهلية وفي صدر الإسلام: في الجاهلية كانت معروفة بقوة الشكيمة وبالصلابة والبطولة والجمال، وديارهم محصنة تحصينًا طبعيًّا بالحرار والجبال المحيطة بها، ومحروسة بسيوفهم ورماحهم ورجالهم، وهي غنية بمواردها المعدنية وبمواردها الزراعية وبتجاراتها المستفيضة، وكانوا معروفين باقتناء الجياد الأصيلة وركوبها في المعارك القبلية التي كانت تدور بينهم وبين جيرانهم وخصومهم من القبائل بأتفه الأسباب تارة، وبمهمها تارة.

أما في صدر الإسلام فكتب السيرة والتاريخ طافحة بمجدهم، تقدم منهم ألف بطل إلىٰ النبي ﷺ قبيل فتح مكة مسلمين، واشتركوا مع أصحابه في فتح مكة، وكانت رايتهم حمراء اللون، وكانت فيهم قوة وأيدٌ وإقدام، وحماسة واضحة للإسلام.

ثم أسهموا مع الصحابة والتابعين في فتوح البلدان: فتح العراق وفتح الشام،

وفتح مصر، وفتح ما وراء النهر، وفتح المغرب، وفتح الأندلس.

وفي العقد الأول من القرن الهجري الثاني، رأت السياسة الأموية أن توجد منهم كثرة بمصر، لتتساوىٰ كفتا العدنانية والقحطانية بمصر، فكان أنْ هاجرت أسرٌ منهم عديدة من موطنهم الأصلي بهذه البلاد إلىٰ بُلْبَيس، فاتخذوها موطنًا، وبنوا لهم بها تجارة وزراعة واقتصادًا، وتناسلوا هنالك.

ولما تدفق سيل القرامطة من البحرين إلىٰ الشام، كان بنو سُليم معهم، لا اعتناقًا لمبادئهم العقدية الإلحادية ولكن لنيل الفوائد المادية من وراء مسايرتهم بعد أن تغلبوا علىٰ البلاد، ولما أصيب القرامطة بالهزيمة وأجلوا عن ديار الشام بالقوة رأينا بني سُليم يعودون معهم إلىٰ البحرين أيضًا. وحينما ضعف القرامطة وذبلت سلطتهم أفاد بنو سُليم من ذلك فحلوا في بعض الأزمنة محلهم في الحكم والسلطة، ومعنىٰ ذلك أنهم أفادوا من فرصة اضمحلال القرامطة بإثبات كيانهم السُّلمي.

وقد تتبعنا خطوط تحركاتهم هنالك.

وحينما أدرك العُبيديون بمصر قوة بأس بني سُليم، أرادوا أن يستغلوا هذه الطاقة الحربية العربية التي أثبتت وجودها في البحرين، فأغرَوْهم وأغروا معهم بني عمهم «بني هلال» بأن يقدموا إلىٰ مصر للمرة الثانية. ففعلوا ذلك تحت عوامل الإغراء والضغط.

وحينما اقتضت سياسة الحاكم العبيدي بمصر في منتصف القرن الهجري الخامس أن يضرب بقوة بني سُليم، وبقوة بني هلال، قوة خصمه الذي كان تابعًا له في إفريقية الشمالية، ثم استنكف عن التبعية، وألقىٰ مقاليده إلىٰ الخليفة العباسي ببغداد.

وذلك الخصم السياسي الألد للحكم العبيدي في إفريقية ومصر هو (المعز بن باديس) -زين له وزيره (اليازوري) أمر كَيْل هذه الضربة المفاجئة المزدوجة لكل من بني سُليم وبني هلال والمعز بن باديس، ففعل ذلك بحزم ودهاء وكياسة.

وقد أنبأنا التاريخ بأن (مركز) هذه السياسة الماكرة كان إشعار الوزير اليازوري لبني سُليم ولبني هلال، بأن الخليفة المستنصر الفاطمي (العبيدي) قد منحهم حق التصرف الكامل في شمال إفريقية بدون قيد ولا شرط... وهكذا تم نصب «الفخ» الذي قضىٰ قضاءً مبرمًا علىٰ سلطة المعز بن باديس والمقوض لأركانها من الأسس في شمال إفريقية.

وقد تتبعنا خيوط تحركات بني سُليم في هذه المرحلة المهمة من حياتهم الحربية والسياسية والاجتماعية.

هذا وقد سجلت في الكتاب كل ما أمكنني تسجيله، من عوامل تمدد بني سُليم، وأسباب انكماشهم، وبواعث تقدمهم، ودوافع تأخرهم، وأسباب كل ذلك ذات قسمين: قسم داخلي، وقسم خارجي.

ويحوي الكتاب استعراضًا وافيًا لأصولهم ولفروعهم.

كما أنه جمع وقائع وقعت لهم وعليهم، في الجاهلية والإسلام.

وهو -أي الكتاب- يُعرِّف بديارهم الأصلية في داخل هذه البلاد، وبديارهم الفرعية في خارج هذه البلاد.

وقد تعرض لملامحهم، وفلسف أسماءهم، وترجم للكثيرين من رجالاتهم ونسائهم؛ ففيه تراجم الصحابة والصحابيات، والتابعين والتابعيات، والعلماء

والعالمات، والشعراء والشاعرات، والكتَّاب والتجار والسراة، والأمراء والأبطال، والفُتاك.

وفيه صور لبعض آثارهم، ولبعض حاضر ديارهم، وفيه «مُصور» يشمل ذكر بلادهم ضمن هذه البلاد، وبعض الوثائق المتوارثة لديهم، وفيه ذكر لشعرهم العامي الحديث وبعض أمثالهم العامية وعاداتهم وأعرافهم القبلية الحاضرة.

هذا، وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، فإنما قصدت بتأليفه والمعاناة في إخراجه أن أبرز صورة كاملة واضحة لبعض معالم تاريخ هذه البلاد، والله الموفق.

عبد القدوس الأنصاري

قسم المعلومات العامة

ديار بني سُليم الأصلية

إذا أردنا أن نحدد الأماكن التي استوطنتها بنو سُليم -عبر التاريخ- قديمًا وحديثًا، فإن لنا أن نقول:

أولًا: إن الموطن الأول لهم كان بأعالي الحجاز، بينه وبين نجد، شرقي مدينة جدة الشمالي، وشرقي المدينة المنورة الجنوبي، وكانت بعض القبائل العربية، مثل هوازن، ولحيان تجاورها، وكان استقرار سُليم في هذا المكان، في فترة الجاهلية الأخيرة القريبة من صدر الإسلام، وقد استمر مُقامهم به حتىٰ العصر الحاضر، مع تقلصٍ في بعض المواقع، ولا تزال أسماء الكثير من أماكن هذه الرقعة في جبالها وأوديتها وقراها علىٰ ما كانت عليه قبل الإسلام.

ثانيًا: في زمن لا نستطيع تحديده الآن، انتقلت جالية أو أُسر، من بني سُليم إلىٰ الحيرة، في الشرق الشمالي من بلاد العرب، بأرض العراق، فقد ذكر اليعقوبي أن الحيرة هي من منازل آل «بقيلة» وغيرهم، وأن عليه أهل الحيرة نصارىٰ، منهم من قبائل العرب من «بني تميم» و«سُليم» و«طيّئ» وغيرهم(١).

ثالثًا: وفي فترة لا نستطيع أيضًا تحديدها الآن حدث «تمدد» في منازل سُليم الأصلية، فنزلوا شمالًا عنها وادي القرىٰ وخيبر، وما حولها من حرار، وجبال، وأودية وقرىٰ، منها منطقة مدائن صالح، وقد يدلنا اهتمام السليميين بالتسمية باسم

(١) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» للدكتور جواد علي (ص٢٢٧)، الجزء الرابع، طبع دار العلم للملايين، في بيروت.

(الحُباب) بضم الحاء.. وهو الحية، علىٰ أنهم ربما نزلوا علىٰ بقايا -ثمود- في شمال المدينة المنورة، وربما كانت تلك منازلهم الأصلية، ثم امتدت منازلهم إلىٰ ما بين الحجاز ونجد... وذلك لأننا وجدنا بعض ثمود قد سمت باسم (الحُباب) أيضًا.

وكون أصل مواطن سُليم شمال المدينة المنورة هو افتراض مني، سببه ما ذكرته آنفًا، وهو أمر يحتاج إلىٰ مزيد من الدراسة الأثرية، وإلىٰ تنقيب في منطقة مدائن صالح شمال المدينة المنورة ومنطقة ديار سُليم جنوب شرقي المدينة المنورة...

رابعًا: ازداد انتشارهم، فانفصل من انفصل منهم عن سكنىٰ «الوطن الأمّ» دفعة واحدة، وذلك حينما تدفقوا مع المجاهدين من العرب، في سبيل الله، في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت وجهة هؤلاء المجاهدين فتوح شمال إفريقية، ثم الأندلس، وقد استقر منهم جماعات هنالك بعد الفتوح، وبعد استقرار الإسلام في شمال إفريقية وفي الأندلس(١) مع إخوانهم الذين استوطنوا تلك الديار النائية.

خامسًا: وحينما تم تأسيس مدينتي البصرة والكوفة قبل ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رأينا جالية من بني سُليم تستقر هنالك، وربما كان في أوائل من استقروا بالبلدتين الإسلاميتين الحديثتين المذكورتين مَن كان من بني سُليم مع المجاهدين في تلك الجهة، وقد استوطن فريق من بني سُليم المدينة ومكة أيضًا،

---

(١) في كتاب «أخبار مجموعة»: أنه لما نهض عبيد الله بن علي الكلابي، ودعا في الجند إلىٰ نصر العميل تقاعس ابن شهاب وابن الدجن العقيلي وأصفقت بنو عامر كلها علىٰ الخروج إليه: كلاب ونمير وسعد وجميع قبائل هوازن وسليم بن منصور... فخرجت قيس كلها من الجندين، والجندان متجاوران بالأندلس. (ص٦٥ و٦٦)، طبع مطبعة مجريط، سنة (١٨٦٧م).

وربما كانت لهم أسر سابقة فيهما، كما نرىٰ أنه ربما يكون بعضهم دخل ديار نجد واتخذها مقرًّا له إذ ذاك.

سادسًا: ثم ارتأت سياسة الدولة الأموية -في عهد هشام بن عبد الملك- أن تُرحل أُسرًا كاملة من بني سُليم من ديارهم الأصلية، إلىٰ القطر المصري، لحفظ التوازن هناك بين شطري الشعب العربي: بني قحطان وبني عدنان، فقد لاحظ له أمير القطر المصري رجحان الجانب القحطاني علىٰ العدناني في استيطان مصر.

وقد نفذت هذه الخطة السياسية فعلًا بدقة متناهية، فقدمت لهم الدولة الأموية كل أسباب الاستقرار في مصر، ووفرت لنُزَّاحهم إليها نفس الجو والبيئة والأعمال والحياة التي كانوا يعيشون فيها بموطنهم الأصلي، وبذلك ضمنت لهم الاستقرار في مصر.

وربما كان وراء إجلاء هشام لبني سُليم من بلادهم هدف سياسي آخر، ولعله منع تكتلهم وتجمعهم في ديارهم لئلا يقوموا بعمل ليس من مصلحة الدولة.

سابعًا: وحينما استفحل أمر القرامطة الملحدين، واحتلوا بعض المدن والأقطار الإسلامية، حاملين معهم مبادئهم الهدامة، انضم إليهم بنو سُليم -سياسيًّا وحربيًّا، لا عقديًّا- وذلك بغية اكتساب المغانم السياسية والحربية، وقد نص المؤرخون علىٰ أن السُّليميين لم يعتنقوا مبادئ القرامطة إبان وجودهم معهم.

ثامنًا: وعندما تم إجلاء القرامطة عن ديار الشام عنوة انكفئوا إلىٰ البحرين، فانضمت إليهم سُليم ثانية، وحينما تسرب الوهن إلىٰ القرامطة في البحرين احتل بنو سُليم البحرين كحكام، وأقاموا بها شبه حكم سلمي، ردحًا من الزمن، وربما لا تزال بقايا منهم هنالك اندمجت في بقية السكان.

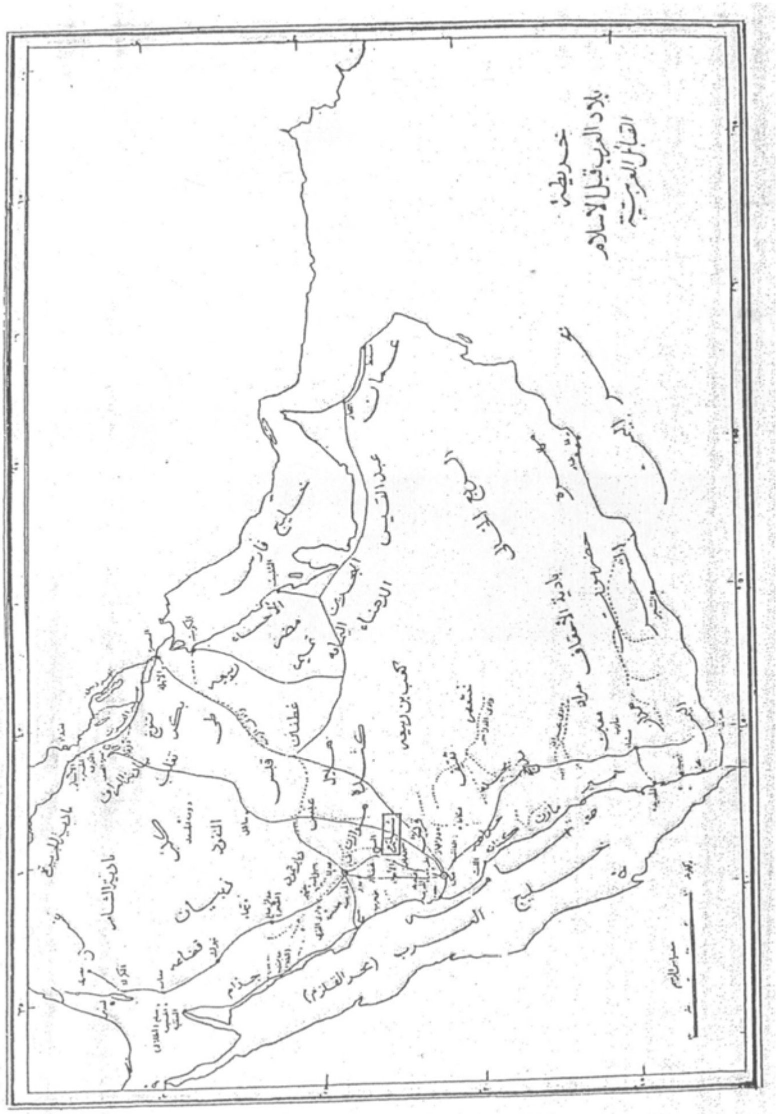
تاسعًا: وقد تسربت -جالية من بني سُليم عامة، ومن بني زُعاب خاصة- إلىٰ رأس الخيمة[١] من مشيخات الخليج العربي، ولسنا نعلم الآن الجهة التي دخلوا منها إلىٰ «رأس الخيمة» ولا الزمن الذي دخلوها فيه، ولا الملابسات التي أدت بهم إلىٰ ذلك. وكلُّ ما اطلعنا عليه هو وجود جالية منهم في رأس الخيمة حتىٰ اليوم.

عاشرًا: أما في القطر المصري الذي اتخذوا -ناحية بُلْبَيس- منه موطنًا في عهد هشام بن عبد الملك الأموي، فقد عرَّفَنا التاريخ بأنهم قاموا باستثمار الأراضي الخصبة التي مُنحوها، وقاموا بتربية الخيل والإبل، وقاموا بالزراعة فيها، وأسهموا في الاقتصاد المصري بمجهوداتهم.

فلما لاح لهم النجاح، وضمنوا الاستقرار، استدعوا بعض بني عمومتهم من ديارهم الأصلية في هذه البلاد، وأوضحوا لهم ما ينعمون به من خير وافر، وما هم فيه من نعيم، فوفدت إليهم أُسرٌ من بني عمومتهم، وشاركوهم فيما يضطربون فيه من عملٍ واستصلاح وتنمية موارد خاصة بهم. واستقروا معهم في مستقرهم بمصر.

---

(١) اسم بلدة بني سليم في مشيخة رأس الخيمة هو: «جزيرة زعاب» نسبة إلىٰ سكانها من بني سليم الذين ينتمون إلىٰ «زعاب» من بني سليم، وتقع بلدة جزيرة زعاب علىٰ مسافة (١٩) كيلومترًا من «رأس الخيمة»، ولهم بها مدرسة أنشئت سنة (١٩٦٠ - ١٩٦١م)، ويدرس فيها منهم (١٢٣) طالبًا سُلَميًّا. راجع (ص١٩٤) من كتاب «الجزيرة العربية» لمصطفىٰ مراد الدباغ (الجزء الثاني).
ويبدو لي أن المؤلف لم يكن مطلعًا علىٰ وجود قبائل سُلَمية كبيرة تعد بالألوف في بلادهم بين مكة والمدينة حينما قال في كتابه المذكور آنفًا (ص١٨٩)، الجزء الثاني ما نصه: «إن بني سليم المقيمين في مشيخة رأس الخيمة هم من البقية الباقية في شبه الجزيرة العربية» مكتفيًا بذلك.



حادي عشر: وفي سنة (٤٤٠هـ - ١٠٤٨م) دفعت (السياسة العبيدية) الحاقدة علىٰ عامل العبيديين بإفريقية: المعز بن باديس الذي خلع طاعتهم، ومال إلىٰ العباسيين في بغداد -دفعت تلك السياسة المحبوكة، ببني سُليم وبني هلال إلىٰ الهجرة الجماعية، إلىٰ شمال إفريقية، من مصر، بقضِّهم وقضيضهم، فنفذوا -حرفيًّا- مخططات هذه

السياسة، وطبقوا برامجها بكل دقة وتصميم، والعربي صريح في ولائه وعدائه، وقد نال شمال إفريقية منهم عنت بالغ، فترة من الزمن، ولكنهم مع ذلك تمكنوا من نشر راية اللغة العربية في بلاد المغرب وإرساء قواعدها بين جماهير من البربر.

ثاني عشر: وفي أوائل العصر الحديث رأينا جوَاليَ سُلميَّة تنزح عائدة من شمال إفريقية إلىٰ مصر، التي سبق لها أن نزحت منها إلىٰ شمال إفريقية في أواسط القرن الخامس الهجري، وقد استقرت -ثانية- هذه الجوالي في مصر، واعتبرت من أهلها الأعراب، ولا يزالون مقيمين فيها حتىٰ اليوم.

تلك «خلاصة» وافية لمواطن بني سُليم، ما كان أصليًّا وما كان فرعيًّا، في أقطار المعمورة، وستأتي التفصيلات.

ومن كل ما ذكر آنفًا ندرك مدىٰ نشاط هذه القبيلة التي وُصفت منذ عهد الجاهلية بأنها قبيلة عظيمة، من قبائل العرب العدنانية، فقد كانوا في الجاهلية والإسلام حركة قوية وذوي نشاط حربي واقتصادي وإداري مرموق.

في الجاهلية كانت العرب تقدرهم وتقدر شجاعتهم ومواهبهم، وتفيد من تراثهم وثراء بلادهم، فتتاجر معهم، وتشاركهم في استثمار مزارعهم وتجاراتهم، وذلك لا غرو أن نرىٰ أفرادًا منهم ذوي مكانة بمكة وبغير مكة.

ولذلك لا بِدْع أن نرىٰ بعض رجالات العرب يُصهرون إليهم، ويسهمون معهم فيما يسهمون فيه من استثمار معادنهم الذهبية الثرة والاتجار بناتجها الثمين.

وديارهم الأصلية في وسط بلاد العرب، ولكنها مع ذلك حصينة حصانة طبيعية، مما مَكَّن لهم، وأَثَّلَ لهم المجد، ووقاهم إلىٰ حد ما، من استباحة حماهم، وكانت لهم خيول وافرة، والخيل خير مطايا الحرب في ذلك العهد، وإلىٰ عهد غير بعيد.

وفي الإسلام كانوا حركة دائبة، ونشاطًا حربيًّا وإداريًّا متقدًا، وذكاءً ولَمَاحية، وقدرة علىٰ تحمل أعباء الحكم الذي يضطلعون به نتيجة تولية زعمائهم ورجالاتهم الحكم من قبل الخلافة في شرق وفي غرب.

وقد بدأت تحركاتهم الجماعية في الإسلام، بأن قَدِم ألف منهم شاكِّي السلاح، جاءوا دفعة واحدة، مسلمين إلىٰ المصطفىٰ ﷺ، عقب فتح خيبر، بعدما اقتنعوا بصدق الإسلام، وبمزاياه الروحية والنفسية والمادية، والدينية والدنيوية.

وكانوا إذ ذاك مستعدين لخوض غمار المعارك لنصرة دينهم الحق الذي دخلوا فيه زرافات عن إيمان واقتناع، وكان طليعة أعمالهم البطولية أن شاركوا بحماسة في فتح مكة، وكانت لهم رايتهم الحمراء وقوادهم الأبطال.

وكان لدخولهم الجماعي في دين الإسلام، واقتحامهم ساحة الوغىٰ تحت رايته الوضاءة -رنَّةٌ فرح وغبطة لدىٰ إخوانهم المسلمين، ودُوِيٌّ هائل في أنحاء شبه جزيرة العرب، لدىٰ المشركين، فقد كانوا معروفين بشدة البأس والمراس، وقوة الشكيمة وبالبطولة والإقدام.

وحينما دعا داعي الفتوح الإسلامية إلىٰ خارج الجزيرة كان السُّلَميون من أوائل من لَبَّىٰ النداء، فأسهموا في فتح مصر وشمال إفريقية، والأندلس.

كما سرىٰ نشاطهم الحربي إلىٰ حروب الردة قبل ذلك في خلافة أبي بكر الصديق، فرأيناهم فريقين: فريقًا مرتدًّا يحارب المسلمين بعنف وضراوة، وفريقًا يحارب مرتديهم يعنف وضراوة، وأخيرًا اتحد شملهم المتفرق تحت راية الإسلام.

وفي حروب شرق الجزيرة بفارس كان السلميون مع المجاهدين، وفي الفتوح بشمال العراق كانوا هناك أيضًا مع المجاهدين.

ويذكر المؤرخون أن «نصر بن الحجاج» السُّلمي الفتىٰ الجميل، الذي نفاه عمر بن الخطاب إلىٰ البصرة حيث تقيم جالية سُلمية من بني عمومته حَنَّ إلىٰ الجهاد، فدخل في زمرة المجاهدين إلىٰ الأراضي التي تقع بشمال العراق، وامتشق الحسام؛ فغسل ما قد يكون علق به من أوضار الشباب.

وحينما أَشِبَ -اختلط- الأمر علىٰ العرب المسلمين، واختلفوا أشد اختلاف وأَمَرَّه، فيمن هو أولىٰ بمنصب الخلافة: أعبدُ الله بن الزبير بن العوام في مكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أو مرشحو بني أمية من الأمويين في دمشق رأينا بني سليم العدنانيين ينحرفون عن حلفائهم الأمويين، ويرشحون للخلافة عبد الله بن الزبير ويصرون علىٰ ذلك، وكانوا في ذلك ضد الكلبيين اليمانين الذين كانوا إلىٰ جانب خلافة بني أمية علىٰ طول الخط.

وقد نشبت فيما بين الفريقين بعد مصاولات سياسية حامية -معركة «مرج راهط» الضارية، وحدث أن هُزم القِيسيون ومنهم بنو سليم في هذه المعركة الأهلية، وانتصر عليهم الكلبيون انتصارًا حاسمًا.

وهكذا تسنم «مرشحهم» الأموي منصب الخلافة، وكان نصيب مرشح القيسيين للخلافة: (عبد الله بن الزبير) ما هو معروف في التاريخ.

ولم يُسَلِّم «السلميون» بنتائج الهزيمة الساحقة، فسرعان ما استردوا اعتبارهم السياسي، وقد رأينا منهم مَنْ تُوليهم الخلافة الأموية المناصبَ الرفيعة في العهد الأموي، في مشرق وفي مغرب كما كانوا يولونها بخصومهم السياسيين والحربيين المنتصرين في «مرج راهط»، سواء بسواء.

وقد رأينا فيما بَعْدُ من أنسال الجوالي السلمية في مصر والشام والمغرب والأندلس من كان في مرتبة الإمارة في العلم والحديث والفقه والدين، مثل الإمام

الترمذي، والعز بن عبد السلام، وعبد الملك بن حبيب.

ونعتقد أن بني سليم كانوا مع الجيوش الإسلامية التي غزت أوربة، ولابد أن منهم من كان في جنوب إيطاليا وسويسرة مع الفاتحين، وكذلك شأنهم في حروب الشرق الأقصىٰ، وفي حروب الهند والسند، وأرمينية وما وراءها.

وفي عصرنا الحاضر رأينا منهم من كانوا في جيش الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، علىٰ أثر الخلاف الذي نشب بينه وبين الإمام يحيىٰ حميد الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومما تجدر الإشارة إليه ونحن في معرض هذا البحث: أن عشائر كبيرة من سليم حافظت علىٰ البقاء في موطن أسلافهم بأعالي الحجاز، وفي نواحي خيبر ومدائن صالح.

وليس بصحيح ما قرره ابن خلدون في كتابه «العبير» من أنه لم تبق باقية من بني سليم في ديارهم الأصلية في زمن ابن خلدون.

وقد رأينا ابن خلدون نفسه ينقض ذلك، فيثبت ما نفاه أولًا، ويذكر أنه بقي منهم أناس في موطنهم الأول يقطعون الطريق علىٰ الحجيج.

وقد رأينا القلقشندي يعتمد علىٰ ابن خلدون فيقع في الغلط الذي وقع فيه من اعتمده.

وجدير بالذكر أيضًا: أن نقرر بصفة إجمالية هنا أن بني سُليم الجنوبيين المقيمين بجبال السراة والذين ربما انتشر بعضهم إلىٰ اليمن، ليسوا من بني سليم الشماليين في قبيل ولا دبير، فأولئك أزديون قحطانيون، وهؤلاء قيسيون عدنانيون، وكل ما في الأمر أن جامعة العروبة والإسلام تجمع الجانبين معًا.

تحديد ديار سليم الأصلية:

يبدو لي أن تحديد ديار بني سليم الأول يقتضي سَعَةَ نظر، فحدود بلادهم هذه مرِنَة، مطاطة، تتسع وتضيق حسب الظروف والأحوال الاجتماعية السائدة لديهم ولدىٰ من يجاورهم ويصاليهم من العرب المماثلين.

ومن أوائل من قدموا لنا تحديدًا واضحًا لديارهم الحسنُ الهمداني، قال: «فمن وادي القرىٰ إلىٰ خيبر إلىٰ شرقي المدينة، إلىٰ حد الجبلين، إلىٰ ما ينتهي إلىٰ الحرة: حرة بني سليم -لا يخالطهم إلا صِرَم- جماعات - من الأنصار، سيارة، وقد يحالون طيئًا»[(١)].

وعند الهمداني أن «السوارقية» و«صفينة» داخلتان في ديار بني سليم[(٢)]، وقد تغير ذلك فيما بعد، فقد حدثنا محمد بن بليهد -وهو مؤرخ ورحالة سعودي معاصر- بأن «السوارقية» و«صفينة» تغلبت عليهما بنو عبد الله بن غطفان، كما تغلبت علىٰ جميع الحرار بهما[(٣)].

وقدمت لنا «دائرة المعارف الإسلامية» تعريفًا لديارهم فضفاضًا حينما قالت: «وتقوم منازل هذه القبيلة علىٰ طول حدود نجد والحجاز، ويتاخمها من الشمال

---

(١) «صفة جزيرة العرب» الهمداني (ص١٣١) طبعة مصر.

(٢) المصدر السابق (ص١٧١).

(٣) تعليقات محمد بن بليهد علىٰ كتاب «صفة جزيرة العرب» الهمداني. وقد حددت لنا البعثة الأمريكية الزراعية في تقريرها المطبوع بمصر «صفينة» وعرفتها لنا إذ قالت (ص١٤٠): «صفينة: هي قرية صغيرة واقعة تقريبًا علىٰ بعد ٤٥ كيلومترًا من المهد وعلىٰ بعد كيلومترين ونصف إلىٰ جنوب مركز «المضخة» رقم ٣».

أرض المدينة، ومن الجنوب أرض مكة، وكان جيرانها من الشرق قبائل غطفان، وهوازن، وهلال، وهي من بني عمومتها».

وأضافت إلىٰ ذلك وصف ديارهم بالرخاء الوافر حتىٰ نهاية العهد الأموي، فقد كانت مركز تعدين وتلال (وتلالًا) حافلة بالغابات، وواحات استغلت استغلالًا حكيمًا رشيدًا).

وجعلت «الرَّبذة» من هذه الواحات، وكذلك «فِرَان» و«معدن البُرَم» وصفينة وسوارقية (السوارقية) وغيرها» وقالت: «إن واحة سوارقية (السوارقية) تمتد مرحلة؟ عدة أيام، وهي عامرة بأشجار الموز والرمان والأعناب، ناهيك بأحراج النخيل».

وتحدثت عن خصائص بلاد سليم.. فقالت: إنها كانت تملك المصادر المعدنية، وتشرف علىٰ الطريق الموصل إلىٰ المدينة، وينفذ منها من يريد بلوغ نجد والخليج الفارسي: (الخليج العربي).

وأضافت أن كثيرًا من الأُسَر المكية تحالفت مع سُليم، واشتركت معها في استغلال ثروات البلاد الزراعية والمعدنية. وأهم ثرواتها المعدنية هي -هو- الذهب والفضة. وقد استؤنف النشاط في ناحية التعدين بسليم، في خلافة أبي بكر، واستمر استغلال مناجمها في عهد الأمويين، وكانت موردًا له قيمته من موارد الدولة.

ووصفت بني سليم بأنهم كانوا يملكون جيادًا كثيرة. ويُعَدُّ ذلك آية من آيات النعيم الأخرىٰ؟ في الصحراء(١).

---

(١) «دائرة المعارف الإسلامية» الترجمة العربية بمصر (ص١٤٤)، المجلد الثاني عشر، طبعة مصر.

وجاء في كتاب عرام السلمي ما يؤيد رأي «دائرة المعارف الإسلامية» من ناحية امتلاكهم لكثير من الجياد وغير ذلك قال: «ولهم خيل وإبل وشاء كثير».

وأضاف قوله: «وهم بادية إلا من ولد بها، فإنهم ثابتون بها، والآخرون بادون حواليها، ويميرون طريق الحجاز ونجد في طريقي الحاج»(١).

ومنازل بني سليم في رأي الدكتور جواد علي: «تقع في مواطن حرار، ذات مياه ومعادن، عرفت بمعدن سليم، وكانوا يجاورون عشائر غطفان، وهوازن، وهلال، وخثعم، وثقيف، وقد صارت سليم من القبائل الغنية بسبب خيرات أرضهم ووقوعها في منطقة مهمة، تهيمن علىٰ طرق التجارة، وقال: إن صِلاتِها كانت حسنة ببلاد يثرب، كما كانت صلاتُها وثيقة بقريش، وقد تحالف عدد كبير من رجالات مكة مع بني سليم، واشتغلوا معهم في الاستفادة من المعادن والثروة في أرض سليم».

وهذا الذي يقوله جواد علي لا يخرج عما ورد في «دائرة المعارف الإسلامية» حسب ما ذكرناه آنفًا.

وسيرد في الفصل الذي عقدناه بعنوان: «أمراء ومحتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سليم» سيرد الحديثُ عن «قيس بن خزاعي السُّلمي» الذي ذكرت رواية أجنبية اسمه ووصفته بأنه شخصية عربية مرموقة، وبأن نظر القيصر وقع عليه فاختاره عاملًا علىٰ قبيلة معدّ، وأنَّ حكمه كان علىٰ أرض فلسطين، فهل انتقلت قبيلة سليم وبعض قبائل معد في عهد قيصر الروم (يوسطنيان) إلىٰ أرض فلسطين آنذاك فحكمتها تحت رعاية قيصر الروم؟!(٢).

---

(١) «أسماء جبال تهامة وسكانها» لغرام بن الأصبغ السلمي (ص٦٥ و٦٦).

(٢) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» لجواد علي (ص٢٥٧ و٢٦٨) الجزء الرابع.

ويذكر لنا الأمير شكيب أرسلان منازل بني سليم فيقول: «ومن منازلهم حرة سليم، وحرة النار، بين وادي القرىٰ وتيماء»(١).

تلك تحديدات متعددة متقاربة لبلاد بني سليم في العهد القديم، تناقلها الرُّواة والمؤرخون بحسب عهودهم أو عهود سبقت عهودهم.

أما تحديد ديارهم الحاضرة: فيختلف عما سلف، ويبدو لي أنها تقلصت عما كانت عليه فيما مضىٰ، حسب الظروف والحروب، والأحوال الاجتماعية والاقتصادية السائدة لدىٰ عرب المنطقة، فقد وصفها لنا كل من حسين بن هندي السلمي رئيس قرية «الكامل» أمُّ قرىٰ بني سليم ومركز الإمارة فيها الآن، وعبيد بن محمد السلمي الموظف بشركة الزيت العربية الأمريكية بجُدّة، حسب ما يأتي:

قال حسين بن هندي: «يحد بلاد بني سليم الآن من ناحية الشرق: القَرَىٰ -بفتح القاف والراء المهملة- وهي حَرَّة مرتفعة يسيل منها الماء إلىٰ الغرب والشرق معًا.

ومن ناحية الغرب: الحُوَار.

ومن ناحية الجنوب: رُهاط.

ومن ناحية الشمال: جبالُ الحقو، بشَمال وادي تمر الواقع شمال ستارة».

وقال حسين بن هندي السلمي أيضًا: «إن أرضهم الآن لا تقل طولًا عن ثلاثمائة كيلومتر تقريبًا من الجنوب إلىٰ الشمال، وعرضًا لا تقل عن مائتي كيلومتر، من الشرق إلىٰ الغرب تقريبًا».

أما عُبَيْد بن محمد السلمي، فإنه يقول: «يحد بلادنا غربًا: وادي حُلَيفة.

---

(١) «الارتسامات اللطاف» للأمير شكيب أرسلان (ص٢٧٤) طبع مطبعة المنار بمصر.

وشرقًا: رأس القَرَىٰ علىٰ جبل شمنصير.

وجنوبًا: وادي رُهاط.

وشمالًا: وادي ستارة، وذرّة.

والتعريفان غير متباعدين، وقد أيد لي ذلك مبارك بن عبد التواب السلمي.

وكان الشريف شرف عبد المحسن البركاتي المكي حدد بلاد بني سليم بقوله: «تلي جنوبًا منازل قبيلة بني عبد الله المشهورة بمطير». وكان قد حدد منازل مطير بأنها: «تقع في الشرق شمالًا، وتمتد إلىٰ نجد»(١).

وبلاد بني سليم قسمان:

- قسم طبعي.
- وقسم صنعي.

والقسم الطّبعي منها يشمل: الحِرَار والجبال، والمنابع، والمعادن، والأودية.

والقسم الصُّنعي يشمل: القُرىٰ، والحصون، والحدائق، والحقول، والعيون، والآبار، والعمارات، والآثار.

وفيما يلي بيان واستعراض للقسم الطبعي من تلك الديار، بالقدر الذي توصلنا إليه:

فأولًا: - الحِرَار(٢):

«**حرة بني سليم**»: **يقول عنها الحسن الهمداني:** «وعرض حرة بني سليم ثلاثة

---

(١) «الرحلة اليمانية» لشرف عبد المحسن البركاني (ص١٣٠) طبعة بيروت.

(٢) الحرار -بكسر الحاء المهملة-: جمع حرة -بفتح الحاء- وهي حجارة سود أو جبال بركانية سود، محترقة، والأغلب ألا تنبت شيئًا لأنها محترقة.

وعشرون جزءًا ونصف»[١].

وحرة بني سليم تحت قاع النقيع، وفيها رياض وقيعان، ويدفع ذلك في النِقِيع.

وقال الهجري في تحديد حرة بني سليم: «تبتدئ هذه الحرة من ذات عِرْق ورهاط، ثم تنقطع بحبس عوال، ووراء تَيْب، إلىٰ قرب الطرف: المنزل الذي قبل المدينة، وتليها حرة ليلىٰ وتنقطع بجنفاء، من ضفن عدنة وخيبر بحرة النار».

وقال الثعالبي: (حرة النار) لبني سليم، وتسمىٰ أم صبَّار، وفيها معدن الدهنج، وهو حجر أخضر يُحفَر عنه، كسائر المعادن، وهو في عالية نجد.

ومن حِرارِهم: (حرةُ الحذْرية)، وعد ابن خلدون «حرة النار» من حرارهم[٢]، و«منيحة» وهي لجسر وبني سُليم.

وثانيًا: الجبال:

من جبال بني سليم: (برْمة)، قال عنه البكري أنه: موضع مذكور محدد في رسم بلاكث، وبمراجعتنا لمادة بلاكث وجدناه يقول ما ملخصه: «يلاكث موضعان، فبلاكث الواحدة بين المر وشبكة الدوم قرب برمة، فوق خيبر من طريق مصر، وهي عرض من أعراض المدينة، وبلاكث الأخرىٰ بين عنزة ومدين، وكلاهما علىٰ طريق مصر». مادة «بلاكث» في «معجم ما استعجم».

ومن جبالهم: (ثَروان) أو (ثرْواء)، وجبل (النِّمار)، وجبل (واهب)، وجبل (شمنصير)، وكنت كتبت عنه قبل أحد عشر عامًا: فقلت: «وأشهر جبال وادي ساية:

---

(١) «صفة جزيرة العرب» للهمداني (ص١٨٥) طبع مطبعة السعادة بمصر.

(٢) «العبر لابن خلدون» (ص٦٣٩) المجلد الثاني، طبع بيروت.

جبل شمنصير الذي لا يزال محتفظًا باسمه العربي التاريخي»[(١)].

وعن جبل شمنصير يقول عرام بن الأصبغ السلمي: «هو جبل ململم، مستدير، مجموع بعضه إلىٰ بعض، لم يَعْلُه قط أحد، ولا درىٰ ما علىٰ ذروته، بأعلاه القرود. ويقال: إن أكثر نباته النبع والشوحط، والمياه حواليه ينابيع، عليها النخيل والحماط».

ويضيف قوله: «ويطيف بشمنصير من القرىٰ: قرية كبيرة يقال لها: «رُهاط» بضم الراء.. وهي بِوَادٍ يقال له: غُرَان - بضم الغين المعجمة. وأنشد.

فــإن غُرانًــا بطــن وادٍ أحبــه لســاكنه عهــد علــيَّ وثيــقُ

وبغربيه قرية يقال لها الحديبية ليست بالكبيرة[(٢)].

وقد أخبرنا حسين بن هندي السلمي وعبيد بن محمد السلمي: بأن الناس الآن يرتقون ذروة جبل شمنصير، وقد رقاه أحدهما أو كلاهما كما علاه مبارك بن عبد التواب السلمي فليس الأمر فيه علىٰ ما قال عوام بالنسبة لهذا الزمان.

وأقول إذن: لربما كان عرام سمع هذا القول المبالغ فيه من بعض بني سليم في عصره، فنقله من غير أن يتحرىٰ الواقع من غير الذي حدثه بهذا القول، وهذا - للتوفيق بين قوله والواقع، لأنه إذا كان المعاصرون يرتقونه فإن الأولين بإمكانهم أن يرتقوه.

هذا وقد مر بنا أن قرية (رُهاط) تحد ديار بني سليم الآن جنوبًا، فيما اتفق عليه السُّلميان المعاصران؛ حسين بن هندي وعبيد بن محمد.

---

(١) تحقيق أمكنة مجهولة في الحجاز وتهامة.

(٢) «أسماء جبال تهامة وسكانها» لعرام بن الأصبغ السلمي (ص٤٧ و٤٨) طبع القاهرة.

وتسكن بجبل شمنصير الآن ربيعةُ بن سليم.

وجبال (أُبْلىٰ) من جبال سليم، وهي قريبة من صَمَة – بالتخفيف، وليس لها ماء، وإنما هي مفازة بين قرن وصمة[١].

وكذلك (عقر) هو جبل ضخم من جبالهم، يشرف علىٰ معادن الماوان، قبل الربذة بأميال لمن كان مصعدًا، وهو جبل في ديار كلاب.

و**(صَمَةٌ)** جبال في ديار بني سليم، ليس لها ماء، وإنما هي مفازة أيضًا[٢].

و**(أروم)** و**(آرام)** هما جبلان يقعان في قِبْلَة الربذة بأرض بني سليم، والحفائر بناحيتها.. قال الشاعر:

ألا ليت شعري هل تغيَّر بعدنا　　أروم وآرام فشابةُ والحضر

و**(شَرَوْرَىٰ)** من جبالهم، وتسمىٰ اليوم (شرَوْرَة).. بالتاء المربوطة.

قال الأعشىٰ السلمي، وكان حُبِسَ بالمدينة:

هاجك رَبْع من شَرَوْرىٰ ملبد

وتقع جبال شرورىٰ بين قران والثمال.

و**(ذَرّة)** جبال كثيرة متصلة، ضعاضع -أي صغار، لا تسمىٰ، في ذراها- أي في كِنّها وظلّها – المزارع والقرىٰ وهي لبني الحارث بن بُهْثة بن سليم.

و**(هضيب القليب)** جبل بناحية من بلاد سليم.

---

(١) «معجم البلدان» لياقوت الحموي (ص٥٥٠) المجلد الثاني، طبع إيران.

(٢) «معجم البلدان» لياقوت الحموي (ص٥٥٠) المجلد الثاني.

وقال العامري: «هضيب القليب نصف بين بني عامر وبني سليم، حاجز فيما بيننا وبينهم، والقليب الذي ينسب إليه هضيب لهم» أي لبني سليم.

و(**اليعملة**) جبال بها مياه كثيرة، في واد يقال له: اليعملة، وهي في أرض بني سليم. وناحية أرض محارب، ومياهها مشتركة بين الحيين، وبين الربذة واليعملة ثلاثة عشر ميلًا.

و(**الشراة**): جبل شامخ، تأوي إليه القرود، وينْبِتُ الشوحط والنبع والقرظ، ويشترك فيه بنو ليث وبن وظفر من سليم، يقع دون عسفان في يسارها.

و(**الخريطة**): إلىٰ الشراة، وهي جبل صلْدٌ أجرد، ومنه يُصْعَد إلىٰ «ساية» وفيه قرىٰ.

و(**جماجم أو حماحم، والوسباء**): جبال لبني سليم، وهي قِنَان متصل بعضها ببعض.

و(**الكبوانة**): متعشىٰ يقع شمال المسلح يميل نحو الشرق بغرب حرة كشب وشرق حرة بني سليم.

و(**ذو الموقعة**): جبل بحذاء (أُبْلىٰ) من شرقيها، وهو جبل معدن بني سليم، يكون فيه الأروَىٰ كثيرًا، وربما كانت كلمة (اللازورد) الواردة في «معجم البلدان» لياقوت الحموي - محرفة عن كلمة (الأروىٰ)، وقد نقل الأستاذ رشدي ملحس رَحِمَهُ اللَّهُ، في كتيبه: «بحث المعادن» ما ورد في «معجم البلدان» وذلك الصفحة (٤٢) من الكتيب المذكور، باعتبار أن (ذا الموقعة) من جبال المعادن.

و(**جبل ملحان**): لسليم أيضًا وتنسب إليه معركة وقعت بينهم وبين غطفان.

و(**جبل ميطان**): لسليم أيضًا، وتشاركها فيه مُزينة، ويقع جبل ميطان حذاء شوران.

و(**السِّتار**): جبل بالعالية في ديار سليم.

و(**قنة الحجر**): جبل غير شامخ، وهو بحذاء قرية الحِجْر الخاصة ببني سليم.

و(**شعر**): بالفتح ممنوعًا: جبل لبني سليم أو بني كلاب.

وثالثًا - المياه:

والمياه تشمل العيون، والنبوع، والآبار، والقلوت(١).

فمن عيونهم: (**عيون الحِجْر**): والحجر: اسم مشترك؛ كثرت التسمية به في بلاد العرب، والحجر هنا قرية أو أرض بها مياه وعيون لبني سليم خاصة.

ومن عيونهم: (**عين النازية**): وهي عين كانت بالصَّعْبِيَّة التي هي أرض واسعة، وهي بين بني خُفَاف من سليم، وبين الأنصار، فتضاربوا، فسدوها، وهي عين عذبة الماء وكثيرته، وقد قتل ناس بسبب ذلك، وطلبها سلطان البلد مرارًا بالثمن الكثير فأبوا ذلك.

ومن الغُدران -(**غدير الحِواق**): وهو غدير في أصل جبل (الحَراس) الذي هو جبل أسود ليس به نبات حسن، والخواق هذا يمسك الماء من السماء كثيرًا، وهو لبني سُليم.

---

(١) القلت -بفتح القاف وسكون اللام، بعدها تاء مفتوحة-: هو النقرة في الجبل، ويعني به هنا الماء الذي في النقر جمع نقرة، فهو من المجاز المرسل: من باب تسمية الحالِّ -بتشديد اللام- باسم محله. مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾.

ومن مياههم: (صَمةُ): وهي ماء دون جبال صمة، في إقبالها.

و(ماء الهَدَّار): هو ماء حِسي، في جبل مُغار، وهو يفور بماء كثير، ويقع في سبخ، بحذائه حاميتان سوداوان.

و(الرَّفدةُ): ماءة ملحة في جوف إحدىٰ الحرتين السوداوين اللتين بحذاء السبخ الذي يقع فيه حسي الهدار، بوادي عريفطان، وعليها نَخيلات وآجام -جمع أُجُم - بضمتين- بمعنىٰ الحصن -يستظل فيهن المارُّ، وهي -أي: الآجام- شبيهة بالقصور، وحواليها حموض، وهي لبني سُليم، وتقع علىٰ طريق زبيدة، يدعوه بنو سُليم: «منقا أو مغار زبيدة».

و(أليَةُ): ماء من مياه بني سُليم، وقال البكريُ في «معجمه»: إنه موضع... قال الشاعر:

كــأنهم مــا بــين أليَــهَ عُــدوة ... وناصفةِ الغراءِ هدي محلـل[1]

و(مُسهل): ماء لبني سُليم، مبهل الأجرد، وادٍ لعبد الله بن غطفان[2] فلعل مُبهلًا الذي هو ماء لبني سُليم خاص بهم دون بقية الوادي الذي هو لعبد الله بن غطفان.

و(التُّويمة): ماء لبني سُليم أيضًا[3].

و(سبي): ماءة لبني سُليم كذلك[4].

---

(١) كتاب «الأمكنة والمياه والجبال» لمحمود بن عمر الزمخشري (ص١٣ و١٥)، طبع مطبعة السعدون ببغداد.

(٢) المصدر السابق (ص٢٢).

(٣) المصدر السابق (ص٤١).

(٤) المصدر السابق (ص١٢٩).

و(**المُريَر**): من مياه بني سُليم، قال الشاعر:

هــو «المريــر» فاشـــربيه أو ذري   إن المريــر قطعــة مــن أخضــر(١)

و(**النَّقيشَة**): ماء لبني الشريد، وبنو الشريد من سليم، قال الشاعر:

خليلــيّ قومــا في العلالــي فــانظرا   أبا لخيم مـن وادي النقيشـة حاضـره؟(٢)

و(**أفيْعيةُ**): منهل ماء يقع فوق (فران)، بينه وبين مكة، ويطؤه الطريق.

و(**قَلَهىٰ**): ماء أو موضع به ماء بينهم وبين مزينة. قال الشاعر:

نحن بنو ذي التـاج والقـرم اللهَـمْ   المــانعين قلهــىٰ وهــي طُمَـم

ومن آبارهم: (بئر معونة)(٣) و(ذو ساعدة) و(جماجم) أو (حماحم).

و(**الوسباء**): والوسباء قنان متصل بعضها ببعض، والماء ماء لهم فيها.

و(**الشقيقة**): أو (الشفيقة)، وهي بئر في أسفل ذي الموقعة الذي هو جبل معدن بني سُليم من شرقيه.

و(**آبار الهدبيَّة**): وهي ثلاث آبار، ليس عليهن مزارع ولا نخل، ولا شجر.

و(**آبار سوارق**): وتقع في وادي سوارق بالسوارقية.

وآبار (**الصعبية**): وهي آبار ينزع عليها، وهي ماء عذب في أرض عذبة.

---

(١) المصدر السابق (ص٢٠٩).

(٢) نفس المصدر (ص٢١٩).

(٣) عند هذه البئر نشبت المعركة بين أصحاب بئر معونة من صحابة رسول الله ﷺ، وبين من أسهم فيها من بني سليم.

و**(ذات الغار)**: بئر عذبة كثيرة الماء تسقي بوادي سُليم. قال عُزيرزة بن قطاب السلمي:

لقد رعتموني يوم ذي الغار روعة ... بأخبار سوء دونهن مشيبي

نعيتم فتىٰ قيس بن عيلان غدوة ... وفارسها تنعونه لحبيب

وتقع (بئر معونة) في أرض سليم، وأرض بني كلاب، بناحية المعدن -معدن بن سُليم.

ويقول الزمخشري: «إنها تقع بين أرض بني عامر وحرة بني سُليم»(١).

و**(آبار كُلَيَّة)**: هي آبار علىٰ ظهر الطريق، وبهن يسمىٰ وادي كلية(٢).

و**(المسَلْحُ)**: منهل لبني سليم.

و**(غمرة)**: منهل فوق المسلح لبني سُليم أيضًا. وغَمْرةُ تقع بواد يقال له العقيق(٣).

وأما (المعادن) فمنها:

(معدن بُحران)، وبحران: موضع بناحية الفرع، وكان هذا المعدن مِلْكًا للحجاج بن علاط البهزي السلمي الصحابي، وهو معدن ذهب.

و**(فِرَانُ)**: هو معدن ذهب أيضًا لبني سُليم، ويقع بحذاء السليلة، وإذا كان هو

---

(١) «كتاب الأمكنة والمياه والجبال» للزمخشري (ص١٦٨).

(٢) «أسماء جبال تهامة سكانها» لعرام السلمي (ص٣٢).

(٣) «بلاد العرب» للحسن بن عبد الله الأصفهاني، طبع بيروت، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر (ص٤٠٤ و٤٠٥).

ما يعرف لدينا الآن بمهد الذهب، فيكون قد أعيد فتحه واستغلاله في عهد الملك عبد العزيز آل سعود، وقد استخرج منه كميات من الذهب فعلًا، ثم أغلق، لما ظهر من أن إنتاجه غير تجاري.

وكلمة (المهد): وردت في تاريخ بني سُليم، علَمًا علىٰ حصن لهم يقع في (جَبَلة) إحدىٰ قراهم الأثرية المهمة روىٰ لنا البشاري ذلك(١).

و(المهد) -بفتح الميم وسكون الهاء- بمعنىٰ الأرض. وبضم الميم وسكون الهاء: النَّشْزُ من الأرض أو ما انخفض منها في سهولة واستواء، وإذا تذكرنا ما قالته «دائرة المعارف الإسلامية»، من أن في بلاد بني سليم تلالًا فيها الغابات، وأن بها منخفضات، وأن المهد بمعنىٰ الأرض - أدركنا صحة إطلاقهم المهد علىٰ بعض أنحاء بلادهم.

ويقول ياقوت في «معجم البلدان»: «إن معدن (فِران) منسوب إلىٰ فران بن بلي بن عمر بن الحاف بن قضاعة، نزلت علىٰ بني سُليم، فدخلوا فيهم، وصاروا منهم».

ويقع معدن فران علىٰ طريق نجد، وسماه السمهودي: معدن بني سليم، ويقال له معدن فران، به قرية كبيرة بطريق نجد، بها بِرك وآبار علىٰ مائة ميل من المدينة(٢).

وتغيير أسماء أمكنة بلاد العرب سُنّة متبعة من قديم ومن حديث. فقد غيروا اسم العِرْض بالجرفِ، في القديم، وغيروا اسم وادي ساية بوادي وبح في الحديث.

وأما (الأوية):

فمنها: (وادي كُلَيَّة): وهو وادٍ بالقرب من خُليص، وبه نحو سبع عيون، علىٰ

---

(١) «أحسن التقاسيم في سرقة الأقاليم» للبشاري (ص٧٩)، ط بريل بمدينة ليدن (١٩٠٦م).

(٢) «وفاء الوفاء» للسمهودي.

كل عين قرية، وكان بيد سُليم قبل انكماش ديارهم، وتقلصهم.

يقول القلشندي: إنه «قد خرب من مدة قريبة بعد الثمانين والسبعمائة».

ويقول عرّام بن الأصبغ السلمي عن كليّة: «هو وادٍ يأتيك أيضًا من شمنصير وذرَة، وكل هذه الأودية تنبت الأراك والمرخ -وهو شجر المُقل- والنخل، وليس هناك جبال»(١).

ووادي كلية الآن: سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ - ١٩٧١م عامر، وهو واد بالقرب من خليص به نحو سبع عيون، ومعنىٰ ذلك أنه عمر بعد خراب، وقد جاء في «صبح الأعشىٰ» للقلقشندي أن هذا الوادي كان بيد سلُيم وقد حرب من مدة قريبة بعد ٩٨٠هـ(٢).

ولعل من أسباب عمرانه في الوقت الحاضر انقطاع غارات الأعراب علىٰ بعضهم، واستتباب الأمن، فانصرفت البادية وتمكن أهل الريف منهم من الانصراف إلىٰ قضاء مصالحهم، وإصلاح مزارعهم وقراهم، بدلًا من التناحر وتبادل الغزو، ولسنا ندري متىٰ بدأ عمرانه الحالي.

ومن أوديتهم: (وادي ساية): المعروف في كتب الأدب باسم: (وادي أَمَجٍ) علىٰ وزن (أمَدٍ)، ويطلق عليه بنو سليم اليوم اسم وادي (وِبْحٍ) علىٰ وزن (عِلْمٍ) ولم نجد اسم (وبح) هذا فيما لدينا من المراجع.

وصف ياقوت الحموي وادي ساية فقال: «ساية اسم واد من حدود الحجاز، وهو واد بين حاميتين، وهما حرتان سوداوان، بهما قرىٰ كثيرة مسماة، وطرق من نواح كثيرة».

---

(١) «أسماء جبال تهامة وسكانها» لعرام السلمي (ص٣٢).
(٢) (ص٢٦٠) الجزء الرابع، طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة.

وربما كانت تسمية السلميين له بوادي وبح، من باب المجاز المرسل أي تسمية المحل باسم الحالّ فيه، وذلك أن بطنًا منهم بهذا الاسم يقيم الآن في هذا الوادي، وتوجد قرية من قرىٰ جبل آرة تسمىٰ لديهم (وبعان).

ومن أوديتهم (وداي لَحْف): بفتح اللام وسكون الحاء المهملة -وهو وادي كل من جبَلة، والسِّتارة، واسم هذا الوادي: «لحف» علىٰ وزن (زحف) قديم ذكره عرام السلمي، وقال عنه: «وبه عيون»(١).

و(وادي رخيم): وبه قريتان هما: (القعْر) و(الشرْع).

وبأسفله قرية يقال لها (ضرعاء) بها قصور ومنبر وحصون، يشرك فيها هُذيلٌ وعامر بن صعصعة، بني الحارث بن بهثة السليميين(٢).

و(وادي غُران): علىٰ وزن (غُراب)، وتقع قرية رُهاط في هذا الوادي قال الشاعر:

فإن غُرانًا بطنُ واد أحبه ... لساكنه عهدٌ عليَّ وثيق

و(وادي تَضْمُري): يعتبر من أهم فروع وادي ستارة.

و(وادي النَّقيع): من منازل بني سُليم. قال ناهض:

تركنا بالنقيع بني سُليم ... ذوي ذلٍّ لنا وذوي خضوع
وقد نزلوا النقيع ولا بيته ... فما نجاهمو لُوبُ النقيع
نَقَيْنَا الحرّة السوداء عنهم ... كنقب الرأس عن أم السميع

---

(١) المصدر السابق (ص٢٥).
(٢) المصدر السابق (ص٢٥ و٢٦).

وقد حمىٰ رسول الله ﷺ النقيع لخيل المسلمين وركابهم، وكان النقيع شديد الخصب ريَّان، ويبتدئ من بُرام.

و**(وادي روذ)** أو **(ذو روذ)**: من أودية بني سُليم(١).

و**(وادي ذات رفرف)**: من أوديتهم أيضًا.

و**(وادي الغِرنق)**: من أوديتهم كذلك. وقال ياقوت إنه: موضع بالحجاز.

و**(اللّوىٰ)**: من أوديتهم.

ويقابل (وادي الستارة): في ديار بني سُليم، وادي ساية، وعلىٰ كل منهما قرىٰ ومزارع، واسم وادي الستارة: (لَحْفٌ) علىٰ وزن (عَرْفٍ). وهو بنا أن وادي ساية يطلق عليه الآن اسم وادي (وبح)، وبوادي لحف عيون، وفيه قرية جبَلة الأثرية التي وصفتها المراجع بأنها من أقدم القرىٰ.

وينقسم وادي الستارة اليوم إلىٰ نصفين: نصف أعلىٰ، لبني سُليم، ونصف أسفل، لحرب، الأعلىٰ هو الذي بالجهة الشرقية، والأسفل هو الذي بالجهة الغربية.

ومن أوديتهم: وادي (حَقْلٍ) علىٰ وزن (عَقْلٍ) وهو من منازلهم، وهو واد كثير العشب. قال العباس بن مرداس السلمي:

وما روضة من روض حقل تمتعت عرارًا وطبَّاقًا ونخلًا توائمَا(٢)

---

(١) «كتاب الأمكنة والمياه والجبال» للزمخشري (ص٨٩).

(٢) يقول الدكتور أوغشت هفير شارح كتاب «النبات والشجر» للأصمعي، عند ذكره (الطباق) ضمن نبات جبال السراة، يقول: «لم نجد للطباق ذكرًا في كتب اللغة -وهاهو ذا العباس بن مرداس يذكره في شعره ضمن أعشاب وادي حقل، وقد ذكره «القاموس المحيط» فقال: =

و«حقل) اسم مشترك، يطلق علىٰ أماكن في بلاد العرب، فهو من هذه الناحية مثل (الحِجْر).

ونلاحظ أن العباس بن مرداس جمع في أبياته التالية بين وادي حقل بديار سُليم، ووادي حقل باليمن، وقال العباس هذه الأبيات في رثاء أخيه الذي قتلته خولان في نواحي صعدة. قال:

فمن مبلغ عوف بن عمرِو رسالة ... ويَعْلىٰ بن سعد من ثَوْرٍ يراسله
بأني سأرمي الحقل يومًا بغارة ... لها منكب حافٍ تُدوي زلازله
أقام بدور الغور في شرٍّ منزل ... وخَلَّىٰ بياض الحقل تُزهىٰ خمائله

فعلىٰ ما أفادنا به ياقوت: إن (الحقل) الأول في الأبيات المتقدمة هو (حقل صعدة) باليمن، الذي قُتل فيه أخو العباس بن مرداس مسلمي، وقد تهدد أهله قاتلي أخيه بغارة شعواء لا تبقي ولا تذر.. فهل نفذ وعيده؟ والحقل الثاني في الأبيات هو: (حقل بني سُليم) ذو الخمائل النضرة، الذي غادره أخوه القتيل، وذهب لسوء حظه، إلىٰ حقل اليمن حيث لاقىٰ حتفه.

وفي حقل اليمن يقول الشاعر ابن الدمينة الخثعمي:

وأشتاق للبرق اليماني إذا غدا ... وأزداد شوقًا أن تهب جَنُوبُ

=

(وطباق) كزنار: شجر منابته جبال مكة نافع للسموم شربًا، وضمادًا من الجرب والحكة والحميات العتيقة والمغص واليرقان وسدد الكبد، شديد الإسخان (مادة طبق)... فهل هذا الشجر علاقة ما بالتنباك الذي اعتاد بعض الناس شربه عن طريق احتراقه؟ نأمل من كلية العلوم بجامعة الرياض أن تبحث هذا الموضوع في معاملها العلمية وتنشر نتيجة تحرياتها في ذلك».

وبالحقل من صنعاء كـان مطافهـا كـذوبًا وأهـوال المقـام كـذوبُ

ويقول الأستاذ محمد عبد الحميد مرداد: «(حقل) يطلق علىٰ قرية بها نخيل ومياه وبساتين، وهو بقرب أيلة، خليج العقبة، تحت نفوذ المملكة العربية السعودية. وبينه وبين أيلة مسافة قليلة، وكانت حقل ساحلًا لتيماء قديمًا، كما أثبته الكلبي. وكان لعزة صاحبه كُثير، بستان في هذه القرية، وأشار كُثير إلىٰ ذلك بقوله من قصيدة:

سقىٰ دمنتين لـم نجـد لهمـا أهـلًا بحقل لكم يا عزُّ قـد زانتـا حقـلَا

وكان بهذه القرية علماء وفقهاء، منهم: (ابن أعين الحقلي) مولىٰ نافع رَحِمَهُ اللهُ، كما حققه ياقوت رَحِمَهُ اللهُ [(١)]».

فهل (حقلٌ) الوادي الذي كان من منازل سُليم، وهو بقرب هذا الساحل؟ أو هو واد يصب في الساحل، أو هو غيرهما؟ أسئلة تحتاج الإجابة عليها إلىٰ مزيد من التحقق العميق، علىٰ أن التاريخ قد ذكر لنا أن قيس بن خزاعي السلمي قد تأمر لقيصر علىٰ فلسطين.

و(ذو رُولان): واد عال، لبني سُليم، فيه قرىٰ كثيرة تنبت النخيل، ويقال أيضًا: (ذُو وِرْلان) بكسر الواو المتقدمة علىٰ الراء، علىٰ ما ورد في كتاب «معجم ما استعجم» للبكري. والوِرْلانُ: جمع وَرَل، بالتحريك، وهو دابة علىٰ خلقة الضَّبِ إلا أنه أعظم منه[(٢)].

---

(١) «مدائن صالح» للأستاذ محمد عبد الحميد مرداد (ص٤٧٣) طبع دار الطباعة الحديثة بمصر سنة (١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م).

(٢) «أسماء جبال تهامة وسكانها» لعرام السلمي، وتعليقات محققه عبد السلام محمد هارون (ص٥٨).

و(وادي مَرْخ): هذا الوادي السلمي قد استُصلح أخيرًا، وحفوت به الآبار، وركبت عليها المضخات الرافعة للمياه من الأعماق، ويرىٰ محمد بن صامل العليّاني السلمي -وهو معاصر- أنه ربما كان وادي مرخ هذا هو الذي عناه الحطيئة في قصيدته «الرائية» التي قدم بها أعذاره لعمر بن الخطاب حيال ما اقترفه من هجو بعض كرام الناس، ليعفو عنه، وليطلق سراحه من السجن.. يقول الحطيئة، يخاطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ ... زُغْبِ الحواصل لا ماء ولا شجرُ
أَلْقَيتَ كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ

وقد ظهر لي -بعد التأمل والمراجعة- أن -ذا مرخ- الذي يقصده الحطيئة في أبياته السالف ذكرها من الراجح أن يكون غير (وادي مرخ) أحد أودية بني سُليم.. فما أكثر «اشتراك» أمكنة العرب في الأسماء... وذلك للأسباب التالية:

أولًا: إن حديث ياقوت في التعريف بـ«مرخ» لا يخلو من اضطراب وعدم تركيز، فقد جزم في مستهل كلامه بأنه «ذو مرَخ» بتحريك الراء، وبأنه وادٍ بين فدك والوابشية، خضِرٌ نضِر، كثير الشجر، ثم عاد عن هذا الرأي، وشكك فيه، حيث قال بعد ذلك: «وقال الحفصي في كتابه: الخارجة قرية لبني يربوع باليمامة، وفيها يمر (ذو مرخ) وفيها يقول الحطيئة... وذكر البيت المتقدم: (ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ). وأخيرًا نرىٰ ياقوتًا يعرض عن كلا الرأيين وينبه علىٰ خطأ روايتهما أصلًا، فيقول: (والرواية المشهورة: (بذي أمر)... وذو أمر، فيما يظن ياقوت هو واد قرب فدك، وهو نفسه ذو مرخ.

ثانيًا: إن وادي مرخ بديار بني سُليم، لم تكن قبله (ذو)... علىٰ أنه من الجائز أنها حذفت لكثرة الاستعمال.

ثالثًا: إن ياقوتًا أورد في «معجم البلدان» أن (ذا مرخ) هو واد باليمن، واستشهد عليه بقول الشاعر:

من كان أمسىٰ بذي مرخ وساكنه   قرير عين لقد أصبحتُ مشتاقَا
أرىٰ بعينيَّ نحو الشرق كل ضحىٰ   دأب المقيد مَنَّىٰ الفس إطلاقَا

ويبدو أن هذا اسم واد آخر، فهو من ناحية الاشتراك في الاسم شبيه باسم (حقل).

وقال كُثير في (ذي المرخ) الآخر:

بعزة هاج الشوق فالدمع سافح   مغانٍ ورسمٌ قد تقادم ما صح
بذي المرخ من ودانَ غير رسمها   ضروب النوىٰ ثم أعتقتها البوارح

و(**ودّان**): بلدة قرب الأبواء سكنها الصعب بن جثّامة الوداني.

وذو المرخ هذا قال عنه ياقوت: «قالوا في شرحه: ذو المرخ، من الحوراء، وهو في ساحل البحر قرب ينبع. والحوراء خارجة عن ديار بني سُليم، فهي في ساحل البحر قرب ينبع».

رابعًا: ومما يجعلنا نميل إلىٰ أن «مرخًا» ليس في ديار بني سُليم: أن البكريّ في «معجم ما استعجم» يقول في مادة (مرخ): «ذو المرخ -بفتح أوله وإسكان ثانيه، بعده خاء معجمة- موضع كثير شجر المرخ ينسب إليه، وهو مذكور محدد في رسم (حورة) فانظره هناك».

ويقول في مادة (حورة): «هذا الموضع فيه قتَل هاشم بن حرملة المري، معاوية ابن عمرو السلمي. «ولية» موضع هناك فيه قبر معاوية بن عمرو السلمي».

ثم يقول: «ثم غزا صخر السلمي (أخو معاوية والخنساء) بني مرة، وهو يوم (حورة الثاني) فأصاب منهم، وقتَل دريدَ بن حرملة. وقد قال نصيب في حورة والمرخ:

عفا منقل من أهله فنقيب ... فسرح اللوىٰ من ساهر فمريب

فذو المرخ أقوىٰ فالبراق كأنها ... بحورة لم يحلل بهن عريب».

خامسًا: يقول الحفصيّ: «إن مرخًا، لبني يربوع باليمامة، وفيها يمر ذو مرخ – أي الوادي – وفيها يقول الحطيئة:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ... (البيت)»

سادسًا: جاء في شرح ديوان الحطيئة لابن السكيت، والسكري، والسجستاني، (تحقيق نعمان طه) تعقيبًا علىٰ ما نقله ياقوت عن الحفصي: «ولعله أصاب، فإن أولاد الحطيئة كانوا حين أتي به، في ديار غطفان، وفزارة»[(١)].

ومن هذا النص يستبين لنا أن «ذا مرخ» الذي عناه الحطيئة، يقع في ديار غطفان وفزارة، لا في ديار بني سُليم، لأنه نصَّ علىٰ أنهم يقيمون بذي مرخ، ساعة تقديمه قصيدته لعمر، وذو مرخ هذا في ديار غطفان وفزارة، وذلك علىٰ ما نص عليه شراح ديوانه المذكورون.

ويقع وادي ساية الذي هو وادي أمج قديمًا، ووادي ويح حديثًا: بين حرار سود، ويشق قرية الكامل نصفين علىٰ ما شاهدناه في رحلتنا إلىٰ ديار بني سليم، ويذهب إلىٰ خليص غربًا، فيروي خليصًا، ثم يصب في البحر الأحمر – بحر القلزم،

---

(١) «شرح ديوان الحطيئة» لابن السكيت والسكري والسجستاني (ص٢٠٨) طبع مصر.

ومن هذا ندرك أن مدينة جُدة تفيد من مياه سيول وادي ساية، في شرب سكانها... وأن وادي خليص امتداد لوادي ساية.

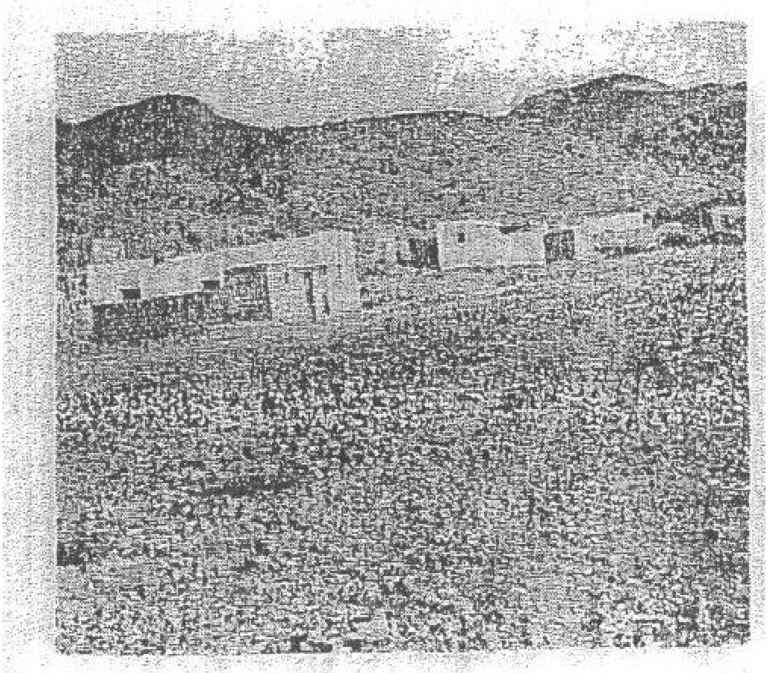
ويأتي وادي ساية من شرق (رأس القَرَىٰ) بفتح القاف والراء بعدها ألف مقصورة –فالكامل، وطوله نحو (٣٠٠) كيلو متر علىٰ ما قيل لنا.

ويهبط وادي ساية من قنن حرة (بِثن) ومن سفوحها إلىٰ قرية الكامل، ويفصل بين الحرار والوادي، ومسيله عريض جدًّا، وهو قوي الجريان، لأنه يهبط من أعالي الجبال، وقد خدَّد الأرض التي يجري فيها، وهي حَزنٌ تخديدًا عميقًا، يجعل سير السيارات الكبيرة ذوات العجلات العالية الضخمة فيها في منتهىٰ الصعوبة، أما السيارات الصغيرة فلا تستطيع السير في هذه الأرض المخددة المملوءة بالحجارة الصغيرة المستديرة التي تنطلق إذا ما وطئتها عجلاتها كالقذائف الصاروخية، إلىٰ السيارة، والتي تكون تلالًا ممتدة علىٰ طول الوادي وعرضه، مما يجعل إشادة جسور ضخام فوق مجرىٰ الوادي هذا أمرًا مهمًّا جدًّا، لتأمين اتصال سكان ديار بني سُليم بمدن المملكة التي تقع جنوبًا عنها كجدة ومكة ولتأمين تطور العمران وتقدمه لديهم.

وبالجانب الشرقي من وادي (وبح)، ومن جوانب قرية الكامل معًا، توجد سلسلة جبال ضعاضع -صغار- غير شامخة، وفي سفح أقربها إلىٰ حدائق نخيل قرية الكامل يوجد نبع ماء فياض، وهو عذب زلال صاف، أحيط من قديم ببركة حجرية حمراء اللون، وقد عملت لها فتحتان، فتحة يدخل الماء إليها من النبع القادم من ناحية جبل شمنصير، وفتحة ثانية لخروج الماء الوارد وصرفه في حدائق النخيل المجاورة ومصالح أهل القرية.

عمران ديار بني سُليم:

أما وقد انتهينا من استعراض القسم الطبَعي من ديار بني سُليم الأصلية، فهانحن نحن أولاء نستعرض القسم الآخر الذي هو «العمران» بأوسع معانيه[1] وهو الذي صنعه بنو سليم، حسب ما لدينا من معلومات ومصادر...



من مناظر قريـــة الكامل
ويرى المستوصف وهو المبنى الكبير وبجانبه منازل

وهذا القسم يتمثل في «القرىٰ» و«المنازل».

(١) في كتاب «المفصل في تاريخ الغرب قبل الإسلام»، لجواد علي: أن بعض قبائل العرب ومنهم بنو معاوية بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور، نزلوا بيثرب بعد العماليق، واتخذوا الأموال والآطام والمنازل، ومصدر المؤلف في هذا هو كتاب «الأعلاق النفيسة» لابن رسته. راجع (ص١٢٩) الجزء الرابع.

فمن القرىٰ (قرية الكامل) ولست أدري ولا يدري من سألتهم من السُّليميين متىٰ استحدث هذا الاسم لهذه القرية التي هي الآن أم قرىٰ بني سُليم، ومركز الإمارة ودوائر الحكومة السعودية، بل ولست أدري ولا يدري من سألتهم منهم متىٰ أنشئت هذه القرية، ولا من الذي أنشأها علىٰ وجه التحقيق المركز.

قال لي ضيف الله بن هندي السلمي: «ربما تكون هذه الفريه هي (خيف ذي القبر) الذي يقول فيه عرام ابن الأصبغ السلمي: «وأسفل من ذلك - أي أسفل من خيف سلَّام أحد أغنياء الأنصار- خيف ذي القبر وليس به منبر، (ربما يقصد جامعًا ذا منبر تُصلَّىٰ فيه الجمعة) وإن كان آهلًا. وبه نخل كثير، وموز. وسكانه بنو مسروح وسعد وكنانة وتجارٌ أَلْفاق، وماؤه فُقُرٌ وعيون تخرج من ضفتي الوادي كلتيهما، وبقبر أحمد بن الرضا سُمي خيف ذي القبر، وهو مشهور به»(١).

وبصرف النظر عن صحة وجود قبر أحمد بن الرضا به أو عدمها، وبصرف النظر عن كون اسمه (محمدًا) أو (أحمد) فإن هذا الاسم قد زال من الوجود ولم يعد معروفًا به هذا المكان أو غيره، وربما لو أجريت أحافير أثرية شاملة لجميع المنطقة لبرزت أسرار وحقائق مذهلة.

علىٰ أنه من باب الاستنتاج غير المؤكد أقول: ربما كان اسم (الكامل) اسمًا لشخص معروف لدىٰ الأوائل، نسبت القرية إليه، فقيل عنها: (قرية الكامل)... وبتوالي السنين، وبسبب الأمية المنتشرة هنا والفتن الدائرة، والاضطرابات والقلاقل التي كانت تتوالىٰ أعاصيرها علىٰ هذه المنطقة عبر القرون نسي السكان الاسم

---

(١) «أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرىٰ وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه» (ص٢٦ و٢٧).

المنسوبة إليه القرية، وبقي الاسم عالقًا بالألسنة وحدها... حتىٰ اليوم. وربما لو درست «الوثائق» الموجودة لدىٰ بن سليم دراسة وافية لظهر ما يفتح الطريق المسدود أمام البحث العلمي الذي به يُتوصل إلىٰ معرفة سر هذا الاسم وتاريخه.

وربما لو اطلعنا علىٰ مراجع أخرىٰ، ربما كتبها بعض رجال بني سليم في عهود انفتاحهم علىٰ العلم، لظهر لنا ما هو خفي عنا، من أشياء كثيرة، منها سر تسمية القرية هذه بقرية بالكامل، وموقع خيف ذي القبر لأنه حقيقة ثابتة إذ تحدث عنه بكل صراحة، عرام بن الأصبغ السلمي، في كتابه؛ فهو إذن خيف معروف، مسكون في زمنه، مسمىٰ بهذا الاسم المجهولة لدينا حقيقته اليوم.

ونذكر بالمناسبة أن (أشرس بن عبد الله السلمي) قد ولي نيسابور سنة (١٠٩هـ)[(١)] وتوفي سنة (١١٢هـ - ٧٣٠ م) كان يلقب بالكامل، وعصره ليس بعيدًا جدًّا عن عصر عرام السلمي، فإن عرامًا توفي سنة (٢٧٥هـ - ٨٨٨م)، فليس بين وفاتيهما سوىٰ نحو قرن ونصف القرن، ولست أدري: هل لأشرس الكامل علاقة باسم (قرية الكامل) وببنائها أم لا؟

وقرية الكامل كما شاهدتُها في ربيع الثاني سنة (١٣٩٠هـ) الموافق ليونيه (١٩٧٠م)، هي ذات خيف كبير مجاور لها، من النخيل الباسقة الريانة الغارقة في مياه النبع المجاورة لها.

وإضافة إلىٰ ذلك نقول: إن أرض قرية الكامل قريبة المياه، وفيها آبار جوفية

---

(١) «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي» للمستشرق زامباور، ترجمة الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود (ص٧٧)، الجزء الأول، طبع مطبعة جامعة فؤاد الأول (١٩٥١م).

ليست بعيدة عن سطح الأرض، وهي غزيرة عذبة المياه، وقيل لنا إنها لا تخلو من بعوض «الأنوفيل» ناقل حمىٰ البرداء: (الملاريا) إلىٰ السكان... وقد ارتوينا من ماء العين ومن ماء البئر، فلم نُصب بأذىٰ ولله الحمد، مدة مكثنا بقرية الكامل الذي كان يومًا إلا نحو خمس ساعات، وماء النبع بقرية الكامل متدفق إلىٰ بركته الحجرية بقوة ودويٍّ.

وتقوم قرية الكامل علىٰ سفح جُبيل (المُجمر) وهو جبل ليس شامخًا، قائم هنالك، نحاسي اللون، أجرد، صلد الحجارة، حجارته من نوع حجارة الحرار.

وتوجد المستنقعات الكبيرة الرتيبة في داخل حدائق النخيل، حتىٰ في الصيف الحار الذي قدمنا فيه إلىٰ هذه القرية[(١)].

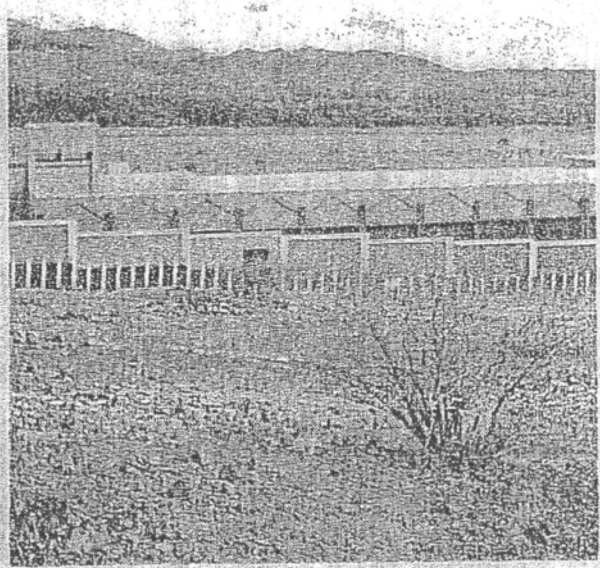
ويسكن قرية «الكامل» من بني سُليم في الوقت الحاضر، وما قبله إلىٰ أمد لا نعلمه -بنو نوال- السلميون وهي مقسر أمير منطقة الكامل المنصوب من قِبل الحكومة العربية السعودية، ومركز الشرطة، ومركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيها مركز للبريد واللاسلكي ومدرسة ابتدائية ومتوسطة للبنين ومستوصف ومحكمة شرعية.

وأقرب قرىٰ بني سُليم الآن إلىٰ عسفان قريةُ الكامل، وكان في عسفان -بزمن عرام للسلمي- والٍ خاص، وذلك لأهميتها الاقتصادية، وربما الاجتماعية أيضًا، ولا ندري ما إذا كانت ولايته تنسحب علىٰ منطقة بني سُليم كلها أو بعضها، أو لا تنسحب.

---

(١) للإحاطة بوصف مشاهداتنا في قرية الكامل عليك أن تراجع عدد مجلة المنهل الخاص الصادر في شعبان سنة (١٣٩٠هـ)، الموافق أكتوبر سنة (١٩٧٠م)، تحت عنوان «رحلة بني سليم».

ومباني قرية الكامل الآن، ذات طرازين: طراز قديم ساذج، وهو عبارة عن مبانٍ متواضعة بالحجر الدبش، وهي من طبقة واحدة، ساذجة التقسيمات الداخلية، وأكثرها متداع، وهي ما بين منازل ودكاكين ومساجد صغيرة، وطراز حديث مبني بالإسمنت المسلح، وقد بني به مسجد القرية الحديث، بجوار مسجدها القديم المتداعي، وأكثر ما استعمل هذا اللون من العمارات في الجزء الحديث الشمالي من قرية الكامل المبني علىٰ أكمة جبلية غير شديدة بالارتفاع، ومن هذا اللون الحديث البناء هنالك مباني الإمارة والشرطة والصحة.



مبنى المدرسة الابتدائية والمتوسطة
بقريـــة الكامل

والمباني القديمة مُبَيَّضٌ داخلها وخارجها بالنورة البلدية، وهنالك بيت مبني علىٰ هذه الطريقة، ولكن ظاهره قد زخرف بالأصباغ المختلفة: أبيض وأصفر،

وأحمر، وأزرق، وكل لون في مربعات، منسجمة ومتداخلة بصفة فنية مع بقية مربعات الألوان الأخرىٰ، وهو أيضًا من دورٍ واحد، وربما لم يكن به سوىٰ غرفتين أو ثلاث.

وليس بين حجارة البناء القديم بقرية الكامل ملاط، هو نوع من البناء بالرضم المتلاصقة حجارته مباشرة، بأن يَرصَّ بعضها فوق بعض، بوضع محكم ثابت، علىٰ ما رأيناه في منطقة الباحة في العام ذاته، ولعل ميل الجانبين إلىٰ هذا اللون البسيط القوي الساذج يعود إلىٰ أمور منها سهولة جعل الحجارة، مطابقة ملساء مستعرضة لديهم، وهناك مبان بقرية الكامل، قديمة الطراز أيضًا، لكنها مبنية بالحجارة (الدبش) السود وبالطين وقد بُيِّضَ ظاهرها أيضًا بالنورة البلدية.

وفي قرية الكامل بالقسم الشمالي المستحدث، البعيد نوعًا ما، وأكثر عن مجرىٰ وادي وبح أو وادي ساية أو وادي أمج، شاهدنا طرازًا فريدًا من البناء الخشبي المجرد من الحجارة والطين والإسمنت أيضًا، في مقهىٰ صاحبه «مُنْعِم السلمي» وهو أخو ناعم السلمي صاحب المقهىٰ الحجري بعسفان علىٰ جانب الطريق المسفلت، وهذا المقهىٰ بقرية الكامل سقفه من الخشب، وهو مزدوج: سقف خشبي، فوق سقف خشبي، وبين السقفين فتحة واسعة أوجدها صاحب المقهىٰ، ليتسرب منها السموم اللافح في فصل القيظ الكاوي، فيدخل من أي جهة شاء إليها، ليخرج منها من الجهة المقابلة، بحيث يسمع دويه وزفيره وشهيقه المزعج وحده، وتذهب حرارته معه من داخل الفتحة إلىٰ خارج المقهىٰ، وهكذا يبقىٰ المقهىٰ في حالة متوسطة من الحرور بحيث لا يؤذي كثيرًا حرور الفصل الملتهب من يكون بداخل المقهىٰ حتىٰ في ساعات هيجان السموم المتقد وإلهابه لجو القرية بأجمعه.

وقد نصبت عُمدٌ من أنابيب الحديد للمقهىٰ لتحمل سقفيه بقوة واحتمال، أما فرش المقهىٰ فهي من حصير سعف النخيل المنسوج محليًّا، وهو ناعم أملس

ولطيف وأبيض ناصع البياض.

ومقهىٰ «مُنْعِم» السلمي تتمثل فيه بعض مظاهر التطور الحديث، فهو يضاء ليلًا بالكهرباء المنبثقة من مكنة خاصة جلبها لهذا الغرض، وفيه ثلاجة يوقد عليها بالغاز، وهو علىٰ نَشْزٍ من الأرض ملتصق بالجبيل الذي يسنده شمالًا منه.

وفي هذا المقهىٰ موقف للسيارات الكبيرة القادمة من جُدة ومن مكة إلىٰ ديار سُليم، والذاهبة من ديارهم إلىٰ مكة، وجدة، وهذه السيارات تنقل الناس وأمتعتهم والمنتجات الزراعية وما أشبه، بالأجرة.

وشباب قرية الكامل يمارسون لعبة كرة القدم في الأصائل، بالبَرَاحِ الذي يقع بين منطقة المنشآت الحكومية الحديثة، وشاطئ وادي ساية.

وقد بدأ التعليم ينشط في سليم، ففي مدارس بلادهم وفي غيرها من مدارس الحكومة في المملكة كثيرون من أبنائهم، متعلمين ومعلمين، حتىٰ إن بعض كبارهم شغفوا بالتعليم، فدخلوا المدارس الليلية لمحو الأمية عن الكبار.

ومن قرىٰ بني سليم الباقية منذ القدم علىٰ حالها واسمها قرية (مهَايع): علىٰ وزن (مَجَامِع).

ويصف لنا (مؤرخ بني سليم) عرام بن الأصبغ السلمي، هذه القرية القديمة بقوله: «وهي قرية كبيرة غناء، بها ناس كثير، وبها منبر –أي: جامع تُصَلَّىٰ فيه الجمعة– ووالٍ ينتابه منقبل صاحب المدينة، وفيها نخل ومزارع، وموز، ورمان، وعنب. وأصلها لولد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيها أفناء الناس ألوانهم– وتجار من كل بلد»(١).

---

(١) «أسماء جبال تهامة وسكانها» لعرام السلمي (ص٣٥).

ويدلنا علىٰ عدم «وحدة» الإدارة الحكومية في منطقة بني سليم، في العهد العباسي أو بعضه الذي كان يعيش فيه عرام السلمي، والذي سجل لنا عنه أن لعسفان القريبة من قرية خيف ذي القبر صوب الجنوب واليًا خاصًّا، وأن خيف ذي النعم بأسفل خيف ذي القبر كان تابعًا لوالي عسفان، وأن قرية مهايع القريبة جدًّا منهما، كانت تابعة لصاحب المدينة[(١)].

ولأهمية قرية مهايع نرىٰ البشَّاريَّ (محمد بن أحمد المقدسي) يُعنَىٰ بوصفها فيقول: (مهايع نظير جبلة علىٰ أودية ساية)[(٢)]... والبشاري (٣٢٦ – ٣٨٠هـ) رحالة عربي دقق الوصف والملاحظات، وقد طاف بالبلاد الإسلامية وألف عن رحلاته إليها كتابه المعروف: «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» وعاش بعد عرام بواحد وخمسين عامًا.

وتقع قرية مهايع بأسفل وادي ساية، في الشمال من قرية الكامل، وبمقربة منها.

ومن قرىٰ بني سُليم في وادي ساية: (قرية الفارع) بأعلىٰ وادي ساية.

يقول عنها محمد بن صامل العَلَيَّاني السلمي: «روىٰ لنا ياقوت الحموي أن الفارع قرية في أعلىٰ وادي ساية، وما زالت تعرف بهذا الاسم إلىٰ اليوم، وبها مدرسة ابتدائية.

وينقل لنا محمد بن صامل قول ياقوت: «إن فيها –أي في الفارع– تجارًا من كل بلد» ويعلق عليه بقوله: «وما يزال فيها كثير من الحضارمة يمتهنون التجارة، وغيرهم من عشائر حرب الذين امتزجوا مع سكان هذه المنطقة».

---

(١) المصدر السابق (ص٣٥ و٣٧).

(٢) «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» (ص٨٠) ط. بريل بليدن (١٩٠٦م).

ونعلق علىٰ تعليقه من ناحية المراجع، بأن عرامًا السلمي كان قد سبق ياقوتًا إلىٰ التعريف بقرية الفارع حيث قال عنها: «فأعلاها -أعلىٰ قرىٰ وادي ساية- قرية يقال لها الفارع، بها نخيل كثير، وسكانها من كل أفناء (ألوان) الناس، ومياهها عيون تجري تحت الأرض، فُقُر كلها»(١).

وهناك قرىٰ أخرىٰ في وادي ساية: (شوان، والسبعان، والمضحاة، والمثناة، وخيف الجنة، وخيف السرحان، وخيف الزاجة، وخيف الزاجر، وخيف العقلة، وخيف العرقبة، وخيف اللصب). وبهذه القرىٰ بساتين النخيل، والمزارع التي تثمر الفواكه من موز ورمان وعنب، وكلها تسقىٰ من الآبار(٢).

ومن قراهم في وادي ستارة: (قرية جَبَلَة) علىٰ وزن (عَرَبة):

وجبلةُ من الأسماء المشتركة ببلاد العرب.

وفي جبلة السُّلمية يقول عرام الأصبغ السلمي: «ويطيف بِذَرَة، قرية من القرىٰ التي يقال لها جبلة، في غربيه، ويزعمون أن جبلة أول قرية اتخذت بتهامة، وبجبلة حصون منكرة مبنية بالصخر، لا يرومها أحد»(٣).

وقال عن ذَرَة: «ذرةُ هي: جبال كثيرة ضعاضع ليست بشوامخ، في ذَراها المزارع والقرىٰ، وهي لبني الحارث بن بهثة بن سليم، وزروعها أعْذَاء، ويسمون الأعْذَاء: العَثَرِيّ، وهو الذي لا يُسْقىٰ، وفيها مدر وأكثرها عمود، ولهم عيون (ماء) في صخور لا يمكنهم أن يُجْروها إلىٰ حيث ينتفعون»(٤).

---

(١) «كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها» (ص٣٤).

(٢) «تحقيق أمكنة في الحجاز وتهامة للمؤلف» (ص٦) طبع مطابع الأصفهاني بجدة.

(٣) «أسماء جبال تهامة وسكانها» (ص٤٤)، و«منجم البلدان» لياقوت الحموي (مادة ذرة).

(٤) «أسماء جبال تهامة» (ص٢٣).

ويصف (جَبَلَة) المواطنُ السلمي المعاصر محمد بن صامل العليَّاني بقوله: «إنها تقوم علىٰ شعب منخفض ضيق يبعد عن قرية السليم بحوالي ستة كيلات، وتقوم به الأطم والحصون المتهدم بعضها فوق بعض، واكتشفت بها آبار عادية مطوية بالحجارة، ومياهها صالحة للشرب، وهي نقية مائة بالمائة، والماء قريب من سطح الأرض، وفي موضع من شعبها يوجد الماء ظاهرًا علىٰ سطح الأرض، ولم يعهد أن غار في أيام القحط الشديدة؛ إذ تنضُب العيون وتغور المياه في الآبار العميقة، ويبقىٰ هو علىٰ حاله».

ويقول: «وبحصون جبلة ومقبرتها الكبيرة التي تقدر بعشرات الآلاف من الأمتار، آثار كثيرة، منها الكتابية، وما عثر عليه منها حتىٰ الآن كله إسلامي؛ إذ تبدأ بـ: «باسم الله، والحمد لله، وشهد الله وهو خير الشاهدين»، وقد أُخذ منها كثير من الحجارة الأثرية المشار إليها، من بينها حجر الشاهد الذي أخذه مبارك بن عبد التواب من مقبرتها، وأتىٰ به إلىٰ مدينة جده حيث تمكن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري من قراءته، ونشر عنه في كتابه الجديد: «بين التاريخ والآثار».

وكذلك وجدت بها جَرَّة فخارية مملوءة بالعملة التي كانت مستعملة ومتداولة في وقتها، ومع الأسف الشديد لم أتمكن من الاطلاع عليها، وهي علىٰ ما وُصفت لي قطع معدنيَّة مستديرة، ليست بذات أهمية اقتصادية، وإنما ترجع أهميتها إلىٰ كونها تحدد شيئًا من معالم تلك المدينة المطمورة».

وقد أبدىٰ محمد بن صامل العليّاني السلمي أن: «جبلة الآن لا يسكنها إلا القليل من المزارعين الذين استصلحوا أرضها الزراعية، وهي مع ضيقها خصبة للغاية».

وقال: «إنها تقع علىٰ طريق الجادة المسمىٰ بدرب الزائر، الذي يسلكه قديمًا زوار المدينة المنورة مشيًا علىٰ الأقدام قبل وجود السيارات والطرق المعبدة».

وقال: «والمنطقة علىٰ العموم أثرية، وآثارها تنبئ عن عظم المنطقة وكثرة سكانها، إبان ازدهارها، والمدينة -جبلة- صناعية فقد تقدمت بها صناعة صقل المعادن وضرب السكة، ولا تخلو المنطقة المحيطة بها من المعادن والثروات الجوفية»(١).

ومن قرىٰ سليم أيضًا: (شعب القرية) أو (قرية الشعبة):

وهي كما يظهر من اسمها موضع قرية قديمة مندرسة، لم يبق إلا رسومها وأطلالها، وبعض الأطم البسيطة والمتهدمة جوانبها وأطرافها، وآثارها كثيرة منها كتابات قديمة قد تكون عادية، ومنها صور لوحوش وحيوانات كانت في هذه المنطقة(٢).

ومن قراهم المهمة حتىٰ اليوم (قرية السليم):

ويصفها محمد بن صامل العليّاني بأنها كبيرة جدًّا، وبأن عينيها تسقيان حاليًّا ما يزيد علىٰ عشرة آلاف نخلة.

وقال: «إن الأراضي البيضاء التي قصرت العين عن سقايتها أكبر من ذلك

---

(١) مجلة المنهل بالعدد الصادر في المحرم (١٣٩٠هـ=مارس١٩٧٠م) مقال: «بنو سليم ماضيها وحاضرها» لمحمد بن صامل العلياني السلمي (ص٧٣) وأضيف إلىٰ ما ذكره محمد بن صامل: أن الآثار التي جلبت إلىٰ جدة وعرف بها شيء عن ماضي بني سليم غير ذلك الحجر أكثرها مجلوب من جبلة، من مقبرتها الكبيرة التي تدلنا علىٰ عظم عمران جبلة في الماضي.

(٢) المصدر السابق (ص٧٤).

بكثير، وبها القصر الأثري العظيم المبني بالحجارة، والبالغ ارتفاعه نحو أربعة أمتار، وهو مربع الشكل يبلغ طول كل ضلع منه سبعين مترًا، وبداخله ثلاثون حُجرة، تتوسطها أرض فسحة فيها بئر مطوية للشُّرب، ثم مَبنىٰ يطوف علىٰ الغُرف، وبه فتحات لفوهات البنادق، وليس له إلا مخرج واحد ذو ثلاثة أبواب، واحد بعد الآخر، وهو في ربوة القرية ونُزْلتها، وبالقرب منه آثار حصون قديمة عليها كثير من الكتابات الأثرية المنقوشة علىٰ الصخور، ويقابله في قرية الشعبة علىٰ طرف الحرة حصن عظيم البناء، صغير الحجم ليس به غُرف متعددة ولا ماء، وهو متهدم، بقي منه الجانب المواجه له، وبالقرية أكثر من عشر مقابر بعضها مندرس مما يدل علىٰ كثرة سكانها قديمًا»(١).

ولست أدري أ(قرية السليم) هذه هي التي قال عنها عرام السلمي: «ثم خيف السلَّام -بتشديد اللام وتخفيفها- والخيف ما كان مجنبًا عن طريق الماء يمينًا وشمالًا متسًا، وفيه منبر، وناس كثير، من خزاعة، ومياهها فُقُر أيضًا، وباديتها قليلة، وهي جُشَمُ وخزاعة وهذيل، وسلَّام هذا رجل من أغنياء هذا البلد من الأنصار»(٢).

وقد علق محقق كتاب عرام الأستاذ عبد السالم محمد هارون، علىٰ ما ذكر بقوله: «ويقال (سلام) بتخفيف اللام في قول، ذكره ياقوت في رسم (لُوَيَّة)، وبمراجعتنا لمادة (لوية) في «معجم البلدان» لياقوت وجدناه يقول: (لُوَيَّة: تصغير (لَيَّة) من لوىٰ يلوي: موضع بالغور بالقرب من مكة دون بستان ابن عامر في طريق حج الكوفة كان قَفْرًا قِيًّا -مقفرًا- فلما حج الرشيد استحسن فضاءه فبنىٰ عنده قصرًا،

---

(١) المصدر السابق (ص٧٢).

(٢) المصدر السابق (ص٣٥ و٣٦).

وغرس نخلًا في خيف الخيل، وسماه «خيف السلام» وفيها يقول بعض الأعراب:

خليلـــيَّ مـــالي لا أرىٰ بِلُوَيَّـــةٍ ... ولا بفنـــا البســـتان نـــارًا ولا سُـــكْنا
تحمـــل جيـــراني ولـــم أدر أنهـــم ... أرادوا وبـــالًا مـــن لُوَيَّـــة أو طعنـــا
أســـائل عـــنهم كـــل ركـــب لَقيتـــه ... وقـــد عُمِّيَـــت أخبـــار أوجههـــم عنَّـــا
فلـــو كنـــتُ أدري أيـــن أمُّـــوا تبعـــتهم ... ولكـــن ســـلامُ الله يتـــبعهم مِنَّـــا
ويا حسرتي في إثر «تُكْنَا» ولوعتي ... ووا كبـــدي قـــد فَتَّتَـــتْ كبـــدي «تُكْنَـــا»

وقد لاحظت أن هناك «تباينًا» بين كلام عرام وكلام يقوت في أصل «خيف السلام».

فعرام يقول: «إنه منسوب إلىٰ «سلام» رجل من الأنصار، وياقوت يقول: إنه اسم وضعه علىٰ الخيف بانيه وباني قصره: هارون الرشيد وسماه خيف السلام».

وكل واحدة من قرية جبلة والسليم، وشعب القرية، تقع في وادي ستارة.

وفي قرية السليم أقيمت أول مدرسة في ديار بني سليم، وبها قصر للإمارة، ومستوصف صحي.

ومن قرىٰ بني سليم في وادي ستارة: «قرية البَوْهَمِيَّة»، وقرية المخمرة، وقرية المسماة، وقرية المديد، وقرية المعالي، وقرية الأبيار، وقرية الدبيسية ذات البساتين الجميلة وحقول المزارع والخضراوات.

وبوادي ستارة ثلاث مدارس ابتدائية: نهارية وليلية.

ويقدر سكان وادي ستارة بنحو عشرين ألف نسمة. ويعملون في الزراعة والرَّعي.

وكان أمير عامة بني سليم في أوائل العهد السعودي الحاضر: عبد الله بن يابس، وكانت إقامته بمكة المكرمة، ومنها يدير شؤون الإمارة ولعله لبعد مقامه عن مكان إمارته لم يتمكن من إصلاح شؤونهم أو إدارتها علىٰ النحو المرضي، ثم أُتْبِعَت منطقتهم لإمارة مدركة، ردحًا من الزمن، إلىٰ عام (١٣٧٥هـ) حيث أنشئت لهم إمارة مستقلة بداخل منطقتهم.

وتعرف الآن ديار بني سليم رسميًّا بإمارة منطقة الكامل، نسبة إلىٰ أكبر قرىٰ وادي ساية؛ أقرب أوديتهم ومنازلهم إلىٰ مدينتي جُدَّة ومكة.

ومن قراهم: قرية الحجر: ذكرها «القاموس المحيط» في مادة (حجر).

تقسيم حديث لديار بني سليم:

أولًا: منطقة وادي ساية: أقرب المناطق إلىٰ مكة وجدة، وفيها أكثر من أربعين قرية، وكثير من العيون والآبار التي تسقي حدائق النخيل، وتقدر نخيلها بنحو (١١٥) ألف نخلة، ويقدر سكان وادي ساية بنحو (٣٠) ألف نسمة يشتغلون بالزراعة والتجارة، وتمور وادي ساية من أحسن التمور، وهي بيضاء اللون، يابسة، وتزرع في وادي ساية كافة الخضراوات، وبه من الفواكه: الموز والليمون.

وبوادي ساية ثلاثة فروع مملوءة بالقرىٰ والمزارع، وهي: وادجي شُوَان، ووادي الشبعان، ووادي وِبْح، وعاصمة منطقة بني سليم كلها الآن (قرية الكامل) كما قدمناه.

ثانيًا: منطقة وادي ستارة: (وادي ستارة واد طويل، ينبع من أواسط حرة بني سليم، ولكل جزء منه اسم يعرف به. يعرف أسفل الوادي (بِقُدَيْد)، علىٰ وزن عُمَيْر). وفي ستارة أكثر من عشرين قرية، أسفلها قرية (الفُلَيْتَة) وأعلاها قرية (البرْهَمِيّة).

وأهمها الآن (قرية السُّليم)، وهي مركز قرىٰ وادي ستارة.

وهناك قرىٰ أخرىٰ هي: قرية المخمرة، وقرية الفُروف، وقرية المسماة، وقرية المعالي، وقرية الشعبة، وتقابل من الشمال قرية السليم، وقرية الدبيسية بقرب قرية الشُّعبة، وقرية الأبيار، وقرية المديد.

وفي قرية السليم وحدها ما ينيف علىٰ عشرة آلاف نخلة، وقد تقاصرت عينها عن إرواء الأراضي البيضاء الواسعة هناك، فأصبحت هذه الأراضي الخصبة بورًا.

وبقرية السليم آثار مر ذكرها.

ومن أهمها القصر الأثري المبني بالحجارة... وقد كنت قبل أن أطلع علىٰ ما أورده ياقوت الحموي عن بناء الرشيد في حجه قصرًا بأرض بني سُليم سماه (خيف السلام) كنت قدرت وسجلت في مسودة هذا الكتاب: أن القصر الذي وصفه محمد بن صامل بقرية السليم قد يكون قصرًا بُني في عهد العباسيين، ثم أدخلت عليه تحسينات فيما بعد، ومنها هذه الفتحات لفوهات البنادق التي قدرتُ أنها -بدون ريب- مما وضع بعد عهد العباسيين، في الزمن الذي استعملت فيه البنادق في الحروب، وذلك عهد جاء بعد انقضاء عهد العباسيين).

ثالثًا: منطقة ذَرَة: سبق أن عرَّفنا (ذَرَة) حسب ما أفادنا به عرام، وفي ذرة من الشجر: العفار، والقرظ، والطلح، والسدر، والنشم، والتألب، وتُعمل القسيُّ واسهام قديمًا من شجر النشم وهو خيطان لا ورق له. (ومعنىٰ «الخوط» لغة: الغصن الناعم). والإثرار له ورق الصعتر، وشوك كشوك الرمان، ويقدح ناره إذا كان يابسًا، فيقتدح سريعًا، والعفار.. ووروده أبيض طيب الرائحة كأنه السوسن.

رابعًا: (منطقة شمال المدينة المنورة): منها برمة. قال في «معجم البلدان» أنها

(من بلاد بني سُليم) وحددها ابن حبيب بأنها (عرض من أعراض المدينة قرب بلاكث بين خيبر ووادي القرىٰ).

هذا ومما تحسن الإشارة إليه -تاريخيًّا واجتماعيًّا- أن الأمن والاطمئنان كانا مفقودَيْن في ديار بني سُليم، قبل العهد السعودي الحاضر، فقد كان الاغتيال والقتال معتادين فيها، لأسباب موجبة وغير موجبة، كما أن مرض حمىٰ البرْداء -الملاريا- منتشر فيها بكثرة، لكثرة المستنقعات المتكونة من كثرة مياه المنطقة وعدم تصريفها أو تعقيمها صحيًّا.

كما أن الطرق إلىٰ بلادهم وبداخلها كانت في منتهىٰ الوعورة لأنها بين حرار وجبال.

وكانت الأمية سائدة في ربوعهم فلا مدارس ولا متعلمين ولا معلمين، وقد عُنيت الحكومة السعودية بإصلاح أحوالهم، فأزالت عوامل الفتن والشغب فيما بينهم وبين بعضهم، وفيما بينهم وبين جيرانهم، وعُنيت بالأسباب الصحية، فأنشأت لهم مستوصفات صحية، وعبَّدت الطريق الرئيسي إلىٰ بلادهم بالمداخل «الدركترات» حتىٰ قرية الكامل، وفتحت لهم المدارس، ليتعلم فيها أبناؤهم وكبار السن منهم، وأوجدت لديهم مقر شرطة لاستتباب الأمن، وكونت لهم إمارة خاصة بهم، وفي منطقتهم، فساد الهدوء، وانصرف الناس إلىٰ ما يصلح شؤونهم ومعاشهم، وأنشأت لديهم هيئة الأمر بالمعروف، تهديهم وترشدهم إلىٰ ما فيه خير دينهم ودنياهم.

وقد أعطانا شاعر بني سُليم المعاصر: (محمد الجبرتي) صورة شعرية ناطقة، لعدوان البعوض الناشئ والمتنامي من البِرَك والمستنقعات التي تخلفها الأمطار،

والسيول والعيون - عليه، وذلك في قوله من الشعر العامي الملحون المعروف بـ«الحميني» والنبطي:

البــارحَ النــاموس ســرىٰ عليَّــهْ　　جـــاني بقواتُـــه وقـــوم لظيَّـــهْ

سـهرانْ حتىٰ الصـبح تـوحي يديَّـه　　وأصبحتْ من فعل النواميس سـهران

و(الناموس) هنا بمعنىٰ (البعوض)، ومن لازمه البعوض طيلة ليلته فلا غرو ألا ينام وأن يقلق للسعاته ولذعاته، ثم لا يأمن أن تزوره بعد ذلك حمىٰ البرداء، والعياذ بالله، فعسىٰ أن تزول هذه الأسباب المؤذية فيرتاح سكان ديار سُليم من لذعات البعوض، بتصريف مياه المستنقعات لديهم وتعقيمها والفتك بها بمبيدات الحشرات، والمطهرات للأماكن منها، بصفة مستديمة.

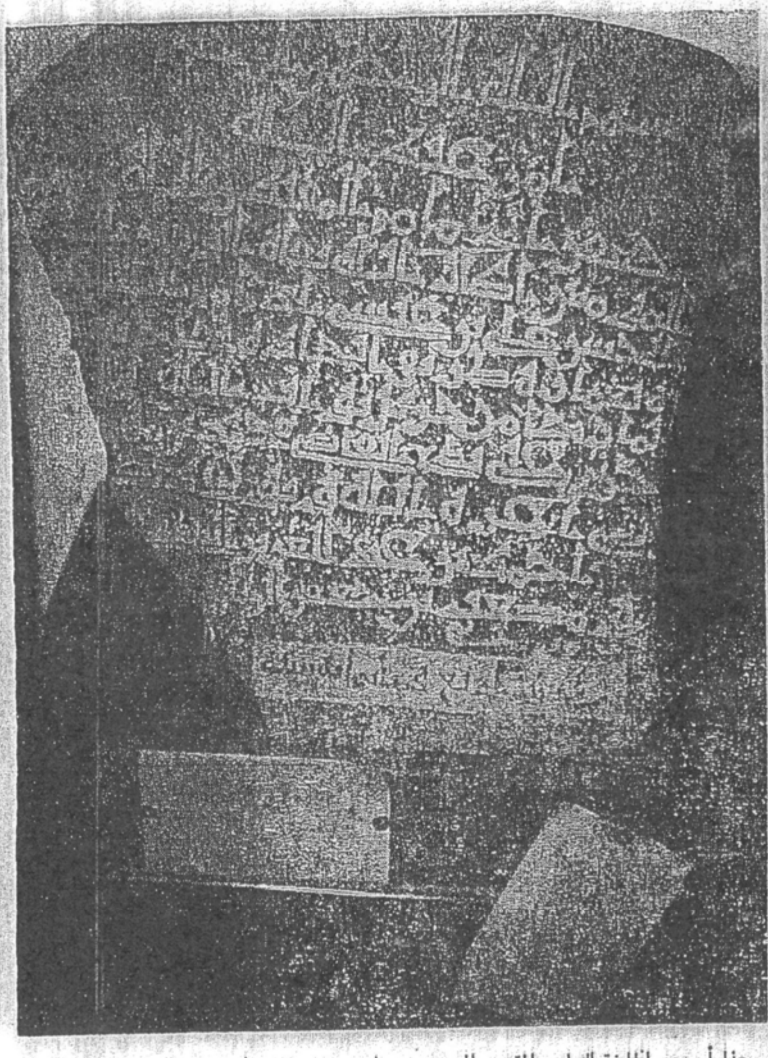
* * *

آثار في ديار بني سليم

ديار بني سُليم الأصلية من أقدم الديار المعروفة في بلاد العرب منذ الجاهلية القريبة من الإسلام حتىٰ اليوم، وقد وصفت هذه الديار بالخصب في التربة، وبالآثار العمرانية، ففي جَبَلَة ذكروا أنه كانت حصون منكرة، وفي قرية السُّليم، وفي غيرها كذلك.

وقد كنتُ كتبت في كتاب: «بين التاريخ والآثار» عن بعض الآثار التي عثر عليها في ديارهم وهي عبارة عن صخور منقورة بخط عربي إسلامي قديم، وأحد هذه الصخور -وهو أهمها- أمرٌ من الخليفة العباسي المقتدر إلىٰ وزيره علي بن عيسىٰ بن داود، وهو حجر من الجرانيت، ويقضي هذا الأمر بعمارة طريق الجادة لحجاج بيت الله الحرام، ويرجع تاريخه إلىٰ سنة (٣٠٤) للهجرة.

وبمطابقتي لما في هذا الأثر مع ما ورد في التاريخ وجدتُ التاريخ المكتوب علىٰ الأوراق مطابقًا لما ورد في الحجر المنقور بالإزميل وقد قرأت هذا الحجر، وشرحت هدفه، ونشرت كل ذلك في كتاب «بين التاريخ والآثار» من الصفحة (٥١) إلىٰ الصفحة (٥٩)، وهذه صورة ذلك الحجر:



هذا أمر من الخليفة العباسي المقتدر إلى وزيره علي بن عيسى بن داود منقوش على قطعة حجر من الجرانيت . ويقضي الأمر المنقوش على هذا الحجر ، بعمارة طريق الجادة لحجاج بيت الله الحرام ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٣٠٤ هـ ويطابق ما ورد في التاريخ .

ولا بأس من إعادة نشر حله هنا مرة أخرىٰ:

أمر عبد الله

جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاه الوزيرز

أبا الحسن علي بن عيسىٰ أدام الله عز

ه بعمارة طريق الجادة لحجاج بيت الله

لما رجا من جزيل ثواب الله و

جرىٰ علىٰ يد القاضي محمد بن مر

تضىٰ أعزه الله وثق له ذلك...

أحمد بن عبد العزيز العقيبي

ومصعب بن جعفر...

سنة أربع وثلاثمائة سنة

وقد كنت ذكرت في الكتاب المشار إليه آنفًا أن هذا الحجر وجد بمنطقة بني سُليم، وأخيرًا اطلعت علىٰ صورة لهذا الحجر نفسه في كتاب تويتشل الموسوم بـ«المملكة العربية السعودية» ترجمة الأستاذ شكيب الأموي، وهي مماثلة للصورة التي كنت أخذتها له تمامًا.

وقد أيد تويتشل ما ذهبتُ إليه من أن الحجر وجد بمنطقة بني سُليم فقال ما نصه: «وجدت هذه اللوحة الحجرية - وجد هذا اللوح الحجري - بما عليها - عليه- من نقوش كوفية في نفايات منجم «مهذا الذهب» القديم».

كما أيد بطريق إجمالي موجز الحلّ الذي حللت به النقوش، فقال عنها: «وكانت عبارة عن أمر تنفيذي لبناء طريق رئيسي للحجاج للتنقل بين بغداد ومكة»(١).

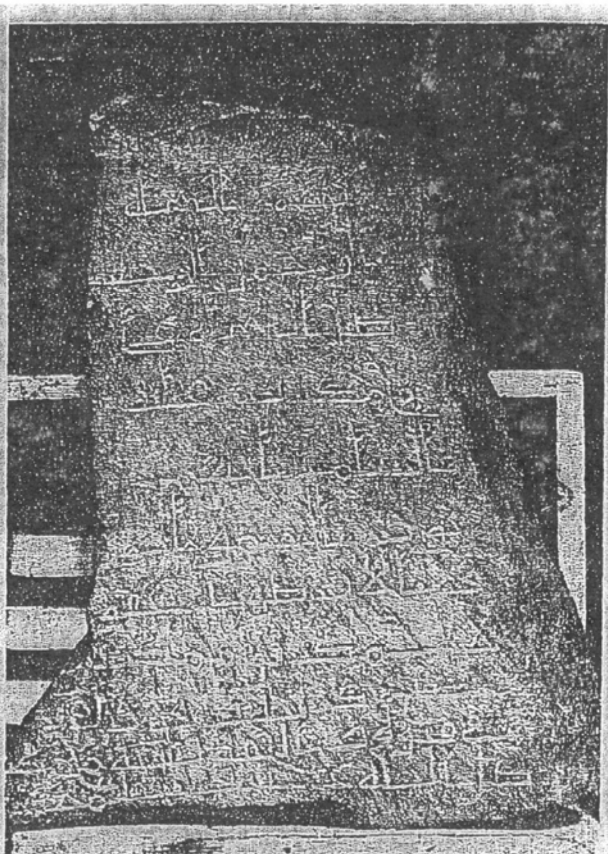


الصخرة عنق الجمل .. واقفاً تحتها كل من
عبد القادر طاهر (إلى اليسار) وعبد القدوس الأنصاري (إلى اليمين)

كذلك هناك أثر آخر جاء به إلىٰ جدة الأخ (مبارك عبد التواب السلمي) من مقبرة جبلة الكبيرة التي يقول عنها عرام السلمي: «ويزعمون أن جبلة أول قرية

(١) «المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية» تأليف ل. س. تويتشل، ومساهمة إدوارد، ج. جورجي، ترجمة الأستاذ شكيب الأموي (ص٩٦ و٩٧)، طبع دار إحياء الكتب العربية لعيسىٰ البابي الحلبي وشركائه بالقاهرة، سنة «١٩٥٥م».

اتخذت في تهامة، وبجبلة حصون منكرة مبنية بالصخر لا يرومها أحد»[(١)] والأثر الذي نشر إليه هذه صورته:



شاهد قبر من حجر الجرانيت وجد في مقبرة كبيرة في بلاد «بني سُليم» وهو مكتوب بالخط الكوفي المشجر الخالي من النقط والشكل. وقد حله وقرأه كاتب هذه السطور، كما سيأتي في هذا البحث.

وكنت قد نشرت هذه الصورة في كتاب «بين التاريخ والآثار» أيضًا وعلقت

---

(١) «كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها» لَعرام السلمي (ص٣٥).

عليها بما فتح الله علي به من قراءتها وتحليل خطه وقاعدة هذا الخط وخواصه... وما إلىٰ ذلك.

وهناك آثار قدية ومعدنية وأوان ومجاري مياه تحتاج إلىٰ مزيد من التحقيق، ولابد أن باطن أرض المنطقة مليء بالآثار المتخلفة عن السكان، والحفر عنها يكشف أسرارها وربما كشفت أسرارًا أخرىٰ ذات أهمية كبيرة للحضارة الإسلامية لا تخطر لنا الآن علىٰ بال.

❋ ❋ ❋

بنو سُليم أصولًا وفصولًا، وهجرات وتنقلات

يقول محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري في كتابه «لسان العرب» ما نصه: «والنسبة إلىٰ بني سُليم وإلىٰ سلامة: سَلامي». راجع مطبوعتي بولاق بمصر سنة (١٣٠٣هـ)، ودار صادر في بيروت[(١)].

ومعنىٰ ما ذكر أن النسب إلىٰ صيغتي «سليم» و«سلامة» هما شيء واحد: (سلامي).. لا «سُلميّ» و«سلامي» كما يتبادر إلىٰ الذهن، ويتفق مع سير القواعد والوضع اللغوي المعروف نسبة إلىٰ «سلامة» لا إلىٰ «سُليم».

ويبدو لي أنه ربما كان هناك «بَتْرٌ» في مطبوعتي لسان العرب المشار إليهما.

وآية ذلك هي النص الذي أنقله لك من «تهذيب اللغة» للأزهري قال: «وينسب إلىٰ بني سلَمة: سَلَميّ. وإلىٰ سُليم: سُلَمي. وإلىٰ سلامة سَلامي»[(٢)].

ومحل البتر المرجح وقوعه في مطبوعتي «لسان العرب» هو بعد قوله: «والنسبة إلىٰ بني سُليم»، وإذا صح هذا التقدير المدعوم بما ورد في «تهذيب اللغة» يكون الناسخ أو الطابع الأول الذي نقل عن النسخة الخطية قد حذف كلمة «سُلَمي» عقب جملة: «والنسبة إلىٰ بني سُليم»... كما حذف بعدها: «وإلىٰ سلامة».. وبهذين

---

(١) «لسان العرب» «مادة سلم» في مطبوعتي بولاق الأميرية بمصر سنة (١٣٠٣هـ)، ودار صادر ببيروت.

(٢) «تهذيب اللغة» لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢-٣٧٠هـ) الجزء الثاني عشر (ص٤٥٣) طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة بمصر.

الحذفين تداخلت نسبتا «سُليم» و«سلامة» فصارتا: «سلامي» حسب النص المطبوع، وكان من المناسب أن تتميز صيغتا النسب إلىٰ «سُليم» وإلىٰ «سلامة» فيفرد لسُليم، صيغة النسب التي هي (سُلمي) ويفرد لسلامة صيغة النسب الأخرىٰ التي هي: «سلامي».

ومع وضوح هذا الأمر ووجود ما يدعمه في موسوعة «تهذيب اللغة» للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠هـ) فإني لست بجازم بوقوع الغلط النسخي أو المطبعي المذكورين آنفًا، وأرىٰ أن يقوم بتحقيق أوسع لهذه المسألة - العلماءُ اللغويون الأثبات بما يميط اللثام عن الموضوع من كل نواحيه.

وقبيلة سُليم بن منصور، تنتمي إلىٰ قيس بن عيلان، وقد ظهرت علىٰ صفحات التاريخ العربي كقبيلة ذات كيان مرموق ومكانة مقدرة في نحو منتصف القرن السادس الميلادي(١).

ويعطينا «ابن حزم» في كتابه «جمهرة أنساب العرب» تعريفًا لنسب بني سُليم، وتراجم موجزة لكبار رجالاتهم في الجاهلية وصدر الإسلام، مع سلاسل أنساب بطونهم وعماراتهم، وأحداثهم الكبيرة وزعمائهم وصحابتهم وشعرائهم وأبطالهم وقادتهم.

يقول: «وَلَدُ -بفتح الواو واللام وضم الدال المهملة- سُليم بن منصور: بُهثة. فولد بهثة بن سليم: الحارث. وثعلبة: بطن صغير، وامرؤ القيس، وعوف، وكان كاهنًا. وثعلبة ومعاوية. فمن بطون امرئ القيس بن بهثة «بنو عُصيَّة بن خُفَاف -بضم

---

(١) «دائرة المعارف الإسلامية» (الترجمة العربية بمصر) (ج١٢/ ص١٤٤) نقلًا عن مصادرها الغربية والإفرنجية المدونة في هامش هذا البحث.

الهاء المعجمة وفتح الفاء المخففة- ابن امرئ القيس بن بهثة، لعنهم النبي ﷺ بعدما قتلوا أصحاب بئر معونة.

وبنو عميرة بن خفاف، أخو عصية بن خفاف، منهم الفجاءة، وهو بجير بن إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن سلمة بن عميرة بن خفاف المرتد، أحرقه أبو بكر رضي الله عنه بالنار[(١)].

ومن بني عصية بن خفاف: الخنساء الشاعرة، وأخواها صخر ومعاوية، ابنا عمرو بن الحارث بن الشريد، واسمه عمرو بن يقظة بن عصية، ومالك ذو التاج، وكرز وعمير، وهند بنو خالد بن صخر بن الشريد المذكور... كلهم فرسان، توجت بنو سليم مالكًا المذكور، وقتله وقتل كرزًا أخاه -عبدُ الله بن جذل الطعّان الكناني، وأبو العاج كثير بن عبد الله بن بردة بن الحارث بن ختم بن عبد بن حبيب بن رئاب بن رواحة بن مُلَيْل، قاتل ربيعة بن مكدم الكناني، ومن بني مالك بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم: الضحاك بن سفيان بن الحارث بن زائدة بن عبد الله بن حبيب بن مالك بن خفاف -له صحبة. وهو غير الضحاك بن سفيان الكلابي... ويزيد بن الأخنس بن حبيب بن جزء بن زغب بن مالك بن خفاف- له صحبة. وابنه معن بن يزيد، له صحبة، وكان له مكان عند عمر رضي الله عنه، وشهد «صفين» مع معاوية رضي الله عنه. و«المرج» مع الضحاك بن قيس.

---

(١) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص٢٦١) طبع دار المعارف بمصر (١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م). ويفهم من الكتاب الذي ألفه الدكتور عبد الجبار الجومود عن أبي جعفر المنصور أن قصيًّا كان موجودًا في آخر القرن الرابع الميلادي واسمه (يزيد) وأن بني سليم كانوا موجودين في حياته معروفين في القرن الخامس الميلادي، راجع كتاب «داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس» (ص١٣ و١٥ و١٦) طبع دار الطليعة في بيروت.

ومن بني عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، ثم من بني يربوع بن سماك ابن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم: مجاشع ومجالد ابنا مسعود بن عائذ بن وهب بن ربيعة بن يربوع بن سماك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم... مجاشع هذا قاد، ولهما صحبة(١)، وعبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سماك بن عوف بن امرئ القيس، صاحب خراسان، وعمه عروة بن أسماء بن الصلت من جلة الصحابة، قتل يوم بئر معونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وموسىٰ ومحمد ونوح وخازم وإسحاق بنو عبد الله بن خازم.

وستأتي ترجمة موسىٰ بن عبد الله بن خازم في فصل «شعراء من بني سُليم».

وكانت لبني عبد الله بن خازم آثار في خراسان، ولهم بالبصرة بقية، منهم النضر بن إساحق بن عبد الله، وكانت لهم بالبصرة رياسة. وموسىٰ بن عمرو بن موسىٰ بن عبد الله بن خازم، قتل مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سماك القائم بدعوة بن الزبير بالبصرة، والربيع بن ربيعة بن أهبان بن ثعلبة بن ضبيعة بن ربيعة بن يربوع بن سماك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، قاتل دريد بن الصمة، يوم أوطاس، رِعْلُ بن مالك بن عوف بن مالك بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، إحدىٰ القبائل التي لعنها رسول الله ﷺ لقتلهم أهل بئر معونة، منهم أنس بن عباس بن عامر بن جبير بن رعل، كان سيدًا، ويزيد بن أسيد بن زافر بن أبي أسماء بن أبي السيد بن منقذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس من قواد بني العباس.

---

(١) يقصد ابن حزم أن مجاشعًا السلمي صار قائدًا في وقت من الأوقات. وقوله: ولهما صحبة، يعني مجاشعًا ومجالدًا أخاه، كما يدل عليه سياق الحديث.

ومن بني بهز بن امرئ القيس: الحجاج بن علاط بن خالد بن ثويرة بن جسر ابن هلال بن عبد ظفر بن سعد بن عمرو بن تميم بن بهز بن امرئ القيس -من خيار الصحابة رضي الله عنهم، له كان المعدن الذي ببلاد بني سُليم، وهو معدن ذهب، نزل حمص، وابنه نصر بن حجاج هو الذي نفاه عمر رضي الله عنه عن المدينة، لقول المرأة فيه:

هل من سبيل إلىٰ خمر فأشربها؟ أم هل سبيل إلىٰ نصر بن حجاج؟

والمرأة هي «فُريعة» أم الحجاج بن يوسف الأمير الأموي، وكانت زوجة للمغيرة بن شعبة، ولذلك كتب عبد الملك بن مروان للحجاج في بعض كتبه: «يا بن المتمنية».

ومن بني الحارث بن بهثة بن سليم: بنو ذكوان بن رفاعة بن الحارث بن حُيَيّ بن الحارث بن بهثة بن سليم، منهم العباس بن مرداس بن أبي عامر (وقيل: ابن أبي غالب) بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة... تزوج الخنساء الشاعرة، فولدت له هبيرة، وجَزءًا، ومعاوية(١)، ولعباس من الولد: كنانة، وجلهمة أو جاهمة: وسعيد، وعبيد الله، وغيرهم. ومن ولده: عبد الملك، وهارون ابنا حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة أو جاهمة بن العباس، ومنهم: أَبَيٌّ بن العباس بن مرداس، روىٰ عنه أبو عبيدة. وبكار بن عبد الله بن سعيد بن العباس بن مرداس: محدث، عابد، مات بمصر، وعتبة بن فرقد، وهو يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة بن ربيعة بن رفاعة بن الحارث بن بهثة، وابنه عمرو بن عتبة من نُساك الكوفة، من جِلّةِ

---

(١) هذه هي الحقيقة... فالعباس بن مرداس، هو ابن مرداس من زوج غير الخنساء، وأبناء الخنساء من مرداس إخوة غير أشقاء للعباس بن مرداس، لأن أمه غير أمهم الخنساء، وقد غلطت «دائرة المعارف الإسلامية» (الترجمة العربية بمصر) حينما جعلت العباس بن مرداس ابنًا لمرداس من الخنساء. انظر: (ص١٤٥) من المجلد الثاني عشر، طبع بمصر.

أصحاب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن بني عمه: منصور بن المُعتِمر بن عبد الله بن عتاب بن رُبَيِّعَةَ -بالتصغير- بن فرقد وهو يربوع بن حبيب الفقيه وأشرس بن عبد الله صاحب خراسان، وهو من بني مطاعن بن ظفر بن الحارث بن بهثة، وبنو غضب بن كعب بن الحارث بن بهثة... وليس في العرب «غضب» إلا هذا، ولا في الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومن بني ثعلبة بن بهثة بن سليم: حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة... كان بمكة في الجاهلية، محتسبًا، يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، وفي ذلك يقول بعض سفهاء قريش:

أطَـوِّفُ في الأبــاطح كــل يــوم   مخافــة أن يشـــردني حكـــيم

وعمةُ جَدِّهِ: عاتكة بنت مرة بن هلال، أم هاشم، وعبد شمس، والمطلب، بني عبد مناف.

وأبو الأعور السُّلمي، وهو عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن خائف بن الأوقص بن مرة بن هلال، من قواد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعُبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأعور، ولي إفريقية، وعمير بن الحُباب[1] بن جعدة بن إياس بن حُذافة بن محارب بن هلال بن فالج، ومن ولده: زياد بن يزيد بن عمير بن الحُباب، والجحَّافُ ابن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعي بن محارب بن هلال، البطلان

(١) الحباب -بضم الحاء المهملة-: الحية أو ضرب من الحيات، وحي من بني سليم، ولا تزال بنو سليم تستعمل اسم «الحباب» هذا... فيوجد الآن منهم في قرية مهايع «حامد بن حباب السلمي» رئيس هيئة الأمر بالمعروف بقرية الكامل... أعرفه معرفة شخصية، وقد كان زارنا في رحلتنا إلىٰ بلاد بني سليم في (٢٠ ربيع الثاني ١٣٩٠هـ = ٢٥ يونيه ١٩٧٠م). فيما يتعلق بمادة حباب راجع «القاموس المحيط» للفيروآبادي، مادة (حب).

الفاتكان، لحق الجحاف بأرض الروم بعد قتله من قتَل من بني تغلب يوم البِشْر، ثم استأمن ورجع، وتنسك نُسُكًا تامًّا صحيحًا إلىٰ أن مات، والصاحب الجليل الفاضل صفوان بن المعطل ابن رخصة بن المؤمل بن خزاعي بن محارب بن هلال، وفيه قال أهل الإفك ما قالوا (إفكًا وزورًا).

ومن بني مالك بن ثعلبة بن بهثة بن سليم: الورْدُ بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة بن بهثة، كان علىٰ بني سليم ميمنة النبي ﷺ، يوم الفتح -فتح مكة- وعمرو بن عبسة بن منقذ بن خالد بن حذيفة، كان صديق رسول الله ﷺ في الجاهلية، وأسلم قديمًا إثر إسلام أبي بكر، وبلال رضي الله عنهما... قال: «فكنتُ يومئذٍ رُبُع الإسلام»(١).

هذا وقد ذكر جواد علي بني سليم في كتابه: «تاريخ العرب قبل الإسلام» ونسبهم كما نسبهم ابن حزم الأندلسي في «جمهرته» وقال: «كان لهم صنم، يقال له «ضماد» كان عند مرداس، والد عباس بن مرداس، فلما توفي مرداس، وضعه العباس في بيت يتعبد له، فلما ظهر الإسلام أسلم وأحرق ذلك الصنم»(٢).

وقد نزل بالأندلس كثير من قبيلة قيس بن عَيْلان من العدنانية، ومن هؤلاء من ينتسب إلىٰ سُليم بن منصور، كعبد الملك بن حبيب السلمي، وكالقاضي أبي حفص ابن عمر قاضي قرطبة(٣).

---

(١) «جمهرة أنساب العرب» (ص٢٦١ – ٢٦٢).

(٢) «تاريخ العرب قبل الإسلام» (م٤/ ص٣٢٣ – ٣٢٤).

(٣) «نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب» لأحمد بن محمد المقري التلمساني (ص٢٧٢)، المجلد الأول، طبع مطبعة السعادة بمصر سنة (١٣٦٥هـ – ١٩٤٨م).

كما نزل بإفريقية من بني سُليم: بنو الشريد، وكانت لهم صولة وشوكة، وبنو زغب بن مالك بن بهثة كانوا بين الحرمين، فصاروا إلىٰ إفريقية، في جوار إخوانهم بني ذُباب بن مالك، ثم صاروا في جوار بني هيِّب.

ومنازل بني ذباب بني سُليم[١] في إفريقية، بين قابس، وبرقة، وهم ببرقة بجوار بني هيب.

ومنهم بنو سليمان بن ذباب، في جهة فزّان وودّان.

ورؤساء بني ذباب في عصر المقريزي - القرنين: الثامن والتاسع الهجريين - كانوا ما بين طرابلس وقابس وبَيْتهم -رياستهم- بنو صابر، والمحامند بنواحي فاس وبيتهم في بني رحاب بن محمود.

وبنو عوف بن بهثة السلميون منازلهم ما بين قابس، وبلد العناب، وهم: مرداس وعلّاق.

وبنو هيب بن بهثة، إخوة عوف بن بهثة، منازلهم في إفريقية، ما بين السدرة من برقة إلىٰ حدود إسكندرية، وبنو أحمد منهم بإجدابية، ولهم عدد، ويرجعون إلىٰ شماخ، ولها العز في هيّب.

ومن هيّب: سبال ومحارب. ورياستهما في عزاز. ولِهَيِّب في سُليم عزة، لاستيلائها علىٰ إقليم طويل، خَرَّبَتْ مُدُنه، وصارت ولايته لأشياخهم. وتحت أيديهم خلق كثير من البربر، وفيهم طائفة الأبطال الأمجاد. والإمارة فيهم، في أولاد عزاز بن مقدم. وكان مزيد بن عزاز جليل القدر معظمًا في الدولة.

---

(١) في «معجم قبائل العرب» لعمر رضا كحالة (ص٤٠٨) طبعة دمشق: «ذباب بن مالك: بطن من بني سليم بن منصور، كانت منازلهم ما بين قابس وبرقة، منهم بنو سليم بن ذباب».

وبنو زيد، وحمدان، وزيان - كلهم كرام أماجد.

وبنو مُعز، وعمير ومنهم عَلَويٌّ بن إبراهيم بن عزاز، وسلطان بن زيان بن عزاز، وعمر بن مشعل بن عزاز، وجماعة بن مليح المنصوري، أصحاب غازي بن نجم، وعليان بن عريف، وبليوش -بلبوش- وكان قد هرب من السلطان الملك الظاهر بيبرس، فلحقه الجيش، وأخذوه أسيرًا، فاعتقله مدة، ثم أفرج عنه، وهو والد زيد بن بليوش -بلبوش-.

وعربان البحيرة في الأيام الناصرية (محمد بن قلاوون) فيهم فايد بن مقدم، وخالد بن سليمان، وكانا أميرين سيدين ذَوَيْ كر وأمن (وأمر) وشجاعة(١).

أما بنو سليم في مصر، فقد مر بنا أنهم استوطنوا -في زمن هشام بن عبد الملك الأموي، بلبيس، وتكاثروا بها.

ويروي لنا الدكتور عبد المجيد عابدين أن بني سليم بعدما أقاموا في المغرب إثر نزوحهم الجماعي إليه، أخذوا بعد بضعة قرون يعودون إلىٰ مصر، في موجات متتالية، وكانوا حينئذٍ قد اختلطوا بالبربر، وقال: «وتُعد هجرتهم في القرن الثامن عشر الميلادي -الموافق للقرن الثاني عشر الهجري- من أكبر الهجرات العربية التي وفدت إلىٰ مصر من طريق الغرب، فملئوا الصحراء الغربية، وبعض جهات من وادي النيل، وإلىٰ الآن ينتسب جميع العرب الساكنين علىٰ الساحل، غربيّ الإسكندرية إلىٰ قبيلة بني سليم هؤلاء».

---

(١) «البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب» المقريزي (ص٦٨ و٦٩ و٧٠ و٧١) طبع القاهرة.

ثم فصل لنا بطونهم بمصر فقال: «ومعظم فروع بني سليم، تنتمي إلىٰ السعادي، وهم أولاد أبي الليل، من سليم بن منصور، من القبائل العربية القيسية، ويتفرع السعادي إلىٰ بطون أهمها: (أ) البراغيث (أبناء برغوث) ومنهم الفوائد.. (ومنهم أسرة لملوم) والرماح (ومنهم أسرة الباسل) والجبارنة (ومنهم الجوازي أولاد أبي جازية). وقد انتشرت هذه البطون من غرب الإسكندرية، إلىٰ مديريات الفيوم، والمنيا، وبني سويف. (ب) - العقاقرة (أبناء عقَّار) ومنهم الحرابي، وأولاد علي، والهنادي (وبني) وبنو عونة، والجبالية، وقد انتشروا في أرض الدلتا شرقًا وغربًا، وبعض مناطق الصحراء الغربية، وكان بين الهنادي وأولاد علي، معارك في البحيرة.

وفي زمن الاحتلال البريطاني حيل بين عرب مصر في البادية وبين مناطق المناجم، ومُنعوا من الوصول إلىٰ مناطق النفط في الصحراء، وأخيرًا فتحت الصحراء للمشروعات المعدنية والزراعة(١).

هذا وقد عدَّ لنا أبو العباس أحمد القلقشندي أفخاذ بني سُليم المقيمين في عهده ببرقة. فقال: «أخبرني مخبرون من غيرها بعدة أحياء منهم، وهي: أولاد حرام، وأولاد سلَّام، والبركات، والبِشَرة، والبلابيس، والجواشنة، والحدادة، والحوثة: والدُّروع، والرفيعات، والزرازير، والسوالم، والسبوت، والشراعبة، والصريرات، والعواكلة، والعلاونة، والموالك، والنبلة، والندوة، والنوافلة، والرعاقبة، والبواجنة، والقنائص، وقطاب، والقصاص(٢).

(١) تعليقات الدكتور عبد المجيد عابدين، علىٰ كتاب «البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب» (ص١٦٧ – ١٧٢) طبع مصر.
(٢) «قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان» للقلقشندي (ص١٢٥) طبع القاهرة.

أما عرب سُليم في بلاد الجزائر، فـ (كانت عوف بن سليم، تجاوز رياحًا، علىٰ حدود عمالقة قسنطينة وتبلغ ناجعتها، نواحي بونة، ولها بطنان: مرداس، وعلاق، ومن علاق: حصن ويحيىٰ. ومن حصن: حكيم وبنو علي. ومن يحيىٰ: الكعوب: (بنو كعب)، ومن الكعوب: أولاد مهلهل، وأولاد أبي الليل. ومن أولاد أبي الليل: الأعشاش.. واشتهر من شيوخ حكيم: أبو زيد بن عمر بن يعقوب، وابنه خليفة، ومحمد بن مسكين، وخليفة ابن أخيه. وكان منهم أول القرن التاسع (الهجري) - الشيخ المرابط أحمد بن صعنونة بن عبد الله بن مسكين(١).

ويفهم من فحوىٰ أبيات لأشجع السلمي أن جالية سُلمية كانت تقيم ببغداد في أيامه وكان ركنها ومرجعها هو أحمد بن يزيد السلمي الذي توفي في جرجان.

وقد وصل بنو سُليم في استيطانهم إلىٰ أقصىٰ نقطة في شرق شبه الجزيرة العربية علىٰ الخليج العربي، فاستقروا بمشيخة رأس الخيمة شمال أم القيوين وعلىٰ مسافة ٨٠ كيلومترًا للشمال الشرقي من الشارقة، وهؤلاء السلميون المقيمون في مشيخة رأس الخيمة، هم من البقية الباقية في شبه الجزيرة العربية، وهم يقيمون في قرية جزيرة «زُعاب» كما قدمناه، وسميت بهذا الاسم نسبة إلىٰ سكانها الذين ينتمون إلىٰ «زُعاب» من بني سليم.

وتقع هذه القرية علىٰ مسافة ١٩ كيلومترًا من رأس الخيمة، وفيها مدرسة أنشئت عام (١٩٦٠-١٩٦١م) المدرسيّ، وكان بها حينئذٍ (١٤٣) طالبًا يعلمهم معلمان، ومشيخة رأس الخيمة تتفق في طبيعة أرضها الخصبة المتوافر فيها المياه العذبة مع طبيعة أرض بني سليم الأصلية من هذه الناحية، ويزرع فيها النخيل والليمون والحبوب والخضراوات(٢).

---

(١) «تاريخ الجزائر في القديم والحاضر» للشيخ مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المجلد الثاني، طبع المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة (ص٢٧٠ و٢٧١).

(٢) «جزيرة العرب» لمصطفىٰ مراد الدباغ، الجزء الثاني (ص١٨٩ و١٩٤) منشورات دار الطليعة ببيروت.

وبعدُ: فإن من ذكرناهم فيما سلف هم أحياء قبيلة بني سليم في الجاهلية والإسلام، حتىٰ القرن الرابع عشر الهجري الذي نعيش الآن في عشرته الأخيرة.. وجميعهم من نزحوا عن ديارهم الأصلية بين الحرمين: مكة والمدينة.

وفيما يأتي نثبت أسماء أحيائهم المقيمين اليوم ومن قبل اليوم، صُعُدًا، إلىٰ وقتٍ لا نعلمه الآن بالدقة.

ومما لاحظته أن هذه الأحياء والبطون السلمية لا يوجد بينها اسم من أسماء أحياء أسلاف بني سليم وبطونهم، ومثلهم في هذا الأحياءُ والبطون التي نزحت عن هذه الديار في غابر العصور إلىٰ برقة وغيرها: مثل: أولاد حرام، وأولاد سلّام، البركات، والبِشَرة، والبلابيس، والجواشنة، والحداددة، والحوثة، والدروع، والرفيعات، والزرازير، والسوالم، والسبوت، والشراعبة، والصريرات، والعواكلة، والعلاونة، والموالك، والنبلة، والندوة، والنوافلة، والرعاقبة، والبواجنة، والقنائص، وقطاب، والقصاص. وهذه الأحياء كلها تنتمي إلىٰ بطن لَبيد(١).

وهناك ظاهرة اجتماعية لابد لي من الإشارة إليها هنا، وقد تكشفت لي أثناء دراستي لسلاسل أنساب بني سليم وغيرهم من القبائل العربية.

وتلك الظاهرة هي: أنه بطول الزمن وتتابع القرون، وتعاقب الأجيال كثيرًا ما يحدث «تغَيُّر» في أسماء الأفخاذ والأحياء والبطون القبلية، فينتسب كل جيل أو أجيال متقاربة في الزمن إلىٰ الجدِّ أو العم الذي هو أقرب إلىٰ المنتسبين إليه ممن سبقوه من الأجداد أو الأعمام، وذلك حسب المتعارف عليه، وحسب الظروف، والمناسبات... وتستمر النسبة إلىٰ هذا الجد أو العم أو غيره إلىٰ ما شاء الله، حتىٰ يأتي من الأسباب والظروف ما يُحِلُّ محله شخصًا آخر، فيُعْزَىٰ إليه الفخذ أو البطن أو الحي... وهكذا دواليك.

---

(١) «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان» لأحمد القلقشندي (ص١٢٥ و١٢٦) طبع مصر.

فمتتبع أنساب العرب أو الأعراب بأدق تعبير يجب عليه أن يضع في ذاكرته هذه الظاهرة وأن يلاحظها فيما يُدونه من أنسابهم، حيث يجد «تغيرًا» ملحوظًا واضحًا في أسمائهم الشاملة لهم، بين كل فينة وأخرىٰ، علىٰ أن اسم القبيلة الأصلي، التي ينتمي إليها الجميع يبقىٰ معروفًا لديهم... وينتسبون إليه جميعًا، وبه تعرف مجموعاتهم المختلفة في الأسماء الفرعية.

وهناك ظاهرة اجتماعية أخرىٰ لابد لنا أيضًا من ذكرها: وهي أنَّ كثيرًا من سلاسل أنساب العرب، خاصة في القرون التي تلت القرن الهجري الخامس -في تقديرنا الخاص- كثيرًا ما يعتريها السهو والبتر والنقصان، لأسباب عديدة، منها صعوبة محافظة الأجيال علىٰ تدوين أسماء الآباء بدقة كاملة، وفي سمط متسلسل كامل الحلقات، طيلة القرون المتوالية، وتحت وطأة تقلبات الظروف والهجرات والأزمات العنيفة، والاضطرابات الداخلية والخارجية التي تهب أعاصرها بين كل حين وآخر.

وهَبْ أن بعضهم تمكن مع ذلك كله من تدوين سلسلة نسبه كاملة وبدقة، فإن الاضطرابات والحروب والمعارك قد تجتاح المستندات وتفقدها، فيضيع بذلك كل الجهد الذي بُذِلَ في المحافظة علىٰ عمود النسب.

وهذه الظاهرة قد حدثت لرائد علم الاجتماع. (ابن خلدون) فسجَّل علىٰ نسبه هذا النقص الذي لاحظه فيه... قال عن نسبه: «عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون) -لا أذكر من نسبي إلىٰ ابن خلدون غير هؤلاء العشرة، ويغلب علىٰ الظن أنهم أكثر، وأنه سقط مثلهم عددًا، لأن خلدون هذا هو الداخل إلىٰ الأندلس، فإن كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة، فيكونون زُهاء العشرين، ثلاثة لكل مائة، كما تقدم في أول الكتاب الأول[(١)].

---

(١) «التعريف بابن خلدون» لابن خلدون (ص١) طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر.

وأعتقد أن هذه الظاهرة قد شملت أيضًا نسب عبد الرحمن الأنصاري مؤلف كتاب «تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب» فهو من أهل القرن الهجري الثاني عشر، وقد سلسل نسبه حتىٰ وصل به إلىٰ أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي النجاري خادم رسول الله ﷺ، وقد عد آباءه إليه، واحدًا وعشرين أبًا فقط(١).

وحيث إن الزمن الذي بين عبد الرحمن وأنس بن مالك هو أ،حد عشر قرنًا، فعلىٰ قاعدة (أبي علم الاجتماع): عبد الرحمن بن خلدون -التي طبقها علىٰ سلسلة نسبة: يُحسب لكل مائة عام نحو ثلاثة آباء، وهذا أقل ما يحتمل.. وعلىٰ هذا الترتيب بينهما ثلاثة وثلاثون أبًا، لا واحد وعشرون أبًا فحسب. كما ذكر.

وأسماء أحياء بني سُليم وبطونهم المقيمين اليوم في بلادهم الأصلية بين الحرمين الشريفين قد كنت تلقيتها من حسين بن هندي السلمي، رئيس «قرية الكامل» أم قرىٰ بني سُليم الآن، ومقر الإمارة في منطقتهم، والتي هي أقرب قراهم وديارهم إلىٰ مكة وجدة اليوم.

كتب لي حسين بن هندي السلمي، أسماء أحياء هؤلاء السليميين وبطونهم المعاصرين، في ورقة وقعها بيده باسمه، ثم تلوتها عليه زيادة في التوثق والتأكد، فأقرها... وهذه هي أسماء أحيائهم وبطونهم بموجب ما حوته تلك الوثيقة.

أولًا: بنو نَوال(٢)... يتفرعون إلىٰ أربع عشائر: هي المطاردة، والصُّدَّر، والأذَنَات، والزَّحمة.

---

(١) «تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب» (ص٢٧) طبعة الشركة التونسية لفنون الرسم في جوان (١٩٧٠م) (ص٧) تحقيق الأستاذ محمد العروسي المطوي بتونس.

(٢) نجد في تاريخ ابن خلدون: «(النوائل) من سليم.. وهم بنو نائل بن عامر بن جابر، والاسمان: (نوال ونائل) من صيغة واحدة.

ثانيًا: بنو سَرِيّ... يتفرعون إلىٰ سبع عشائر: العَبَدة، النَّقريْن، العطاطيف، المرَاهين، الشُّنونة، الحِسْنَان، النُّمران.

ويسكن هؤلاء في «القُريَّة» و«شُوان» و«السِّبعان» و«العياب» و«الحُجْرة».

وتجمع ربيعةُ، بني نوال، وبني سري، والفُقها الذين سيرد ذكرهم فيما بعد.

ثالثًا: البِقَلة... ويتفرعون إلىٰ عشائر هي: ذوو نبات، وذوو مستور، والجوامع، وذوو علي.

ومنازلهم: ذَرَة، وقرىٰ وادي ساية، ويختلطون مع غيرهم من قبائل سُليم، ويجتمعون في بني راشد.

رابعًا: حُلَيْل، وتتفرع إلىٰ عشائر هي: بني عَطَا، وذوي (وذوو) جبرين، والموسىٰ، والوعارىٰ.

ومنازلهم بقرىٰ وادي ستارة وتوابعها، وهم مختلطون مع غيرهم، من بطون سليم.

خامسًا: السوالم، وتتفرع إلىٰ: العِصَويّ، والذُبيبات، والدّيسيَ، والقُويسمي.

ومنازلهم في المرواني وضواحيه. ويشتركون في بعض قرىٰ ساية وستارة.

سادسًا: بنو بُركة... ويتفرعون إلىٰ: الفُقها، والجبَاريت، والخُضَرة، والرّزم، والمساريح.

وتجمعهم بنو بُركة... أما الفُقها، فكما قدمنا، من ربيعة، وتنضم مع بني نوال وبني سري.



مبان قديمة في قرية الكامل ، ويرى وراءها نخيل قرية الكامل

وجميع الأحياء المذكورة آنفًا هم من بني نوال، إلىٰ بني بُركة، والفقها، وتجمعهم (فُتيَّة).

ومساكن ربيعة بجبل شمنصير.



مصب عين الكامل واقفاً فوقها (من اليمين) كل من :
عبيد بن محمد السلمي ، أسعد صبر ، عبد القدوس الأنصاري ،
ضيف الله بن عزيز بن هنديّ السلمي

سابعًا: بنو محمد.. يتفرعون إلىٰ الهِمْعَان، والتراجمة، والحِجَرة، والعُجفان، والقُوَعَة، والمِرنة.

هؤلاء (أي بنو محمد) مساكنهم بقري وادي ساية.

ثامنًا: الجِلاه: يتفرعون إلىٰ: السِّرحان، والشُّكرية، والنجاجرة، وذوي حمود، والمقاعية، والزَّراكنة، والصَّوابر، والزَّوانية.

ومساكنهم: قرىٰ وادي ساية، وهم مختلطون مع غيرهم من بني سُليم.

تاسعًا: وَديعةُ، تتفرع إلىٰ: ذوي عيد، والبِسَسَة، والغِلوان، والمُضيفِرات.

ومساكنهم: الجنْو، ومهايع، والخذُذُ، ويشتركون مع بعض بني سليم في وادي ساية.

عاشرًا: قُريش: تتفرع إلىٰ: الفَهايِدة، وذوي عوَّاض، والعكالية.

مساكنهم: مهايع، والشُّعبة.

حادي عشر: الضبّاعين.. ليس لهم فروع.

ومسكنهم: قرية مَلَح.

وهؤلاء من بني محمد، إلىٰ الضباعين، تجمعهم حَبَش.

حلقات مفقودة:

هذا وبإيرادنا لأصول قبيلة بني سُليم وفروعها، وفي الجاهلية الأخيرة وفي صدر الإسلام، وبإضافة فروعهم إليهم في القرن الهجري الحاضر -الرابع عشر- الموافق للقرن العشرين الميلادي تبقىٰ أمامنا حلقات مفقودة في التسلسل النَّسَبي الرابط لهؤلاء بأصولهم القديمة، ثم منابع ارتباط بني سُليم المقيمين هنا في المملكة عبر القرون الخالية بأبناء عمومتهم النازحين إلىٰ أقطار العالم الإسلامي في هجراتهم إلىٰ ديار الشام، فالبحرين، فمصر، فبلاد المغرب، فمصر أخيرًا في القرن الميلادي الثامن عشر - الثاني عشر الهجري، ولربما أماط لنا اللثام عن ذلك كله أو جله البحثُ العلمي المطرد المتتابع، فالحقيقة بنت البحث كما يقولون.

* * *

ملامح بني سليم

أغلبُ ملامح (الأعرابي العربي) تتمثل في أنه: رشيق القوام، قليل اللحم، ووجهه معروق قليل اللحم كسائر جسمه، وله ذقن بارز، وأنف دقيق، وعينان براقتان، وفم ظاهر، ورشاقة جسمه تجعله نشيطًا خفيف الحركة[١].

ووجه الأعرابي في المناطق الحارة من بلاد العرب أسمر - وأكثرُ مناطق بلاد العرب حار.

وتقع بلاد بني سليم في المنطقة الحارة، لأنها من تهامة، وهي ذات وهاد وأنجا، وجبال وحرار.

والصفات والسمات المتقدم بيانها تنطبق -من وجه عام- علىٰ من تسنَّتْ لي رؤيتهم من بني سليم. في ديارهم بأعالي الحجاز، وفي غيرها من هذه البلاد.

ولا يعني ما سبق لي تقريره أنه لا يوجد فيهم أفراد بيض الوجوه، أو ذوو لون قمحيّ يميل إلىٰ السُّمرة أو إلىٰ البياض.. ومن أمثلة أصحاب هذا اللون خاصة: «حسين بن حيا السلمي» أحد كبار قرية مهايع السلمية في ديار بني سليم.

وكذلك يوجد بين سكان الجبال الباردة الطقس بأنحاء المملكة أفراد ذوو لون قمحي وأبيض، لأسباب عامة أو خاصة..

ويوجد عكس ذلك في المناطق الحارة.

---

(١) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» للدكتور جواد علي ببعض تصرف (ص٣٠٥) المجلد الرابع، طبع دار العلم للملايين ببيروت.

وقلنا: «إن اللون الغالب -قديمًا وحديثًا- علىٰ العرب هو السمرة» بالنظر إلىٰ ما سبق بيانه من أن أغلب مناطق بلاد العرب حار، وبالنظر لما أورده الدكتور جواد علي، نقلًا عن علماء اللغة العربية، الذين بحثوا خصائص العرب، ووصفوا حيواتهم ومجتمعاتهم، من خلال بحوثهم اللغوية.

يقول الدكتور جواد علي: «ويذكر علماء اللغة أن العرب تصف ألوانها بالسواد، وتصف ألوان العجم بالحمرة[(١)]، وقد افتخر الشعراء بذلك، في الجاهلية، وفي الإسلام، من ذلك قول الفضل بن عباس بن عتبة اللهبي:

وأنا الأخضر[(٢)] من يعرفني — أخضر الجلدة في بيت العرب

يقول: أنا خالص، لأن ألوان العرب السمرة. ومن ذلك قول مسكين الدرامي:

أنا مسكين لمن يعرفني — لوني السمرة ألوان العرب

قال الجاحظ: «والعرب تفخر بسواد اللون. وقد فخرت «خُضْر محارب» بأنها سود. والسود عند العرب: الخضر. ثم ذكر أمثلة من أمثلة افتخار بعض القبائل والأشخاص بكونهم «خُضرًا» ثم قال: وخُضرُ غسان، بنو جَفْنة الملوك؟ قال الغساني:

إن الخضارمة الخضر الذين وَدَوْا — أهل البريص ثماني منهم الحكم

(١) بالمناسبة أذكر أنه دار نقاش بيني وبين عالم مصري في هذا الموضوع. قلت له: إن معنىٰ الحديث النبوي: «**بعثت إلىٰ الأحمر والأسود**» أو كما قال الرسول ﷺ هو أنه يعني أن رسالته تشمل العجم والعرب... العجم يوصفون عند العرب بالحمرة وهي البياض، والعرب بالسواد. وهذا هو الغالب الأعم، ولا ينفي ذلك وجود عرب بيض الألوان أو قمحيوها.

(٢) الأخضر لغة: بمعنىٰ الأسمر أو الأسود.

وقد ذكر حسان أو غيره، الخُضْر من بني عُكَيْم، حين قال:

ولست من «بني»(١) هاشم في بيت مكرمة ... ولا بني جُمح الخضر الجلاعيد

قالوا: وكان ولد عبد المطلب العشرة دُلمًا ضُخمًا، نظر إليهم عامر بن الطفيل يطوفون، كأنهم جمال جُونٌ فقال: بهؤلاء تمتنع السدانة! وكان عبد الله بن عباس أدلم ضخمًا، وآل أبي طالب أشرف الخلق، وهم سود وأُدمٌ ودلم. والدلم: الرجل الشديد السواد(٢).

ويقول المبرد: «وقول العرب: ما يخفىٰ ذلك علىٰ الأسود والأحمر، يريد العربي والعجمي»(٣).

ووصف الطبري في «تاريخه» محمد بن عبد الله بن حسن (النفس الزكية) بأنه «كان آدم شديد الأُدمة أدلم جسيمًا عظيمًا وكان يلقب بالقاريّ من أدمته»(٤).

وكما قلنا آنفًا فإنه يوجد أشخاص بيض الوجوه من العرب، أو ذوو لون دون البياض... ومن أولئك وهؤلاء سكان جبال السروات، بجنوب المملكة العربية السعودية والمعروف أنه كلما ارتفع موطن السكان ازداد لونهم صفاءً وبياضًا، وكلما انخفض موطنهم ازدادت سمرتهم.. وقد أشار إلىٰ ذلك الدكتور جواد علي في كتابه «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»... قال: «وقد عُرفت بعض القبائل العربية

---

(١) يبدو لي أن الصواب هو حذف كلمة (بني) ليصح الوزن.

(٢) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» للدكتور جواد علي (ص٣١٠ و٣١١). وجاء في «القاموس المحيط»: أن الدلماء: لقب بني ضبة لسوادهم مادة (دلم).

(٣) «الكامل للمبرد» (ص٦١) الجزء الثاني.

(٤) «تاريخ الطبري» (ص١٩٢) الجزء السادس.

ببياض بشرتها، واشتهرت نساؤها ببياض البشرة... ورد في الحديث: أنه لما خرج من مكة قال له رجل: «إن كنت تريد النساء البيض، والنوق الأُدْمَ، فعليك ببني مدلج». ويقال للمرأة التي يغلب على لونها البياض: «الحمراء»، وجاء في الحديث النبوي: «**بُعثت إلىٰ الأحمر والأسود**» أي: إلىٰ العجم والعرب، كافة.

ويقول جواد علي: «إن أجسام سكان السواحل من العرب أقصر من أجسام أبناء الجبال والنجاد، وإن أهل التهائم، والسواحل الجنوبية لجزيرة العرب أقصرُ قامة من أهل نجاد اليمن، أو أهل نجد»(١).

وبنو سلم هم تهاميون كما قدمنا، وهم بين جبال وحرار في تهامة، إن ديارهم الأصلية تقع بين مجموعة متلاصقة من الجبال والحرار، وأوديتهم عميقة تعلوها الحرار والجبال، وتضايقها، وأغلب قاماتهم تميل إلىٰ الاعتدال.. لكأنّ البيئة الجبلية رفعت قاماتهم عن ضآلة القصر، ولكأنَّ البيئة التهامية جعلت أغلبهم غير فارع الطول، ولا يمنع ذلك أن يكون فيهم القصير الدحداح، أو الطويل الفارع الطويل... ومن أمثلة طوالهم المعاصرين: حسين بن حيا -أو يحيىٰ- أحد كبار قرية مهايع؛ وهو أبيض اللون أو أحمر اللون علىٰ حد التعبير اللغوي الفصيح الذي سبق ذكره... وحسين بن حيا -أو يحيىٰ- نحيل الجسم، وذو عينين نجلاوين، براقتين، كأغلب من شاهدناهم من رجال بني سُليم المعاصرين: وأغلب من رأيناه من السليميين يميل إلىٰ الاعتدال، وهو الذي يوصف لُغويًّا بأنه «ربعة» و«مربوع». و«مربوع» صيغة لا تزال سائدة في هذا المعنىٰ لدىٰ عامة الحجازيين.. وقد نُعت رسول الله ﷺ بأنه (ربْعة).

* * *

(١) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» للدكتور جواد علي (ص٣١٤) الجزء الرابع.

أسماء بني سليم عبر التاريخ

قبيلة بني سُليم من القبائل العدنانية، التي نالت شهرة واسعة في الجاهلية والإسلام، وقد كانت مواطنها الأصلية تحميها من شن الغارات عليها، فهي «حصن حصين» دون اقتحامها.

وبنو سُليم كانوا في الجاهلية وصدر الإسلام ذوي ثروة طائلة، بما في بلادهم من «المعادن» وبما فيها من الماء الوفير والخصب، وكل هذا أكسبها كيانًا مرموقًا، وجاهًا ومكانة، وقد أكسبتهم طبيعة أرضهم الجبلية والحرية خشونة وشجاعة وصلابة، وأكسبتهم أرضهم الخصبة رقة وطموحًا وتجارة وزراعة ناجحة رابحة.

وقد هيأ لي تتبع تاريخهم ودراسته الإلمام بأنهم كانوا يُؤْثرون تسمية أبنائهم بأسماء - أغلبها مُعين، فيكثر دوران هذه الأسماء بينهم، وبعضها موغل في القدم، يرتفع إلىٰ زمن ثمود، وربما كان لمجاورة بني سُليم للثموديين بقرب مدائن صالح أثر في هذا، ولربما كانت التجارة التي يديرونها فيما بينهم وبين ثمود أثر في ذلك أيضًا، ولربما أفاد السلميون من براعة الثموديين الزراعية والتجارية والصناعية.

ومن الأسماء الثمودية (حُباب): بضم الحاء، ومعناه في اللغة: الحية... وهذا الاسم كان موجودًا في ثمود... كالحُباب بن عمرو الثمودي(١) الذي رثىٰ قومه بقصيدة عقب هلاكهم بالصيحة، ومن ذلك يبدو أنه لم يكن من بين من أهلكوا

(١) «مدائن صالح» للأستاذ محمد عبد الحميد مرداد (ص٩٢) طبع دار الطباعة الحديثة بمصر، وفي كتاب «الاشتقاق» لابن دريد (ص٣٠٨) أن الحباب (بضم الحاء): ضرب من الحيات، وقد أورد اسمي تميم وعمير ابني الحباب، وقال: أن عميرًا كان من فرسان الناس في أيام عبد الملك وأيام فتنة الشام وكان امتنع علىٰ عبد الملك بنصين وغلب عليها وعصاه.

بالصيحة، ومعنىٰ ذلك أنه كان من المؤمنين الذين أنجاهم الله من عذابه بسبب إيمانهم برسالة صالح عليه السلام.

وليس مستبعدًا أن يسمي الثموديون بعض أبنائهم بالحُباب –أي: الحية– فالحيات مؤذية وسامة وتفتك بمن يتعرض لها، وهي متوافرة في بلادهم الغزيرة المياه، الكثيرة المغاور والكهوف والأودية، وطبيعة أرض بني سُليم من هذه الناحية مماثلة لطبيعة أرض ثمود، وكان السلميون وما زال بعضهم حتىٰ اليوم يقيمون في منطقة مدائن صالح فلا بدع إذن أن يشيع اسم (الجباب) لديهم، فالجوار ذو أثر ما علىٰ المتجاورين.

واسم (الحباب) ظل شائعًا لدىٰ بني سُليم عبر الأجيال وفي مختلف الأمكنة، ويطلق علىٰ من سكنوا منهم الأندلس وإفريقية وسورية وغيرها.. وفي قرية «الكامل» بديار بني سُليم واحد منهم اسمه (حامد بن حُباب) ويشغل وظيفة رئيس هيئة الأمر بالمعروف هنالك، ومقامه بقرية (مهايع)...

ومن الأسماء الشائعة لدىٰ بني سُليم اسم: (العباس) واسم (مرداس): فهذا عباس بن أنس بن عباس بن مرداس، وهذا العباس جد محمد نقاش الفضة وهو محدث مُترجم، وهذا عباس بن الوليد بن صبح، المحدث أيضًا، وعباس بن رعل، كان أحد القادة السليميين في حرب الفجار.

والعباس: مبالغة في (عابس). ومعنىٰ (عابس): الطالح المكروه لقاؤه، وقد سمت العرب عباسًا وعابسًا[1].

---

(١) «الاشتقاق» لابن دريد (ص٤٥).

أما (مرداس) فممن سمي به: مرداس والد العباس بن مرداس، و(مرداس) والد عتبة، وغيرهما.

ومعنىٰ (مرداس) لغة: ما يُدَكُّ به من مِدَكٍّ صلب عريض، ولعل هذا المعنىٰ هو الذي جعل هذا الاسم يشيع بين السليميين لما فيه من معنىٰ الصلابة والدُّكِّ والدَّقِّ، وفي «الاشتقاق» لابن دريد أن (مرداسًا) من الردس: ضربك الحجر بحجر مثله[١].

ومن الأسماء الشائعة لدىٰ بني سليم: (قَيْس): ومن سمي به في الجاهلية: (قيس بن خزاعي) الذي أَمَّرَهُ قيصر الروم علىٰ فلسطين، وقيس بن شيبة التاجر بمكة في أواخر الجاهلية، وقيس بن نسيبة الصحابي.

وكان اسم قيس شائعًا لدىٰ العرب قبل الإسلام وبعده.

و(القَيْسُ) في اللغة: التبختر والشدة، والتبختر والشدة من الصفات المحمودة لدىٰ عرب الجاهلية، وفي «الاشتقاق» لابن دريد أن (قيسًا) مصدر قاس يقيس قيسًا[٢].

ومن الأسماء الشائعة لدىٰ بني سُليم: اسم (حكيم): وهو من (الحكمة)،

---

(١) «الاشتقاق» لابن دريد (ص٢١٩) ط مطبعة السنة المحمدية.

(٢) «الاشتقاق» (ص٢٦٥) وجاء في بحث مستل من «مجلة كلية الآداب السنوية بجامعة الرياض» المجلد الأول لسنة (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) وعنوان البحث هو «وادي ألاب» -بتخفيف اللام- جاء فيه أن اسم قيس يمكن أن نعتبره علمًا علىٰ شخص من الثموديين.

وأقول عطفًا علىٰ ذلك: إنه يشبه في تسمية الثموديين به اسم (حباب) الذي استعمله الثموديون أيضًا ولا يزال موجودًا لدىٰ بني سليم حتىٰ العصر الحاضر، هذا وإن البحث المذكور قد اشترك فيه الدكتوران منصور الحازمي وعبد الرحمن الأنصاري، تولىٰ كل منهما جانب اختصاصه فيه ونشر مستقلًّا أيضًا عن المجلة.

والعرب في جاهليتهم كانوا يتعشقون الحكمة، ويقدرون من يتصف بها في أعماله وأقواله... و(الحكمة) من الصفات الرئاسية الحميدة لديهم... ولعل هذا المغزىٰ هو الذي حبب إليهم التسمية باسم (حكيم)، وممن سمي باسم (حكيم) منهم: حكيم والد الجَحَّاف، وحكيم جد محمد بن أحمد المحدث، وحكيم بن أمية، وغيرهم.

ومن أسمائهم الشائعة أيضًا: يزيد: وهو فعل مضارع مشتق من (الزيادة) ولعل المقصود منه أن المولود الذي يسمىٰ به، يزيد الأسرة مكانة ونَماء وكفاية، وممن سمي باسم يزيد من بني سُليم: يزيدُ بن الأخنس الصحابي، ويزيد بن أسيد، ويزيد بن هارون (مولاهم) الذي كان من العلماء.

ومن الأسماء ذات الذيوع لديهم مالك: ومالك مشتق من الملك -بكسر الميم- وهو فأل حسن للمسمىٰ به أن يكون ذا مِلْكٍ، وممن سُمِّيَ به منهم: مالك والد معاوية الشاعر الجاهلي، ومالك ذو التاج، ومالك بن عمير، ومالك بن أمية بن عمرو الصحابي، ومالك بن الحارث التابعي المحدث الثقة.

ومن الأسماء الشائعة عندهم: معاوية. ومعاوية صيغة من معانيها: الكلبة وجرو الثعلب.

وقال ابن دريد في «الاشتقاق»: «واشتقاق معاوية من قولهم: تعاوىٰ القوم، إذا تداعوا إلىٰ حرب وغيرها، واستعوىٰ بنو فلان بني فلان: إذا استنصروهم، واستعوىٰ الرجل إذا بات القفر، واستعوىٰ الكلاب، ليُسمع نُباحها، فيُعلم أنه قريب من ماء أو حلة»(١).

---

(١) «الاشتقاق» (٧٥).

واسم معاوية علىٰ أية حال متفق مع فلسفة العرب في جاهليتهم حيال وضع أسماء أبنائهم، فهو اسم خشن يدل علىٰ التهاوش والتعارك والمناوشة، ومعاوية اسم قديم لدىٰ العرب. وممن سمي به سُليم: معاوية بن مالك الشاعر الجاهلي، ومعاوية بن عمرو أخو خنساء الشاعرة المخضرمة، ومعاوية بن قرة.

ومن أسمائهم: (سفيان): وأصله من (السَّفَىٰ). ومن معاني السفىٰ: كل شجر له شوك، وواحدته: «سَفَاة»..

ويقول ابن دريد: إنه «مشتق من «السافي» وهو ما سفته الريح من تراب وغيره»(١).

واسم سفيان علىٰ هذا التفسير يطابق فلسفة العرب التقليدية في جاهليتهم إزاء وضع أسماء أبنائهم، فهو تفاؤل بأنه سيسفي الرياح علىٰ جثث أعدائه بأن يرديهم، أو أنه سيصير شجرًا شائكًا بالنسبة لهم، وممن سمي منهم باسم (سفيان): والد الضحاك الصحابي... فهو الضحاك بن سفيان السلمي.

ومن أسمائهم: «عمرو»: والعَمْرُ: بفتح العين وسكون الميم-: الشجر الطوال، والحياة، والأشجار الطوال فأل حسن في التسمية باسمها- بأن تطول قامة المسمىٰ بالاسم.. (وإنَّ أعزاء الرجال طوالها)، وفأل حسن أيضًا بطول العمر... لأن العَمر من معانيه: الحياة.

وممن سمي باسم «عمرو» منهم: عمرو بن عبَسة الصحابي الجليل ذو السابقة في الإسلام، إذ لقد كان رابع المسلمين.. وعمرو بن الشريد، وعمرو بن عبد العزىٰ

---

(١) «الاشتقاق» (ص١٦١).

(أبو شجرة السلمي)، وأحمد بن عمرو (أخو أشجع السلمي) وكان شاعرًا مثل أخيه.

ويدخل تحت ضِبْنِ اسم عمرو: عُمَرُ، وعمارٌ، وعُمَير، وعامِر، وعمران... فاشتقاقها كلها من (العمر).

ومن أسمائهم الذائعة: (مَعْن): والمَعْنُ: الطويل والقصير، والقليلُ والكثير. وهذا التناقض والتضاد في معاني (المَعْنِ) جعل لها مكانة خاصة في مفاهيم العرب. فمعن: طويل النجاد، ومعن: ماء فياض كثير زلازل ومنه (المعين) للماء. ومَعْنٌ: قصير بالنسبة لذويه وقليل بالنسبة لهم أيضًا ولكنه طويل وكثير بالنسبة لأعدائهم، وقد راق للعرب التسمية باسم (معن) لما تحتويه الصيغة من معانٍ طيبة من أهمها: الماء الفياض. والماء عماد الحياة؛ وإذن سيكون من يسمىٰ بمعن عمادًا للحياة في القبيلة جوادًا فياضًا بالمكارم، وممن سمي من بني سُليم بمعن: مَعْنُ بن أبي عاصية، ومعن بن يزيد الصحابي وغيرهما.

ومن الأسماء الشائعة لديهم: (الضحَّاك): ومن معاني (الضَّحاك): كثير الضحك... ولربما كان من الأسباب المغرية علىٰ التسمية بهذا الاسم ذيوع شأن الضحاك الذي يزعمون (أنه ملك الأرض، وكانت أمه جنية) وإعجابهم بشأنه... فيتفاءلون لأبنائهم المسمَّيْنَ باسمه أن يحكموا ويسود نفوذهم بشكل من الأشكال، وبقدر من الأقدار.

ومن سمي منهم باسم (الضحاك): الضحاك بن عبد الله، والضحاك بن سفيان الصحابي.

ومن الأسماء الشائعة لديهم اسم (حبيب): وإنك لتجد في هذا الكتاب عدة

رجال من بني سليم سموا بهذا الاسم، في الجاهلية وفي الإسلام.

و(حبيب) مشتق من (الحُبِّ) بضم الحاء... ويتفاءل بالتسمية به أن يكون المسمىٰ به (حبيبًا) إلىٰ الناس.

وقد وجد الدكتور منصور الحازمي في النقوش المنقورة في جبال (ألابٍ) بفتح الهمزة واللام وتخفيفها وبعدها ألف فباء تحتية موحدة - وَجَد في رحلته إلىٰ موطن قبيلته بين المدينة ورابغ، نقشًا منحوتًا هناك بالخط الثمودي، كما فسره الدكتور عبد الرحمن الأنصاري المتخصص في علم الآثار، وقد قرأه هذا، فإذا هو (حبيبة) وقال عنه: إنه (علم علىٰ شخص، وهو اسم شائع بين الساميين، تذكيرًا وتأنيثًا، فقد وجد الاسم علىٰ صيغة التذكير: (حبيب) لدىٰ السبئيين، والنِّبطيين والعبرانيين والتدمريين، والصفويين، والثموديين، وقد استعمل هذا الاسم بكثرة بعد الإسلام، وعزا هذا القول إلىٰ «جمهرة الأنساب» لابن حزم(١).

هذا؛ ويحسن ألا يعزب عن البال أن جميع الأسماء المتقدمة ليست خاصة بقبيلة بني سُليم، بل يشاركهم فيها العرب، وإنما ذكرتها في معرض أسمائهم، لشيوعها لديهم في الجاهلية وبعد الإسلام.

* * *

(١) البحث المستل من مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض، المجلد الأول لعام (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م)، والبحث مطبوع طبعًا مستقلًّا تحت عنوان «وادي ألاب» (ص١١٦) طبع مطابع الجزيرة بالرياض.

سليم وديارهم في الشعر العربي

حفلت قصائد الشعر العربي بذكر سُليم وذكر ديارهم، سواء أكان ذلك في الجاهلية أم في الإسلام.

ومن روائع الشعر العربي الذي ذُكروا فيه أو ذكرت ديارهم فيه تلك القصيدة الهمزية التي أوردها لنا الحسن الهمداني عن أبي الحسن الخزاعي.

وقد حَدَث -علىٰ روايته- قحط شديد عام شامل أصاب بلاد العرب قاطبة، شرقها وغربها وجنوبها وشمالها، فجأَرَ العرب بدعاء الله تعالىٰ وقدموا شعراء ثلاثة لهم ليقوموا بهذا الدعاء شعرًا طلبًا للاستسقاء، وهم الخزازة العامري النجدي، الذي نظم قصيدته الهمزية التي صارت أنموذجًا يحتذىٰ في وزنه وقافيته ومعانيه بالنسبة لشاعرَي الحجاز وتهامة اللذين هما: العجلاني وأبو الحياش الحجري، وإذا صحت نسبة القصائد الثلاث لهم فتكون من الشعر «الجغرافي» النادر لبلاد العرب في جاهليتهم... ومحل الشاهد في قصيدة الخزازة العامري هو قوله متفائلًا أو مذكرًا بنعم الله:

رَوِيَت حرتَا سُليم وسالت ... شُعَبُ المعدنين فالأحفاءُ

وحينما اشتهرت قصيدة الخزازة وتناقلتها ألسنة الرواة في كل مكان من بلاد العرب قام أهل تهامة فطلبوا من شاعرهم (أبي الحياش الحجري) أن ينظم علىٰ غرارها في طلب السقي من الله جل وعز، ففعل.

وقد استعرض الحجري التهامي في قصيدته الهمزية أزمة الأمطار في جزيرة العرب تمامًا كما فعل الخزازة، ولكن في ديار تهامة، وقد طلَب رحمة الله وسقياه

لهم.. علىٰ غرار الخزازة أيضًا، وقد استهل قصيدته الهمزية أيضًا بقوله:

رَبِّ ما خاب من دعاك ولا يُحـ ـجَبُ يا ذا الجلال عنك الدعاءُ

ووصف الأزمة الشاملة المتمثلة في توقف الأمطار عامة عن النزول علىٰ بلاد العرب بقوله:

إنّ هانا لأزمة عمت النا س ومسّتهم لها بأساءُ

وعلىٰ نمط الخزازة في استجلاب رحمة الله ودفع غضبه وسخطه عنهم قال في حرارة:

فَلَكَمْ ثم كم سقيْت لنا الأر ض غيوثًا أتت بها الأنواء

وحينما شاع أمر القصيدتين وذاع في أطراف الجزيرة تقدم أهل الحجاز أيضًا إلىٰ شاعرهم (العجلاني) فطلبوا منه أن ينظم قصيدة استسقائية لهم يدعو الله فيها لبلادهم بإنزال الغيث المغيث عليها، فقال علىٰ غرار زميليه السابقين:

رَبِّ إياك نحن ندعو ونرجو ولنا أنت ذا الجلال الرجاءُ
فاستجبْ ربنا فإنك لا يُحـ ـجَبُ للسائلين عنك الدعاءُ
اسقنا الغيث كي يفارقنا المَحْـ ـلُ له والسُّنيهةُ اللأواء

ويستعرض العجلاني الشاعر في قصيدته أمكنة الحجاز المصابة بالظمأ الكارب والتي كانت منحت غيثًا غدقًا شاملًا مكانًا مكانًا حتىٰ يقول:

طبّقَ الضاحيات من أمَجَ الريُّ وأحيت قُديدها الفيحاءُ
فالكُليَّات فالستارة فالجحفة فالقدس علَّ فالأبواءُ

وأمجّ هو وادي ساية... وواديا ساية والستارة هما من أودية العرب المشهورة في ديار بني سُليم قديمًا وحديثًا.

والقصائد الثلاث طوال، واضحة المعاني، سلسلة المباني، وهن من بحر الخفيف وقافيتهن الهمزة، وأسلوبهن من السهل الممتع، ولولا أن ثمة ما هو مماثل لهن في السلاسة والسهولة من الشعر العربي الثابت -إلا وهو معلقة الحارث بن حِلِّزَّة اليشكري- لجزمنا جزمًا باتًّا بأنهن من الشعر المنحول.... يقول الحارث في معلقته:

وأتانــا مــن الحــوادث والأنبــا ... ءِ خطــبٌ نُعنــىٰ بــه ونُســاءُ
أنّ إخواننـــا الأراقـــم يغلـــو ... نَ علينـــا في قِـــيلهم إحفـــاءُ
يخلطـون البـريء منا بـذي الـذْ ... ذَنـب ولا ينفـع الخلـيّ الخـلاءُ
زعمـوا أنَّ كـل مـن ضـرب العيـ ... رَ مُـــوالٍ لنـــا وأنـــا الـــولاءُ
أجمعـــوا أمـــرهم عِشـــاءً فلمـــا ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
مِـن منـادٍ ومـن مجيـب ومـن ... تَصـهالِ خيـل خـلال ذاك رُغـاءُ

ولسنا نجزم بأن القصائد الثلاث لم يدخلها شيء من الشعر الإسلامي، ولكن إقرار الهمداني بها، وتدوينه لها ولناظميها وتزكيته لراويها (أبي الحسن الخزاعي) ثم سَوْقه لها(١) واحدة بعد أخرىٰ علىٰ طولها، مع أنه رجل مطلع واسع الاطلاع ونقَّادة عميق النقد، كل ذلك يجعل في أيدينا دليلًا مقبولًا علىٰ صحتها، وما ورد فيها من تكرار الألفاظ والمعاني، ولزوم الوزن الواحد والقافية الواحدة لا يطعن في صحتها، لأننا نجد من أمثال كل ذلك في الشعر العربي الجاهلي، الشيء الكثير.

وأهمية القصائد الثلاث -إذا ثبتت جاهليتها- أنها استعرضت أمكنة شبه جزيرة العرب بالتتبع والاستقصاء، وقد سجلتها في خفة وزن، وجمال، وانسجام.

---

(١) ساق الهمداني ثلاث القصائد في كتابة «صفة جزيرة العرب».

علىٰ أن وجود معلقة الحارث بن حلزة اليشكري المتوفىٰ نحو (٥٠ ق هـ - ٥٧٠م)[١] ومماثلة هذه القصائد الثلاث لها في الوزن والقافية وسهولة الألفاظ، ووضوح المعاني، وتعداد الأمكنة - هو مما يُقوي مركز تلك القصائد ويدعمه.

وكما قلنا في مستهل هذا الفصل: فإن الشعر العربي الجاهلي حافل بذكر سُليم ديارهم، لما لهما من مكانة بين القبائل العربية وبين ديارهم.

ومن أمثلة ذلك -وهي كُثُرٌ مشحونة بها المراجع-: قول أبي قيس بن الأسلت من قصيدة ينهىٰ فيها غطفان عن مناجزة الخزرج:

وإن تابوا فإن بني سُليم ... وإخوتهم هوازن قد أنابوا

والشعر العربي إنما تتفجر أنهاره من ينابيع انفعالات الشاعر وعواطفه، فإن كان راضيًا مبتهجًا جاء شعره خميلة مدح بهيجة نضرة فواحة بالأزاهير، وإن كان الأمر بالعكس كانت نارًا تحرق، وموجًا عارمًا يُغْرِق.

ومن أمثلة ذلك: أنه في حالة رضا حسان بن ثابت عن أحد بني سُليم وهو (صالح بن علاط السلمي) مدحه مدحًا مُصَفًّىٰ جميلًا، ومدح معه قومه بني سليم مدحًا رائعًا عطرًا قال:

رُبَّ لهوِ شهدته أمّ عَمْرو ... بينَ بيض نواعِم في الرباطِ

مع ندامىٰ بيض الوجوهِ كرام ... نبهوا بعد خفقةِ الأشراطِ

إلىٰ أن يقول:

فاحتواها فَتًى يُهينُ لها الما ... لَ ونادمت صالح بن علاط

---

(١) «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (ص١٥٥) الجزء الثاني، الطبعة الثالثة بمصر.

وحينما تجهم جَوُّه النفسي حيالهم، وعلاه ضباب التألم منهم لأمر ما عكس الآية فهجاهم بقوله:

لقد غضبت جهلًا سُليمٌ سفاهة وطاشت بأحلام كثير عثورها

إلىٰ آخر الأبيات.. التي تدل، هي ونقائضها الصادرة منه -علىٰ أن الشاعر يسير وراء انفعالاته وعواطفه، فتقوده إلىٰ حيث تشاء، فشعره رياض غناء إذا كان راضيًا، أو صحاري جرداء ملتهبة إذا كان ساخطًا، ولله في خلقه شؤون.

❋ ❋ ❋

أيام بني سُليم في الجاهلية والإسلام

كل من كان ذا نباهة وشأن من قبائل العرب في جاهليتهم، لابد أن يكون مستعدًّا لخوض غمار الحروب التي تُشَنُّ من بعض العرب علىٰ بعض، ولو كانوا ذوي قربىٰ أو جوار، وذلك إما لمطمع في نهب يُنهب، أو لأخذ ثأر، أو لإثبات مكانة يراد لها أن تهان في نظر الثائر أو المغير.

تلك كانت طبيعة أوضاع العرب إبان الجاهلية.

ومن ثم لابد أيضًا من قصائد تُنظم، وأبيات تُقال، إما لوصف ما حدث، أو للتنفيس، أو للتحميس أو التفخيم أو التقليل. وقد تتلىٰ القصائد في المجامع، ويتناقلها الرواة، وتسير بها الركبان شرقًا ومغربًا.

ولابد من أيام نصر، ولابد من أيام هزائم، والأمر كما وصف أحدهم:

فيــوم علينــا ويــوم لنــا ويــوم نُســاء ويــوم نُسَــرّ

وبنو سُليم في مركز القوة من عرب الجاهلية، ولديهم ثراء واسع، ومجد باذخ، وكثرة في النفوس كاثرة، فلابد أن يلاقوا من الغارات الهجومية والدفاعية ما يلاقيه أضرابهم من حرب الجاهلية.

وهكذا كانت لهم «أيام» نقلها الرواة إلىٰ المؤرخين، ودونها هؤلاء عنهم.

ومن أيامهم:

يومهم مع جيش النعمان بن المنذر:

كان هذا اليوم من أبرز أيامهم، وهو يوم دفاعيٌّ محض، بالنسبة لبني سُليم،

اجتمع فيه عليهم جيشان: جيش النعمان بن المنذر، وجيش غطفان، فهزموا الجيشين معًا، وتفصيل ذلك أن النعمان وَجِد علىٰ بني سليم في أمور، فأراد أن يخضد شوكتهم، فبعث لهم جيشًا لتأديبهم.. ومر هذا الجيش بإيعاز منه علىٰ غطفان، جيران بني سليم، فطلب منهم جيش النعمان أن ينضموا إليه في غزو بني سليم، فقبلوا مزاملتهم لهم في هذه الحرب الهجومية.

ووقعت المعركة الحاسمة بين الجانبين، فانتصرت بنو سليم انتصارًا مؤزرًا، وأسرت عمرو بن فَرتَنىٰ مقدم جيش النعمان بن المنذر.

فبعثت غطفان إلىٰ بني سُليم يطلبون منهم إطلاق سراح الأسير الكبير، وناشدوهم بالرحم التي بينهم إلا ما أطلقوا سراحه، فلم تستجب سُليم لهذه المناشدة، وأجابت غطفان: بأنهم لم يراعوا هذه الرحم، كما لم يراعوا الجوار والصداقة التي هي بينهم، حينما أعانوا عليهم جيش النعمان بن المنذر القادم للتنكيل بهم، وسَبْي نسائهم وذراريهم، وقتل رجالهم، وأبطالهم، وإهانة حرماتهم، وإذلالهم وإرغامهم، وإذن فلا صداقة بينهم ولا قرابة(١).

وقد قال في هذا المعنىٰ أبو عامر جد العباس بن مرداس أبياتًا هي:

لا نســـب اليـــوم ولا خلـــة	اتســع الفتــق علــىٰ الراتــق
لا صــلح بينــي فــاعلموه ولا	بيــنكم مــا حملــت عــاتقي
ســيفي ومــا كنــا بنجــد ومــا	فرفــر قمــر الــواد بالشــاهق

(١) «العمدة» لابن رشيق (ص٢١٧) الجزء الثاني، طبع مطبعة السعادة بمصر، وديوان العباس بن مرداس.

يوم ذات الرمرم:

وهذا يوم آخر من أيام بني سُليم، وكان يومًا أسود عليهم؛ لقد انتصرت فيه عليهم بنو مازن، والحرب سجال.

يوم تثليث:

كانت سليم غزت مع زعيمها العباس بن مرداس، مُرادًا، فجمع لهم عمرو بن معديكرب، فالتقىٰ الجمعان بتثليث، فصبر الفريقان، ثم وقفت رحا الحرب بينهما، علىٰ قاعدة: لا نصر ولا انكسار. وفي ذلك اليوم صنع العباس بن مرداس قصيدته السينية إحدىٰ القصائد «المُنصِفَات»[(١)] ومطلعها:

لأسـماء رسـم أصـبح اليـوم دارسًـا   وأقفـر منهـا رحرحـان فراكسـا

يوم بني نصر:

أغارت بنو نصر بن معاوية علىٰ ناحية من أرض بني سُليم، فنهض لمقاومتهم العباسُ بن مرداس، في جمع من قومه، وقابلهم، فأكثر فيهم القتل، وكان النصر في هذا اليوم حليفًا لبني سليم.

حرب الفِجَار:

بعث النعمان بن المنذر بلطيمة له، إلىٰ سوق عكاظ، للتجارة، وأجارها له الرَّحالُ عروة بن عتبة بن جابر بن كلاب، فنزلوا علىٰ ماء يقال له «أوارة»، فوثب

---

(١) «العمدة» لابن رشيق (ص٢١٧) الجزء الثاني، طبع مصر. وسنأتي بشيء من هذه القصيدة في فصل: «شعراء من بني سليم». وتثليث: موضع ببلاد بني عقيل، ولبني تميم منازل بها كما يبدو من سياق كلام البكري في (معجم ما استعجم)، كما أن لبني عبد الله بن غطفان بتثليث منازل، وهي علىٰ يومين من جرش في شرقيها إلىٰ الجنوب وعلىٰ ثلاث مراحل من نجران إلىٰ ناحية الشمال، وتدل قصة الموقعة التي حدثت فيها علىٰ أنها لبني زبيد.

البراض بن قيس أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة -وكان خليعًا- علىٰ عروة، فقتله، وهرب إلىٰ خيبر، فاستخفىٰ بها، ولقي بِشرَ بن أبي خازم الأسديَّ الشاعر، فأخبره الخبر، وأمره أن يُعلم بذلك عبد الله بن جُدعان، وهشام بن المغيرة، وحرب بن أمية، ونوفل بن معاوية الديلي، وبلعاء بن قيس.

فوافىٰ «بشر» عكاظًا، فأخبرهم، فخرجوا موائلين منكشفين إلىٰ الحرم، وبلغ قيسًا الخبر آخر ذلك اليوم، فخرجوا في آثارهم فأدركوهم قد دخلوا الحرم، وتواعدوا مثل هذه الليالي من العام القابل.

ومكثت قريش ومن معها من القبائل والأحلاف سنة يتأهبون لهذه الحرب، وتأهبت لها قيس عيلان، ثم حضروا من قابل، ومعهم رؤساء قريش وقادتهم من جانب، ورؤساء قيس وقادتها من الجانب الآخر، وكان من هؤلاء: عباس بن رِعْل السُّلمي، وكانت راية قيس إلىٰ أبي براء عامر بن مالك بن جعفر، فسوىٰ صفوفهم، فالتقوا، فكانت الدَّبرةُ أول النهار لقيس علىٰ قريش وكنانة، ومن ضوىٰ إليهم، ثم صارت الدَّبرةُ آخر النهار لقريش وكنانة علىٰ قيس؛ فقتلوهم قتلًا ذريعًا، ثم تنادوا بالصلح، وتصالحوا، ووضعت الحرب أوزارها، وعدوا القتلىٰ، ووَدَت قريش قتلىٰ قيس، فضلًا عن قتلاهم، وانصرفت قريش وقيس.

وقد حضر الرسول ﷺ هذه المعركة، وذكر الفجار فقال: «**قد حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم، وما أحبُّ أني لم أكن فعلت**». وكان يوم حضر ابنَ عشرين سنة[(١)].

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص١٢٦ و١٢٧ و١٢٨) طبع بيروت.

يوم عكاظ:

هو يوم من أيام الجاهلية، اخترتبت فيه كنانة وقريش، مع قيس التي منها بنو سليم... وذلك في اليوم الرابع من أيام عكاظ، وحمل عبد الله بن جدعان يومئذٍ ألف رجل من بني كنانة، علىٰ ألف بعير، وخشيت قريش أن يجري عليها ما جرىٰ يوم العبلاء... فقيَّد حرب، وسفيان، وأبو سفيان: بنو أمية بن عبد شمس، أنفسهم، وقالوا: لا نبرح حتىٰ نموت مكاننا، أو نظفر.

وكان علىٰ بني هاشم: الزبير بن عبد المطلب، ومعه رسول الله ﷺ، وأعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وعلىٰ بني أمية وأحلافها: حرب بن أمية، وعلىٰ بني عبد الدار: عكرمة بن هاشم. وعلىٰ بني أسد: خويلد بن أسد. وعلىٰ بني مخزوم: هشام بن المغيرة (والد أبي جهل). وعلىٰ بني تيم: عبد الله بن جدعان. وعلىٰ بني جُمح: معمر بن خبيب. وعلىٰ بني سهم: العاص بن وائل. وعلىٰ بني عدي: زيد بن عمرو. وعلىٰ بني عامر بن لؤي: عمرو بن عبد شمس (والد سهيل بن عمرو). وعلىٰ بني فهر: عبد الله بن الجراح (والد أبي عبيدة). وعلىٰ بني بكر بن عبد مناة: بلعاء بن قيس. وعلىٰ بني أسد بشر بن أبي خازم. وعلىٰ بني فراس بن غنم: عمير بن قيس.

ودخل القوم في معركة حامية الوطيس. وانهزمت قيس هزيمة ساحقة، ومعهم بنو سليم، وقيل -كالعادة- في هذا اليوم شعر يصف المعركة. ومنه قول ضرار بن الخطاب الفهري:

ألــم تســل النــاس عــن شــأننا ... ولــم يثبــت الأمــر كالخــابر
غــداة عكــاظ إذا اســتكملت ... هــوازن في كفهــا الحاضــر
وجــاءت ســليم تهــز القنــا ... علــىٰ كــل ســلهبة ضــامر

وجئنــا إلــيهم علــىٰ المضــمرات	بـــأرعن ذي لجـــب زاخـــر
فلمــــا التقينـــا أذقنـــاهمُ	طعانًــا بسَــمُر القنــا الغــائر
ففــرت ســليم ولــم يصــبروا	وطــارت شــعاعًا بنــو عــامر
وفــرت ثقيــف إلــىٰ لاتهــا	بمنقلــب الخائــب الخاســر
وقاتلــت «العَــنْسُ» شــطر النهــا	ر ثــم تولــت مــع الصــادر(١)

يوما حوزة: الأول والثاني:

وهو لسُليم علىٰ غطفان... وباعثه أنه كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد، وهاشم بن حرملة أحد بني مرة بن غطفان، كلام في عكاظ، فقال معاوية: لوددتُ والله أني قد سمعت بظعائن ينْدُبنك، فقال هاشم: والله لوددتُ أني قد تَرَّبْتُ الرطبة، وهي جمة معاوية، وكانت الدهر تنطف ماء ودهنًا، وإن لم تدهن -فلما كان بعد، تهيأ معاوية ليغزو هاشمًا، فنهاه أخوه صَخْرٌ. فقال: كأني بك إن غزوتهم علق بجمتك حَسَك العرفط: (شجر من العضاه) فأبىٰ معاوية وغزاهم يوم حوزة.

فرآه هاشم قبل أن يراه معاوية، وكان هاشم ناقِهًا من مرض أصابه، فقال لأخيه دريد بن حرملة: إن هذا إن رآني لم آمن أن يشدّ عليّ، وأنا حديث عهد بِشِيكَةٍ، فاستطرد له دوني حتىٰ تجعله بيني وبينك، ففعل، فحمل عليه معاوية وأردفه هاشم. فاختلفا طعنتين، فأردىٰ معاوية هاشمًا عن فرسه «الشماء»، وأنفذ هاشم سنانه من عانة معاوية. وكر عليه دريد فظنه قد أردىٰ هاشمًا، فضرب معاوية بالسيف فقتله، وشدَّ خفاف بن عمير علىٰ مالك بن حارث (حمار الفزاري)، وعادت فرس هاشم حتىٰ دخلت في جيش بني سليم، فأخذوها، وظنوها فرس الفزاري الذي قتله خُفاف،

(١) «أيام العرب في الجاهلية» لمحمد أحمد جاد المولىٰ وزميليه (ص٣٣٤ – ٣٣٦) طبع مصر.

ورجع الجيش حتىٰ دنوا من صخر أخي معاوية. فقالوا: أنعم صباحًا، فقال: حُييتم بذلك، ما صنع معاوية؟ قالوا: قُتل: فما هذه الفرس؟ قالوا: قتلنا صاحبها. قال: إذن أدركتم ثأركم، هذه فرس هاشم بن حرملة.

هذا وفي «معجم ما استعجم» للبكري أن (حوزة) هي (حورة) بالراء المهملة سواء في ذلك يوم حوزة الأول أم الثاني التالي: (مادة حورة) وقيل: إنها (الجورة) أيضًا.

ولمقتل معاوية أزمع صخر أخوه أن ينتقم، وأن يثأر لأخيه القتيل من قاتليه، فأغار عليهم في يوم حوزة الثاني، وتمكن من قتل دُريد بن حرملة أخي هاشم بن حرملة رئيس بني مرة، ثم قَتل رجل من بني جشم هو عمرو بن قيس الجشمي هاشمَ بن حرملة، فاستراحت بذلك بنو سُليم، وسُرت الخنساء، بمقتل المري، ولها شعر كثير في ديوانها ترثي به أخويها: معاوية وصخرًا، ولها أبيات ميمية قدرت فيها بسالة الفارس الجشمي قاتل هاشم بن حرملة.

هذا، وقد علل كتاب «أيام العرب في الجاهلية» غزو معاوية لبني مرة بأنه عشق امرأة أحدهم: هاشم بن حرملة -فامتنعت. وأخبرت زوجها، بذلك. وقال: إن اسم هذه المرأة هو «أسماء» المرية. وكان لقاؤه لها في سوق عكاظ، في موسم من مواسم العرب. وقد أضافت إلىٰ امتناعها منه أن قالت له: (أما علمتَ أني عند سيد العرب: هاشم بن حرملة؟) فأحفظه ذلك، فقال: (أما والله لأقارعنه عنك!) قالت: (شأنك وشأنه) ورجعت إلىٰ هاشم فحدثته بما قال معاوية، وما قالت له. فقال هاشم: (فلعمري لا نريم أبياتنا حتىٰ ننظر ما يكون من جهده). ثم التقيا، فقال معاوية: (لوددت والله أني قد سمعت بظعائن ينْدُبْنَك). فرد عليه هاشم بما أحفظه.

فلما انصرم الشهر الحرام وتراجع الناس عن عكاظ، خرج معاوية غازيًا في فرسان قومه من بني سُليم، يريد هاشم بن حرملة في قومه من بني مرة وفزارة، ومرةُ وفزارة في ذبيان، فنهاه أخوه صخر، وقال له: كأني بك إن غزوتهم علِق بك حسَك العرفط، فأبىٰ معاوية أن يتراجع، وسار بقومه إلىٰ حوزة، وقد قيلت في ذلك أشعار أهمها وأشهرها قصائد الخنساء في رثاء أخيها القتيل علىٰ ما سبقت إليه الإشارة[1].

و(حوزة) علىٰ ما في «معجم البلدان» لياقوت كأنه مصدر حاز يحوز حوزة واحدة: واد بالحجاز كانت عنده هذه الوقعة، وقد مر بنا أن البكري جعلها (حورة) بالراء.

يوم ذات الأثل:

بعد يوم حوزة الثاني غزا صخر بن عمرو بن الشريد، بني أسد بن خزيمة، واكتسح إبلهم، فأتىٰ الصريخ بني أسد، فركبوا حتىٰ تلاحقوا بذات الأثل - في بلاد تيم الله بن ثعلبة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وطعن ربيعة بن ثور الأسدي، صخرًا في جنبه، وفات القوم بالغنيمة، وجرىٰ «دم» صخر من الطعنة، فمرض قريبًا من الحول، حتىٰ مَلَّه أهله، فلما طال عليه البلاء، وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع الطعنة، قالوا له: لو قطعْتها لرجونا أن تبرأ. فقال: شأنكم. فقطعوها، فمات، فرثته أخته الخنساء، رثاءً حارًّا صادرًا من أعماق قلبها، كما رثت من قبله أخاها معاوية الذي قتل قبله في حرب كان هو مُشعل نارها.

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه الجزء الخامس (ص١٦٣ و١٦٤) طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر، وكتاب «أيام العرب في الجاهلية» تأليف محمد أحمد جاد المولىٰ بك، وعلي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم (ص٢٨٣ – ٢٩٢) طبع في بمصر.

يوم عَدْنِيَّة:

وهو يوم ملحان، وكان قبل يوم ذات الأثل، فيما قاله أبو عبيدة.

وذلك أن صخرًا غزا بقومه، وترك الحي خِلْوًا، فأثارت عليهم غطفان، فشارت إليهم غلمانهم، ومن كان تخلَّف منهم، فقتل من غطفان نفر، وانهزم الباقون. فقال في ذلك صخر:

جــزىٰ الله خيــرًا قومنــا إذ دعــاهم ... بِعَدْنِيَّـة الحــيُّ الخُلُـوف المُصــبَّحُ
وغلماننـــا كـــانوا أســـود خفيـــة ... وحَــقَّ علينــا أن يُثَــابوا ويمــدحوا
هـــم نَفَّـــروا أقـــرانهم بمُضَـــرَّسٍ ... وسَعْر وذادوا الجيش حتىٰ تزحزحُوا
كــــأنهمُ إذ يُطْــــرَدون عشـــــية ... بِقنَّــةِ مِلْحَــانٍ نعــام مــروَّح(١)

ومِلْحَان الذي تُنسب إليه هذه المعركة هو جبل في ديار بني سُليم.

يوم الكَدِيد:

وقع نزاع بين نفر من سليم ونفر من بني فراس بن مالك بن كنانة، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم، ثم إنهم ودَوْهما -أعطوا ديتهما- ثم ضرب الدهر ضربته، فخرج نبيشة بن حبيب السلمي، غازيًا، فلقي ظُعُنًا -نساءً في الهوادج- من بني كنانة، بالكديد، ومعهنَّ قوْمُهنَّ من بني فراس، وفيهم عبد الله بن جِذْل الطَّعَّان، والحارث بن مكدم. فلما رآهم الحارث قال: هؤلاء بنو سليم، يطلبون دماءهم. فقال

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (ص١٦٦ و١٦٧) المجلد الخامس، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر.
وفي «العقد الفريد» هذا ما نصه: «وسعر وذو الجيش حتىٰ تزحزحوا»... وقد وضعنا (وذادوا) بدلًا من (ذو) لاقتضاء القافية وسياق الكلام لهذا التعديل.

أخوه ربيعة: أنا أذهب حتىٰ أعلم علم القوم، فآتيكم بخبرهم. وتوجه نحوهم. فلما ولّىٰ قال بعض الظُّعنِ: هرب ربيعة. فقالت أخته عزة بنت المكدم: أين ترة -نفرة- الفتىٰ؟ فعطف -وقد سمع قول النساء- فقال:

لقد عَلِمْنَ أنني غير فَرِقْ لأطْعَنَنَّ طعنةً وأعتنقْ
أُصْبِحُهُمْ صاح بمحمر الحدقْ عضْبًا حُسامًا وسِنانًا يأتلِقْ

ثم انطلق يعدو به فرسه، فحمل عليه بعض القوم، فاستطرد -تقهقهر- له، في طريق الظُّعنِ، وانفرد به رجل من القوم، فقتله وتبعه، ثم رماه نبيشة أو طعنه، فلحق بالظُّعُنِ يستدمي حتىٰ انتهىٰ إلىٰ أمه أم سنان[1] فقال: اجعلي علىٰ يدي عصابة، وهو يرتجز:

شُدِّي عليّ العَصْبَ أم سيارْ[2] فقد رُزيتِ فارسًا كالدينارْ
يطعن الرمح أمام الأدبار

فقالت أمه:

إنَّا بنو ثعلبة بن مالكْ مرور أخبار لنا كذلكْ
من بين مقتول وبين هالكْ ولا يكون الرزء إلا ذلكْ

وشَدَّتْ عليه عصابة، فاستسقاها ماءًا، فقالت: إن شربتَ الماء مُتَّ. فكَرَّ راجعًا، يشتد علىٰ القوم، وينزفه الدم حتىٰ أثخن، فقال الظُّعُن: أوْضِعْنَ ركابكنَّ -أي

(١) هكذا ورد اسمهافي بعض المراجع، ولكننا نرىٰ ابنها يكتبها بـ(أم سيار).. فلا بد أن غلطًا لسخيًّا أو مطبعيًّا قد حرف اسمها من (أم سيار٩ إلىٰ (أم ستان). هذا إذا لم يكن لها ابن آخر اسمه (سنان) تكنىٰ به أيضًا.
(٢) هكذا ورد اسمها في بعض المراجع، ولكننا نرىٰ ابنها يكتبها بـ(أم سيار).. فلابد أن غلطًا نسخيًّا أو مطبعيًّا قد حرف اسمها من (أم سيار) إلىٰ (أم سنان). هذا إذا لم يكن لها ابن آخر اسمه (سنان) تكنىٰ به أيضًا.

اجثن ركابكن علىٰ السير السريع- حتىٰ ينتهين إلىٰ أدنىٰ البيوت من الحيّ، فإني لما بي سوف أقف دونكنَّ لهم علىٰ العقبة، فأعتمدُ علىٰ رمحي، فلا يقدمون عليكن، لمكاني.. ففعلن ذلك... وهكذا حمىٰ ربيعة بن مكدم، الأظعان حيًّا وميتًا، ولم يفعل ذلك غيره فيما قاله عمرو بن العلاء، وإنه يومئذٍ غلام له ذؤابة، وقد اعتمد علىٰ رمحه -كما قال- وهو واقف لهُنَّ علىٰ متن فرسه، حتىٰ بلغن مأمنهن، وما يقدم القوم عليه.

ورآه نبشة بن حبيب، وهو علىٰ وضعه ذلك فلاحظ أنه مائل العنق، فأبدىٰ ملاحظته هذه الذكية، وعطف عليها بقوله: (وما أظنه إلا قد مات).. وأمر رجلًا من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه، فرماها، فقمصت -رفعت يديها، وطرحتهما معًا- فمال عنها ميتًا.

ثم لحق بنو سليم الحارث بن مكدم، فقتلوه، وألقوا علىٰ أخيه ربيعة أحجارًا، فمر به رجل من بني الحارث بن فهر، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أُهيلت علىٰ ربيعة، فقال يرثيه، ويعتذر أن لا يكون عقر ناقته علىٰ قبره، وحضَّ علىٰ قَتَلتِه، وعَيَّر من فر، وأسلمه من قومه:

مرت(١) قلوصِيَ من حجارة حَرَّةٍ ... بُنِيَت علىٰ طَلْق اليدين وهُوبِ
لا تنفري يا ناق منه فإنه ... سبَّاءُ خمر مِسْعَرٌ لحروبِ
لولا السّفار وبُعْدُ خَرْقٍ مهمهٍ ... لتركتها تحبو علىٰ العرقوبِ
فرَّ الفوارسُ من ربيعة بعدما ... نجاهمُ من غمرة المكروبِ
لا يبْعدَنَّ ربيعة بن مكَدَّم ... وسقىٰ الغوادي قَبْرَه بذَنُوبِ

(١) كذا بالأصل. ويبدو لي أن الصحة هي «نفرت» بدليل سياق الكلام.

ويقال: إن قائل هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب بن مرداس، أحد بني محارب بن فهر، وقيل: إن قائله هو حسان بن ثابت.

وقال عبد الله بن جذل الطَّعَّان، متوعدًا بني سُليم:

ولأطلُــبَنَّ ربيعــة بــن مكــدم حتىٰ أنـالَ عُصَـيَّة بـن معـيصِ

و«الكديد» الذي حصلت فيه المعركة: موضع أو ماء علىٰ اثنين وأربعين ميلًا من مكة في شمالها بين عسفان وأمج، وقد أفطر فيه النبي ﷺ في قدومه من المدينة إلىٰ مكة بشهر رمضان، ومعنىٰ الكديد -بفتح الكاف- لغة: البطن الواسع من الأرض.

يوم بُرْزَة:

كان يومُ بُرْزة يومَ نصر لبني فراس (من كنانة) علىٰ بني سُليم، وبُرْزَةُ اسم موضع، وقد ذكر الرواة أنه بعد أن قتلت بنو سليم ربيعة بن مكدم، فارس كنانة (بيوم الكديد) رجعوا، وأقاموا ما شاء الله، ثم إن مالك بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد -وكان بنو سليم توجوه ثم ملكوه عليهم- بدا له أن يغزو بني كنانة، فأغار علىٰ بني فراس ببُرْزَة، ورئيس بني فراس يومئذٍ، عبد الله بن جِذلٍ، ومن بني فراس ربيعة بن مكدم قتيل سُليم.

ولما التقىٰ الجمعان دعا عبدُ الله بن جذل إلىٰ البِراز، فبرز إليه هندُ بن خالد بن صخر، فقال له عبد الله: من أنت؟ فقال: أنا هند بن خالد بن صخر. فقال عبد الله: أخوك أسَنُّ منك - يريد مالكًا المتوج، فرجع وأحضر أخاه، فبرز عبد الله، وجعل يرتجز، ويقول:

اقتربــوا قِــرْفَ القِمَــع إني إذا المــوت كنــعْ

لا أتــوقــىٰ بالــجزعْ

وشَدَّ علىٰ مالك فقتله، فبرز إليه أخوه كُرز بن خالد بن صخر. فشد عليه عبد الله فقتله أيضًا، فخرج إليه أخوهما عمرو بن خالد، فتخالفا طعنتين، فجرح كلُّ واحد منهما صاحبه، وتحاجزا.

فقال عبد الله بن جِذْلٍ:

تجنبتُ هندًا رغبة عن قتاله ... إلىٰ مالك أعشو إلىٰ ضوء مالكِ
فأنفذته بالرمح حين طعنته ... معانقة ليست بطعنة باتكِ
وأُثْنِي لِكُرْزٍ في الغبار بطعنة ... علت جِلْدَهُ منها بأحمر عاتكِ
قتلنا سُلَيْمًا غثَّها وسمينها ... فصبرًا سُلَيْمًا قد صبرنا لذلكِ
فإن تك نسواني بَكَيْنَ فقد بكت ... كما قد بكت أمٌّ لكرز ومالكِ

كما قال قصيدة أخرىٰ يفتخر فيها بما افتخر به في هذه القصيدة(١).

يوم الفيفاء:

بعد يوم برزة الذي كان لبني كنانة علىٰ بني سليم حَرَّمَ بنو سليم النساء والدهن علىٰ أنفسهم، حتىٰ يدركوا ثأرهم من خصومهم القَبَلِيِّين: (بني كنانة) فأغار عمرو بن خالد بن صخر علىٰ بني فراس، فقتل منهم نفرًا، منهم عاصم بن المعلَّىٰ، ونضلة، والمُعَارك، وعمرو بن مالك، وحصن، وشريح، وسبىٰ سَبْيًا، فيهم ابنة مكدم. فقال عباس بن مرداس في ذلك يرد علىٰ عبد الله بن جِذْلٍ كلمته التي قالها يوم برزة:

ألا أبلغن عني ابن جِذْلٍ ورَهْطَه ... فكيف طلبناكم بكُرْزٍ ومالكِ

---

(١) «أيام العرب في الجاهلية» تأليف محمد أحمد جاد المولىٰ بك، وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (ص٣١٩ – ٣٢٠) وبرزة التي حدثت بها المعركة هي شعبة تدفع علىٰ بئر الرويثة العذبة في درج المضيق من يليل بين ينبع النخل والمدينة.

غـداة فجعنـاكم بحصـن وبابنـه وبابن المعلَّىٰ عاصم والمُعـارِكِ
ثمانيــة مــنهم ثأرنــاهمو بــه جميعًا وما كـانوا بـوَاءً(١) بمالـك
نـذيقكم والمـوتُ يبنـي سُـرادقًا عليكم شبَا حدِّ السيوف البواتِكِ
تلـوح بأيـدينا كمـا لاح بـارق تـلألأ في داج مـن الليـل حالـكِ

وقال هند بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد:

قتلــتُ بمالــك عمــرًا وحصــنًا وخلَّيــتُ القتـام علـىٰ الخـدود
وكُــرزًا قــد أبــأتُ بــه شُــرَيْحًا علــىٰ أثــر الفــوارس بالكَدِيــدِ
جزينــاكم بمــا انتهكــوا وزدنــا عليــه مــا وجــدنا مــن مزيــدِ
جلبنـا مـن جنـوب الفـرد جُـرْدًا كطَيْـرِ المـاء غلَّـسَ بـالورودِ(٢)

يوم بئر معونة:

قدم أبو بَراءِ عامرُ بن مالك مُلاعب الأسنة في السنة الرابعة من الهجرة علىٰ رسول الله في المدينة وقارب الإسلام وطلب من النبي أن يبعث رجالًا من أصحابه إلىٰ أهل نجد، ليدعوهم إلىٰ الإسلام، وقال: أنا جار لهم. فبعث النبي المنذرَ بن عمرو في أربعين رجلًا من أصحابه، فساروا حتىٰ نزلوا بئر معونة -وتقع بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم- فقام حرام بن ملحان حتىٰ أتىٰ حِوَّاء -مجتمع بيوت الحي- منهم، فاحتبىٰ أمام البيوت وقال: يا أهل بئر معونة، إني رسول محمد إليكم،

---

(١) بواء: بمعنىٰ: كفْء، وذلك أن مالكًا كان متوجًا في بني سليم.
(٢) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (ص١٧٦ و١٧٧) الجزء الخامس، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، و«كتاب أيام العرب الجاهلية» لمحمد أحمد جاد المولىٰ، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم (ص٣٢٠ و٣٢١).

إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فخرج إليه عامر بن الطفيل من كِسر البيت -حانبه- برمح، فضرب به في جنبه حتىٰ خرج من الشق الآخر، فقال حرام بن ملحان: فُزْتُ وربِّ الكعبة.

واتبعوا أثره حتىٰ أتوا أصحابه، واستعانوا عليهم بقبائل من بني سُليم: عُصيَّة ورِعْلٍ وذكوان، وخرجوا جميعًا حتىٰ غَشَوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، وقاتلهم المسلمون قتالًا عارمًا حتىٰ قُتلوا عن آخرهم، ما عدا كعب بن زيد النَّجاري، فإنهم تركوه وبه رمق، فارتُثَّ من بين القتلىٰ -أي: سلم وهو مثخن بالجراح- وعاش حتىٰ قتل يوم الخندق، وما عدا عمرو بن أمية الضمري الذي أسر وأطلق عامر بن الطفيل سراحه لأنه من مضر، وقد شق علىٰ أبي براء -مُجير البعثة النبوية- ما حدث من عامر بن الطفيل وحرضه حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله علىٰ عامر بن الطفيل في شعر منه قوله:

بني أم البنين ألم يَرُعْكُمْ ... وأنتم من ذوائب أهل نجدِ
تهكُّم عامر بأبي براءٍ ... ليخفره وما خطأ كَعمدِ

فلما بلغ قولُ حسان مسامعَ أبي براء حمل علىٰ عامر بن الطفيل: فطعنه، فأخط مقتله، ووقع عن فرسة، وقد تأثر الرسول صلوات الله وسلامه عليه، من هذه الحادثة تأثرًا عميقًا... وكان متخوفًا مما حدث(١)، وكان يوم بئر معونة في صفر سنة أربع الهجرة.

يوم مرج راهط:

عندما مات يزيد بن معاوية حدثت بيعتان بالخلافة، وكانت إحدىٰ البيعتين

(١) «أيام العرب في الإسلام» لمحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي (ص٥٥) ط دار إحياء الكتب العربية بمصر، و«سيرة ابن هشام» وغيرهما.

بالشام لمعاوية بن يزيد، والأخرىٰ كانت بمكة والحجاز لعبد الله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

اختار أهل الشام للخلافة، معاوية بن يزيد ولكنه رفضها واستقال منها عندما رأىٰ المسلمين مختلفين أشد اختلاف، ولم ير في نفسه القدرة علىٰ إعادة الوحدة لهم بعد أن تصدعت، وبذلك أصبحت الشام بدون خلافة.

واختار أهل مكة والحجاز عبد الله بن الزبير.. وحيثما علم الحصين بن نمير قائد حملة يزيد بن معاوية علىٰ ابن الزبير في مكة -بموت يزيد حاول أن يجتذب إليه عبد الله بن الزبير، فيوليه الخلافة في الشام، علىٰ أن يؤمن الناس ويهدر الدماء التي كانت بين ابن الزبير وابن نمير، فأبىٰ عبد الله بن الزبير ذلك بإصرار وإعلان، وقام - في العراق- عبيد الله بن زياد بحملة دعائية له، فبايعه أهل البصرة ظاهرًا ثم بايعوا ابن الزبير، ولما شعر بضعفه بينهم هرب إلىٰ الشام، وهكذا دخل أهل البصرة وأهل الكوفة في بيعة ابن الزبير مع أهل مكة والحجاز.

وكان الضحاك بن قيس أميرًا في الشام، والنعمان بن بشير أميرًا لحمص، وزفر بن الحارث أميرًا لِقِنَّسرين، وكان هوىٰ هؤلاء جميعًا مع عبد الله بن الزبير، وكان حسان بن مالك الكلبي أميرًا لفلسطين، وهواه مع بني أمية... **وسبب ذلك**: أن بني كلب كانوا أخوال يزيد بن معاوية، لأن أمه من معاوية (ميسون الكلبية) وكانت بطون كلب القضاعية اليمانية قد انتشرت في أرضين واسعة، شملت دومة الجندل، وبادية السماوة، والأقسام الشرقية من بلاد الشام، ولما أَخْرَجَ العرب المسلمون الروم من الشام قامت هذه البطون بدَوْرٍ بارز في السياسة، إذ أيَّدت الأمويين(١).

---

(١) «أيام العرب في الإسلام» (ص٤٢٢ - ٤٢٤)؛ و«المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» من (ص٢٣٩ و٢٤٠).

وقد تدرج الخلاف بين الفريقين من الكلام، إلىٰ الخطابة إلىٰ المضاربات، إلىٰ القتال والمناجزة... كان كل فريق من الفريقين المتنازعيْن، يريد أن يكسب المعركة السياسية بكل الوسائل الممكنة.

وحدث ذات يوم بعدما استحكمت حلقات الخلاف أن قام «مثور بن مَعْنٍ السُّلمي» فأشار علىٰ الضحاك بن قيس الفهري بأن يُظْهِرَ ما كانوا يخفونه من بيعة عبد الله بن الزبير بالخلافة، ولم يكن هذا الرأي مُوَفَّقًا ولا حازمًا، فإن الأمر لم ينضج بَعْدُ، علىٰ ما كان يهدف إليه الضَّحَّاك، ويفتلُ له في الذروة والغارب.

وفي الوقت نفسه اجتمع حسان وبنو أمية بالجابية وتشاوروا في الخليفة، واتفقت كلمتهم علىٰ تولية مروان بن الحكم، فبايعوه بالخلافة، هذا ومع ما كان لدىٰ الضحاك من جَلَد ومن عزم فإنه لم يتملك أعصابه هذه المرة، فاستجاب -كما يبدو لنا- إلىٰ مشورة ثور بن معن السلمي المرتجلة.

فكانت (معركةُ مرج راهط) بين الجانبين الثمرة المباشرة لهذه الاستجابة بعد مبايعة مروان بالخلافة -وقد انتصرت كلب فيها علىٰ القيسية نصرًا حاسمًا.

وكانت هذه المعركة التي وقعت سنة (٦٥هـ) أو (٦٤هـ) ذات عقابيل ونتائج وخيمة علىٰ العرب والمسلمين فيما بَعْدُ، بما فرَّقَتْ من وحدة العرب المسلمين وبما أوهنت من قواهم المعنوية والمادية في ذلك الجيل وفي الأجيال اللاحقة(١).

وفي رواية «الاستيعاب» لابن عبد البر في ترجمة الضحاك بن قيس الفهري هذا، تفصيل للواقعة وأسبابها بشكل آخر، وقد حدد وقت الواقعة بأنه نصف ذي

(١) «أيام العرب في الإسلام» (ص٤٢٢ – ٤٢٦).

الحجة من عام (٦٤هـ). انظر: مادة (الضحاك بن قيس القرشي الفهري) في «الاستيعاب» (ص٧٤٤ و٧٤٥) القسم الثاني.

يوم البِشْر:

كان هذا اليوم من أيام بني سليم، بعد معركة مرج راهط، وقد انتقمت فيه بنو سليم القيسية من خصومهم السياسيين والحربيين -بني تغلب-، وروافد هذه الحرب الضَّروس منبثقة من معركة (مرج راهط) فمنها جذورها ومصادر اندفاقها.

وقد ذكر المؤرخون أنه بعد مقتل عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسنة (٧٣ هـ) هدأت الفتنة بين القبائل القيسية والتغلبية، واجتمع الناس علىٰ عبد الملك بن مروان، وتكافَّت قيس وتغلب عن المغازي، فيما بينهما، ولكنه تكافٌّ علىٰ دخَل، ولكل شيء سبب.

فقد حدث -لسوء حظ بني تغلب- أن أنشد الشاعر التغلبي «الأخطل» عَبدَ الملك بن مروان -وكان لديه ساعتئذٍ وجوه قيس وصناديدها، ومن بينهم الجَحَّافُ ابن حكيم السلمي- أبياتًا من قصيدة له كان مدح بها بعض بني أمية، وقد تعرض فيها لبني سليم تعرضًا مُزْريًا بهم... فانزعج لهذا الصنيع السُّلميون الحاضرون وعلىٰ رأسهم الجحاف، وبدأ الغضب يتطاير من عينيه، ثم مضىٰ إلىٰ قومه، واحتال عليهم -حتىٰ أطاعوه- لحرب بني تغلب.

فأقبل علىٰ بني تغلب مع قومه وبنو تغلب لا يعلمون، وكانوا مجتمعين في (البِشْر) فقتل السلميون منهم فيه خمسمائة رجل، وتجاوزوا قتل الرجال إلىٰ قتل النساء والأطفال.

وهكذا كانت معركة البشر، أو يوم البشر، معركة أخذ فيها بنو سليم ثأرهم من بني تغلب بالكيل الوافي الطافح... لقد ثأروا منهم حيال قتلهم لأحد رجالاتهم: عمر ابن الحباب السلمي، وهكذا أطفأ الحجاف جمرة غضبه في دماء بني تغلب.. ورد ردًّا فعليًّا بليغًا وعميقًا علىٰ تحدي الأخطل له أمام الخليفة.

وقد تثعلَب النمر الذي كان يصول ويزمجر بين جوانح الأخطل بعد هذه الواقعة الحاسمة... علىٰ ما فصلناه في ترجمة (الجحاف بن حكيم السلمي في الفصل الخاص بتراجم «الأمراء والمحتسبين والقادة والولاة للمسلمين» من هذا الكتاب.

وعلىٰ عادة العرب عقب غزواتهم نرىٰ الشعر يدخل ميدان المعركة، مجسمًا ومقدرًا وواصفًا انتصار بني سُليم علىٰ تغلب، وواضعًا انكسار شوكة بني تغلب وانهزام شوكتهم أمام التيار الجارف الهابط عليهم من خصومهم السليميين.

يوم الحرة:

وقعت هذه المعركة المنسوبة إلىٰ «الحرة» بين بني حرب النازحين من صعدة باليمن، وبني سُليم، في عصر الهمداني أو قريب منه.. وربما في القرن الهجري الثالث، وقد قُتل في ذلك اليوم سبعون رجلًا من بني سليم، قتلهم بنو حرب، كما قُتل من حرب جماعة من رجالهم، منهم أربعة من بني محمود من ولد عمرو بن زياد من سعد بن سعد بن خولان، وهؤلاء الأربعة المقتولون في تلك المعركة علىٰ يد السليميين هم الأخوة: محمد وأحمد والحسن والحسين[1].

(١) «الإكليل للهمداني» (ص٢٩٨-٣٠٦) الجزء الأول، ط مصر. ولم يتبين لنا ما هذه الحرة.. ولعلها حرة بني سليم.. ولعل حربًا غزتهم في مقر دارهم، فسمي اليوم يوم الحرة.

يوم الرغامة:

وقد بقي أثر هذه المعركة التي قُتل فيها أربعة من أبناء أحد رؤساء حرب: محمود المذكور آنفًا عالقًا في نفسه، فأزمع الانتقام من سُليم، ومن ثَمَّ جمع لهم جموعًا من قومه، وسار إليهم، فصَبَّحهم يوم الرغامة فقتل منهم مائة رجل، ويقول الحسن الهمداني روايةً عن أبي جعفر المجالي: «وكانت عليهم -أي بني سليم- يومئذٍ عمائم خَزٍّ زُرْق، فلم يلبس سُلَمِيٌّ بعدها عمامة زرقاء»[(١)].

وما أورده الحسن الهمداني هنا من أن بني سليم كانوا يومئذٍ بعمائم خَز زرق، يضع أمامنا شيئًا من نوع «زيّ» بني سليم في القرن الهجري الثالث... ونستطيع أن نقول انطلاقًا من هذه العبارة: إن بني سليم كانوا في ذلك الزمن يَعْتَمُّون... بالعمائم المنوعة.. فقد لبسوا -للحرب- غمائم خَزٍّ زُرْقًا، إبرازًا لشجاعتهم وتمييزًا لهم عن غيرهم. والعمائم تيجان العرب.

يوم شرف الأثاية:

وهذا يوم من أيام بني سليم، ذكره الهمداني في كتاب «الإكليل» بمناسبة ذِكْرِه ليومي الحَرة والرغامة، اللذين غزت فيهما حرب بني سليم «وفي يوم شرف الأثاية كان الغازي لهم (ابن ملاحظ) وقد لقبه الهمداني: بـ(سلطان مكة) مع أنه أحد أمرائها من قبل بعض خلفاء بني العباس -ولعل إمْرَته لمكة كانت في أواخر القرن الهجري

---

(١) المصدر السابق (ص٣٠٦ و٣٠٧)، ونعتقد أن الرغامة أيضًا مكان في ديار بني سليم غزاهم فيه وفاجأهم بنو حرب... وبنو حرب مجاورون يومئذٍ لبني سليم، ولا يزالون إلىٰ اليوم كذلك.

الثالث[١] وقد انتصروا علىٰ جيشه (وقتلوا أصحابه وأسروه، فأقام عندهم وقتًا، ثم منوا عليه وخلوا سبيله)[٢].

و«الشَّرَفُ» -لُغة- من معانيه: المكان العالي، فلعل موضع المعركة كان شَرَفًا عاليًا في أثاية و«أثاية» بفتح الهمزة -عرفها لنا ياقوت في معجم البلدان بأنها: «موضع طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخًا»[٣].

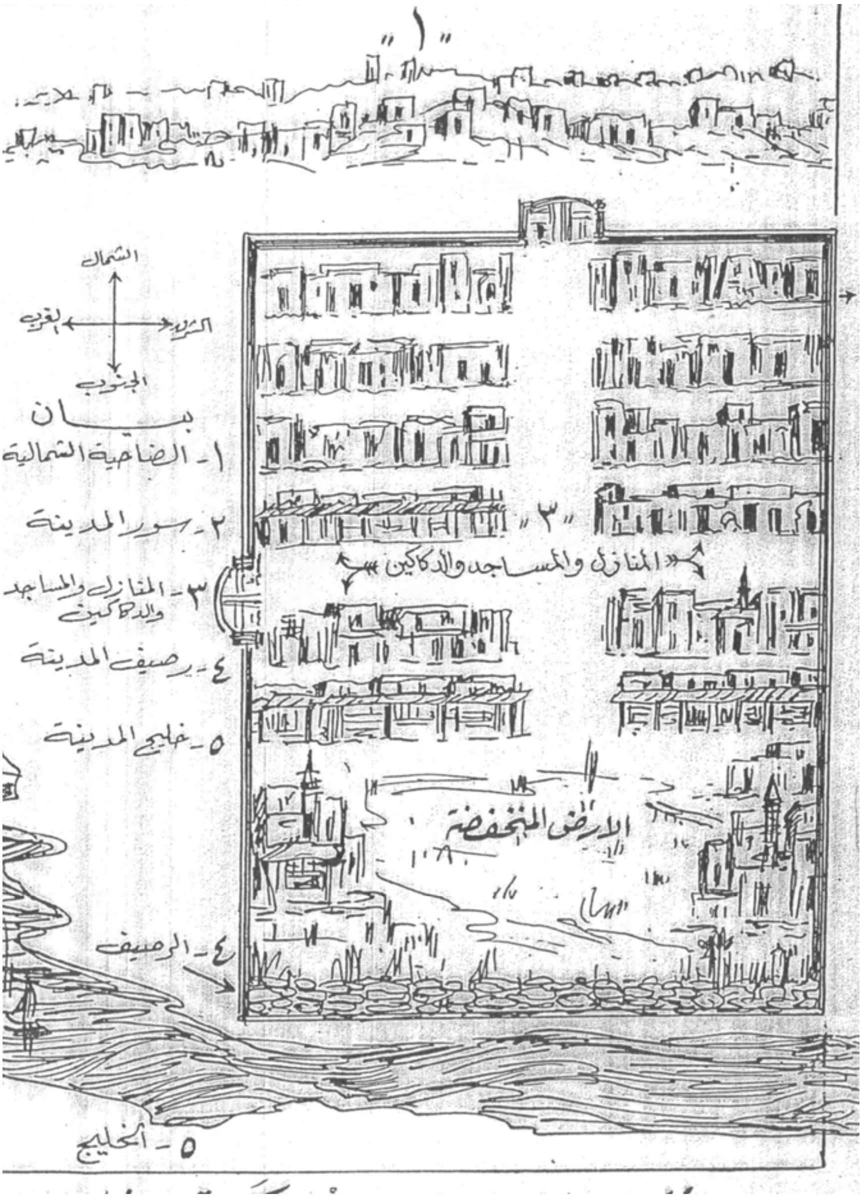
و(أثاية) وردت في «معجم ما استعجم» للبكري مضمومة الهمزة، ونَصّ علىٰ ذلك بالتعريف الحرفي، وقد عرفها لنا البكري بقوله (في مادة الرويثة): «وهي بئر دون العَرْج بميلين عليها مسجد للنبي ﷺ، وبالأثاية أبيات وشجر أراك، وهناك ينتهي حد الحجاز، وهناك وجد رسول الله ﷺ الظبيَ الحاقف -أي: النائم المنحنىٰ في نومه- في ظل، وفيه سهم، فقيل: إن رسول الله أمر رجلًا أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس حتىٰ يجاوزه[٤].

وهكذا اتضح لنا مكان المعركة، فإنها وقعت بقرب العَرْج الذي نزل فيه بنو حرب لأول مرة في هجرتهم الجماعية من صعدة باليمن إلىٰ الشمال.

هذا، وقد أفادنا الهمداني بامتداد منازل حرب بين مكة والمدينة بعد هجرتهم الجماعية من اليمن، فقد ذكر له محمود - وهو أحد رؤسائهم أنهم نزلوا بقُدُس من الحجاز، وبها عنزة ومزينة وبنو الحراث وبنو مالك من سليم.

---

(١) راجع كتاب: «جداول أمراء مكة وحكامها» للشريف مساعد بن منصور (ص١٦) طبع مكة.
(٢) «الإكليل» للهمداني (ص٣٠٧) الجزء الأول.
(٣) «معجم البلدان» (ص١١٦ و١١٧).
(٤) «معجم ما استعجم» (ص٦٨٦) الجزء الثاني، و(ص١٠٦)، الجزء الأول.



وقد ناصبتهم عنزة الحرب، فأجلوا عنزة من قُدُس إلىٰ الأعراض من خيبر بعد معركة ضارية.

ثم ناصبتهم مُزينة الحرب، وكانت أهل ثروة زهاء خمسة آلاف، فقتلوا من مزينة مقتلة عظيمة، وأُجلوا إلىٰ الساحل من الجار -البُرَيْكة-، والصفراء، وأرض جُشم، جَدِّ قبيلتي سليم وهوازن فهم بها إلىٰ اليوم -أي إلىٰ يوم كتب الهمداني كتابه «الإكليل» لا يدخلون الفُرْع إلا بجوار وذمام من بني حرب وبقية سليم.

فناصبتهم بنو الحارث وبنو مالك بن سليم وهم زهاء أربعة آلاف، وهم أهل الحرتين والبقيع(١) -فحاربوهم دهرًا فأجلوهم عن الحرتين والبقيع، وقتلوا منهم عددًا كثيرًا، وصارت بنو الحارث وبنو مالك «السلميون» لا يدخل منهما الحرتين والبقيع داخل إلا بذمام من بني حرب، وقد يُبْقي عليهم محمود (رئيس من رؤساء حرب) لأن أمه جُشَمِيَّة من هوازن.

هذا، وقد أفادنا الهمداني بملابسات تَغَلُّب حَرب بعدئذٍ علىٰ طريق المدينة إلىٰ مكة، فقال: «فلما غلبت بنو حرب علىٰ تلك البلاد، وقَهَرَت، تعلقت قريش بأصهارهم وأسند إليهم كلٌّ، وألْقىٰ أزمة أمره في أيديهم، وغلبوا علىٰ طريق المدينة

(١) كتاب «الإكليل» للهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي (ص٣٠٤ و٣٠٥)، وقد عرف المحقق البقيع بأنه «المسمىٰ بقيع الغرقد، وهو مقبرة أهل المدينة، معروف مشهور...» إلخ والذي يبدو لي من مقتضىٰ الحال أن المقصد بالبقيع هنا غير بقيع الغرقد بطبيعة الحال، وربما كان البقيع المراد هنا هو الذي قال عنه «معجم البلدان» لياقوت الحموي: «وقال الزبير: علىٰ أودية العقيق، البقيع. وأنشد لأبي قطيفة بيتين من شعره» (ص٧٠٣ و٧٠٤)، ط إيران الجزء الأول.
ومما يدل علىٰ صحة هذا التأويل أيضًا قول الهمداني (ص٣٠٥)، الجزء الأول: «فناصبتهم بنو الحارث وبنو مالك بن سليم، وهم زهاء أربعة آلاف، وهم أهل الحرتين والبقيع». وبدهي أنه لا يقصد أن المذكورين أهل الحرتين وبقيع الغرقد... فتعين أن يكون المراد بالبقيع غير بقيع الغرقد.

إلىٰ مكة فلم يسرها أحد منهم إلا بخفارتهم، وكان المقتدر يبعث إليهم طول حياته بالمال في خفارة الطريق، وإلىٰ اليوم وهم علىٰ ذلك»[(١)].

ويذكر لنا -الإصطخري- صاحب كتاب «المسالك والممالك»: أن طائفة من اليمن يعرفون ببني حرب استولت -في عصره- علىٰ ضياع أولاد جعفر بن أبي طالب بودان القريبة من **الجُحْفَة**[(٢)].

وقد أطنب عبد القادر الأنصاري الجزيري من أهل القرن الهجري العاشر، في ذكر أحوال أدراك «مدارك الأعراب» في طريق الحاج.

وقال عن عنزة: «إن حدودهم من طرف الحنك من الجهة القبلية إلىٰ المدينة الشريفة إلىٰ آبار علي -ذي الحليفة- إلىٰ جبل مفرح» -المفرِّحات- وذكر أحوال مدارك غيرهم، وأفادنا بأن (بدرًا) كانت مدينة بها عيون ومزارع، وبأن (الجار) فرضة المدينة فيرد الحاج ماءها[(٣)].

كما أطنب إبراهيم باشا رفعت في وصف ما لا قاه وهو أمير الحج المصري سنة (١٣٢٦هـ) - من أهوال إخلال عرب حرب بالأمن بين المدينة ومكة أثناء عودة المحمل المصري من المدينة إلىٰ ينبع.

وقد اضطرتهم الحرب التي نشبت بينهم وبين بعض قبائل حرب بعد آبار درويش إلىٰ العودة الإجبارية إلىٰ المدينة بعدما خسروا بعض القتلىٰ من الجند وبعد

(١) «الإكليل» الجزء الأول (ص٣٠٥ و٣٠٦).
(٢) (ص٢٥) طبعة مصر.
(٣) «دور الفرائد المنظمة في إخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» (ص٤٥١، وص٥٢٨) ط المطبعة السلفية بمصر.

أن نفقت بعض ركائبهم، نتيجة تبادل إطلاق النيران الحامية بينهم وبين أولئك الأعراب[(١)].

كما أنه ذكر في بيان خاص مفصل مكافآت أعراب حرب في طريق المدينة - مكة، أو مرتباتهم التي كانت تؤدىٰ من مصر، لتأمين سلامة المحمل أثناء عبوره لديارهم إلىٰ مكة[(٢)]، ولم ألحظ بين هؤلاء اسمًا لبني سليم.

ونحمد الله تعالىٰ ومن حق قبائل حرب أن تحمده معنا، فقد نشلتهم الحكومة السعودية من هذه الأوضار وأزالت معالم إخلالهم بالأمن، وعوضتهم أعمالًا وتعليمًا لأبنائهم ووظائف في الدولة وصناعات يقومون بها، فتدر عليهم رزقًا حلالًا وافرًا، يرفع من مستواهم الاجتماعي والصحي والاقتصادي، ويجعل منهم أعضاءً نافعين في جسم الأمة.

* * *

(١) «مرآة الحرمين» لإبراهيم رفعت (ص٢١١ وما بعدها) الجزء الثاني، طبع في مطبعة دار الكتب المصرية، سنة (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م).
(٢) المصدر السابق (ص٢٣٨ - ٣٤٤)، الجزء الثاني.

يمتنعون ثم يقتنعون

حينما ظهر الإسلام في جزيرة العرب، كانت قريش في مكة تكيد له جهرًا وسرًّا، وتقف منه موقف العداء السافر، وحاولت أن يمتد هذا الموقف من الإسلام إلىٰ سائر قبائل العرب في شبه جزيرة العرب، وكان من الميسور لهم أن يقوموا بالدعاوة السلبية ضده، لأنَّ سِدانة الكعبة ومشاعر الحج كانت بأيديهم، فهم ذوو مكانة دينية مرموقة لدىٰ عرب الجاهلية، يضاف إلىٰ ذلك مكانتها التجارية والاجتماعية.

وكانت بنو سليم من أحلاف بني أمية وقريش في جاهليتهم، وكان بعضهم شركاء لبعض في تجاراتهم، وقد تصاهر بعضهم مع بعض، فلا غرو إذا سرت إليهم من قريش عدوىٰ المناهضة الأولىٰ للإسلام، ولا بدع إذا تألَّبُوا علىٰ عداوته والنكاية بأهله، وقد رأينا بعض عرب الجاهلية في بئر معونة يفتكون بالبعثة النبوية الإسلامية المرشدة، فتكًا ذريعًا، نتيجة الحقد العميق الذي يحملونه في صدورهم لمعتنقي الدين الجديد.

تقول «دائرة المعارف الإسلامية» البريطانية الأصل، في ترجمتها العربية بمصر:
«إن السُّلَمية وأهل مكة تجمعهم مصالح مشتركة، ولذلك عادوا النبي ﷺ أول الأمر، فلما تبين لهم أن انتصار الإسلام أمر لا شك فيه أخذ هؤلاء البدو الذين يقيسون الأمور بميزان الواقع يفاخرون بإسلامهم»(١).

(١) «دائرة المعارف الإسلامية» (ص١٤٤) المجلد الثاني عشر، طبع مصر.

ومع أننا نلمح في قولها هذا لونًا من الدس علىٰ إسلام بني سليم فيما يتعلق بربط إسلامهم بقياسهم للأمور بميزان الواقع المصلحيّ ومفاخرتهم -بمقتضىٰ هذه المصلحة المادية- بدخولهم الإسلام، فمما لا ريب فيه أن انتصار الإسلام قبيل دخولهم الإسلام كان ظاهرة تلوح في كل أُفُقٍ من آفاق جزيرة العرب، ولكن دخول بني سليم في الإسلام -علىٰ ما هو الواقع- لم يكن نتيجة مصلحة مادية، لاحت لهم، فرجحوها علىٰ ما هو أدنىٰ منها، وإنما كان عن اقتناع وإيمان وتصديق ضمائرهم بأن الإسلام هو دين صدق وحق وسيمحو كل ما يعارضه في طريقه إلىٰ كل ناحية.

يدلنا علىٰ ذلك أمور وإرهاصات، فإن من رجالاتهم من دخلوا في دين الإسلام أول ظهوره بمكة، حتىٰ قال عن نفسه هذا البعض بحق: إنه «ربعُ الإسلام»... لأنه كان رابع ثلاثة دخلوا فيه أول وجوده بمكة، قبل أن تبدو فيه أية مصالح مادية. وقد تابع غير هذا البعض النبي أيضًا، وبقي في بلاده يكتم إيمانه، وكان مع ذلك -كما يبدو لنا- يحاول أن يُدخل معه في حظيرة الدين الجديد كل من يأمن بوائقه من قومه.

وما كان ليخفىٰ مطلقًا علىٰ المشركين بطبيعة الحال، حالُ المسلمين إذا تعايشوا مع المشركين، ولابد أن من قوم هؤلاء المسلمين من كانوا شاعرين باعتناقهم لدين الإسلام ومفارقتهم للأوثان، عارفين بذلك، ويتهامسون به في مجالسهم الخاصة وربما العامة.

وكانت دعوة مُسلميهم السرية قد بدأت تظهر عندما لاحت بوارق انتصار الإسلام، فصاروا يدعون قومهم أو من يرجون منهم قرب الاستجابة لدعوتهم جهرًا.

وهكذا كانت نفوس بني سليم مهيأة للإسلام، مستعدة لدخوله، بدون النظر

إلىٰ مطامع أو مصالح قبيل فتح مكة.. فلما فتحت مكة أقبلوا جماعات بخيلهم ورَجِلهم إلىٰ الرسول، فآمنوا به، مصدقين من قلوبهم برسالته الإلهية، موحدين لربهم، مرتفعين عن أوضار الشرك وأغلاله التي كانت تحيط بهم فتحط من مستواهم الروحي، ولذلك سرعان ما رأيناهم يجردون سيوفهم، ويبيعون نفوسهم رخيصة في الغزوات والمعارك الإسلامية التي تلتْ فتح مكة والتي خاضوها بكل بسالة وإقدام لرفع راية الدين الحنيف.

❊ ❊ ❊

موقف بني سليم في ردة العرب

حينما ارتدَّ بعض العرب في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان موقف بني سليم حيال الإسلام، وحيال الردة متفاوتًا ومختلفًا، فبعضهم ثبت علىٰ الإسلام، وبعضهم سار في تيار الردة، وقد ضرب أبو بكر الصديق مرتديهم بالذين ثبتوا منهم علىٰ الإسلام، فكان قائدًا راشدًا بالغ الحكمة، فلا يَفُلُّ الحديدَ إلا الحديدُ.

وكان أبو بكر قد ولَّىٰ خالد بن الوليد مهمة إعادة المرتدين من العرب إلىٰ خطيرة الإسلام، فقام بهذه المهمة العظيمة خير قيام.

جاء خالد (جو قراقر) وأتىٰ (النقرة) ووجد جمعًا من بني سليم، يرأسهم أبو شجرة بن عبد العزَّىٰ السُّلمي، الذي أمُّه الخنساء، الصحابية الشاعرة المشهورة، فقاتلوا خالدًا، واستشهد رجل من المسلمين، ثم فض الله جمع المرتدين، وركب المسلمون أكتافهم.

وقدم في أيام الردة - الفجاءةُ السلمي إلىٰ المدينة عاصمة الخلافة الإسلامية الأولىٰ، فقال لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: احملني، وقوّني، أقاتل المرتدين.. فحمله أبو بكر، وأعطاه سلاحًا، فخرج من المدينة يعترض الناس، فيقتل المسلمين، ويقتل المرتدين، معًا، وجمع جمعًا...

فكتب أبو بكر إلىٰ «طُريفة بن حاجزة السلمي» أخي معن بن حاجزة السلمي، وكان هو وأخوه من ثبت من سليم علىٰ الإسلام... وأمره أبو بكر بقتال الفجاءة، فنفذ ما أمره به الخليفة، وأُسر الفجاءة. فلما جاء الفجاءةُ إلىٰ أبي بكر عاقبه بأن أمر

بإحراقه في ناحية المُصلَّىٰ[(١)] -مسجد الغمامة بالمدينة- جزاء ما سبق أن اقترفه من إحراق المسلمين.

وفي هذا المعنى يقول أبو جعفر الطبري:

«كانت سليم بن منصور قد انتقض بعضهم، فرجعوا كفارًا، وثبت بعضهم علىٰ الإسلام، مع أمير كان لأبي بكر عليهم، يقال له: معن بن حاجز(ة) أحد بني حارثة، فلما سار خالد بن الوليد إلىٰ طُلَيحة وأصحابه كتب (أبو بكر)[(٢)] إلىٰ معن بن حاجز(ة) أن يسير بمن ثبت معه علىٰ الإسلام، من بني سليم، مع خالد، فساروا، واستخلف معن بن حاجز(ة) علىٰ عمله، أخاه طريفة بن حاجز(ة)، وقد كان فيمن لحق من بني سليم بأهل الردة -أبو شجرة بن عبد العزىٰ، وهو ابن الخنساء كما قدمنا آنفًا، فقال:

فلو سألت عنا غداة مُزامرٍ ... كما كنتُ عنها سائلًا لو نأيْتُها
لِقاءَ بني فهر وكان لقاؤهم ... غداة الجِواء حاجة فَقَضيتُها
صبرتُ لهم نفسي وعَرَّجتُ مُهرتي[(٣)] ... علىٰ الطَّعْن حتىٰ صار وَرْدًا كُميتُها
إذا هي صَدَّت عن كمِيٍّ أريده ... عدَلَتُ إليه صدرها فهديتُها

وقال حين ارتد عن الإسلام:

---

(١) «فتوح البلدان» للبلاذري (ص١١٧) الجزء الأول، و«تاريخ الطبري» (ص٤٩٢ و٤٩٣) المجلد الثاني، طبع مطبعة الاستقامة بمصر.

(٢) من عندنا زدنا كلمة (أبو بكر) لاقتضاء سياق الكلام لذلك.

(٣) امتطاء أبي شجرة لمهرته واعتزازه بها في الحرب، هو أثر من آثار وجود الخيل الذي بني سليم بكثرة كما أشار إليه المؤرخون.

صــحا القلــب عَــنْ مــيٍّ هــواه   وطـاوع فيهـا العـاذلين فأبصـرا
وأصبح أدنىٰ رائد الجهـل والصِّبىٰ   كمـا وُدُّهـا عتَّـا كـذلك تغيـرا)

إلىٰ آخر الأبيات التي أوردناها في ترجمته، كشاعر من شعراء سليم، وذلك في الفصل الخاص بشعرائهم.

وقال الطبري بعد ذلك: «ثم إنَّ أبا شجرة أسلم ودخل فيما دخل فيه الناس، حتىٰ قدم المدينة في زمن عمر بن الخطاب... (وهنا أورد الطبري قصة دخوله علىٰ عمر مستجديًا، وقد ذكرنا هذه القصة في ترجمة أبي شجرة كشاعر من شعراء سُليم)(١).

* * *

(١) «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (ص٤٩٢ و٤٩٤) المجلد الثاني.

أحد عشر دورًا لبني سُليم في الأحداث العربية والإسلامية

ليس من ريب في أن لبني سُليم دورًا ما في كثير من الأحداث العربية والإسلامية منذ بزغ فجر الإسلام، ومنذ كانوا مقيمين في ديارهم الأصلية بين الحرمين، ثم منذ فارقوها -أو فارقها أكثرهم، في الفتوحات الإسلامية إلىٰ شرق وغرب، وإلىٰ شمال وجنوب.

وهذا الدور الذي استمروا في القيام به علىٰ مسرح الأحداث الإسلامية والعربية طيلة قرون متتالية يؤكد أنهم قبيلة ذات حيوية.

وفي هذا الفصل نستعرض أهم تلك الأحداث عبر شريط الزمن الدوار.

في أول قائمة أدوار بني سُليم في الإسلام:

قيامهم علىٰ البعثة النبوية، أو كما يقول أصحاب السيرة: قيامهم علىٰ السَّرِية التي بعثها النبي ﷺ وعلىٰ رأسها المنذر بن عمرو، إلىٰ بئر معونة مَوضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفانَ في صفر علىٰ رأس أربعة أشهر من غزوة أحد، وكان مُلاعبُ الأسنّة قدم علىٰ رسول الله فعرض عليه الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد، وطلب من الرسول أن يبعث رجالًا من أصحابه إلىٰ أهل نجد، يدعونهم ومن معهم إلىٰ الإسلام رجاء أن يستجيبوا له..

فبعث الرسول تلك السرية التي أكبر ما قيل عن عددها: إنه كان سبعين رجلًا، وأقل ما قيل عنه: إنهم كانوا ثلاثين رجلًا وكان فيهم بعض من أسلموا من سُليم، فلما نزلوا بئر معونة بعثوا أحدهم بكتاب إلىٰ عامر بن الطفيل، فعدا علىٰ رسول رسول الله

وقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يُخفِروا ذمة طالب قدوم البعثة؛ أبي براء ملاعب الأسنة، فاستصرخ قبائل من سُليم فأجابوه إلىٰ ذلك، وأحاطوا بالبعثة في رحالها، وجالدتهم البعثة الإرشادية المؤمنة حتىٰ قُتلت كلها ما عدا واحدًا، وقد وَجَدَ النبي ﷺ علىٰ أصحاب بئر معونة وجدًا عميقًا(١).

وثاني الأدوار التي قامت بها بنو سليم:

استجابتها لدعوة زعماء مكة في غزوة الأحزاب، مع من استجاب لهم من العرب المؤازرين للشرك علىٰ الإسلام، ولقريش علىٰ رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، وكان قائدُ بني سليم في هذه الغزوة الجماعية للإسلام هو: سفيان بن عبد شمس السلمي.. لقد طابق اسمه اسم القائد العام للجيش المشترك في هذه الغزوة: سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وسفيان السلمي هو والد أبي الأعور السلمي، الذي ستمر بك ترجمته في هذا الكتاب ضمن تراجم فصل: «الأمراء والقادة والولاة السليميين».

وثالث الأدوار السلمية في مسرح الحياة الإسلامية:

انحيازهم الكُلِّيُّ إلىٰ جانب الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في أول فتنة ضروس نجمت في العالم الإسلامي، وكان من الثمار التي اقتطفها بنو سليم من هذا الانحياز إلىٰ الخليفة المظلوم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن اكتسبوا عطف بني أمية منذ تولىٰ معاوية الخلافة، إلىٰ أن انشقوا عن بني أمية، حينما رُشِّح للخلافة مروان بن الحكم.

(١) «مختصر سيرة ابن هشام» للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٢٢٧ و٢٢٨) طبع دار العربية للطباعة والنشر في بيروت.

وقد ولىٰ معاوية أحد بني سليم أبا الأعور السلمي بن سفيان بن عبد شمس السلمي قائد بني سُليم في معركة الخندق بالمدينة -ولَّاه القيادة أيضًا، فكان قائدًا في الإسلام، كما كان أبوه قائدًا ضد الإسلام، كما ولىٰ هشام بعد استتباب الأمر لبني أمية عبيدة أو (عُبيدَ) بن عبد الرحمن السلمي الذي نرىٰ أنه ابن أخي أبي الأعور- ولَّاه علىٰ إفريقية.

وبمناسبة تولية أبي الأعور وعبيد بن عبد الرحمن السلمي نقول: إن مبدأ مشاركة رجالات بني سُليم في إدارة دفة شؤون الدولة الإسلامية، وفي مناصب الولاية خاصة كانت له سابقة منذ عهد عمر بن الخطاب، حيث رأيناه يولي عتبة بن فرقد السلمي إمارة بعض فتوحات العراق، كما رأينا أيضًا المغيرة بن شعبة أمير البصرة لعمر بن الخطاب، يُولِّي مجاشعًا -بالنيابة عنه- إمارة البصرة، وما كان له أن يفعل ذلك إلا بموافقة من عمر بن الخطاب، كما رأينا عثمان بن عفان الخليفة الثالث بعد عمر يُولِّي عبد الله بن خازم السلمي - ولاية خراسان، ورأينا من بعده عبد الله بن الزبير يستبقيه علىٰ ولاية خراسان، لما آلت إليه الخلافة في مكة المشرفة.

ورابع الأدوار:

كان حينما نجم الخلاف المستشري بين عبد الله بن الزبير الذي بويع في الحجاز وغيره من بلاد الإسلام بالخلافة، وبين مُرشّح بني أمية للخلافة، خالد بن يزيد... افترق عرب الشام إلىٰ حزبين: حزب مع ابن الزبير، وكان من هؤلاء القيسية، الذين منهم بنو سليم، وحزب مع بني أمية.

وقد قفزت بنو سليم إلىٰ مسرح الحوادث في هذه المعركة السياسية، فرأينا أحدهم: (ثور بن معن السلمي) ينهض إلىٰ رئيس القبائل القيسية الضحاك بن قيس

الفهري الأمير في الشام، ويقول له -وهو في طريقه إلىٰ الجابية ليبايع الناسُ من يرتضونه للخلافة من الأمويين بعدما اتفق مع بني أمية علىٰ هذه الخطة- رأينا ثور بن معن السلمي وهو يقول إذ ذاك للضحاك: «دعوتنا إلىٰ ابن الزبير فبايعناك علىٰ ذلك، وأنت تسير إلىٰ هذا الأعرابي من كلب، تستخلف ابن أخته خالد بن يزيد... فقال له الضحاك: فما الرأي؟ قال معن: الرأي أن تُظهرَ ما كنا نكتم، وتدعو إلىٰ ابن الزبير[(١)]... ويبدو أن الضحاك -مع ثقوب رأيه ودهائه وحذره- قد تفاعل مع رأي معن، فكان ذلك الإسفينَ الكبير الذي دقته يد الخلافات القبلية العارمة في صرح الوحدة الإسلامية بين ناشري لوائه علىٰ المعمورة: العرب المسلمين.

وقد استمر -فعلًا- تأثير معركة (مرج راهط) التي وقعت بين الفريقين المتخاصمين من العرب علىٰ (مُرَشَّحي الخلافة) فسقطت ضحايا منهم بلغت عشرات الألوف علىٰ ما يرويه لنا المؤرخون، وكان الأحرىٰ بهم أن يصرفوا هذه القوة الضاربة التي دمرتها أيديهم بسبب خلافاتهم القبلية- في الفتوح الإسلامية، بضرب أعداء الإسلام المحيطين بهم يومئذٍ في كل مكان.

ويذكر لنا ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب»: أن رجالًا من قيس لم يضحكوا بعد يوم المرج حتىٰ ماتوا مادة (الضحاك).

وكانت مساهمة بني سُليم الفعالة في المعركة السياسية والحربية، الدائرة بين عبد الله بن الزبير وأنصاره من جهة، وبين بني أمية وأنصارهم من جهة أخرىٰ، هي الدور الرابع الذي قامت به بنو سليم علىٰ مسرح الأحداث الإسلامية.

---

(١) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ص١٤٧) المجلد الرابع، طبع دار صادر - دار بيروت في بيروت.

ومن بعد الدور السابق يأتي الدور الخامس:

وكان هذا الدور اقتصاديًّا سياسيًّا مزدوجًا سببه المباشر أو غير المباشر ما لاحظه هشام بن عبد الملك ولاحظه من قبله عبد العزيز بن مروان من أن القحطانيين في القطر المصري كانوا أغلبية العرب في مصر، وأن القيسية في مصر كانوا قلة، مما أفقد عرب مصر التوازن بين العنصرين الرئيسيين اللذين يتألف منهما الشعب العربي(١).

وهكذا شاهدنا انتقال (مائة بيت) من سليم وبني عمومتهم القيسيين من ديارهم الأصلية إلىٰ مصر، وقد أُنزلوا في بُلْبَيسَ، وأمرهم الأمير عبيد الله بن الحبحاب بالزرع، ونظر إلىٰ الصدقة من العشور، فصرفها إليهم، فاشتروا إبلًا، فكانوا يحملون الطعام إلىٰ بحر القلزم -البحر الأحمر- فكان الرجل منهم يتحصل له في الشهر العشرة دنانير وأكثر وأقل.

ثم أمرهم باشتراء الخيول، فجعل الذي يشتري المهر، فلا يمكث إلا شهرًا حتىٰ يركب، وليس عليهم مئونة في علف إبلهم ولا خيولهم، لجودة مرعاهم.

---

(١) «تعليقات الدكتور عبد المجيد عابدين علىٰ كتاب البيان والإعراب» (ص١٠٠).

ويقول المقريزي: «إن نزول سليم بمصر كان سنة (١٠٩هـ)، وكان أمير مصر يومئذٍ الوليد بن رفاعة الفهمي، ولم يكن قبل ذلك التاريخ بأرض مصر أحد من قيس إلا من كان من فهم وعدوان، وقد كتب عبيد الله بن الحبحاب الذي ولاه هشام مصر، كتابًا ضمنه هذا المعنىٰ، وأشار عليه بأن ينقل إلىٰ مصر من قيس أبياتًا فأذن له هشام في إلحاق ثلاثة آلاف منهم، وتحويل ديوانهم إلىٰ مصر علىٰ ألا ينزلوا بالفسطاط، ففرض لهم ابن الحبحاب وقدم بهم فأنزلهم الجوف الشرقي وفرقهم فيه». راجع (ص٦٥ و٦٦) من كتاب «البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب» لأحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، طبع مصر، و«المجتمعات الإسلامية في القرن الأول» لشكري فيصل (ص١٤٩ و١٥٠).

فلما بلغ ذلك عامة قومهم من القيسية، تحمل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية، فكانوا علىٰ مثل ذلك، فأقاموا سنة، فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت، ومات هشام، وبلبيس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس.

حتىٰ إذا كان في زمن محمد بن مروان، وولِّىٰ الحوثرة بن سهل الباهلي مصر، انثالت إليه قيس، فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت من قيس، ثم توالد القيسيون المصريون، وقدم عليهم من بادية هذه البلاد من قدم، فأحصُوا في ولاية محمد بن سعيد، فوُجِدُوا خمسة آلاف ومائتين ما بين صغير وكبير.

ويلوح من الأمر الذي أصدره عبيد الله بن الحبحاب أمير مصر وأحد موالي قبيلة سَلُول القيسية بشراء المُرحَّلين إلىٰ مصر للخيول - أنه كان اجتماعيًّا بعيد النظر.

ويقول محمد بن أحمد بن تميم القيرواني المتوفىٰ سنة (٣٣٣هـ-٩٤٤م): «خرج من بني سليم أربعمائة وخمسون رجلًا، لفتوح إفريقية»[(١)] وكان ذلك في عهد عثمان بن عفان [(٢)].

وفي عصر الولاة (١٨ - ٢٥٤هـ) كان في معادن البئر بأسوان قوم من بني سُليم وغيرهم[(٣)].

---

(١) «طبقات علماء إفريقية وتونس» (ص٦٩) طبع تونس.

(٢) «هجرات الفتوح الإسلامية» وقد وصف لبيد بن ربيعة العامري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خلو كثير من بلاد جزيرة العرب من رجالاتها -في قصيدة له منها قوله:

هلكــت عــامر فلــم يبــق فيهــا ... بريــاض الأعــراف إلا الــديار

(٣) «تعليقات عبد المجيد عابدين علىٰ كتاب البيان والإعراب» (ص٩٣ – ١٠٧).

أما لادور السادس من أدوار بني سُليم في الإسلام:

فيتمثل في القصة التي رواها أحدهم: عبد الله بن معروف أحد بني رياح بن مالك بن عصية بن خُفاف... وقد شهد القصة.. قال: «جاءت محمدًا (النفس الزكية) بنو سليم علىٰ رؤسائها فقال متكلمهم جابر بن أنس الرياحي: يا أمير المؤمنين، نحن أخوالك وجيرانك، وفينا السلاح والكراع، والله لقد جاء الإسلام والخيل في بني سُليم أكثر منها بالحجاز، لقد بقي فينا منها ما إن بقي مثله عند عربي تسكن إليه البادية، فلا تُخندقِ الخندق، فإن رسول الله خندق خندقه، لما الله أعلم به، فإنك إن خندقته لم يحسن القتال رجاله، ولم يوجه لنا الخيل بين الأزقة، وإن الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها، وأن الذين يُخندق عليهم يحول الخندق دونهم.

فقال أحد بني شجاع: خندق رسول الله، فاقتد برأيه، أوتريدُ أنت أن تدع رأي رسول الله ﷺ لرأيك، قال: إنه والله يا بن شجاع، ما شيء أثقلَ عليك وعلىٰ أصحابك من لقائهم، ولا شيء أحبُّ إليَّ وإلىٰ أصحابي من مناجزتهم.

فقال محمد (النفس الزكية): إنما اتبعنا في الخندق أثر رسول الله ﷺ، فلا يردني عنه أحد، فلست بتاركه.

ولما تيقن محمد (النفس الزكية) أن محمد بن عيسىٰ (قائد حملة أبي جعفر المنصور لقتال محمد (النفس الزكية) بالمدينة...) قد أقبل، حفر الخندق: خندق النبي ﷺ الذي كان حفره للأحزاب، ولما أزمع حفره ركب إليه وعليه قباء أبيض ومنطقة وركب الناس معه فلما أتىٰ الموضع نزل فيه فبدأ هو فحفر بيده، فأخرج لبنة

من خندق النبي ﷺ فكبر وكبر الناس معه، وقالوا: أبشر بالنصر، هذا خندق جدك رسول الله ﷺ»[(١)].

أما الدور السابع من أدوار تحركات بني سليم التي كانت وبالًا عليهم:

فقد كان في أوائل القرن الهجري الثالث، وبالدقة في سنة (٢٣٠هـ)، وهذا التحرك كان في عقر دارهم الأصلية بين الحجاز ونجد، فقد كانوا تطاولوا علىٰ الناس حول المدينة بالشر، وكانوا إذا أرادوا سوقًا من أسواق الحجاز أخذوا سعرها كيف شاءوا، ثم ترقىٰ بهم الأمر إلىٰ أن أوقعوا بميناء الجار: ميناء المدينة المنورة -بناس من بني كنانة وباهلة فأصابوهم وقتلوا بعضهم.

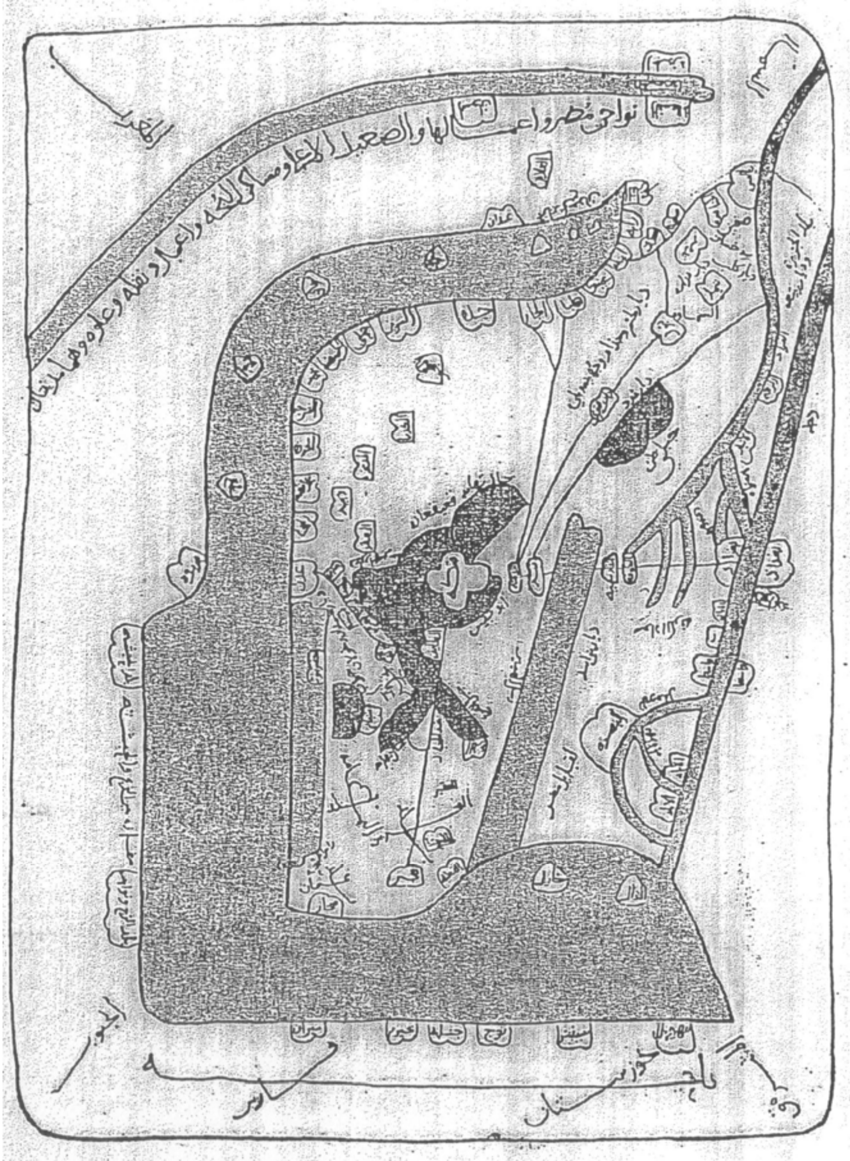
وكان ذلك منهم في جمادىٰ الآخرة سنة (٢٣٠هـ) وكان رأسهم -في هذا التحرك- عزيزة بن قطاب السلمي... وكان عاملُ المدينة -أميرُها- يومئذٍ، محمد بن صالح بن العباس الهاشمي، فوجه إليهم حماد بن جرير الطبري. وكان الواثق بالله الخليفة العباسي في بغداد قد علم بِعَيْثِ هؤلاء الأعراب حول المدينة، فوجه حمادًا هذا، مسلحة للمدينة لئلا يتطرقها الأعراب، وكان معه (٢٠٠) فارس من الشاكرية[(٢)].

فتوجه حماد إلىٰ بني سُليم في جماعة من الجند ومن المتطوعين للخروج معه من قريش والأنصار ومواليهم وغيرهم من أهل المدينة، وسار إليهم فلقيته طلائعهم، وكانت بنو سُليم كارهة للقتال، فأمر حماد بقتالهم، وحمل عليهم بالرُّويثة: موضع علىٰ ثلاث مراحل بين مكة والمدينة.

---

(١) «تاريخ الطبري» (ص٢٠٧ و٢٠٨) الجزء السادس، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

(٢) **الشاكرية**: الأجراء والمستخدمون، معرب «جاكر» الفارسية. «القاموس المحيط» مادة (شكر).



خريطة ابن حوقل لبلاد العرب وبها مدينة الحار
التي أوقع فيها بنو سليم بناس من كنانة وباهلة

وكان بنو سليم وأمدادهم من البادية (٦٥٠) رجلًا، وكان قُوَّادُهم: أشهَبَ بن دُويْكِلِ بن يحيىٰ بن حمير العوفي وعمه سلمة بن يحيىٰ، وعزيزة بن قطاب اللبدي،

من بني لبيد بن سُليم، وكانت خيلهم (١٥٠) فرسًا، وجاءت إلىٰ بني سليم أمداد أخرىٰ بلغت (٥٠٠) رجل سلمي، وافوْهم في موضع يسمىٰ «أعلىٰ الرويثة» بينه وبين موضع القتال -الذي هو «الرويثة»- أربعة أميال، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فانهزمت سودان المدينة بالناس، وثبت حماد بن جرير الطبري وصحبه وقريش والأنصار، وقُتِلَ حَمَّاد قائد الجيش العباسي، وعامة أصحابه ومن ثبت معه من قريش والأنصار.

وحازت سُليم الكراع والسلاح والثياب، وغلظ أمرهم فاستباحوا القرىٰ والمناهل فيما بين المدينة ومكة، حتىٰ امتنع سلوك ذلك الطريق علىٰ الناس، ولم يكتف بنو سليم بعدوانهم علىٰ الطريق العام، بل تطرقوا من يليهم من قبائل العرب.

وبلغ الأمرُ الواثقَ بالله فاهتم به، فوجه إليهم «بغا الكبير» أبا موسىٰ التركي في الشاكرية والأتراك والمغاربة، وقدم بغا المدينة في شعبان من السنة المذكورة، وشخص إلىٰ حَرَّة بني سُليم لأيَّام بقين من شعبان، ليخضد شوكة بني سُليم وكان علىٰ مقدمته طردوش التركي، فلقيهم ببعض مياه الحرة، وكانت الواقعة الفاصلة بينه وبينهم بشق الحرة من وراء السوارقية التي هي قرية من قراهم والتي كانوا يأوون إليها -والسوارقة حُصُون- وكان أغلَب من لقيه بغا منهم، بَنُو عوف، وفيهم عزيزة بن قطاب والأشهب، اللذان هما رأسا القُوَّادِ يومئذٍ.

وقَتَل بغا منهم نحوًا من (٥٠) رجلًا وأسر مثلهم، فانهزمت بقيتهم وانكشفوا، ثم أمنهم بغا علىٰ حكم أمير المؤمنين الواثق، وأقام بالسوارقية، فأتوه واجتمعوا لديه، وهربت خفاف بني سُليم إلا أقلها، وهي التي كانت تؤذي الناس بالطريق، وقد احتبس بغا عنده زهاء ألف رجل من بني سليم وهم الذين وُصِفُوا بالشر والفساد، وخلَّىٰ سبيل سائرهم.

وسار بمن معه من الأسرىٰ صوب المدينة في ذي العقدة سنة (٢٣٠هـ) فحبسهم بها في الدار المعروفة بيزيد بن معاوية ثم حج في ذي الحجة، وتجول في بعض ديار الأعراب الذين اعتادوا العبث في البلاد، ثم انصرف إلىٰ المدينة وحبس من أخذه من بني هلال في دار يزيد بن معاوية أيضًا مع السليميين.

وسار بغا إلىٰ بني مرة وفزارة بفدك وفي حبس المدينة نحو من (١٣٠٠) رجل من بني سُليم وهلال، فنقبوا دار الحبس فعرف الناس في المدينة بصنيعهم، وتجمعوا عليهم، وكان عاملُ المدينة -أميرُها- يومئذٍ هو عبد الله بن أحمد بن داود الهاشمي، وحاصروهم حولَ الدار، حتىٰ أصبحوا، وكان وثوب السليميين عشية ابن الجمعة، وذلك أن القائد السلمي عزيزة بن قطاب قال لهم: إني أتشاءم بيوم السبت، واعتقب أهل المدينة قتالهم وقاتلتهم بنو سليم، فظهر عليهم أهل المدينة وقتلوهم جميعًا، وكان عزيزة يرتجز ويقول:

لابُدَّ من زَحْم وإن ضاق البابْ ... إني أنا عزيزة بن قَطَّابْ
للموتُ خير للفتىٰ من العَابْ ... هذا ورَبِّي عمل للبوَّابْ

ويقال: إنَّ بواب الحبس أخذ منهم رشوة لإطلاق سراحهم، وهذا ما يشير إليه البيت الأخير من رجز عزيزة... وقد فك عزيزة قيده فرمىٰ به رجلًا فخر صريعًا، وكان عزيزة بعد أن قُتِل أصحابه صار إلىٰ بئر فدخلها فدخل عليه رجل من أهل المدينة فقتله، وصَفَّ بغا قتلىٰ بني سليم علىٰ باب مروان بن الحكم بعضها فوق بعض.

وكان مؤذن أهل المدينة قد أذَّن ليلة حراستهم لبني سليم بليل، ترهيبًا لهم بطلوع الفجر، وأنهم قد أصبحوا، فجعل بنو سليم يضحكون ويقولون: «يا شرَبَة

السويق! تعلموننا بالليل ونحن أعلم به منكم، فقال رجل من بني سليم:

متىٰ كان ابن عباس أميرًا يَصِلُّ لِصَقْلِ نابيه صريفُ
يجورُ ولا يردُّ الجَوْرَ عنه ويسطو ما لوَقْعَتِهِ ضعيفُ
وقد كنا نرُدُّ الجور عنا إذا انْتُضِيَتْ بأيدينا السُّيوفُ

***

أمير المؤمنين سما إلينا سُمُوّ الليث سار من الغريف
فإن يمتُن فعَفْوَ الله نرجو وإن يَقْتُل فقاتلنا شريف(١)

والدور الثامن من أدوار تحركات بني سليم:

هو دور اضطراب أمرهم، وهبوط مكانتهم الاجتماعية حينما اتصلوا بالقرامطة، وآزووهم: وساروا معهم في احتلالهم لديار الشام.

كان هذا الدور من أسباب متاعبهم في الداخل والخارج؛ إذ أغضب عليهم حكم مصر، وربما أغضب غيره من الحكام آنذاك، وزاد الطينة بلة، انتقالُهم مع القرامطة في عودتهم الإجبارية إلىٰ البحرين، بعدما أجْلوا عنوة عن بلاد الشام، بحد الحسام(٢).

وكان بنو سليم ذوي عدد كبير، ربما كان يفوق عدد بني هلال(٣) وقد اجتمع عليهم بنو عُقيل، وبنو تغلب، فأخرجوهم من البحرين بأَخَرَة.

(١) «تاريخ الطبري» (ص٣٢٢ – ٣٣٥) الجزء السابع، طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة.
(٢) «القبائل العربية في إقليم عصر الولاة» للدكتور عبد المجيد عابدين (ص١٢٦) طبعة القاهرة، سنة (١٩٦١م).
(٣) المصدر نفسه (ص١٢٦).

وإذا أخذنا بالرأي القائل: إن العُبيديين بمصر قد رأوا استغلال طاقة بني سليم وبني هلال الحربية الكبيرة في مشروعاتهم السياسية، والحربية، فأوعزوا إليهم بالنزوح من البحرين إلىٰ مصر، بعد انتهاء أمر القرامطة، وقبل إخراج بني عقيل وبني تغلب لمن تبقىٰ منهم في البحرين؛ فإننا نرىٰ في ذلك ثغرة فتحها العبيديون وإسفينًا دقوه لإضعاف شوكتهم، وشوكة خصمهم السياسي «المعز بن باديس» في إفريقية الشمالية، معًا؛ وهكذا صَادَ العبيديون -بضربتهم هذه البارعة المزدوجة- عصفورين بحجر واحد، وأثبتوا براعتهم السياسية وحنكتهم ودهاءهم، ولله در المتنبي حين يقول:

الـرأيُ قبـل شـجاعة الشـجعان   هــو أولٌ وهــي المحـل الثـاني

ونلمح الدور التاسع من أدوار تطورات حياة بني سليم في ديارهم الأولى:

إذ يبدو أنهم بعد حملة التأديب البغدادية الكبرىٰ راجعوا أنفسهم، وأقلعوا فترة من الزمن عن أعمال السلب والنهب، وقطع طريق الحاج المار بديارهم، ولعل ذلك كان بضغط شديد أو بتوجيه حكيم من دار الخلافة، فازدهرت بلادهم بعض الشيء، وعمرت وأصلحت، واتسعت جوانبُ الحياة في مدنهم وأمَّتها الناس للتجارة والاستثمار من كل صوب، وربما ضُربت بها السكة الذهبية وغيرها، لوجود المعادن لديهم.

وقد ظهر لنا أثر هذا العمران الطارئ من قراءتنا للحجر الأثريِّ الذي جلبه من بلادهم مبارك بن عبد التواب السلمي، حيث ورد فيه ما يومئ إلىٰ بعض ذلك، وقد

كان هذا الحجر -علىٰ ما يبدو- منصوبًا في طريق الحاج في داخل ديار بني سُليم[(١)].

ويأتي الدور الحادي عشر لهم:

ممثلًا في نقلهم بصورة جماعية من الديار المصرية إلىٰ الديار المغربية، هم وبني عمومتهم: بني هلال، وهي قصة مسرحية محبوكة أجاد حَبْكَ فصولها وإخراجها الوزير الداهية (محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري) الفلسطيني وزير المستنصر العبيدي، المتوفىٰ سنة (٤٥٠هـ - ١٠٤٨) قتيلًا.

وخلاصة هذه القصة: أن (المعز بن باديس) والي إفريقية البربري، من قبل الدولة العبيدية مال بِكُلِّيَّتِهِ إلىٰ أهل السُّنة، وإلىٰ الدولة العباسية، وخلع شعارات العبيديين، فأحفظ ذلك عليه المستنصر العبيدي بمصر، فشاور وزيره (اليازوري) في الأمر، فأشار عليه بأن يأذن لبني سُليم وبني هلال المقيمين بمصر بالسفر إلىٰ إفريقية، وأن يكرمهم ويغدق عليهم الأموال ليقوضوا دولة المعز بن باديس في إفريقية[(٢)].

---

(١) للاطلاع علىٰ التحقيق الذي قام به المؤلف حول ذلك الحجر بعد قراءته له، ينبغي مراجعة كتاب «بين التاريخ والآثار» للمؤلف.

(٢) جاءت في ديوان ابن جيوس (٣٩٤ - ٤٧٣)، الجزء الثاني بالصفحة (٤٩٠) إشارة شعرية واضحة إلىٰ هذه المكيدة السياسية البارعة التي قضت علىٰ دولة المعز بن باديس في إفريقية، وذلك في قوله يخاطب اليازوري في قصيدة مدحه بها ابن جيوس:

أنخـــت بصـــنهاجة النائبـــات ... فقـــات زعـــيمهم مـــا أمـــلْ
فمـــن عصـــب عصـــبتها الحـــرو ... ب ومـــن ثُلـــل قـــد نحاهـــا الثَّلـــلْ
وكـــان يســـمىٰ معـــزًّا فمـــد ... تحديتـــه صـــار يـــدعىٰ مـــذلْ

و(الثلل) الأول -بضم الثاء- بمعنىٰ: الجماعات. و(الثلل) الثانية -بفتح الثاء-: بمعنىٰ الهلاك.

وذلك بأن يوعز إليهم بأنه قد ولاهم شؤون إفريقية ووكلهم عليها وكالة مطلقة، ويتصرفون فيها تصرف الملاك في أملاكهم[(١)]، وقد تفاهم الرجلان علىٰ ذلك، وعلىٰ كيفية تنفيذ هذه الخطة البارعة وعهد المستنصر العبيدي إلىٰ «اليازوري» بأمر تنفيذها بحكمة وإصرار.

وهكذا انطلق بنو سليم ومن معهم من الأعراب صوب إفريقية، يقتُلُون ويقاتلون حتىٰ وصلوا إلىٰ «المعز بن باديس» فحاول استمالتهم بأن أصهر إليهم فزوج بعض بناته لبعضهم، ولكن هذه الحيلة ثم تَنْطَلِ عليهم، فاستمروا في تنفيذ المخطط الذي رسم لهم حرفيًّا، خاصة وأن فيه ما يتفق ورغباتهم في السيطرة والحكم.

وكان أن شددوا القبضة علىٰ المعز، وأرهقوه من أمره عُمْرًا، ثم أجلوه آخر الأمر عن القيروان، سنة (٤٤٩هـ)، ودخلوها منتصرين، وتم ذلك لهم علىٰ ما خططه اليازوري وقدَّره، ثم استولوا في مدة وجيزة علىٰ ضواحي إفريقية، ونازلوا أمصارها، وأخذوا الإتاوة من أهلها.

ويعلل الدكتور حسن إبراهيم حسن ما عمله المستنصر مع المعز بن باديس من نكاية، بأنه انتقام مقصود من بني زيري الذين خرجوا عليه يرغم ما أسداه آباؤه

---

(١) في «إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان» لأحمد بن أبي الضياف التونسي، ذكر لليازوري وحيلته في ترحيل بني سليم وبني هلال لمعاركة المعز بن باديس باسم المستنصر، وفي كتاب «الاستقصا في أخبار المغرب الأقصىٰ» أن الوزير اليازوري قال الهلاليين والسلميين: «قد أعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد الآبق، فلا تفتقرون بعدها» (ص١٤٨) طبع الدار البيضاء بالمغرب الأقصىٰ.

لهم من مكارم، فأطلق عليهم قبائل الرياحية والزغبية من بني هلال، وقد أوقعوا بالمعز بن باديس في موقعة حيدران سنة (٤٤٣هـ).

ومعنىٰ ذلك أن زحف العرب استغرق أربع سنوات (٤٤٠ - ٤٤٣هـ) دخلوا القيروان وخربوها وأتوا علىٰ تراثها الزاهر، وضعف مُلكُ بني زيري بعد ذلك حتىٰ لم يعد يجاوز أسوار مدينة المهدية، وقد سُرَّ المستنصر لهزيمة الزيريين؛ إذ استطاع أن ينتقم لنفسه منهم، وعبر عن سروره في الرسالة التي بعث بها إلىٰ علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن[(١)].

ويذكر ابن خلدون أن بني سُليم استولوا علىٰ برقة، كما يذكر أن منهم بالصعيد والفيوم والبحيرة خلقًا كثيرًا، وكان ذلك علىٰ ما يظهر في القرنين الثامن والتاسع الهجريين.

وفي هذا الدور العاشر الذي تعاظم فيه شأن بني سليم، كان لهم «وزن سياسي مرموق» في إفريقية، فيذكر التاريخ أن الأمير أبا يحيىٰ زكريا ابن الأمير أبي العباس أحمد بن اللحياني الحفصي، بعث بعد انصرافه من الحج عام (٧١١هـ) - محمد المزدوري - بين يديه - مع أشياخ من الكعوب من بني سليم، فتم له الأمر، وخُطِبَ

---

(١) «تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي» للدكتور حسن إبراهيم حسن (ص٢٣٩)، المجلد الرابع، نشر مكتبة النهضة المصرية (١٩٦٧م). ويفهم من عبارة الدكتور حسن إبراهيم التي هي: «فأطلق عليهم قبائل الرياحية والزغبية من بني هلال» أن الزغبية من هلال «وليس الأمر كذلك فهم سلميون... وينتمون إلىٰ زغب بن مالك بن بهثة السلمي وكانوا في الحرمين فصاروا إلىٰ إفريقية، راجع كتاب «البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب» للمقريزي (ص٦٨).

له يوم الجمعة (٩ جمادىٰ الأولىٰ ٧١١هـ) علىٰ منابر تونس، خطبة لم يُذكر فيها سلطان معين، ثم وصل تونس، وبويع له بالمحمدية، البيعة التامة، في ثاني رجب (٧١١هـ)[(١)].. فلولا مكانة الوفد السلمي الذي بعثه قبله، ليبرم له الأمر، ويحل له المشاكل، ما تم له الأمر.

وفي هذا الدور العاشر نرىٰ السليميين يأخذون مكانهم تحت الشمس في إفريقية، فقد كانت لهم استطالة علىٰ الدول هنالك، واعتزاز بمركزهم القوي، فكان ملوك الحفصيين يتألفونهم بالولايات والإقطاعات ونحو ذلك.

وقد نشب خلاف بينهم وبين السلطان أبي الحسن المريني، فوفد إليه من رجالهم، خالد بن حمزة أمير بني كعب بن سليم، وأخوه أحمد، وخليفة عبد الله من بني مسكين، وابن عمه خليفة بن أبي زيد، من أولاد القوس، فأكرم وفادتهم، ثم رفع إليه عبد الواحد اللحيالي من أولاد الملوك الحفصيين أن بني سُليم بعثوا إليه مع بعض حاشيته، يطلبون منه الخروج معه لينصبوه للأمر في إفريقية، وأنه خَشِيَ علىٰ نفسه بادرة السلطان، فتبرأ إليه من ذلك، فغضب السلطان، وسجن الوفد السلمي الذي كان موضع إكرامه، قبل هذا الحادث.

ثم إن بني سُليم تآمروا وتعاهدوا علىٰ قتال السلطان، فتوافت أحياؤهم من بني كعب، وبني حكيم، بتوزر، من بلاد الجريد، وتبايعوا علىٰ الموت، وولَّوْا الأمر رجلًا من بني عبد المؤمن، اسمه أحمد بن عثمان بن أبي دبوس، وأقاموا له رسم السلطان،

(١) «الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية» لابن منقذ القسطيني، تقديم وتحقيق الشيخين: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي من الجامعة التونسية (ص١٥٩)، ط تونس.

وهاجمهم السلطان في عام (٧٤٨هـ)، وبعد مصاولات بينهم انهزم السلطان أمامهم، هزيمة شنعاء.. وبادر إلىٰ القيروان.

وكانت الهزيمة يوم الإثنين، سابع المحرم (٧٤٩هـ) وحاصروه، ثم جنحوا لمسالمته، والمفاوضة معه، فأطلق سراح المسجونين السليميين الذين كانوا في سجنه، ثم هادنوه وأطاعوه آخر الأمر، ثم عقد الصهر مع أحدهم: عمر بن حمزة السلمي، فزوج ابنه عمر بابنة أبي الفضل[1].

ونصل إلى الدور الحادي عشر من أدوار انطلاقات بني سُليم:

وكانوا في هذه المرة بليبيا... فيذكر لنا الأمير شكيب أرسلان: أن أكثر عرب برقة والجبل الأخضر، من بني سليم بن منصور، وهم الذين ابتلاهم الله بالطليان في هذا العصر، ولم يزالوا يجاهدون عن دينهم ووطنهم منذ عشرين سنة[2].

* * *

---

(١) «الاستقصا لأخبار المغرب الأقصىٰ» لأحمد بن خالد الناصري (ص١٥٨ – ١٦٢) الجزء الثالث، طبع المغرب الأقصىٰ.

(٢) «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلىٰ أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان (ص٢٧٤) طبع مطبعة المنار بمصر سنة (١٣٥٠هـ)، وجاء في «الارتسامات اللطاف»: أيضًا أن (مشايخ) الأحامدة الذين هم مشايخ حرب في الحجاز يقال: إنهم من بني سليم، وأن جدهم العباس بن مرداس السلمي (ص٢٧٤).

قصصٌ من ماضي بني سُليم

هذه قصص واقعية أخذناها من مصادر التاريخ العربي، بعضها كان في الجاهلية، وبعضها كان في الإسلام، ومن طبيعة القصص، -وخاصة الواقعية منها- الشفوف والكشف عن طبائع أبطالها، وإبراز خصائصهم، وأهدافهم في الحياة.

وقد اخترنا من بين مجموعة قصص بني سليم المتسمة بطابع الواقعية، هذه القصص السبع التي حدث أولها في أواخر عهد بني سليم بالجاهلية، وحدث أخيرها في ضحىٰ الإسلام وربما في أوائل القرن الهجري الرابع.

القصة الأولى:

تتنافس في الجاهلية العباسُ بن مرداس، وخُفَافُ بن عمير، السلميان، وكانا من رجالات بني سُليم، المعدودين فيهم، ثم تهاجيا بالشعر، ثم تقاتلا، وجرًّا قبيلة بني سليم إلىٰ «حرب أهلية ضروس».

ثم دخل بعض رؤساء بني سليم من ذوي الرأي والحكمة فيما شجر بين الجانبين، بغية التوصل إلىٰ فض النزاع الدامي، وكف إراقة الدماء المهدورة في القبيلة، وإعادة المياه إلىٰ مجاريها بين المتنافسين البطلين الشاعرين.

وقد أدرك الندمُ العباسَ بن مرداس علىٰ ما فرط منه، فأظهر أسفه، وأماط اللثام عن أمنيته أن لم يكن شيء مما حدث.

ولكن خصمه خُفافًا كان علىٰ العكس من ذلك، كان نقيضه تمامًا في رأيه المستبصر المتراجع.

وكان «خُفاف» عكس اسمه تمامًا في هذه القضية... كان «ثقيلًا» بمعنىٰ الكلمة علىٰ منافسة وخصمه (عباس)... في الوقت الذي كان (عباس) عكس اسمه أيضًا في هذا الشأن، حيث كان (بسَّامًا) يود أن تندمل الجروح فلا تُنْكأ، وأن يُسوَّىٰ الحلاف، فلا يُثار.. وأن تحل (البسمات) محل (العبسات)، و(السلام والوئام) محل (الخصام والحسام).

وقد تمادىٰ (خفاف) في ثقل عداوته لعباس، وردَّ علىٰ (عباس) ردًّا شعريًّا قاسيًا أليمًا.

وربما كان سبب ذلك (مركب النقص) الذي تحرك في نفسه، بسبب لونه وخئولته.

وجاء الإسلام فدخل الرجلان في حماه، فتركا كل ما كانا فيه، وصارا من جنده وأبطاله وبذلك انحسم الداء وأسدل الستار علىٰ شحنائهما، بعد أن لم تُجدِ الوساطات القوية في جمع شملهما، والتأليف بين قلوبهما.. والإسلام هو طريق الإصلاح الشامل لذات النفوس وذات البين.

القصة الثانية:

حينما شق علىٰ معاوية بن أبي سفيان سقوط مقادم فمه، وكان عنده يزيد بن معن السُّلمي قال له يزيد مسليًا له: «والله ما بلغ أحد سنك غلا كره بعضه بعضًا... ففوك أهونُ علينا من سمعك وبصرك».. فطابت نفس معاوية بهذه الحكمة العفوية تخرج من فم هذا السلمي الصديق الجريء المِنْطِيق.

القصة الثالثة:

هاجت الفتنة شعواء سنة (٧٥هـ) في دمشق عاصمة الخلافة الأموية، فيما بين المضرية واليمانية، وكان سببها أن اليمانية قتلوا قيسيًّا، فاجتمع القيسيون لأخذ الثأر، واستنجدوا بقضاعة وسليم... وسليم قيسية، فلم تُنجدهم سُليم، وإنما أنجدتهم قضاعة اليمانية، لقد اعتصمت سُليم هذه المرة، بالحكمة وعدم الانحياز، وتجنبت الوقوع في كوارث هي في غنىً عن خوض غمارها، وكان أن امتدت هذه الفتنة حتىٰ سنة (٨٠هـ) ثم استطالت واستغلظت في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، فندب جعفر بن يحيىٰ البرمكي إلىٰ الشام، لإطفاء هذا اللهب المستشري ففعل، وعاد إلىٰ بغداد(١).

القصة الرابعة:

قصد الشاعر ثابتٌ الرقي أحد بني أسد، يزيد بن أسيد السلمي، في ديات وجبت علىٰ ربيعة وقومه، فلم يعد منه بطائل، ومن ثم رحل إلىٰ سميه: «يزيد بن حاتم المهلبي» وهو بالقيروان بإفريقية، فأعطاه عشر ديات، ووصله، وأحسن إليه إحسانًا عظيمًا، فأنشأ قصيدته التي مطلعها:

ألا طرقتنا باللِّوي أمُّ عاصم   وقد زارنا فيها خيال مجاشم

وفيها يقول -مفضلًا يزيد بن حاتم المهلبي، علىٰ سَمِيِّه: يزيد بن أسيد السلمي:

حلفتُ يمينًا غير ذي مثنويَّةٍ   يمين امرئ آلىٰ وليس بآثم

---

(١) «تاريخ ابن خلدون» (ص٤٦٤ – ٤٦٧) المجلد الثالث، طبع بيروت.

لشتان ما بين اليزيدين في الندىٰ يزيد سليم والأغرِّ بن حاتم
فهَمُّ الفتىٰ الأزدي إتلاف ماله وهَمُّ الفتىٰ القيسيّ جمعُ الدراهم
فلا يحسب التمتامُ أني هجوته ولكنني فضَّلْتُ أهل المكارم(١)

وسارت قصيدة ثابت الرقي في شتىٰ الآفاق، وتداولتها الألسنة، حتىٰ صارت كالمثل السيار علىٰ الأفواه قديمًا وحديثًا.

وقد تفق أن نَخَّاسًا عَرَض جاريتين علىٰ الأمير أحمد بن يزيد السلمي -ابن الذي قيلت فيه الأبيات المارة-، فقال أحمد بن يزيد السلمي للنَّخَّاس: أيهما أحسن: هذه، أو هذه؟ فما كان من النخاس إلا أن أجابه -لسوء حظه- بقوله: بينهما -أعز الله الأمير- ما قال الشاعر:

لشتَّان ما بين اليزيدين في الندىٰ يزيد سُليْم والأغرِّ بن حاتم

فقال الأمير أحمد بن يزيد السلمي: «خذوا بيد ابن الفاعلة»... لقد اغتم بما سمع، واغتم أكثر بسيرورة الشعر في مختلف الأوساط حتىٰ تمثل به هذا «النخاس» أمامه ولم يكن يدري فيمن قيل ولا فيما قيل، ولا درىٰ أن الأمير أحمد بن يزيد هو ابن الذي قيل في هجائه ذلك الشعر.

وبلغ هذا الشعرُ أبا الشمقمق، فقال يمدح يزيد بن مزيد الشيباني:

لشتان ما بين اليزيدين في الندىٰ إذا عُدَّ في الناس المكارم والمجدُ
يزيد بني شيبان أكرم منهما وإن غضبت قيس بن عيلانَ والأزد(٢)

---

(١) «تاريخ إفريقية والمغرب» لابن الرقيق (ص١٥٢-١٥٣) طبع تونس.
(٢) المصدر السابق (ص١٥٤).

ومن الجدير بالذكر في هذه القصة: أن ولاية يزيد بن حاتم لإفريقية كانت من قِبَل جعفر المنصور العباسي، في أواسط القرن الثاني الهجري، وكانت وفاته بسنة (١٧٠هـ) في خلافة هارون الرشيد.

وحكاية رمي الشاعر ثابت الرقي يزيد بن أسيد السلمي بالشّحَ البالغ ربما تعتبر في نظر الواقع من منسوجات خيال الشعراء، المنبثقة من عواطفهم وانفعالاتهم وتأثراتهم.. فهم إذا رضوا أطنبوا في المدح وبالغوا فيه.. كما فعل ثابت مع مدوحه يزيد بن حاتم، وإذا غضبوا أو لم تُسْتَجَبُ مطالبهم أعلنوا سخطهم وبالغوا في هجائهم، وحاولوا أن يكسو شعرهم في ذلك ما يجعله سيَّارًا بين مختلف الأوساط، زيادة في النكاية بمن حرمهم من عطائه... ومبالغة في تقدير من أكرمهم بإعطائهم.

القصة الخامسة:

ارتحل القاضي أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المولد، من المهدية قاصدًا السواحل المصرية، وهاج البحر الأبيض المتوسط عليهم وهم في السفينة، وقد غرقوا فيه، فأخرجهم الله منه خروج الميت من القبر، وانتهوا بعد خطب طويل إلىٰ بيوت بني كعب بن سليم، وهم في مسغبة وعطب وعُرْي؛ إذ قد قذف البحر زقاقَ زيت مزقت الحجارة جلدها، فاحتزموا الجلود بعد النجاة من الغرق، واشتملوها، فعطف عليهم أمير سليم، فآواهم وأكرم مثواهم وأطعمهم وكساهم.

وكانت عنايته بهم ناتجة عن معرفتهم بمعرفة القاضي أبي بكر بن العربي منذ صباه للعبة الشطرنج التي يعشقونها إذ ذاك، فقد حضر إليهم ابن العربي، وهم يلعبون الشطرنج، وعلىٰ رأسهم أميرهم، فكشف لهم عن مهارته فيه، فأعجبوا به، وحدث أن

حرك أمامهم بعض حجارة الشطرنج مساعدة للأمير، حتىٰ غلبهم، وفي أثناء تلك التحريكات ترنم ابن عم الأمير منشدًا قول أبي الطيب المتنبي:

وأحلىٰ الهوىٰ ما شَكَّ في الوصْلِ رَبُّه ... وفي الهجر فهو الدهرَ يرجو ويتقي

فقال: لعن الله أبا الطيب، أوَيَشُكُّ الربّ؟ وهنا لم يستطع القاضي أبو بكر أن يسكت، فبادره قائلًا: إنه لم يفهم مقصد الشاعر... فالمتنبي إنما أراد بالرب هنا: (صاحِبَ الهوىٰ) لا (المَولىٰ) جل وعلا... وغَرَضُ المتنبي أن أحلىٰ الهوىٰ ما يَشُكُّ المحب فيه في وصال محبوبه له، فهو طيلة عمره بين حالتي رجاء الوصال، وخوف الهجران... كما قال:

إذا لم يكن في الحب سُخْطٌ ولا رَضًا ... فأين حلاوَاتُ الرسائل والكُتْبِ

وعندما أدرك القوم أن ضيفهم عالم كبير من علماء المسلمين، وأديب كبير من أدباء العرب، وحدثهم بأن أباه معه، استدعوا أباه، وأكرم السلميون مثواهما، وخلع عليه الأمير خِلَعَه، وجاد لهم بجفان الطعام، ومن ثَم ساروا حتىٰ انتهوا إلىٰ مصر[(١)].

وترنُّم ابن عم الأمير -أمير بني كعب السليميين- ببيت أبي الطيب المتنبي، وإن أخطأ فهم مراده كل الخطأ، ففيه دليل ضمني علىٰ بقاء صلة هؤلاء الأعراب المنعزلين، بالفصاحة، وتعلقهم بالشعر العربي وحفظهم لدُرره وغرره.

وربما يعود عدم فهمه للمقصود من كلمة (الرَّبّ) في بيت المتنبي، إلىٰ الجهل الذي كان يسودهم حينئذٍ، لانعزالهم في مضاربهم النائية في برية قفراء بساحل البحر

(١) «ترجمة القاضي أبي بكر بن العربي» لمحب الدين الخطيب، في مقدمته لكتاب «العواصم من القواسم» (ص١١ و١٢) نشر الدار السعودية للنشر بجدة.

الأبيض المتوسط ولربما لم يكن لديهم معلمون مُثَقَّفون، يدلونهم علىٰ مقاصد الشعراء الذين يحفظون الكثير من أشعارهم.. والمسألة موكولة إلىٰ الفهم السليقي... وللسليقة حدود، إذا تجاوزتها ارتطمت بصخور الغلط والزلل والالتواء عن النهج القويم.

وانهماكهم في لعبة الشطرنج يدلنا علىٰ وجود (فراغ) في أوقاتهم... كما يدلنا علىٰ تفضيلهم لهذه اللعبة التي تمثل ميادين الحروب والمعارك التي يهفون إليها منذ نزلوا أو أُنزلوا في إفريقية.

هذا وقد أفادنا ابن خلدون بأن السليميين الذين نزل عليهم القاضي أبو بكر بن العربي هم من بني كعب بن عوف بن بهثة بن سليم بن منصور، وكانوا عند إجازتهم إلىٰ إفريقية علىٰ أثر الهلاليين - مقيمين ببرقة، وقد أكرمه شيخهم كما ذكر ابن العربي في رحلته(١).

القصة السادسة:

حينما ضاقت الأمور بإبراهيم بن عبد الله الحسني، واشتد الطلب عليه من العباسيين دخل البصرة، في عام (١٤٥هـ) وهي سنة مقتله بعد ظهور أخيه محمد في المدينة، وقد استقبله يحيىٰ بن زياد بن حيان النبطي وأنزله بداره في بني ليث، فدعا الناس إلىٰ بيعة أخيه محمد بالخلافة، وقد حوله الدعاة له في البصرة، إلىٰ وسطها... فنزل دار أبي مروان مولىٰ بني سليم في مقبرة بني يشكر، ليكون علىٰ مقربة من

(١) «تاريخ ابن خلدون» (ص١٤٤) الجزء السادس، طبع دار الكتاب اللبناني في بيروت.

الناس، وولاه سفيان من معاوية أمير البصرة، علىٰ أمره، وكتب إليه أخوه محمد، يأمره بالظهور.

وهكذا جعل أبو مروان السلمي بالولاء، من داره بالبصرة، ملجأ سياسيًّا لهذا الزعيم الهاشمي الذي لم يقدر له إصابة مرماه، المتمثل في تولية أخيه (محمد) الخلافة... لأن الظروف لم تكن مواتية، ولأنّ الخليفة العباسي كان يقظًا وحازمًا، ولم يكن غافلًا عن الأحداث ولا نائمًا.

القصة السابعة:

ظهر القُرطُ، في نواحي البحرين وعُمان، سار إليها من الكوفة سنة (٢٧٩هـ) في أيام المعتضد العباسي وانتسب القرْط في دعوىٰ كاذبة إلىٰ بني إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق، وكان من أصحاب القرط: الحسن الجمالي، وزكرونة القاشاني، وقاموا بعده بالدعوة إلىٰ عبد الله المهدي، وتقلبوا علىٰ البصرة والكوفة ثم انقطعوا عنهما إلىٰ البحرين وعُمان، وقامت لهم هناك دولة تغلب عليها -في المائة الرابعة للهجرة- بنو سليم وبنو عقيل، الذين كانوا مستوطنين في البحرين بكثرة يومئذٍ[١].

* * *

(١) «تاريخ ابن خلدون» (٥٩٦) المجلد الثالث، طبع بيروت.

ابن خلدون وبنو سُليم

عبد الرحمن بن خلدون، أحد مفاخر الحضارة العربية الإسلامية. وهو مستنبط «علم الاجتماع» وأبو بجدته.. وقد ضمَّن مقدمته الفذة لتاريخه الكبير، هذا العلم، نتيجة دراساته وتجاربه، ولكنه مع ذلك بشر من هذا البشر، له عواطفه ورغباته، ويضطرب فكره وضميره فيما يضطرب فيه سائر البشر، من حب وبغض، وتقدير وتكدير، ويخطئ ويصيب.

ومن هذه الناحية البشرية العامة يصح أن يوجه إليه ما يوجه إلىٰ كل البشر -ما عدا الأنبياء- من النقد والتخطئة وتزييف الرأي وتحليل العاطفة.

ومن هذه الناحية نوجه إليه ما سيأتي في هذا الفصل من النقد البنَّاء حيال مواقفه في تاريخه الكبير المسمىٰ: «العبر» وفي مقدمته الفذة، حيال العرب وحضارتهم، وقديمًا قال شاعرنا العربي الحكيم يسجل لنا مواطن الضعف التي لابد أن تكون كامنة في تلافيف سجايا البشر، حتىٰ ولو كانوا عباقرة أو أعلامًا أو عظامًا:

ومن ذا الذي تُرضا سجاياه كلها ... كفىٰ المرء نبلًا أن تُعَدَّ معايبهْ

يقول علماء النفس من العرب: «العرق دساس»... أفترُىٰ «ابن خلدون» الذي ينتمي إلىٰ «حضرموت من عرب اليمن - اليمانية» وإلىٰ وائل بن حجر من أقيال العرب، القحطاني الأرومة»[1] أفترىٰ هذا العرق قد أثر في العقل الباطن لابن خلدون، فأوجد في نفسه (عقدة) سلبية عميقة الجذور، علىٰ عرب بني سُليم وبني

---

(١) «التعريف بابن خلدون» لابن خلدون (ص١ و٢)، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر.

هلال، الذين هم من أرومة قيسية وعدنانية... فقد ظلت رحىٰ الحروب الداخلية دائرة أمدًا مديدًا من الزمن بين النزارية والقطحانية في الإسلام، وكان منها بادئ ذي بدء حرب كلامية عارمة، أدت إلىٰ قيام حرب أو حروب حُسامية ضارية.

ولربما كانت هذه النظرية التحليلية لآراء ابن خلدون في بني سُليم وبني هلال خاصة وفي العرب عامة هي مصدر تلك الآراء المضطربة لهذا الرجل العظيم في عقله وحنكته السياسية وفي علمه وفكره، ولم يسبق لي أن رأيت من طرق هذا الجانب بهذه الصراحة، ولا بهذا الوضوح.

وآراء ابن خلدون في عرب المغرب خاصة وفي العرب عامة، هي آراء سلبية أو مضطربة، يقول فيها فيما يتعلق بعرب بني سُليم وعرب بني هلال بالمغرب: إنهم ما كانوا إلا مصدر عبث وفساد لحضارة المغرب الممثلة في ملوكه من البربر.

ويتجاوز هذه النظرية الخاصة كعالم اجتماعي يقيس العام علىٰ الخاص فيصدر حكمه بأن العرب بدون استثناء إذا تغلبوا علىٰ أوطان أسرع إليها الخراب.

وقد عقد فصلًا مستقلًّا لدعم هذه النظرية، في مقدمته الرائعة، ولكن -والحق يقال- إن الصواب جانبه في تقرير هذه القاعدة، كما ستراه واضحًا مبرهنًا عليه في غضون هذا الفصل ومنقوضًا من كلامه وآرائه بذاته.

وربما كان ابن خلدون كما يتراءىٰ لنا، موفقًا في بعض ما أصدره من قرارات ونظريات مبنية علىٰ تجاربه الخاصة في إفريقية الشمالية فقط؛ لأنه خبير بأحوالها الاجتماعية، دارس لشؤونها الإدارية والفكرية والاقتصادية، والدينية، والسياسية، وهو في تجاربه مع بني سليم وبني هلال يرىٰ أنهم لا ينصاعون لسياسة دول إفريقية

الشمالية، وقد رآهم يلتزمون المقام في خيامهم... وكل حاجتهم إلىٰ الحجارة، هو نصب أثافي القدور عليها، ولذلك لا غرو أن يقوموا بتقويض المباني القائمة وتخريبها، كما أنَّ كل حاجتهم للخشب منحصرة في إقامة الأعمدة لخيامهم منه، وتشذيب الأوتاد لها، ولذلك تراهم يخربون سقوف الدور؛ لأن طبيعتهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران.

ومن طبائعهم -كما يرىٰ ابن خلدون ويقرر- نهبُ ما في أيدي الناس، فكلما امتدت أعينهم إلىٰ مال أو متاع أو ماعون انتهبوه، فإذا تم اقتدارهم علىٰ ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ أموال الناس، وخَرِبَ العمران.

وحينما استوت له هذه التجربة في أبعادها وكما يراها هو، (عمم) هذه النظرية -كباحث اجتماعي مؤسس لقواعد علم الاجتماع عمها علىٰ العرب جميعًا بدون استثناء، لقد خاط من الجزئيات قباء شاملًا للكليات.

وقد نسي ابن خلدون أو تناسىٰ أن بني سُليم وبني هلال هم قوم طارئون علىٰ بلاد المغرب، طرءوا فيها في وقت كان سوس الفساد ينخر دُوَلهم، وعصا التفرقة والتحاسد والتباغض والتنافس تبدد شمل مجتمعاتهم ودولهم... وقد دخلوا أرض المغرب لمهمة سياسية معينة فرضتها عليهم السلطة ونقلتهم إلىٰ المغرب من مصر لأجلها خاصة... وهي دق الإسفينات بين تلك الدول.

وطارئون مثلهم كثار، ذوو عُدَدٍ وأَنَفة ما كانوا ليرضوا بالدُّون، وما كانوا ليقبلوا إلا أن يكونوا رؤساء، لا مرءوسين، ومطاعين لا مطيعين، وسادة لا مسودين.

ودول المغرب من جانبها ما كانت تقبل بسيادة الطُّرَّاءِ، فهي تقاومهم بكل ما يملكون، من ألوان المقاومة ولا تدع لهم منفذًا أو متسربًا لإقامة كيان أو لراحة من متاعب.

لقد غرسوا كل ما أمكنهم من الشوك في طريقهم، وقاموا هم من جانبهم باكتساح كل من يتعرض لهم أو من يشتمُّون منه رائحة التعرض، ثم هم مأمورون لانتهاج خطة معينة لتغيير معالم وأوضاع دول إفريقية الشمالية المتناحرة ليصفو الجو أو ليزيد تلبده، فإذا صفا الجو أو زاد تلبده بعد قيامهم بمهمتهم الأساسية كان الربح في كلتا الحالتين لدولة العبيديين أولًا، ولهم ثانيًا.

وهم قوم صارمون وعارمون، وقد أدرك المعز سجاياهم وخصائصهم وشدة مراسهم، وتصميمهم علىٰ تنفيذ خطط من بعثهم من المشرق إلىٰ المغرب، فحاول مهادنتهم وتقدم لمصاهرتهم... ولابد أن هذا كان له بعض الأثر في أنفسهم، لولا عوامل أخرىٰ خفية نفترض وجودها كما يفترض رجل العصر الحاضر وجود الحيوان الجرثومي وهو لا يراه بالعين المجردة؛ لأن العلم أثبته ولأنه يُرَىٰ بالمجاهر المكبرة... في المختبرات العلمية.

فلولا تلك الأمور الخفية -علىٰ ما نرىٰ- لبردت حديدتهم إزاء المعز بن باديس والي إفريقية الشمالية، ومن وراءه ومن جاء بعده... ولكن هذه الأمور الخفية ضاعفت من حماستهم، وقوت من عزائمهم، ودفعت بهم دفعًا إلىٰ خوض المعارك في كل اتجاه... حتىٰ إذا استتب الأمر علىٰ النحو الذي فصله المؤرخون رأينا من بني سليم وبني هلال -بعد تلك الأعاصير المذهلة- جماعات من الزراع والصناع والعلماء.. ساهموا مع إخوانهم المواطنين المغاربة في الحياة وفي المرافق الخاصة والعامة، ولا يمنع هذا من وجود فئات منهم ظلوا علىٰ ما كان عليه أسلافهم من النهب والسلب والاعتداء... فلكل عام خاص.

وعجيب أن يستدل ابن خلدون علىٰ عدم صلاح الأمة العربية للعمران بظلم الحجاج بن يوسف الثقفي، فالحجاج بن يوسف -كما وصفه التاريخ الغربي وكما وصمه الغرب المعاصرون له ومن جاءوا بعدهم- هو ذو طبيعة متعطشة للدماء ومغرمة بالعسف، عنده مركب نقص كبير... هو (ظالم) والظلم كما هو معلوم مفوض للعمران، ومرهق للإنسان.

فقياس الكليات بالشواذ، ووضع الشَّواذِّ معايير للكليات... ففيهما مُنزَلَق رأي ابن خلدون، ونقطة اختلال موازين قاعدته... فأين الحجاج مثلًا من عمر بن الخطاب منشئ مدينتي البصرة والكوفة؟ وأين هو من أبي جعفر المنصور منشئ مدينة بغداد التي لا تزال قائمة إلىٰ اليوم؟.. وأين هو من عبد الرحمن الناصر منشئ مدينة الزهراء في الأندلس؟ وأين هو من غيره من حكام العرب وملوكهم العادلين بُنَاةِ المدائن ومؤثلي الحضارة؟

والحجاجُ علىٰ ما فيه من شذوذ مقوض ومجحف فقد أسهم في تأثيل العمران، ببنائه مدينة واسط في العراق، وهذا نفسه ينقض رأي ابن خلدون حتىٰ في الحجاج نفسه.

ولا نرتاب في أن «العقد النفسية» المركبة المتفاعلة لدىٰ ابن خلدون هي التي جعلته يركب هذا المركب فتخرج به راحلته عن الجادة... ويسلك بُنيات الطريق.

يقول: «وانظر إلىٰ ما ملكوه -يعني العرب- وتغلبوا عليه من الأوطان، من لدن الخليقة كيف تقوض عُمرانه، وأقفر ساكنه، وبدلت الأرض غير الأرض، فاليمن قرارهم خراب، إلا قليلًا من الأمصار، وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس أجمع، والشام لهذا العهد كذلك، وإفريقية والمغرب -وهذان هما

أساس نظريته السلبية تجاه بني سليم وبني هلال والعرب جميعًا، وأساس العقدة لديه- لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة، تمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين، قد لحق بها، وعادت بسائطه خرابًا كلها، بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي -البحر الأبيض المتوسط- كله عمْرانًا، تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم، وتماثيل البناء، وشواهد القرىٰ والمدر»(١).

ووقائع التاريخ والعمران العربي تهدم هذه النظرية، وإن شئت فَاقْرأ ما حواه مثلًا كتاب «حضارة العرب» لغوستاف لوبون، وغيره من الكتب المعتبرة التي تصف لنا العمران العربي في هذه الأرض كـ«نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»، وكـ«معجم البلدان» لياقوت الحموي، وغيرها وغيرها... وأخيرًا كتاب «شمس العرب تسطع علىٰ الغرب» للمستشرقة الألمانية زيفريد هونكه.

ومع وَضْعِنا في حسابنا ما حدث للمغرب من قلاقل واضطرابات وتدهور منذ القرن الخامس الهجري؛ فإنه يجب أن نضع في حسابنا أيضًا -للإنصاف والعدل- أنه ليس كل ما اعترىٰ المغرب العربي من ذلك من صنع أيدي عرب بني سُليم وبني هلال، وليس كل ما اعترىٰ بلاد المشرق أيضًا من صنع ظُلَّام حكام العرب ولا من حيث أعرابهم، ولا من انتقاض بعضهم علىٰ بعض.

يجب -في هذا الموقف- أن نضع في حسابنا أيضًا تلك الغارات الخارجية المتواترة كالفيضانات أو كالسيول الجارفة علىٰ المشرق، من التتر والإفرنج... كما أن للإفراج يدًا في خراب ديار المغرب بغزواتهم البحرية الاستعمارية له، فبغداد حاضرة العالم المتمدين في عهد عظمتها الباهرة قد دمرتها معاول التتر قبل عبث ابن

(١) «مقدمة ابن خلدون» (ص٢٦٥) طبع بيروت (١٩٦١م).

خلدون، وأغرقوا تراثها العلمي العظيم في نهر دجلة، وهم قد أغاروا كذلك علىٰ الشام ومصر، وعاثوا في الأرض فسادًا.

وجاء بعدهم الصليبيون الحاقدون علىٰ حضارة الإسلام فزادوا الدمار والخراب، دمارًا وخرابًا.

وابن خلدون العالم الاجتماعي الواسع النظري لا تخفىٰ عليه هذه الحقائق، فكان من الملائم لقواعد العالم الاجتماعي الذي عكف علىٰ استنباطه أن يضع كل هذا في ميزان حسابه قبل أن يُصدر حكمه الصارم علىٰ العرب بأنهم أمة غير قابلة ولا مستعدة للعمران.

ويمعن ابن خلدون في ركوب بُنيات الطريق فنراه يعقد فصلًا خاصًّا، في مقدمته، في: «أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك».

ويُعلِّلُ هذه النظرية التي قدم بها هذا الفصل بأن ذلك لأنهم أكثر بداوة من سائر الأمم[١]، ويزيد الطينة بلة حيث نراه يستشهد علىٰ صحة نظريته هذه بقول رستم قائد جيوش الفرس؟ إذ رأىٰ المسلمين يجتمعون للصلاة: «أكل عمر كبدي، يُعلم الكلاب الآداب»[٢]...

ورستم عدو مبين للإسلام، موتور، أكل الحقد قلبه علىٰ المسلمين، والإسلام -لو يعلم رستم- خير شامل له وللعالم أجمعه، وكلمته المذكورة هي «نفثة مصدور»... فما كان ينبغي لمن كان في مثل علم ابن خلدون وحصافته الاجتماعية

(١) «مقدمة ابن خلدون» (ص٢٦٧).
(٢) نفس المصدر (ص٢٦٨).

والفكرية ومركزه الديني أن يتخذها مستنَدًا له في تقرير قاعدة اجتماعية حيوية تشمل العرب والمسلمين.

ونعود إلىٰ قوله السالف ذكره: «إن السبب الذي جعل العرب أبعد الناس عن سياسة الملك هو تغلغلهم في البداوة»، فنرىٰ أنها كلمة خرجت من فكر ابن خلدون عفويًّا وبدون تمحيص ولا تأمل ولا استقراء لحالة العرب الذين يتحدث عنهم وينتقدهم اجتماعيًّا وحضاريًّا.

وليت شعري أية أمة متحضرة لم تمر قبل تحضرها علىٰ دور البداوة؟ هؤلاء الأوربيون المتحضرون اليوم مرت بهم فترات بداوة غارقة إلىٰ أذنيها في وحل البداوة وبأكثر من العرب، وقد وصف أواخرها أو أواسطها لنا المؤرخون من العرب والمسلمين الذين شاهدوا ديارهم واختلطوا بهم في ديارهم إبان الفتوحات الإسلامية.

ومن يقرأ مثلًا «رحلة ابن فضلان» رئيس البعثة العلمية التي أرسلها المقتدر العباسي إلىٰ بلاد الروس -روسيا- قبل ألف عام، يرَ العجائب المدهشة والمذهلة، في غرق الروس في حمأة البداوة والهمجية والجهل والتخريف المطبق بأكثر بكثير من بداوة العرب.

والعرب في جاهليتهم، بَلْهَ إسلامهم، لم يكونوا كلهم بادية... كان منهم دول كبرىٰ منظمة تنظيمًا حضاريًّا راقيًا بلغ ذروة الحضارة الإنسانية في الجنوب والشمال، وفي الشرق والغرب من ديارهم.

والذين نشروا أعلام الإسلام منهم في المعمورة كان أولو الأمر فيهم وزعماؤهم وقادتهم وغالبية جيوشهم من أهل المدينتين العربيتين العريقتين: مكة

والمدينة؛ فقد كان هؤلاء الحاضرة هم ضئضئ الإسلام، وقد أسلم بعدهم وبجاهدهم تحت راية الرسول ﷺ، من أسلم من البادية والحاضرة معًا.

وكما أسلفنا فإنه كانت للعرب قبل الإسلام وقبل تحضُّر كثير من الأوربيين ممالكُ ومدائن حضرية في غاية التحضر والمدنية في الشمال والجنوب، وفي الشرق والغرب... في البحرين، وفي اليمن، وفي نجد، وحضارتهم -كما ثبت أخيرًا عن طريق البحوث الأثرية- هي من أقدم الحضارات.

ويكفي العرب فخرًا أن يكونوا حاملي ألوية الحضارة الإسلامية الغلابة إلىٰ أرجاء العالم.

وقد جرت محاولات عديدة عبر الأجيال، ولا تزال، من أجل القضاء علىٰ هذا النور الساطع الفياض، من مختلف أجناس الناس ومذاهبهم ومبادئهم، فباءت جهودهم الحربية والعلمية والسياسية بالإخفاق الذريع.

فالإسلام ذو حيوية وطاقة جبارة، فلا يكاد يختفي بعضه في بقعة من الأرض حتىٰ يسطع متوهجًا في بقاع أخرىٰ، وهكذا دواليك.

إن الإسلام شُعلة وضاءة من الخالق العظيم أهداها للبشرية لتنجو من متاهات الظلم والظلام، فهو لن ينطفئ نوره أبدًا، بإذن الواحد الأحد: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف:٨]. وصدق الله العظيم.

ورستم مُفْتَرٍ مائق، فما عَلَّم عمرُ العربَ الآداب، والعرب من أكرم عناصر البشر؛ إن الذي علم عمر نفسه الآداب هو محمد رسول الله إلىٰ الناس كافة؛ ومحمد علمه رب الأرباب كلَّ الآداب، فعلمها لعمر ولغير عمر من صحابته الكرام، والناس كافة من بعدهم إلىٰ يوم الناس هذا وإلىٰ يوم الدين.

وعمر جندي من جنود الإسلام البررة الخيرة، وهو جندي باسل، ومغوار حرب، وزعيم إدارة ومختطُّ حكمٍ وسياسة في حرب وفي سلم... وكل ما قام به من ذلك وغيره هو مُستَمَدٌّ من «تعليم» رسول رب العالمين إلىٰ العالمين.

وما كان ينبغي لابن خلدون أن يأخذ قول عدوٍّ للعرب مهزوم مأزوم، في ساعات كربه ومحنته وهزيمته، حجة مسلمة علىٰ قومه العرب والمسلمين، فالخصم في ساعات هزيمته، وفي لحظات كربته يتقوَّل علىٰ خصمه الهازم له كل ما لا يصدُق ولا يُصَدَّق: تنفيسًا من صدره الضيق مما يجثم عليه من أثقال الكبت والحقد والبغضاء والحرمان.

ومن عجَبٍ أن نرىٰ ابن خلدون بعدما اندفع بجرة قلم في تيه سلب العرب كل مقوماتهم من الحضارة والعمران -علىٰ آخر الشوط، يعود رأسًا علىٰ عقب، فيقرر عكس ما سبق أن قرره تمامًا.

إذ يقول ما نصه عن حضارة العرب أنفسهم: «وما كان في القديم لأحد من الأمم في الخليقة ما كان لأجيالهم -أجيال العرب- من المُلْكِ، ودُوَلُ عاد وثمود والعمالقة وحِمْير والتبابعة -شاهده بذلك، ثم دولة مُضر في الإسلام: بني أمية وبني العباس».

وهكذا تورط ابن خلدون في نفيٍ باتٍّ جازم لأمر معين وفي إثبات له بذاته إثباتًا جازمًا قاطعًا.

إني لتعروني الدهشة من تناقض آراء «مؤسس علم الاجتماع»، إنه في نظريته هذه الخاصة «متهافت» كل التهافت، فقد قضىٰ أولًا بحرمان العرب كل العرب من مقومات الملك والحضارة ورماهم بكل شنعاء في تخريب العمران الذي يجدونه

قبلهم وفي تقويض دعائمه حتىٰ تعود الأرض المعمورة من قبلهم خرابًا يبابًا موحشًا ومقفرًا، ثم هو نفسه يعود كليَّةً عن هذه النظرية -بدون أن يشير إليها- فيقضي ثانية بنقيض قضائه الأول تمامًا، ويقرر أنه ما كان لأحد من البشر ما كان لأجيال العرب من الملك كَدُوَلِ عاد وثمود والعمالقة وحمير والتبابعة قبل الإسلام، وكَمُضَر بشقيها؛ الأموي والعباسي في الإسلام، فهذا نقض تام شامل لما سبق أن قرره.

والله تعالىٰ يعلم حيث يجعل رسالته، ولولا علمه بأن العرب أهل لحمل هذه الرسالة المقدسة الشاملة للبشر كافة ما حَمَّلها الرسول العربي الكريم، وما تحمل أعباء نشرها العربُ إلىٰ أمم الأرض كافة.

أما القتل والتخريب فهما أمران ملازمان وشاملان لكل البشر في كل العصور، وناهيك بما حدث لروم وروما واليونان وأثينا، وما بناه العرب من مدن لا يزال باقيًا الكثير منه مزدهرًا بالعمران، موصول الحبل بسالف الزمان، برغم توالي النكبات عليهم وعليه.

وخُذِ القاهرة وبغداد والبصرة وطهران والطائف وصنعاء وعدن، وجُدَّة ومكة والمدينة، وغيرها مثلًا وشاهدًا مُشاهَدًا، وليس الخبر كالعيان.

وما خططوه ورتبوه من تراتيب سياسية الملك والعمران، وما شيدوه من مدارس وجامعات كالأزهر وجامعة الزيتونة وجامعة القرويين - في كل ذلك دليل ناهض علىٰ أن نظرية ابن خلدون السلبية حيالهم في هذه الشؤون لا ترتقي إلىٰ مستوىٰ نظرياته الاجتماعية الأخرىٰ بحال من الأحوال.

هي فلتة من فلتات الفكر البشري الذي لا يخلو من ضعف ومن وقوع تحت سيطرة عوامل عواطفه وانفعالاته أحيانًا.

وربما كان السبب الذي دفع ابن خلدون للقول بهذه النظرية: يعود إلىٰ هذه الهوة النفسية التي هبط إليها فكره وهو يحرك حجارة شطرنج عرب بني سليم وعرب بني هلال تبعًا لعواطفه وانفعالاته في ذلك الجو المغربي السياسي المضطرب الملتهب، فقد كان لابن خلدون مطامعه ومطامحه، وكانت له رغباته وأهدافه، وكانت له سياسته ومراميه ونزعاته، وكان في سياسته المغربية متقلبًا، وكان قد ساق عرب بني سليم وعرب بني هلال إلىٰ حومة هذا التقلب ردحًا من الزمن فانساقوا له طائعين..

فلما اكتشفوا -واقعيًّا- أن ابن خلدون لم يكن ذا سياسة قويمة حكيمة في تنظيم شؤون الدولة، ولم يكن ذا ثبات، فهو اليوم مع الحفصيين وغدًا مع غيرهم نفضوا أيديهم منه، فأحفظه ذلك،فنسج عليهم خيال نظريته هذه حيال نشرهم الفوضىٰ والاضطراب والخراب والدمار في البلاد تشنيعًا عليهم.

وهو -والحق يقال- وغيره من زعماء المغرب كانوا هم الأساس والقادة والرادة في بث هذه الفوضىٰ وهذه القلاقل، وربما كانت سُليم في عصر ابن خلدون إحدىٰ ضحايا سياسات الزعماء المتفرقين المتنابذين الذين يكيد بعضهم لبعض ما وسعهم الكيد، ويستعين كل منهم بكل ما يمكنه، ومن يمكنه الاستعانة به ضد خصمه، فيكيل له الضربات، ويطارده سرًّا وجهرًا حتىٰ يُقْضىٰ علىٰ أحدهما.

وقد قدم لنا أحد شهود الإثبات ممن لا يرتقي إليهم الشك -قدم لنا دلائل وشواهد واضحة المعالم علىٰ أن ابن خلدون كان بنفسه أحد عوامل الاضطراب والخراب اللذين حَلَّا بديار المغرب مما سنأتي بتفصيله إن شاء الله.

وهذا الشاهد الحصيف هو الشيخ مبارك الميلي، مؤرخ الجزائر، في كتابه «تاريخ الجزائر في الماضي والحاضر».

ومن آثار العقدة النفسية المتغلغلة في شغاف ابن خلدون حيال بني سليم وبني هلال خاصة قوله عنهم في كتابه «العبر»: «وليس لهم الآن -أي في القرن الثامن الهجري- عَددٌ ولا بقية في بلادهم»(١).

إن واقع الحال لا يثبت هذا القول... فلا تزال بنو سليم تستوطن بلادهم الأصلية في هذه المملكة بين الحرمين الشريفين، ولهم فيها قراهم القديمة والحديثة ومزارعهم، ومياههم.

وابن خلدون نفسه ناقض نفسه حيال هذه النظرية، فقد ذكر في «العبر» في مكان آخر أن «بجهة المدينة من بني ذياب -ذباب- السليميين خلقًا منهم يؤذون الحاج ويقطعون الطريق»(٢).

وابن خلدون أفادنا من حيث يشعر أو لا يشعر بأن بني سُليم المقيمين في عهده هنا هم من بني ذباب، وربما كان الموجودون منهم الآن من بني ذياب.. أو من غيرهم من آل سُليم بن منصور.

ويتحدث لنا ابن خلدون عن «بن ذباب» بن مالك السليميين، ويذكر لنا منازلهم، بإفريقية في القرنين السابع والثامن الهجريين، وهي تقع بين قابس وبرقة، ويجاورون مواطن «يعْهَب».

ولم يكتف بذلك بل تجاوزه إلىٰ القول بما يناقض قوله السابق بأنهم انقرضوا من مواطنهم الأصلية في هذه البلاد.

---

(١) «تاريخ ابن خلدون» (ص٦٣٩) الجزء الثاني، منشورات دار الكتاب اللبناني في بيروت.
(٢) المصدر السابق، ص٦٣٨، نفس الجزء والطبعة.

فقال كما قدمنا آنفًا: «وبجهة المدينة خَلْق منهم يؤذون الحاج ويقطعون الطريق» وتنكيره لكلمة: «خَلْق» يدل دلالة لغوية واضحة علىٰ أنهم في هذه البلاد كثيرون في زمنه.

وإذن فبنو سُليم في عهد ابن خلدون هم «خلقان عظيمان»: خلق عظيم منهم بإفريقية، ومثلهم في الكثرة من ظلوا مقيمين في ديارهم بين الحجاز ونجد، وقَطْعُ بني ذياب السليميين للطريق علىٰ الحجيج يرتقي إلىٰ عهد آل قتادة من حكام مكة، ما بين عامي (٥٩٧ - ٨١٩هـ).. وأول خَيْطِ هذا التاريخ (٥٩٧هـ) بينه وبين عهد ترحيل بني سُليم المقيمين بمصر إلىٰ المغرب... الذي كان بسنة (٤٤٠هـ) بينهما (١٥٦) سنة.

وابن خلدون خبير بمواقع بين سُليم في أرض المغرب... فهانحن أولاء نراه يتتبع منازلهم... فبنو سليم منهم، مواطنهم كانت فزان وودان بأرض المغرب، وفزان من أرض ليبيا، وقد أعطانا أسماء رؤسائهم في عهده.. فقال: «رؤساء بني ذباب لهذا العهد، في الجواري، ما بين طرابلس وقابس، وبيتهم بنو صابر، والمحاميد(١) بنواحي فاس، وبيتهم في بني رحاب بن محمود. ومن بني سليم، بنو عوف بن بهثة، ما بين قابس، وبلد العُتَّاب من إفريقية. وجرما: وهم: مرداس وعلاق. فأما مرداس فرئاستهم في بني جامع لهذا العهد، وأم علاق فكان رئيسهم الأول في دخولهم إفريقية، رافع بن حماد، ومن أعقابه: بنو كعب رؤساء بني سليم في عهد ابن خلدون بإفريقية.

---

(١) لا يزال المحاميد السلميون يقيمون في ليبيا بطرابلس الغرب حتىٰ الآن، علىٰ ما حدثني به الأستاذ خليفة شعبان، ولربط حلقات التاريخ ببعضها ينبغي أن نذكر هنا بالمناسبة ما أورده الأمير شكيب أرسلان من أن بني سليم هم الذين قاوموا في ليبيا الاستعمار الإيطالي أعنف مقاومة، فلعل الذين قاوموا الاستعمار الإيطالي منهم هم المحاميد السلميون.

والمستوطنون بأجدابية وجهاتها من سُليم -علىٰ ما أفادنا به ابن خلدون- هم بنو يَعْهَبَ بن بهثة إخوة بني عوف بن بهثة، وهم ما بين السدرة من برقة إلىٰ العدوة الكبيرة، ثم الصغيرة، من حدود الإسكندرية، فأول ما يلي المغرب منهم بنو أحمد، لهم أجدابية وجهاتها، ولهم عدد يرهبهم الحاج ويرجعون إلىٰ شماخ، وقبائل شماخ لها عدد، وأسماء متمايزة، ولها العز في بيت، لكونها جازت المُحصَّب من بلاد برقة، مثل المبرج، وطلميثا، ودرنا.

ويعزو ابن خلدون وَهنَ المغرب إلىٰ أمور، منها وفي مقدمتها: سلوك أعراب بني سُليم وبني هلال في تلك البلاد... فهو متأثر منهم من هذه الناحية، يحاول جاهدًا أن يغرس في أذهان قرائه رأيَه هذا حيالهم بأنهم أصل كل ما حدث للمغرب من رزايا وانتكاسات.

وقد سبق لنا أن أشرنا إلىٰ «العُقَد العرقية والنَّفْسيَّة» التي ربما كانت تتحكم في توجيه آرائه حيال بني سليم وبني هلال، فلا حاجة لتكرارها هنا...

وقد نسي أو تناسىٰ ابن خلدون في خضمِّ حوادث اضطراب أمور المغرب أنه هو وأضرابه من كبار ساسته هم صانعو هذه القلاقل، وكان بنو سليم وبنو هلال أدوات يحركها وهو وأضرابه من دهاقنة السياسة المغربية كما يشاءون... تارة إلىٰ اليمين وتارة إلىٰ الشمال.

مما جعل بني سليم وبني هلال آخر الأمر يفطنون إلىٰ أنهم أصبحوا مجرد «لُعب ودُمىٰ» بيد زعماء السياسة المحترفين المتناحرين المتقلبين ذات اليمين وذات الشمال، وفي مقدمتهم عبد الرحمن بن خلدون، فنفضوا أيديهم منهم آخر الأمر،

واتخذوا لهم سياسة شبه مستقلة، لا نقول: إنها حكيمة، فالإنسان ابن بيئته... وقد أحفظ ابن خلدون تملصهم من انتهاج سياسته والاندفاع وراءه فيما يندفع فيه من تحزبات وتقلبات ناجمة عن عواطفه وميوله الخاص... فكتب عنهم ما كتب.

وقد كشف لنا الشيخ مبارك الهلالي الميلي الجزائري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «تاريخ الجزائر في القديم والحاضر» السرَّ الذي جعل ابن خلدون يحمل علىٰ عرب بني سليم وبني هلال في المغرب.

فيقول: «وكانت بطانة الحفصيين يستعملون نفوذهم مع رياح وغيرها، في مصالحهم الخاصة، وحسب أهوائهم، فربما دعوا القبيلة اليوم إلىٰ طاعة ملك، ودعوها غدًا إلىٰ حربه، وهذا عبد الرحمن بن خلدون كان مع الحفصيين، فدعا رياحًا -ورياح من بني هلال- لطاعتهم، ثم فارقهم، فدعاها لأبي حَمُّو الثاني سنة (٧٦٩هـ)، ثم حملها علىٰ حربه، ومخالفة عدوه: عبد العزيز بن أبي الحسن سنة (٧٧٢هـ)، ومع هذا التلاعب الذي لم يسلم منه فيلسوفنا نراه يؤنب العرب أن جرءوا علىٰ الدولة»(١).

وهكذا أماط لنا اللثام، مؤرخُ الجزائر المعاصر، عن السر الكامن وراء تحامل ابن خلدون علىٰ عرب بني سليم وبني هلال في المغرب... وإذا ظهر السبب بطل العجب...

وربما نستطيع أن نضيف إلىٰ هذا السر الخفي سرًّا أخفىٰ منه وأعمق وأقدم،

(١) «تاريخ الجزائر في القديم والحاضر» لمبارك الميلي الجزائري (ص٢٧٢) الجزء الثاني، طبع المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة بالجزائر.

ساكنًا بين ضلوع ابن خلدون، كتُراث يحمله عقله (الباطن) عن أسلافه القحطانيين... فقد شاهد بعينيه صعود نجم بني سليم وبني هلال العدنانيين في الوقت الذي كان فيه نجم القحطانيين آفلًا من المغرب.

ولابد أن هذا العامل الأخفىٰ أثره من دبيب النمل قد جرح أيضًا كبرياء ابن خلدون. وعمل عمله مع العامل السياسي الذي ذكرناه آنفًا.

* * *

إزاحة شبهة علمية

جاء في «مقدمة الكتاب» ما نصه: «وقد بحثتُ فيما لديَّ من المراجع، لعلي أعثر علىٰ كتاب، أُلِّف قديمًا أو حديثًا في تاريخ هذه القبيلة فلم أعثر علىٰ ذلك، اللهم إلا ما ورد من أن أبا القاسم بن بشر الآمدي المتوفىٰ سنة (٣٧٠هـ) ألف دواوين قبائل العرب، ومنها ديوان شعراء بني سُليم، وقد فقد هذا الديوان».

وواقع الحال يطابق ما ذكر... وذلك أني قد كنت وجدت في كتاب «مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية» للدكتور ناصر الدين الأسد، فصلًا كاملًا عنوانه: «الفصل الثاني في دواوين القبائل» وقد جاء في هذا الفصل: أن أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي المتوفىٰ سنة ٣٧٠هـ ألف ستين ديوانًا من دواوين القبائل.

قال المؤلف عنها: «هي في ترتيبنا لها علىٰ حروف الهجاء كما يلي»... ثم ذكر المؤلف بجانب الرقم المتسلسل الذي هو: [٢٤]- كتاب بني سليم.

وسيبدو لك جليًّا أنه ليس المقصود من هذا الديوان، كونه «كتابًا» بالمعنىٰ المفهوم لدينا للكتاب... كما يتبادر إلىٰ الذهن، وإنما الغرض من صيغة (كتابٍ) هذه، هو «الديوان»، بدلائل منها قوله في أول هذا الفصل: «الفصل الثاني دواوين القبائل»... ثم قوله فيما بعدُ عن هذه الدواوين من أشعار العرب التي بلغت [٦٠] ديوانًا: «ولم ينسب الآمدي شيئًا من هذه الدواوين، إلىٰ جامع أو صانع، من الرواة العلماء، بل أرسلها هكذا غُفلًا، إلا ديوانين منها».

وبدليل قوله في الصفحتين (٥٥١ و٥٥٢) من كتابه الآنف ذكره: «إن هذه الدواوين أو هذه الكتب هي أشعار القبائل».

وبدليل قوله: «وأول ما نلحظه في هذه الدراسة هي تسمية الديوان، فقد كانوا يطلقون علىٰ ديوان القبيلة أشعار بني فلان: أو شعر بني فلان، أو كتاب بني فلان، فالآمدي مثلًا يذكر في موطن من كتابه «شعر فزارة» ويذكر في موطن آخر، كتاب فزارة، وهما بمعنىٰ، ويذكر كتاب بني يشكر و«شعر بني يشكر»، ويذكر «كتاب بني عقيل» و«شعر بني عقيل» و«كتاب بني أسد» و«أشعار بني أسد»، و«كتاب طيئ» و«أشعار الطائيين»، وكتاب «بني سليم» و«أشعار بني سليم» وهكذا»(١).

وبدليل قوله بعد ذلك ما ملخصه: «إن في كتاب القبيلة أو في ديوانها فضلًا عن بيان حادثة تاريخية ذكرت في الشعر، أو توضيح المناسبة التي قيلت فيها القصيدة، أو تفسير بيت من أبياتها -فإنه يحوي نسب القبيلة أيضًا، وكل الأخبار والأحاديث والقصص الواردة في ديوان القبيلة أو كتابها أو شعرها- لم يذكر لذاته، وإنما ذكر لذكر الشاعر نفسه وشعره».

وقوله أخيرًا: إن «كُتُبَ القبائل في جوهرها مجموعات شعرية تضم بين دفَّتيْها قصائد كاملة، مقطوعات صغيرة، وأبياتًا متفرقة، لشعراء تلك القبيلة، أو بعض شعرائها... وربما ضمت أكثر شعر هؤلاء الشعراء، وربما ضمت جميع شعر شاعر منهم، وديوانه كاملًا، وتضيف إلىٰ ذلك من الأخبار والنسب والقصص والأحاديث ما يتصل بالشاعر نفسه، أو ببعض أفراد قبيلته، وما يوضح مناسبات القصائد، ويفسر بعض أبياتها، ويبين ما فيها من حوادث تاريخية، فيجيء كتاب القبيلة بذلك سجلًّا

---

(١) «مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية» للدكتور ناصر الدين الأسد (ص٥٤٣، ٥٤٤) طبع دار المعارف بمصر (١٩٦٢م).

لحوادثها ووقائعها، وديوانًا لمفاخرها ومناقبها، ومعرضًا لشعر شعرائها». (ص٥٥٤ و٥٥٥) من الكتاب المذكور.

وأخيرًا يقول ناصر الدين الأسد عن دواوين القبائل هذه أو شعرها أو كتبها: «إن الآمدي لا ينسب شيئًا من هذه الدواوين إلىٰ جامع أو صانع من الرواة العلماء، بل أرسلها هكذا غفلًا، إلا ديوانين منها: الأول: أشعار بني تغلب، و(الثاني: أشعار الرباب». (ص٥٥٤ و٥٥٥).

ثم تعرض لمحل الشاهد، وهو قضية وجود شيء من هذه الدواوين أو الأشعار أو الكتب، وبقائها حتىٰ اليوم من عدمه.

فقال: «فإذا كان ذلك كذلك فما أشد حسرة الباحث في دواوين القبائل ورواياتها إذا علم أن صروف الدهر لم تُبق لنا إلا علىٰ ديوان واحد فقط من هذه الدواوين الكثيرة التي زخرت بأسمائها المصادرُ العربية، وهي ليست إلا جزءًا مما صنعه الرواة، وكل ذلك أيضًا ليس إلا جزءًا مما قاله شعراء القبائل -هذا الديوان الوحيد الذي بقي لنا هو ديوان هذيل». (ص٥٤٨).

وبهذا يتضح جليًّا أنه لم يُؤلَّف كتاب مستقل بمعنىٰ الكتاب المعروف لدينا علميًّا عن تاريخ بني سليم، فيما أورده الدكتور ناصر الدين الأسد، وإنما الذي أُلِّف هو ديوان يحوي أشعارهم ويتضمن بعض أخبارهم وقصصهم وأسباب نظم هذه القصائد.

وحتىٰ هذا اللون من «الجمع» عصفت به صروف الدهر فلم تبقه لنا علىٰ ما يقوله الدكتور ناصر الدين الأسد، اللهم إلا ديوانًا واحدًا هو ديوان هُذيل، لا ديوان سليم.

علىٰ أنه لو لم يفقد ديوان شعر سليم هذا فيما فقد من أمثاله لكان في ذلك كسب لنا ولتاريخهم، بالإلمام بأغلب شعرهم وشعرائهم.

فمن دراسة ذلك دراسة واعية وعميقة وشاملة ومقارنة يمكننا أن نخرج بفوائد جمة عن تاريخهم القديم، فعسىٰ أن يعثر عليه أو علىٰ بعضه، في بعض رفوف المكتبات الخاصة أو العامة، ثم عسىٰ أن ينشر -إذا عثر عليه- نشرًا علميًّا محققًا موفقًا.

* * *

الأنساب العربية في العصور الإسلامية

يلاحظ المتتبع لمراجع التاريخ الإسلامي والعربي عبر القرون الإسلامية، وأخيرًا -اختفاء أسماء الأعلام من بني سُليم -إلا ما قل وندر-، ولعل هذه الظاهرة ذات علاقة بما يلي تبيانه:

أولًا:

انصراف أغلب أبناء هذه القبيلة عن أسباب البروز... وأعني بهؤلاء، من يقطنون ديارهم الأصلية خاصة، وذلك منذ أرسل إليهم الواثق جيشًا عرمرمًا من بغداد، لتأديبهم، وللحيلولة بينهم وبين العدوان علىٰ الجيران، وربما علىٰ حجاج بيت الله الحرام، وعابري السبيل أيضًا.

ولذلك لم نرَ منهم أعلامًا تاريخيين كما كان عليه حالهم من قبل ذلك. خاصة وقد نفضت الحكومات المتعاقبة أيديها من مهمة تعليمهم وتثقيفهم وإصلاح شؤونهم، وهكذا ظلوا متجمدين أو مُجمَّدين إلىٰ عهد انبعاثهم في العهد الراهن الذي ضمن تكافؤ الفُرص لكل المواطنين بدون تمييز.

وثانيًا:

ما لاحظه المَقَّري التلمساني بالقرن الهجري الحادي عشر، ومن قبله ابن سعيد.

قال المقري: «وأما بنو أمية فمنهم خلفاء الأندلس... قال ابن سعيد: ويعرفون هنالك إلىٰ الآن بالقريشيين، وإنما عَمَّوْا -أي: أخفوا- نسبهم إلىٰ أمية في الآخر لما انحرف الناس عنهم، وذكروا أفعالهم في الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(١).

(١) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» لأحمد بن محمد المقري التلمساني (ص٢٧١) المجلد الأول طبع مطبعة السعادة بمصر (سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٩م).

وهكذا كان ابن سعيد أول أو من أوائل من قرعوا باب «أثر السياسة في اختفاء الأنساب».

وقد وضع لنا الأستاذ ناجي معروف النقط علىٰ الحروف، حيال هذه الظاهرة - حينما قال في مقدمة كتابه النفيس: «وقد توصلنا في هذا البحث إلىٰ أن كثيرًا من هؤلاء المنسوبين أو المضافين إلىٰ مدن أعجمية، إنما كانوا من أصل عربي، خالص، وسنبرهن في هذه الرسالة علىٰ هذه الحقائق العلمية التي لا ريب فيها، وعلىٰ مدىٰ تغلغل العرب في البلاد الإسلامية واستقرارهم في مدنها، هم وذراريهم، وتصاهرهم مع أهلها، وتوطنهم فيها أجيالًا طويلة حتىٰ اليوم»[(١)].

وقال أيضًا: «ينسب عدد لا يحصىٰ من العلماء العرب إلىٰ مختلف المدن الأعجمية، فتقرأ مثلًا: الأصفهاني، والنيسابوري، والفيروزآبادي، والرازي، والطبرستاني... إلخ. ويظن الكثيرون من الناس أن هؤلاء المنسُوبين إلىٰ هذه المدن الأعجمية إنما هم من الفرس أو الأتراك أو الهنود أو المغول أو غيرهم من الأمم التي دخلت في الإسلام، ويعتقدون أنهم أعاجم، وليسوا عربًا، باعتبار أن العرب لا ينتسبون إلىٰ المدن، أو القرىٰ، أو المحالِّ، أو الأماكن المختلفة الأخرىٰ، ولم يُسمع أن أحدًا من العرب في الجاهلية وصدر الإسلام وعهد الأمويين انتمىٰ أو انتسب إلىٰ مكة أو المدينة أو الطائف أو صنعاء، أو عدن... إلخ، وإنما كانوا ينتسبون إلىٰ قبائلهم، وعشائرهم، وإلىٰ أفخاذها وبطونها، فنسمع علىٰ الدوام: القرشي، والمخزومي، والزهري، والسهمي، والتيمي، والتميمي، والباهلي، والأسدي، وأما

---

(١) «علماء ينسبون إلىٰ مدن أعجمية وهم من أرومة عربية» للأستاذ ناجي معروف (ص٣) طبع مطبعة الحكومة ببغداد.

الأعاجم فينتسبون إلىٰ المدن، والقرىٰ، والأماكن، ولا يعْتَزُّونَ كالعرب بانتسابهم إلىٰ الآباء أو الأمهات، أو القبائل وبطونها، وأفخاذها»(١).

ثم أوضح المؤلف أن هذه الظاهرة بدأت تبرز في العالم العربي والإسلامي عندما أصبحت بغداد مدينة أمَمية كبيرة تضم أناسًا من كل الأجناس والقوميات، ومن مختلف الملل والنحل، فصار عندها وفي ذلك الظرف العرب الصُّرَحَاءُ ينتمون مثل الأعاجم إلىٰ المدن والقرىٰ والمَحال، والأماكن المختلفة، وبخاصة أولئك العرب الذين عاشوا بين ظهراني المسلمين من غير العرب، وهكذا صار المنتسبون إلىٰ المدن، من عرب وغير عرب، كثيرين جدًّا، فكان من المنتسبين إلىٰ بغداد مثلًا، كثرة من كل جنس وفن، كما يقول السمعاني - في كتابه في «الأنساب» (ص٢٦٩/ ج٢)(٢).

وزاد المؤلف هذا الموضوع وضوحًا وتعريفًا، حينما قال: «وإذا علمنا أن عدد أصحاب الرسول ﷺ الذين انتشروا في هذه البلاد إبان الفتوح الإسلامية وحملوا إليها مشاعل العلم، كان عددهم اثني عشر ألف صحابي(٣) أدركنا عِظَم التأثير العربي علىٰ هذه البلاد، وتعريب الثقافة فيها.

هذا عدا الجيوش العربية الفاتحة من المهاجرين والأنصار، وما عدا أولئك الذين انتقلوا من القبائل والأُسَر العربية إلىٰ بلاد المشرق والمغرب، من مختلف الأقطار العربية، وعدا أولئك الذين ظلت الجزيرة العربية تُغَذِّي بهم هذه البلاد، طوال العصور في هجرات مستمرة نحو الغرب والشرق».

---

(١) المصدر السابق (ص٥ و ٦).

(٢) المصدر السابق (ص٥ و ٦).

(٣) عن «العواصم من القواصم» (ص٢٤٢) «علماء ينسبون إلىٰ أرومة أعجمية وهم ن أرومة عربية» للأستاذ معروف ناجي (ص٧).

وزاد الموضوع تحليلًا وإيضاحًا حينما تحدث وضرب مثلًا لاستعجام العرب، وأسباب إخفائهم لأنسابهم، عمدًا، خوفًا من سيف الانتقام المُصْلَتِ علىٰ رقابهم، بما حدث في دولة «المغول» في عهد جنكيز خان، إلىٰ احتلال هولاكو لبغداد، حيث محوا أكثر بلدان الشرق وأقطاره، محوًا تامًّا، وأزالوا مُدُنًا، لم تقم لها قائمة، وقتلوا علماءها وأهلها، ولم ينْجُ منها إلا أفراد قلائل، وتعاقب علىٰ الحكم بعد المغول أمم لا تمتُّ إلىٰ الثقافة العربية، ولا إلىٰ النسب العربي بصلة، وكان أثرهم كبيرًا في طمس معالم الحضارة العربية، وفي إظهار الألقاب الأعجمية للعرب، في مكان الألقاب العربية لهم، ثم ساق المؤلف أمثلة كثيرة من الألقاب الأعجمية التي تطلق علىٰ أفراد عزب، معروفة عروبتهم في التاريخ، إما جريًا علىٰ سَنَن أولئك الأعاجم، أو خوفًا وحَذَرًا من بروز أنسابهم العربية، فيتعرضون للمهانة، وما هو أكبر من المهانة، في أجواء لا تتفق واتجاهاتهم، وذكر أنسابهم الصحيحة الكامنة.

وبعد أن ساق عشرات الأمثلة علىٰ نظريته هذه، دخل إلىٰ صلب الموضوع، فأشبعه تحليلًا وإيضاحًا وتركيزًا.

قال: «وقد ساعد الانتساب إلىٰ المدن الأعجمية أو الإسلامية، وحتىٰ العربية أو الحرف والصناعات والوظائف أو الفرق الدينية، أو الطوائف المذهبية، أو إلىٰ الرجال والنساء، علىٰ تحاشي النسب الحقيقي عند الأزمات الحادة، أو في أثناء بعض الظروف السياسية الحرجة التي كانت تواجه الأمة».

إلىٰ أن قال: «وكان طبيعيًّا أن يخفي الناس أنسابهم في مثل هذه الظروف القاسية، ويحاولوا الاختفاء في المدن النائية، وينتسبوا، إلىٰ المدن، أو الحِرَف، أو الصناعات... إلخ»(١).

---

(١) المصدر السابق (ص٢٨).

ولقد كان إظهار النسب العربي في عهد ساد فيه الأتراك والبويهيون من الأمور الصعبة التي تعْرِض أصحابها إلىٰ المطاردة، أضف إلىٰ ذلك أن البويهيين الذين بنوا الطائفية في العراق، وحاربوا مناوئيهم كان لهم أثر كبير في إخفاء الأنساب العربية، سواء أكانت عباسية أم بكرية أم عمرية أم أموية... إلخ، وفي انتحال أنساب علوية، لينالوا الحظوة عندهم، وقُل عكس ذلك في زمن السلاجقة.

ثم ذكر أن هذه الظاهرة اشتدت جدًّا في زمن الصفويين، حتىٰ إن الناس عمدوا إلىٰ تغيير أسماء المشاهد والأضرحة، مخافة نبشها أو العبث بالأموات، إذا كانوا ينتسبون إلىٰ العباسيين أو الأمويين(١)... إلخ.

وهكذا شرح لنا المؤلف أبعاد هذه الظاهرة التي لابد أنها عملت علىٰ طمس كثير من معالم أنساب العرب الذين وقفوا تحت طائلتها، ليتمكنوا من أن يعيشوا في إطارها بأمان واطمئنان، بين الشعوب التي تحيط بهم والتي يساكنونها، ولابد أن حالتهم المعيشية لو سلكوا غير هذا السَّنَن ستكون صعبة ومرتبكة ومضطربة، خاصة مثل بني سليم الذين شرقوا وغربوا، وأسهموا في حوادث ومعارك مصيرية وغير مصيرية أثمرت لهم عداوات وحزازات وضغائن في الأمم التي أقاموا بين ظهرانيها بعد انتهاء صولتهم وقوتهم.

ولعل السببين المذكورين في أوائل هذا الفصل كانا قد تضافرا علىٰ اختفاء أسماء كثير من رجالات سليم في الأجيال التي سبقت جيلنا الحاضر.

ومعلوم أن رئيس الأسرة إذا عمد إلىٰ إخفاء حقيقة نسبه، لأسباب ملجِئة، فإن الجيل الثالث من نسله علىٰ أقل تقدير ينسىٰ أصله..

---

(١) المصدر السابق (ص٢٩).

وقد تتبعتُ -بقدر استطاعتي وجهدي- الأسفار التي أُلِّفَت في القرن العاشر -مثلًا- وما بعده، فما وجدت تراجم لرجالات سليم في علم، أو أدب، أو إدارة، اللهم إلا قلة ضئيلة..

وهذا مع ملاحظتنا للسهو الذي وقع فيه الشيخ عبد الرزاق البيطار، حينما ترجم لمنصور بن عمار السلمي الذي كان يعيش في عصر الليث بن سعد الفهمي وهو القرن الهجري الثاني، وكان صديقًا لليث ونزيله في مصر، في ظرف من ظروف الزمن. فقد اعتبره الشيخ عبد الرزاق البيطار من أهل القرن الثالث عشر الهجري، وترجم له علىٰ هذا الأساس، ترجمة حافلة، بالصفحة (١٥٦٢) من كتابه القيم: «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر»، ولست أدري من أين استقىٰ ترجمته كما وردت في ذلك الكتاب؟!

علىٰ أني وجدتُ في كتاب محمد خليل المرادي، ترجمتين لشخصين، وصفهما المرادي بأنهما (سليميان)! (هكذا). وهما دمشقيان، ولكني -والحق يقال- لم أتأكَّد ما إذا كانا من بني سليم بن منصور، أم من غير هذه القبيلة، لأن المؤلف لم يتعرض لشيء من التفصيلات عن ذلك.

والشخصان هما:

١- الشيخ أسعد المجلد ابن عبد الرحمن بن محيي الدين بن سليمان الشهير بالمجلد، لكون والده في مبدأ الأمر مشتغلًا بتجليد الكتب - الحنفي السليمي الدمشقي... إلخ[(١)].

٢- علىٰ السليمي بن محمد بن علي بن سليم الشافعي الدمشقي الصالحي الشهير بالسليمي[(٢)].

---

(١) «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» لمحمد خليل المرادي (ص٢٢٩) المجلد الأول، طبع المطبعة الأميرية ببولاق (مصر) سنة ١٣٠١هـ.

(٢) المصدر السابق (ص٢١٩) المجلد الثاني.

ومع أني أعرف أني بني سليم بن منصور قد بقيت منهم أَسَرٌ في الشام، وبدمشق بالذات، بعد إجلائهم عن الشام، ولعل تلك الأُسَر من نسل من جاءوا إليها مع غزاة القرامطة في احتلالهم للشام، وذلك مثل سلطان العلماء (العِزّ بن عبد السلام) -فإني لم أستطع الجزم مطلقًا بحقيقة نسبة هذين الشخصين الدمشقيين اللذين نعتهما «المرادي» بأنهما «سليميان».

علىٰ أنه مما بدا لي أثناء بحث حالتهما علىٰ ضوء ما ورد في ترجمتيهما في الكتاب الآنف ذكره، أن الثاني منهما ربما يكون (سلِيميًّا) بفتح السين المهملة، وإذا صح هذا التأويل فيكون قد ابتعد عن محيط نسب (بني سليم).. لأن اسم جدهم (سليم) بضم السين وهو أي (علي السلمي) حفيد (سَليم) بفتح السين -فنسب إليه.

وقد أورد المؤلف أنه (صُلِّيَ عليه يجمع حافل في السليمية)، وبقي الأول منها مُحَاطًا بدائرة الشك في حقيقة انتمائه لسليم؛ إذ ليس هناك قرينة صالحة للاستناد عليها تفتح النوافذ المغلقة حيال حقيقة هذا الانتماء... أهو لبني سُليم -بضم السين- أو هو لِجَدٍّ له اسمه (سُليم) بضم السين أيضًا أو بفتحها... والجزم بشيء ما حيال نَسب هذا الرجل رهن بالوقوف علىٰ ترجمة له واضحة وصريحة فيما لا يزال غامضًا من نسبه.

وفي «صبح الأعشىٰ» للقلقشندي ذِكْر للعربان بالدرب المصري إلىٰ مكة، وعد منهم بني سليم فقال: «ومن الجحفة علىٰ قديد وما حولها إلىٰ الثَّنِيَّةِ المعروفة بعقبة السويق لسليم»[1].

كما وردت إشارة عابرة عن إسهام بن سليم -بصفة شاملة لهم ومن غير

---

(١) «صبح الأعشىٰ للقلقشندي» (ص٢٨٥) الجزء الرابع.

تخصيص أحد أو ذكر اسمه- في حراسة (الدرك) الذي تبتدئ حدوده من بستان القاضي إلىٰ الحدرة والمضيق آخر وادي العميان، وأول وادي مر الظهران... علىٰ ما ذكره عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري أحد علماء القرن الحادي عشر الهجري، وصاحب كتاب «درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة».

وحراسة (الأدراك) أو (المدارك) كما أدركناه في أول العهد السعودي الحاضر، وظيفة عمومية للبادية يشترك في مسئوليتها والقيام بها جميع أفراد من جعلتها الدولة في أعناقهم... مقابل مكافآت أو رواتب محدودة أو معلوم مقرر لهم.

وقد سمىٰ لنا عبد القادر أسماء أشخاص من أهل تلك المدارك من غير بني سليم: مهادف بن مالك بن رومي وجماعته -وبعد ذلك قال: «وكان الدرك قديمًا مقسمًا بين جماعات بمعاليم معلومة، منهم البشريون، والعصيفيون، وبنو سُليم، ثم صار الدرك والمعلوم العائد له، بيد زبيد اليمن، وهم في طاعة السيد الشريف أمير مكة المشرفة الآن - القرن الهجري العاشر-»(١).

فهذا ذكر عام لبني سليم في القرن الهجري العاشر، وربما كانت إناطة ذلك الدرك بهم قبل القرن المذكور، لأن المؤلف يقول لنا: إن الدرك كان قديمًا مقسمًا بين جماعات من الأعراب منهم بنو سليم...

وتحديد معالم هذا الدَّرك يدل علىٰ أنه أو بعضه علىٰ التعبير الأدق داخل في ديار بني سليم، ولذلك عُهِدَ إليهم -قديمًا- بحراسته...

---

(١) «درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» (ص٥٤٥ و٥٥٥) ط المطبعة السلفية بمصر.

والدرك -بفتح الراء وسكونها- معناه لغة: التبعة وأقصىٰ قعر الشيء، وجمعه: أدراك.

وهناك أيضًا محمد بن حمدون المرداسي السلمي، أحد علماء مدينة فاس بالمغرب الأقصىٰ، وهو من أهل القرن الهجري الثالث عشر.

كما أن الأمير شكيب أرسلان وهو العليم بأحوال البلاد الإسلامية وسكانها - أفادنا أن (في عرب مصر كثيرًا من بني سليم بن منصور، وبأن مشايخ الأحامدة الذين هم من مشايخ حرب في الحجاز يقال إنهم من سليم، وإن جدهم (العباس بن مرداس السلمي) كما أنبأنا بأن أكثر عرب برقة والجبل الأخضر من بني سليم بن منصور، وهم الذين ابتلاهم الله بالطليان في هذا العصر ولم يزالوا يجاهدون عن دينهم ووطنهم منذ عشرين سنة»(١).

وقد أفادنا مصطفىٰ مراد الدباغ أيضًا بأن لبني سُليم المعاصرين قرية في مشيخة رأس الخيمة علىٰ الخليج العربي تدعىٰ ياسمين أحدهما (الجزيرة) أو (جزيرة زُعاب) نسبة إلىٰ سكانها الذين ينتمون إلىٰ زُعاب من بني سليم واقع علىٰ مسافة (١٨) كيلومترًا من رأس الخيمة، وأن لها مدرسة أنشئت عام (١٩٦٠ - ١٩٦١م) المدرسي فيها ١٢٣ طالبًا يعلمهم معلمان(٢).

* * *

(١) «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلىٰ أقدس مطاف» (ص٢٧٤) طبع مطبعة المنار، سنة ١٣٥٠هـ.

(٢) «جزيرة العرب» (ص١٩٤) الجزء الثاني، طبع بيروت.

صعود، فهبوط، ثم بداية صعود

بدأ عصر الصعود الاجتماعي لبني سليم في أواخر الجاهلية الثانية القريبة من الإسلام، واستمر صعودهم الاجتماعي في صدر الإسلام، إلىٰ الثلث الثاني من القرن الهجري الأول، ثم أصابتهم نكسة خطيرة في معركة مرج راهط سنة (٦٤ أو ٦٥) بدمشق الشام، ثم استعادوا مكانتهم بعض الشيء، فرأينا منهم الولاة والأمراء، في عهد الدولة الأموية في إفريقية وغيرها.

وأخذ الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي بضبعهم، فرحّل الكثير من أسرهم، من ديارهم الأصلية المستكنة في إطار حرارهم وجبالهم وأوديتهم المنعزلة -رَحلهم منها بموافقتهم إلىٰ القطر المصري الفياض بالخيرات لهدف سياسي هو أن يحفظوا التوازن بين القبائل القحطانية الكثيرة التي نزلت أو أُنزلت بمصر في أيام الفتح الأول، وبين القبائل العدنانية القليلة النزوح إلىٰ هنالك.

ثم تجمد وضعهم حتىٰ رأيناهم في القرن الهجري الثالث في عهد الخليفة الواثق العباسي يهبطون إلىٰ دركات العيث والإخلال بالأمن في ديارهم ويعودون إلىٰ شن الغارات من ديارهم الأصلية علىٰ جيرانهم ويفتكون بهم... فيجرد الواثق عليهم حملة كبيرة من بغداد تقضي علىٰ إخلالهم بالأمن، وتفتك بالكثير من رجالهم...

ومن ثم تُعنىٰ الدولة العباسية بإعادة الاطمئنان والاستقرار إلىٰ ربوعهم... فتُعمرّها لهم، فتزدهر، ازدهارًا لا نعلم من أبعاده إلا ما تشير إليه في غموضٍ بالغٍ لمحاتُ المؤرخين، وإلا ما تُحدثنا به الآثار المستكشفة حديثًا في بلادهم... مما فصَّلناه في مكانه.

وما إن يبدو الضعف في الدولة العباسية حتىٰ نرىٰ بني سليم يعودون إلىٰ امتشاق الحسام وشن الغارات... وقد خاضوا غمار معارك مع حرب اليمانية النازحة من أرض اليمن إلىٰ جوارهم... كما وُجهت لهم حملة تأديبية من ابن ملاحظ أمير مكة.

وكانوا مع القرامطة، وقد احتلوا معهم ديار الشام، فلما وهن أمر القرامطة، انسحبوا معهم إلىٰ البحرين، وانكمشوا هنالك... ثم اشتد ساعدهم في البحرين.

وقد نص التاريخ علىٰ أن انضمام بني سليم إلىٰ القرامطة، كان انضمامًا شغبيًّا نفعيًّا مجردًا، ولم يكن لانضمام هؤلاء البدو إلىٰ حركة كهذه أثر يذكر في عقائدهم، اللهم إلا ما ظهروا به من رغبة الشغب وخضوع لإرادة غير موجهة.

وكان منهم جماعة تنتشر في طريق الحج المؤدي إلىٰ مكة، لقطع الطريق والإغارة»(١)...

فلما تغلب بنو الأصفر علىٰ البحرين في سنة (٣٧٨هـ) باسم العباسيين، وطردوا منها بني سُليم الذين كانوا أعوانًا للقرامطة حينئذٍ رأىٰ الفاطميون -العبيديون- عندها أن يستعينوا بهؤلاء الأعراب الأشداء، فشجعوهم علىٰ الهجرة إلىٰ مصر، ونقلهم العزيز هم وبنو هلال إلىٰ الصعيد بمصر، بالعدوة الشرقية من نهر النيل فأقاموا هناك(٢).

---

(١) «النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة» لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ص١١٥ و١٢١)، الجزء الثالث، طبع دار الكتب المصرية بمصر، وباب «القبائل العربية في إقليم مصر في عصر الولاة» (١٨ - ٢٥٤هـ) للدكتور عبد المجيد عابدين (ص١٢٥) ط مصر.

(٢) «ابن خلدون» (ص٢٨) المجلد السادس من «العبر»، طبع بيروت، وعبد المجيد عابدين في «تعليقاته علىٰ كتاب البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب» للمقريزي (ص١٣٦).

ثم عاد أمرهم إلىٰ التجميد، وربما إلىٰ الشغب أيضًا وشن الغارات والإخلال بالأمن، مما حمل العبيديين علىٰ استغلال طاقتهم الكبيرة في القضاء علىٰ دولة ابن باديس بالقيروان والمهدية، علىٰ أثر إعلانه الانفصال عن دولة العبيديين وخلع طاعتهم.

وفي إفريقية انتشروا انتشارًا كبيرًا، وكانت لهم أحداث جسام ومثيرة هنالك ذكرها المؤرخون[(١)].

ولم يتمكن السلميون ولا الهلاليون من إقامة دولة لهم في أرض المغرب، ولكنهم تمكنوا من نشر لواء اللغة العربية وثبتوا لهم مكانة مرموقة في الأوساط الاجتماعية، واندمج كثير منهم في الأهلين فيما بعد.

ونبغ فيهم العلماء، وربما كبار التجار والمزارعين والصناع، كما نبغ مثل ذلك منهم في الشام وغير ديار الشام، ولا ندري ما هي البواعث التي دفعتهم في القرن الثاني عشر الهجري أو دفعت بالكثير منهم إلىٰ الهجرة مرة أخرىٰ من المغرب إلىٰ مصر بصفة جماعيه كما نزحوا من مصر إلىٰ المغرب سابقًا، وفي مصر بعد ذلك كانت منهم أسر معروفة، خاصة في ناحية الصعيد.

أما بنو سليم في مساكنهم الأصلية فقد ظل الانكماش ملازمًا لهم بعد ضربة الواثق لهم بأمد لا نعرف مداه... واستمر هذا الانكماش أو هذا الهبوط الاجتماعي طيلة دويلات الطوائف، وطيلة عهد الأشراف... وأخيرًا بدأ فجر اليقظة والانفتاح لبني سليم في عهد الدولة السعودية الحاضر... علىٰ ما فصَّلناه في مكانه من هذا الكتاب.

* * *

---

(١) المصدر السابق.

وثيقة سلمية تحدد بعض ديارهم

حينما شرعت في تأليف هذا الكتاب، جعلت نصب عيني تضمينه بعض وثائق بني سُليم، الخاصة بديارهم، وكنت قد علمت من بعض كبارهم خلال رحلتي إلىٰ بلادهم، عدم وجود حجج شرعية بالمعنىٰ الرسمي المفهوم لدينا، وهو يعني الوثائق الشرعية الصادرة من محاكم شرعية رسمية منصوبة من قبل الدولة لفض المنازعات وإثبات الأملاك أو نفيها وما إلىٰ ذلك من الحقوق.

وأخيرًا؛ وبعد بحث عميق: وجدتُ هذه «الوثيقة» المنشورة في الصفحة المقابلة، وهي تحدد الجزء الخاص من الأراضي ببني عَلَا، من بني سُليم، وكان «تجديدها الرابع» في عام (١٣٧٧هـ) أما صدورها لأول مرة فقد كان في سنة (١٩٥هـ) وهذا التاريخ يوافق بالضبط السنة التي أعلن فيها الأمين محمد بن هارون الرشيد خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، وخلع المأمون لأخيه الأمين من الخلافة[(١)].

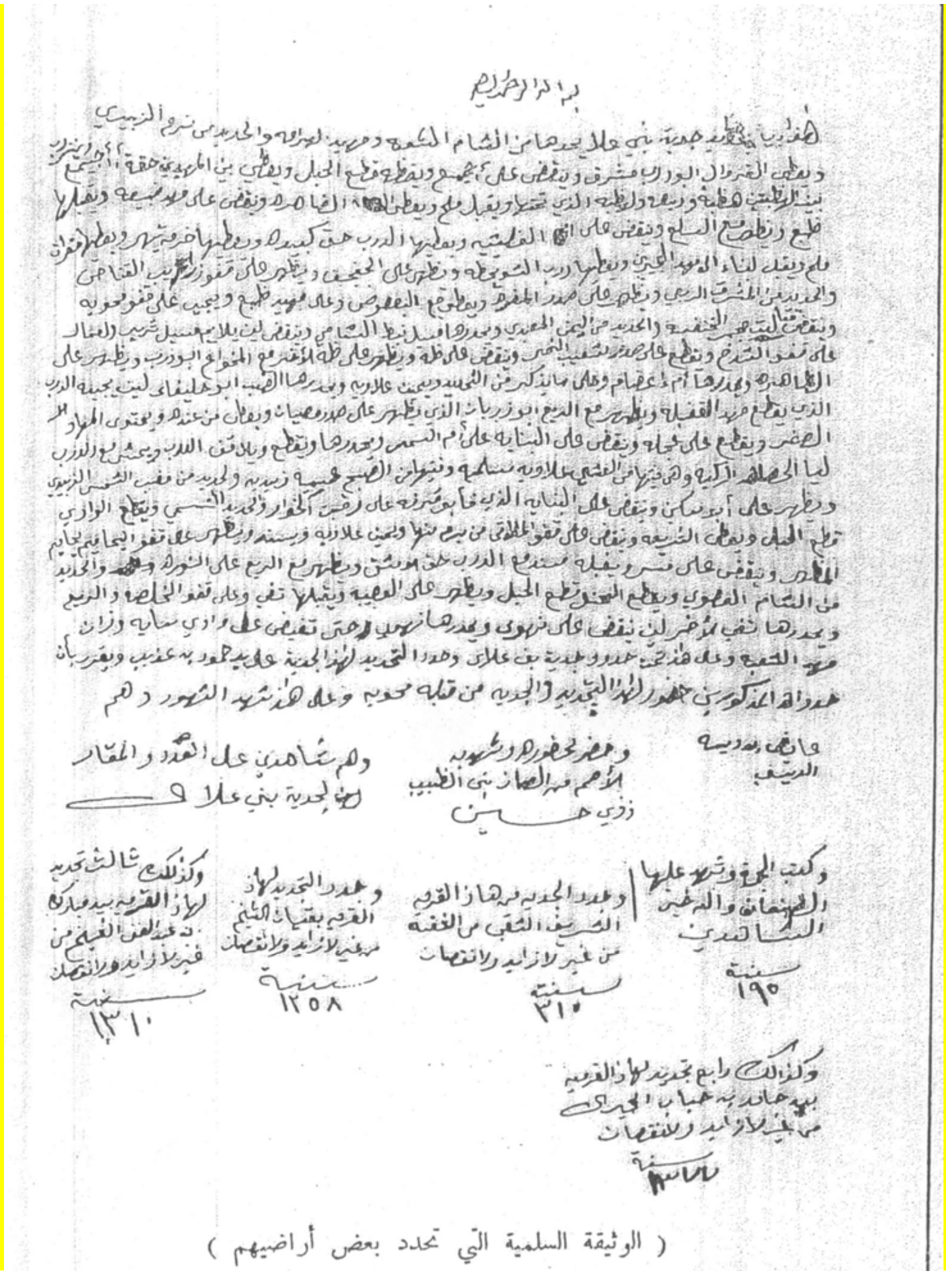
والوثيقة في حد ذاتها كتبت بلهجة عامية محضة... ولكن ما أشير إليه فيها من تجديدات لها وما ورد فيها من أن أصلها مكتوب بسنة (١٩٥هـ) واعتمادها من قبل بني سُليم يدلنا علىٰ أن لها أصلًا فصيحًا.

وكان التجديد الأول للوثيقة المذكورة، في سنة (٣١٠هـ)، وكان ذلك في خلافة المقتدر بالله العباسي، وفي عام اشتد فيه بلاء القرامطة بقيادة أبي طاهر علىٰ العراق[(٢)].

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» لأبي جعفر محمد بن جوير الطبري (ص٢)، المجلد السابع، طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة (١٣٥٨هـ ١٩٣٩م).

(٢) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ص١٦٩ وما بعدها)، المجلد الثاني، طبع دار صادر، دار بيروت.



بسم الله الرحمن الرحيم

حدود جديدة بني علا يحدها من الشام الشعبة ومن ... والحد من شرق الزبيري ... ويقطع الغزوال ... مشرف وينقض على ... ويقطع قطع الجبل ... بين الماء ... الجميع ... وينقض على ... ويقطع ... الذي ... ويقبل ... الدرب حتى ... ويقبل ... الدرب الشوبحطه ويظهر على الجحيف ... والحد من المشرق ... ويقطع ... ويظهر على صدر ... وعلى ... ويجيء على قفو ... وينقض ... والحد من اليمن ... الشامي ... على قفو ... ويظهر على ... ويظهر على ... الذي يقطع ... ويظهر مع الريع ... الذي يظهر على ... الصغير ويقطع على ... وينقض على البنايه على أم السمر ... ويقطع ... اللاب ... الدرب ... والحد من مغيب الشمس الزبيري ويظهر على ... وينقض على البنايه ... ويقطع الوادي قطع الجبل ويقطع ... وينقض على قفو ... ويظهر على قفو ... وينقض على ... ويقبل ... الدرب ... ويظهر مع الريع على ... والحد من الشام ... ويقطع ... قطع الجبل ويظهر على العصبة ... وعلى قفو ... والريع ويحدها ... ينقض على ... ويحدها ... تفيض على وادي ... وزان ... الشعبة وعلى هذه حدود جديدة بني علا وحدود التحديد لهذا الجديد على يد ... حدودها المذكورة بحضور ... التحديد والجديد من قبله ... وعلى هذا شهد الشهود وهم

عايض بن ديسه الدريسب

وحضر بحضوره وشهوده الأحمر ... بني الطبيب ... حسين

وهم شاهدين على العدد والمقدار ... جديدة بني علا

وكتب الحدود وشهد عليها ... والمؤرخين ... سنة ١٩٥

وحدود الجديده من ... الشريف ... من غير لا زايد ولا انقصان سنة ٣١٠

وحدود التحديد لهذا القرية ... من غير لا زايد ولا انقصان سنة ١٢٥٨

وكذلك ثالث تحديد لهذه القرية ... من غير لا زايد ولا انقصان سنة ١٣١٠

وكذلك رابع تحديد لهذه القرية ... من غير لا زايد ولا انقصان سنة ١٣٤٤

(الوثيقة السلمية التي تحدد بعض أراضيهم)

أما التجديد الثاني للوثيقة فقد كان بسنة (١٢٥٨هـ)... ويتفق هذا العام مع السنة الثالثة لسلطنة عبد المجيد (الأول) ابن محمود العثماني[(١)].

وكان التجديد الثالث للوثيقة في عام (١٣١٠هـ)، ويوافق ذلك، عهد سلطنة عبد الحميد (الثاني) ابن عبد المجيد العثماني[(٢)].

وكان تجديدها الرابع في سنة (١٣٧٧هـ) ويوافق ذلك عهد الدولة العربية السعودية الحاضر.

وقد ظهر لي بعد تأمل «نص» الوثيقة: أنها غير «النص الحرفي» لها في عام (١٩٥هـ) وفي عام (٣١٥هـ)... وإنما نقلت بالمعنىٰ، وبلهجة بني سليم العربية العامية إما في سنة (١٢٥٨هـ) أو بعدها في سنة (١٣١٠هـ).

والذي دعاني إلىٰ هذا الرأي: أن عرب بني سليم الواغلين في داخل الجزيرة العربية بين الجبال والحرار كانت لغتهم سليمة من اللحن فصيحة، بالسليقة في عام (١٩٥هـ) وفي عام (٣١٥هـ) كما هو معروف وقلما يلحنون، فهذا عرام بن الأصبغ السلمي المتوفىٰ في نحو (٢٧٥هـ - ٨٨٨م) هو أعرابي سلمي ذو لغة فصيحة بالسليقة، وقد ألف كتابًا صغيرًا يعتبر (وثيقة من أهم الوثائق البلدانية وأمًّا من أمهات المراجع الأصلية)[(٣)].

وهذا الأزهري الإمام اللغوي المعروف المتوفىٰ سنة (٣٧٠هـ) أي: بعد كتابة

---

(١) «الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور» الترجمة العربية بمصر (ص٢٤٠) الجزء الثاني.
(٢) المصدر السابق (ص٢٤٠).
(٣) «الأعلام للزركلي» (ص١٤) المجلد الخامس، الطبعة الثالثة ببيروت، ومقدمة كتاب «أسماء جبال تهامة وسكانها» لعبد السلام محمد هارون (ص١٠).

أصل الوثيقة السلمية بمائة وثمانين سنة، يفيدنا بأنه وقع في أسر الأعراب وهو في طريقه إلىٰ الحج أيام فتنة القرامطة سنة (٣١٢هـ) بعهد المقتدر العباسي، وكان الذين أسروه من الأعراب من هوازن - (أبناء عمومة سليم) المجاورين لهم، ويصف لنا هؤلاء الأعراب الذين وقع في أسرهم بقوله: (يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع، ويرجعون إلىٰ أعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ، ويرعون النَّعم ويعيشون في ألبانها، ويتكلمون بطباعهم البدوية، وقرائحهم التي اعتادوها، ولا يكاد يقع في منطقهم لحْنٌ أو خطأ فاحش)... ويقول بعد ذلك: (وكنا نتشتىٰ الدهناء، ونتربع الصَّمَّان، ونتقيَّظُ الستارين، واستفدت من مخاطباتهم، ومحاورة بعضهم بعضًا ألفاظًا جمة ونوادر كثيرة، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب، وسنراها في موضعها إذا أتت قراءتُك عليها إن شاء الله»[(١)].

ومحل الشاهد هنا أمران:

أحدهما: إثبات الأزهري أن أعراب بادية الحجاز ونجد في سنوات أسرِه (٣١٢هـ وما بعدها) -وفي إحداها: (٣١٥) كان التجديد الأول للوثيقة السُّلمية ومن قبلها كانت كتابتها لأول مرة أي بسنة (١٩٥هـ)- كانوا فصحاء بالسليقة، واللحن فيهم نادر قليل.

والأمر الثاني: اعتماد الإمام الأزهري النقل عنهم، واتخاذ لغتهم مرجعًا عربيًّا فصيحًا معتمدًا، ونحن نلاحظ «بَدَاهةً» في نص الوثيقة السلمية التي بين أيدينا أنها غير فصيحة العبارات، وعباراتها كلها عامية ملحونة تقريبًا وفيها لحن فاحش، ومع ذلك نرىٰ فيها بعض أسماء وكلمات فصيحة لم تتغير عن أصولها الفصحىٰ، كما نرىٰ في بعضها تحريفًا عن تلك الأصول.

---

(١) «تهذيب اللغة» لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ص٧) طبع مصر.

هذه الملاحظة هي التي جعلتنا نقرر أن «المعنىٰ» فقط هو المنقول، ونُقِل وجُدِّد بلهجة القوم حينما انحرفت عن خط الفصاحة العربية السليقية التي كانت سمة وطابعًا ملازمًا ملازمة الظل لأسلافهم في سنة (١٩٥هـ) وفي سنة (٣١٥هـ).

وهنا سنفصل ما أجْملناه آنفًا عن حقيقة هذه الوثيقة حسب ما تراءىٰ لنا فنقول:

إننا إذا رجعنا إلىٰ متن الوثيقة السلمية، لنناقش ما إذا كانت ذات أصل قديم يرجع إلىٰ سنة (١٩٥هـ) أم لا؟ فإننا سنجد ما قد يبرر لنا التسليم بوجود هذا الأصل العربي السليم في أساسها...

وذلك يتمثل أولًا: في ذكر تاريخ كتابتها الأول في تجديدها الرابع... وتاريخ كتابتها الأول كان بسنة (١٩٥هـ) وفي ذكر تجديدها الثاني والثالث، فلو لم يكن قد سبق لها أصل وتجديدات ثلاثة قبل التجديد الرابع الأخير، لما ذُكر هذا التجديد معطوفًا علىٰ التجديدات الثلاث التي سبقته في قرون بعضها متقارب وبعضها متباعد.

وثانيًا: أن ارتضاء قبيلة سُليم لما في هذه الوثيقة يدلنا علىٰ أنها أمر ذو أرومة قديمة.

وثالثًا: ذكرت في الوثيقة بعض أسماء الأماكن القديمة لبعض ديار بني سليم كما هي، ويلوح لي أن هذا التحريف العامي الملحون الموغل في لهجة البادية العامية، والذي يشمل عبارات الوثيقة تقريبًا، حدث في التجديد الثالث لها أي بسنة (١٢٥٥هـ)، لأن القوم يومئذٍ كانوا في تأخر فكري وعلمي مطبق؛ إذ لم تكن لهم أية عناية بالتعليم في عهد الدولة العثمانية، بل ربما كانت الدولة لا تعرف إلا القليل من أحوال ديارهم ومجتمعهم القبلي، وكان الأشراف كذلك لم يوجهوا إليهم العناية المرومة.

ونلمح في بعض أبيات لبعض شعرائهم في مطلع هذا القرن الهجري أنه شكوىٰ من عدم فتح أبواب المراجعة لهم في شؤونهم ومطالبهم من قبل الشريف عون باشا، ونحن نجد ذلك في قصيدة لـ(مطلق بن عُضَيْب المطرودي النوالي (العلاوي) السلمي الذي عاش في القرن الثالث عشر الهجري وكانت وفاته قبل نحو ثمانين عامًا أثناء حكم الشريف عون الرفيق (١٢٥٦- ١٣٢٣هـ، ١٨٤١-١٩٠٥م)... قال مطلق يخاطب الشريف عون الرقيق:

يا (عَوْن باشا) دُونَك أربع قبائلْ لنا يرومون الشَّرَك والحِبايلْ
واللِّي ذبحنا له علينا دلائل واللِّي يجينا له دلائل تغَدِّيهْ

إلىٰ أن يقول -وهو محل الشاهد-:

إن جيت أطْلِع لسيدي شكيَّه دونُه مراقص خَيل وملاحميَّهْ
وأحراب دونه وقوم لظيَّهْ تحول من دونه وتقطع بباغِيهْ(١)

ومما أفادتنا به «الوثيقة» وجود من يلقبون بلقب «الشيخ» بين ظهراني بني سليم، ومعهم في ديارهم... وآية ذلك أن تجديدها الثاني والثالث كان علىٰ يد اثنين منهما وهما: (بُقيَّان الشيخ) و(مبارك بن عبد الغني الشيخ). وقد علق علىٰ ذلك، حسينُ بن هندي السلمي بأن هذا اللقب معروف لديهم أنه لقب (الأنصار) المقيمين مع بني سليم في بعض ديارهم حتىٰ الآن، وهم معروفون بأنصاريتهم ولهم أملاك ومكانة لديهم...

وإذا رجعنا إلىٰ المصادر التاريخية عن «وجود الأنصار» مع بني سليم في ديارهم هذه فإننا سنجد عرام بن الأصبغ السلمي - (من أهل القرن الهجري الثالث)

---

(١) القصيدة كلها مثبتة في فصل «شعراء الشعر الملحون النطي من بني سليم» في هذا الكتاب.

يقول في كتابه: «أسماء جبال تهامة وسكانها» عن خيف سلَّام بقرب قرية مهايع السلمية.. «وسلام هذا رجل من أغنياء هذا البلد -أي بلد خيف سلام- من الأنصار»[(١)]، وفي المغرب بالصحراء الكبرىٰ عرب من الأنصار يسمون هنالك أيضًا بالشيوخ، تمامًا كما في دينار بني سليم.

دراسة للوثيقة في بعض عباراتها:

فأولًا: جاءت في ختام الوثيقة صيغة (القُرْمِية). وفي تجديدها الأول بسنة ٣١٠ والثاني بسنة (١٢٥٨) والثالث بسنة (١٣١٠) والرابع في سنة (١٣٧٧)، والمراد بصيغة (القرمية) هنا (الوثيقة القديمة)..

والقُرْمِيَّة -بضم القاف وسكون الراء بعدها ميم مكسورة فياء مشددة مفتوحة فتاء مربوطة-: تؤدي -ما يبدو من العبارة- لدىٰ بني سُليم منذ سنة (١٢٥٨هـ) حتىٰ الآن معنىٰ (الأصل والقِدم) وهي مأخوذة من صيغة عربية فصيحة هي (الأرومة)، وتستعمل في عامية المدينة المنورة كما تستعمل في عامية بني سليم.

وهناك كتاب كان مخطوطًا في أنساب المدنيين لعبد الرحمن الأنصاري من أهل القرن الثاني عشر الهجري، سماه مؤلفه باسم (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب) ولكن هذا الاسم الطويل أهمل لدىٰ عوام المدينة وبعض خواصها فصار اسمه المعروف لديهم في أكثر الأحيان هو (القُرْمِيَّة) باعتبار أنه يتحدث عن أرومات الناس في المدينة وأحوالهم وأنسابهم.

ووجود هذه الصيغة في «التجديدات الثلاثة للوثيقة» التي تبدأ من سنة (١٢٥٨هـ) يدلنا علىٰ صحة ما ذهبنا إليه من أن «النص» الذي بين أيدينا منها الآن هو

---

(١) «أسماء جبال تهامة وسكانها» (ص٣٥ و٣٦).

«منقول من التجديد الأول بالمعنىٰ لا بالألفاظ... ولابد أن الأصل الأول بـ (١٥٩هـ) و(٣١٠هـ) قد فقد أو هو شبه مفقود.

وثانيًا: إن الوثيقة تعطينا تحديدًا مقبولًا لدىٰ الجانب السلمي الخاص به: «بني علَا» ولدىٰ من يُصالونهم فيه من «حرب»، واعتمادها من قِبَلهم يدلنا علىٰ علمهم واعترافهم بأنها قديمة وعليها المعوّل، ومفهومنا هذا الذي يقول بأنها معتمدة لديهم، هو بحسب منطوقها الذي بين أيدينا ليس غير.

وثالثًا: تذكر الوثيقة أن الأراضي المحدودة بموجبها هي تخص «بني علَا». وبنو علا من سُليم، وقد ذكرهم الشاعر السلمي مطلق بن عُضيب في قصيدته المنشورة في الفصل الذي عقدناه لشعراء الشعر النبطي من بني سُليم... في أواخر هذا الكتاب.

ويفيدنا حسين بن هندي السلمي بأنهم قدماء وأن نسلهم لا يزال موجودًا حتىٰ اليوم.

ورابعًا: ورد في الوثيقة اسم «الشُّعْبَة»، وقد سبق لنا في فصل (ديار بني سُليم الأصلية) أن (الشُّعْبة): (موضع قرية قديمة مندرسة لم يبق إلا آثارها وبعض الأطُم البسيطة والمتهدمة جوانبها وأطرافها. وآثارها كثيرة، منها كنايات قديمة قد تكون عادية، ومنها صُور «لوحوش وحيوانات كانت في هذه المنطقة».

وخامسًا: ورد اسم (الزُّبَيْريّ) في الوثيقة، وربما كان هؤلاء السلميون ينتسبون إلىٰ جد لهم اسمه الزبير، وصحة النسب الجماعي إلىٰ الزبير (زُبيريون).

كما ورد فيها اسم «الرّبَعيّ» نسبة إلىٰ ربيعة، ويعنون بالربعي: الربعيين، والربعي في نسبة المفرد إلىٰ ربيعة صحيحة مثل بجيلة وبَجَلي، وحنيفة وحنفي.

وورد فيها (العِسْمِيُّ) نسبة إلىٰ العُسوم، فإذا كان أصل العسمي، عِسمًا، فالنسب الجماعي إلىٰ هذه الصيغة هو (عِسْميُّون). وهم يقولون أيضًا: (العسوم).. والعسميون أو العسوم من قبيلة حرب(١) التي ذكرت الوثيقة أنها تحادُّ أراضي بني عَلا من سُليم، وهم من زبد.

وكذلك ورد فيها (العَصَوِيّ): ويراد به (العصويون)، ولعل العصوي أو

(١) بنو حرب الذين بالحجاز مختلف في نسبهم.

فابن حزم يقول: إنهم من بطون بني هلال بن عامر الذين منهم أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهم عنده قيسيون عدنانيون وأبناء عمومة بني سليم (ص٢٧٥) الجزء الأول، طبع دار المعارف بمصر.

والهمداني الحسن بن أحمد بن يعقوب يقول بعكس ما قال به ابن حزم، إنه يقرر أنهم من سعد خولان من اليمن، وينص علىٰ ذلك فيقول: «قال علماء صعدة: إن بني حرب أجلت عن صعدة في سنة (١٣١هـ)... وظعن أكثرهم إلىٰ الحجاز، لوقائع تواترت عليهم ونزلوا لأول مرة بالعرج فيوم من وادي نخلة وجبل عروان في أهل عرفات، ثم امتدت إقامتهم إلىٰ قدس وأجلوا عنها من فيها من عنزة ومزينة، عنزة إلىٰ جهة خيبر فهي بها إلىٰ ذلك اليوم، ومزينة إلىٰ الساحل، بالجار ميناء المدينة القديم المعروف الآن باسم (البريكة)، والصفراء وأرض جشم واستقروا في أماكنهم) وقد حدثت بينهم وبين سليم معارك كما حدثت بينهم وبين غيرهم، وهذه المعارك ذكرناها في فصل: (أيام بني سليم في الجاهلية والإسلام) من هذا الكتاب.

أما عمر رضا كحالة، فإنه في كتابه «معجم قبائل العرب» يرىٰ أن حربًا قبيلة أكثرها من العدنانية، وهي غير منحدرة من سلالة واحدة بل هي مجموعة أحلاف، ويحدد الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي منازلها: «بشمالي مكة حتىٰ حدود ينبع البحر ودائرتها يحدها غربًا من ينبع البحر إلىٰ الرويس شمال جدة، ولهم من الموانئ: الرويس وذهبان والدعيجة والقضيمة ورابغ ومستورة والرايس -بجانب الجار- ويحدها شرقًا قبيلة عتيبة وقبيلة سليم وقبيلة مطير بني عبد الله، وقسم من حرب ممتد شرقًا من المدينة علىٰ حدود شمر، ويحدها من الجنوب: الأشراف ذوو بركات، وشمالًا غربيًّا قبيلة جهينة، وشرقًا، قبيلة عنزة راجع (ص١٣٧) من كتاب «الرحلة اليمانية».

العصويين ينتمون إلىٰ بني (عصية) بن خُفاف بن امرئ القيس بن بهثة السلمي.

و(**المُعَبَّدِيّ**): يعنون به المَعَبَّديين، أي: قبيلة معبد من حرب.

ووردت فيها: (**الظاهرة**): حرة سلمية سوداء معروفة لديهم بهذا الاسم إلىٰ اليوم.

سادسًا: ذكر في الوثيقة لقب (الشيخ)، وقد أفادني حسين بن هندي السُّلمي بأن هذا اللقب بالذات يطلق عندهم علىٰ من هو (أنصاري) لديهم.

و(**جَدِّيَّةٌ**): المذكورة في الوثيقة يُعْنَىٰ بها: الأراضي المحدودة.

و(**المهد**): الوارد في الوثيقة يدل علىٰ (جبل صغير)... والمهد لغة الأرض المرتفعة.

وإذا ذكر (الحديد): في الوثيقة فمعناه (المحدود).

و(أبو درب) يقصد به: الطريق.

و(**يَنْقَضُّ**): من الانقضاض يقصد بها معنىٰ: «يدخل» أو يفيض أو يميل أو ينحدر.

و(**أَجَيْمِعٌ**): الوارد في الوثيقة هو اسم وادٍ صغير بعينه لبني سليم.

وورد فيها عبارة مكروه هي: (**يقطعه قطع الجبل**): والمراد بها يقطعه عرضًا.

وصيغة (يَعْطِي): بمعنىٰ (يمشي).

و(**القِرْوَالُ**) **علىٰ وزن (الغربال)**: حزم مرتفع بعينه.

وجاءت في الوثيقة: (**حقة أجيمع**): بمعنىٰ التابعة لأجيمع.

وجاءت فيها صيغة (الهظبة): المعروفة بالظاء المشالة، وهو لحن عامي أعرابي، من باب قلب بعض الحروف القريبة في المخرج إلىٰ بعض.

وتستعمل الوثيقة صيغة (الذي) في موضع (التي).

و(**المَهَدُّ**): بفتح الميم والهاء وتشديد الدال المهملة: غير المهْد بسكون الهاء. فالمَهَدُّ المفتوح الهاء يعني به: (مفيض السيل) لأن السيل يَهُدُّ ما يعترضه... في مغيضه.

وفيها كلمة (ضيع): وهو واد لسليم بعينه.

و(**يَظْهر**): في الوثيقة بمعنىٰ (يطلع).

و(**السَّلْعُ**): اسم أو وصف الطريق الجبلي المرتفع.

و(**الغُلَيْثِيَّةُ**): اسم موضع لعل فيه نبات الغَلْثَىٰ السّامَّ فنسبت إليه.

و(**ضُبيعة**): اسم واد بعينه، وقد مر بنا اسم وادي (ضَبَع).

و(**درب كبيدة**): درب معروف بعينه يقع في فلاة كبيدة السلمية.

و(**خُرْمَة يَهِرْ**): ريع يهر، ويهر واد ينزل من جبل شمنصير.

و(**مقراة مَلَح**): بمعنىٰ: وادي مَلَحٍ.

و(**الجفجف**): حرة سُلمية بعينها.

و(**لِبْنَة**): واد لسليم بعينه.

و(**الحجيلة**): واد صغير بعينه.

و(**زريبة القَنَّاص**): بمعنىٰ: حَجَر مجموع من حجارة الوادي بِحَرَّة سوداء.

و(**رأس المعْزّة**): رأس وادي المعْزَة، وهو واد بعينه.

و(**البَعْصُوصُ**): واد بعينه.

و(**فَفْوُ محْوِيَّة**): ظهر حزم معروف بهذا الاسم لبني سليم.

و(**مجمر الخَنْفَسة**): جبل أسود يخالف لونه لونَ ما يجاوره من جبال وهو جبل بعينه، والخنفسة التي ينتسب إليها: مَوْرِد ماء للنعم معروف بعينه.

و(**نَيْطُ الشامي**): واد معروف بعينه.

و(**يَنْقَضُّ لِينْ يلايم**): يهبط حتىٰ يوافق، (لين) - بإمالةِ اللام-: تحريف كلمتي: (إلىٰ أن).

و(**ثَرِيْرْ**): واد صغير معروف.

و(**العمار**): واد صغير معروف.

و(**الشَّدَخُ**): قرية الشدخ هي لِمُعَبَّدِ من حرب.

و(**يقطع علىٰ صدر شِعْبِ النِّمِر**): بقطع رأس وادي شعب النمر الصغير المعروف بعينه.

و(**ضَها**): واد صغير معروف لبني سليم.

و(**يظهر علىٰ ضَها الآخر**): يفهم منه أن ضها اسم شترك يطلق علىٰ واديين.

و(**درب المِخْوَاع**): طريق معروف لديهم.

و(**أُمّ عظام**): واد معروف.

(**وعلىٰ ما يذكر من التحديد ويمين**): أي إن ما ذكر من التحديد وما يقع علىٰ يمين المُحدَّد كل ذلك للعلاويين من سليم.

و(**اللُّصُب أبو حليفاء**): اللُّصُب: مضيق الوادي، وأبو حليفاء وادي لسليم سلكناه في طريقنا إلىٰ ديارهم.

و(**إلىٰ أن يَجِيهِ الدَّرْب**): أي إلىٰ أن يدخل المحدود في الطريق المسلوك (الذي يقطع مهَدَّ القُفَيْلة). المهدّ: المصب، والقفيلة: واد صغير سلميّ.

(**ويظهر مع الرِّيع أبو زربان الذي يظهر علىٰ صدر مِصْيَان**): أي يطلع المحدود أو الحد من القفيلة المذكورة آنفًا ويمشي مع الرّيع -طريق بالجبل- الذي هو أبو زربان الذي يطلع بِدَوْرِه علىٰ رأس وادي مصيان.

(**ويعطي من عنده ويحتوي المهادّ الصُّفر**): أي: يستمر الحد الفاصل بين أراضي العلاويين وأراضي حرب من وادي مصيان السابق ذكره ويدخل إلىٰ المهاد الصُّفْر، والمهاد الصفر اسم لأماكن غليظة من الأرض.

و(**عِجْلَة**): واد صغير.

و(**البناية**): اسم مشترك لمسيلين صغيرين.

و(**أُمُّ السَّمَرْ**): مسيل صغير.

و(**يَحدّرْها**): ينزل منها مع مسيل وادي السمر.

و(**يَلاقِفْ الدَّرْب**): أي يلاقي الطريق.

و(**لِيا**) **بمعنىٰ**: (إلىٰ)، وهو تحريف عامي ظاهر للحرف: إلىٰ.

و(**الحصاة الراكبة**): صخرة معروفة، تقع بين بلاد سليم وبلاد حرب في وادي أبو حليفاء.

و(**وهي فَيّتْها من الغَشِيّ علاوية سلمية، وفيَّتْها من الصبح عِسمية زبيدية**)...: هذا تحديد ساذج دقيق علىٰ الطبيعة، وتوضيحه: أن فَيْء -ظِلّ- الصخرة المذكورة في الأصائل يمتد علىٰ أراضي بني علا السليميين وفيؤها -ظلها- في الأصباح يمتد علىٰ أراضي العُسُوم من زبيد من حرب.

و(**أبو مسْكِن**): أرض معروفة بعينها.

و(**أبو قَرْفة**): اسم أرض هنالك.

و(**رَقَبَةُ الخُوّار**): الرقبة بمعنىٰ جهة المشرق عن الخوار، أي: مصادر الخوار. والخوار قرية معروفة.

و(**الحديد العِسْمِيّ**): بمعنىٰ: والحدود أراضي العُسُوم من حرب.

و(**يَعْطي الشريعة وينْقَض علىٰ قفو الملاني من بُرْم**): المعنىٰ: أن الحد ينزل علىٰ ظهر المسيل الصغير -الشريعة- ومنه يذهب إلىٰ ظهر ملتقىٰ الشِّعاب من وادي برم الكبير.

و(**منها ويمين علاوية ويُسنّد ويظهر علىٰ قفو اليحاميم، يحاميم المظهر**): يعني أن ما كان علىٰ يمين الأراضي المحدودة السابقة، كله علاوي، ويرتفع حد هذه الأراضي علىٰ سطح اليحاميم يحاميم المظهر. وهي جبال سود معروفة. والمظهر أراضٍ سُلمية، معروفة.

و(**مِسِرْ**): واد معروف.

و(**يَقْبَلَه مُسَنَّدٌ مع الدرب حق الأشن**): سَنَّد في العربية الفصحىٰ، بمعنىٰ طلع الجبل، وهي هنا تعني مجرد الطلوع إلىٰ تل أو جبل، والمقصود: أن الحدود ترتفع مع درب الأشن، والأشن من ديار سليم.

و(**النوّرَة**): اسم واد معروف.

و(**الحديد من الشام العَصَوِيّ**): أي حد الأراضي العلاوية شمالًا أراضي قبيلة العصوىٰ السلمي؛ أي: العصويين السليميين.

و(**يقطع الحِنْو قطع الحبل**): الحنو: واد معروف.

و(**العصبية**): واد لهم صغير بعينه.

و(**يقبل تَغَيّ**): تغي واد لهم صغير.

و(**الخَلَصَة والرِّيع**): الخلصة جبل بعينه، والريع: الدرب بين الجبال.

و(**يجدرها تَغَيّ الآخر لِينْ ينْقَضّ علىٰ نَهوَىٰ**): لين: تحريف لكلمتي: (إلىٰ) و(أن). ونهوىٰ: واد صغير بعينه.

و(**وادي ساية**): أحد أودية بني سليم الكبار المعروفة. وقد ذكرناه في فصل (ديار بني سليم الأصلية).

و(**وِزَان مهنّد الشعبة**): أي عند ملاقاتها لمفيض الشعبة.

وبعد: فما سقناه لك آنفًا هو حلول لرموز هذه الوثيقة أو ألغازها، لك أن تسميها رموزًا، ولك أن تسميها ألغازًا؛ فهي ألغاز بالنسبة للهجة حاضرة المملكة العربية السعودية الحاضرة، وهي رموز بالنسبة للغة العربية الفصحىٰ، وتلك هي لهجة بعض باديتنا اليوم، هي لهجة خاصة بهم يعرفها بعضهم عن بعض وكلهم عن كل تقريبًا، حالما يحتجب الكثير من عباراتها عن أفهام حاضرتنا المعاصرة.

❋ ❋ ❋

توضح الوثيقة باللغة الفصحى

وعلىٰ ضوء تلك الحلول التي تلقفناها عن حسين بن هندي السلمي مشافهة، وبعد مراجعات معه للتثبت والتأكد من صحة الصيغ والنطق الجاري عليه لهجتهم السلمية أو بالأحرىٰ الأعرابية تمكنتُ من إعطاء القارئ الصورة التوضيحية الكاملة التالية للوثيقة بنقل معانيها وأهدافها إلىٰ اللغة العربية الفصحىٰ:

«**هذا بان حدود أراضي بني علا.**

يحد أراضيهم -شمالًا-: قرية الشعبة ومرتفع الهرامة وتحدها الأراضي المرتفعة العائدة للزبيريين السليميين.

وحدود أراضيهم تستمرُّ حتىٰ حزم القروَال الذي هو طريق مسلوك، ومن ثم تهبط حدودها علىٰ وادي أجيمع الذي يقطعه الحد من العَرْض، ويستمر الحد إلىٰ ما بين مرتفعي وادي أجيمع، ويهبط علىٰ ما بين هضبتي وديعة، والهضبة التي تحتها، ويرتفع الحد مع وادي ملح... ويهبط إلىٰ حرة الظاهرة ويُقبل علىٰ مرتفع وادي ضُبيع، ويرتفع إلىٰ وادي ضبَع، ومن ثم يخرج مع طريق جبل السِّلْع ويهبط علىٰ وادي الفُلَيْتَة، ويذهب إلىٰ طريق فلاة كبيدة، ويستمر إلىٰ ربع وادي يَهر، الذي يهبط من جبل شمنصير الكبير المعروف في ديار بني سليم، ويذهب الحد إلىٰ الأرض المرتفعة في وادي ملَح، ويرتفع الحد علىٰ وادي لبنة حتىٰ مرتفع الحجيرين، ومن ثَمَّ يتجه إلىٰ درب الشويحطة، داخلًا فيه، ويطلع علىٰ حرة الجفجف، ويطلع علىٰ ظهر كومة الحجارة المجموعة من الوادي المعروف يظهر زرية القَنَّاص.

وحدود ديار بني عَلَا -شرقًا-: هي ديار آل ربيعة.

ويطلع حد ديارهم علىٰ رأس وادي المَغَرة، ويذهب مع طريق اليعصوص، وعلىٰ مرتفع ضَبَع، ويسير علىٰ ظهر الحزم(١) المعروف باسم «مَحْويَّة»، وينزل الحد أمام مجمر الخنفسة: (جبل أسود بعينه يخالف لونه الجبال المجاورة له).

وحدود أراضي بني علا السليميين **-جنوبًا- هي**: أراضي قبيلة مُعَبَّد من حرب.

وتذهب حدودهم من هذه الناحية إلىٰ أسفل وادي نَبْطٍ الشامي، وتهبط حتىٰ تلائم وتلاقي مسيل وادي ثِرَير الصغير، ووادي العمار الصغير علىٰ ظهر قرية الشدخ العائدة لقبيلة مُعَبد الحربية، ويقطع الحد رأس الوادي الصغير المعروف بِشِعْب النّمر. ومن ثم ينقضُّ علىٰ وادي ضَهَا(٢).

وحدود أراضي بني علا من هذه الناحية تطلع علىٰ ضها الآخر... مع درب المخواع، وتطلع علىٰ حَرَّة الظاهرة حيث تهبط علىٰ وادي أم عظام، وكل ما مر من الحدود شرقًا وما علىٰ يمينها هو علاوي، وينزل حد أراضي العلاويين من وادي أم عظام إلىٰ مضيق وادي أبو حُليفاء المعروف باللُّصُب(٣)، ومن ثم يمشي الحد حتىٰ يدخل الدرب الذي يقطع وادي القفيلة ويسير الحد من وادي القُفَيّلة مع الريع المعروف بأبو زريان الذي يطلع علىٰ رأس الوادي الصغير المعروف باسم

---

(١) الحزم والحزن (بفتح الحاء وسكون الزاي): الغليظ المرتفع من الأرض.

(٢) ذكر ياقوت في «معجم البلدان» اسم ضها، وضبطها بضم الضاد، وقال عنها أنها موضع في شعر هذيل.

(٣) اللصب لغة: الشعب الصغير في الجبل أو مضيق الوادي، جمعه لصاب ولصوب. وجاء في «معجم البلدان» لياقوت الحموي: «لصبين: بكسر أوله: وهو في الأصل المضيق في الجبل، وهو موضع بعينه، قال تميم بن مقبل:

أتاهن لبان بيض نعامة ... سواها بذي اللصبين فوق جنان

وهذا البيت في «ديوان ابن مقيل» (ص٣٤٣) طبع دمشق، وابن مقبل أحد شعراء قيس، فهو ابن عم لبني سليم.

(مِصْيَان)، ومن وادي مصيان يذهب الحد ويحتوي المهاد[(١)] الصفر، ويذهب قاطعًا وادي عجلة، إلىٰ أن يدخل مسيل (البناية) ومسيل أم السمر بأسفل مسيل بناية وينزل عن بناية قاطعًا ما يمر به حتىٰ يلاقي الطريق، ويمشي معه إلىٰ الصخرة المعروفة باسم الحصاة الراكبة الموصوف ظلها فيما سبق.

وحدود أراضي بني عَلَا -غربًا-: أراضي قبيلة الزُّبيدي... أي: زبيد من حرب، وتطلع الحدود علىٰ أرض (أبو مسْكين) وتنزل علىٰ مسيل البناية الآخر الواقع في أرض «أبو قرفة» بأعلىٰ قرية الجواز من جهة المشرق، والحدود العائدة للعموم.

ويقطع الحد ذلك الوادي قطع الحبل -أي: عَرْضًا- ويرتفع الحد مع الطريق، وينزل علىٰ أعلىٰ ملتقيات المسايل المتفرعة من وادي بُرم الكبير[(٢)].

وكل الأراضي علاوية من تلك الحدود وما علىٰ يمينها، وترتفع الحدود وتطلع علىٰ ظهر الجبال السود المعروفة باسم «بحاميم المظهر»، وتذهب الحدود إلىٰ وادي مِسِر، مرتفعة مع درب الأشن، وتطلع الحدود علىٰ وادي النورة.

وُتحد أراضي بني علَا -شمالًا-: بأراضي قبيلة العَصَويّين السليميين.

وتقطع حدودها وادي الحِنْو قطع الحبل، أي: عرضًا، ويطلع الحد علىٰ وادي العُصَيْبَة الصغير، ومنه يتجه الحد إلىٰ وادي تَغَيّ الآخر، حتىٰ يهبط علىٰ وادي نَهَوىٰ الصغير، وينزل منه علىٰ وادي ساية في موازاة التقاء الشعية بوادي ساية.

وعلىٰ هذا تم تحرير حدود أراضي بني علَا، وقام بتحديد هذه الحدود علىٰ ما

---

(١) المهاد هنا جمع مهد، وفي اللغة الفصحىٰ: الهدود: الأرض السهلة والعقبة الشاقة والحدور.

(٢) في «معجم البلدان» لياقوت الحموي ذكر لواد لبني سليم يقع في شمال المدينة اسمه (برمة)، وبدهي أنه غير وادي برم الوارد في الوثيقة.

دُوِّن في هذه الوثيقة حمود بن عذيب، وهو يقرُّ بأن المحادّين لبني علاَ في أراضيهم حضروا هذا التحديد وأقروه، وشهد علىٰ ذلك شهودهم عايض بن ديسة الديسي (السلمي) وحضر لحضوره وشهادته وشهد معه بما ذكر آنفًا الأصمّ أحد الصُّمَّان من بني ضُبيب وذوي حسين.

وهؤلاء الشهود شهدوا علىٰ العدد، وعلىٰ الإقرارات من الجيران المحادّين لبني علا بحدودهم المذكورة في هذه الوثيقة، وكتب هذه الحجة وشهد عليها، الصنعاني، والله خير الشاهدين سنة (١٩٥).

وجدد كتابتها من أصلها السابق: الشريف الثقبي من الثقبة بدون زيادة ولا نقص سنة (٣١٠)، وجددها بعده بُفيان الشيخ بدون زيادة ولا نقص سنة (١٢٥٨)، وكان تجديدها علىٰ يد مبارك بن عبد الغني الشيخ بدون زيادة ولا نقص سنة (١٣١٠) وجددها أخيرًا وللمرة الرابعة حامد بن حباب الحجيري بدون زيادة ولا نقص سنة (١٣٧٧)». انتهىٰ.

ملاحظات على الوثيقة:

هذا، ومما يُلاحظ علىٰ نص الوثيقة أن كاتبها الأول سنة (١٩٥) سماها «حجة» ثم سميت (قرمِيّة) في التجديدات المتوالية من عام (٣١٠) حتىٰ عام (١٣٧٧هـ) كما يلاحظ تكرار حدود بني علا شمالًا، مرتين والأماكن مختلفة، وقد كُتبت الوثيقة في تجديدها الرابع علىٰ ورق الحجج الشرعية الأصفر السميك، ومجددها للمرة الرابعة هو (حامد بن حباب) السلمي أحد سكان منطقة الكامل ورئيس هيئة الأمر بالمعروف فيها ولا يزال علىٰ قيد الحياة حين كتابة هذا الفصل.

* * *

أعراف وعادات

لا يخلو تدوينُ العادات والتقاليد من فائدة للتاريخ، ذلك «لأن في العادات التقاليد دلالة علىٰ نوع الأخلاق، ونوع العقلية للشعوب»[(١)].

والعادات التقاليد الواردة في هذا الفصل هي في واقعها سلمية، ولا يزال بنو سُليم يمارسونها في ديارهم بهذه البلاد...

أما بنو سليم المنتشرون في شتىٰ أقطار العالم، فلابد أن عاداتهم سارت علىٰ نمط عادات الذين يساكنونهم وتقاليدهم، لأن الإنسان مدني بالطبع.

وأكثر العادات التي أوردناها هنا متوارث عن أسلاف بني سليم المعاصرين، وربما يكون بعضها الآن في طريق الزوال، بسبب طُروق المدنية والتعليم والتطور أبواب ديارهم؛ فإثباتها من هذه الناحية ذو أهمية خاصة بالنسبة لحلقات تاريخ هذه البلاد؛ لأن ذلك يحفظ هذا التراث للأجيال القادمة يوم لا يجدونه ماثلًا في المجتمع السلمي الذي تطور بعد صدور هذا الكتاب.

وهذه طائفة من عادات بني سُليم المعاصرين بهذه المملكة.. كتبها لنا حسين بن هندي السلمي رئيس قرية الكامل: المركز الحكومي لديارهم.

عاداتهم في الزواج:

حينما يهم أحد بني سُليم بأن يتزوج، يأخذ والده، أو أخاه الكبير، مع كبار جماعته، ويقصد بهم أهل المخطوبة، وبعد أن يرتشفوا كئوس القهوة العربية،

---

(١) «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» لأحمد أمين، ص(د) طبعة مصر.

ويتداولوا القصص المناسبة -يتقدم كبير المجلس، إلىٰ وليّ المخطوبة قائلًا له: فلان بن فلان يطلب مقاربتك ومراحمتك ويريد ينتك أو أختك فلانة. فيردّ عليه وليّ المرأة بقوله: (الله يحييكم)، ويشرح له حقيقة الحال فيما إذا كانت مخطوبته هذه قد خُطبت قبله، أو لا يريد أن تتزوج المرأة هذا الخاطب، ويقدم له المعاذير الملائمة في ذلك، وينهض الجالسون بكلمة الخير بين الطرفين.

أما إذا تم الزواج المنشود فإن الخاطب يدفع المهر، ويملك عليها وليها له، وتقام بعد ذلك حفلة الزفاف، ويقام فرح كبير، وتذبح ذبائح عديدة، يذبحها جماعة العريس، يجتمعون ما بين خمسة وستة، ويذبح هؤلاء ذبيحة، ومثلهم غيرهم، وهكذا دواليك، وهؤلاء يطهون الذبائح، أما أهل العروس فهمهمتهم أن يوزعوا الذبائح، ويقدموها للضيوف المدعوين وغيرهم بالتساوي، كل مجموعة علىٰ ذبيحة، وكل مجموعة من هؤلاء تقدم قصيدة يترنمون بها مع بعض، ويردُّ أهل العروس علىٰ القصيدة بسرعة، ويستمر لعبهم هذا حتىٰ الصباح، والقصائد التي تنشد في هذه المناسبات هي من الشعر النبطيّ الملحون.

عاداتهم في الولادة:

من دأبهم في الولادة أن تقوم أمُّ النُّفَساء، أو أختها الكبيرة مع مجموعة من النساء بتوليدها، وبإطعامها، والعناية بمولودها، ويظللن علىٰ ذلك حتىٰ تستطيع أن تقوم بشؤون نفسها وشؤون وليدها، وفي اليوم السابع يذبح الوالد عقيقة واحدة إذا كان المولود أنثىٰ، وعقيقتين إذا كان المولود ذكرًا.

عاداتهم في الأسفار:

إذا عزم أحد بني سُليم علىٰ السفر، استصحب معه رفيقًا، وإذا لم يجد

المطلوب سافر وحده إلىٰ حيث يريد ويستحسنون أن يبدأ المسافر بالسفر في يوم الخميس صباحًا، ويتفاءل ذوو المسافر له بالفأل الحسن، ويكثرون السؤال عنه من القادمين، حتىٰ يعود إليهم سالمًا.

وإذا كان المسافرون جماعة، سواء أكان سفرهم علىٰ إبل أم علىٰ سيارات، أم يكونون مشاة علىٰ أقدامهم، يأخذون معهم أواني الطبخ والأكل والقهوة بقدر اللزوم، وكل واحد من هؤلاء المسافرين يكون اهتمامه مُنصبًّا علىٰ تحقيق التعاون فيما فيه فائدة ومصلحة للجميع، مدة غيابهم عن ديارهم حتىٰ يرجعوا إليها وإلىٰ أهليهم.

وإذا قدم المسافرون من السفر، وهم جماعة، فقيل تفرقهم، يتوادعون، ويطلب بعضهم السماح من بعض فلعل قصورًا أو ما لا يليق يكون قد حدث من بعضهم علىٰ بعض.

وعندما يصل المسافر إلىٰ منزله فكثيرًا ما تذبح الذبائح، ابتهاجًا واستبشارًا بعودته سالمًا، وهذا إذا كان السفر طويلًا.

وكانت هذه العادة متبعة لدىٰ العرب في جاهليتهم بل الإسلام.

فقد ورد في كتاب جواد علي: «ومن أيام الفرح والسرور عندهم يومُ العودة من السفر، ومن حقهم أن يفرحوا به، كان السفر شاقًّا خطرًا في تلك الأيام ولاسيما إذا طال، فقد يتعرض المسافر فيه الهلاك والموت جوعًا أو عطشًا، عدا ما يتعرض له من السلب والنهب... لذلك كانوا يحاولون جهدهم أن يسافروا جماعة وقوافل يتعاونون، ويشد بعضهم أزرَ بعض، وكانوا إذا عادوا، فرح أهلهم بعودتهم سالمين، وتلقوهم بالبشر والتهنئة، وذبحوا الذبائح، ووزعوا لحومها بين الأصدقاء والفقراء،

وأولموا الولائم للمهنئين والجيران[١].

عاداتهم في الختان:

إذا بلغ عمر الوليد السُّلمي أسبوعًا، أو أربعين يومًا، أو عامًا كاملًا - يقوم وليُّ أمره، بإحضار الخائن من القبيلة، ويختن الطفل، وهو موضوع علىٰ حجرين كبيرين غير خشنين، وذلك لرفعه عن الأرض لكي لا يلتصق به شيء من التراب. وبعد ذلك يطلقون العيارات النارية، علىٰ ألا تتجاوز سبعًا... يطلقونها في الجو. ويتولىٰ أهل الطفل معالجته من جراحة الختان، ويقيمون حفلًا يقرب من الحفل الذي أقاموه في زواج والدته، ويحضر الختان كثيرون من أفراد القبيلة إذا كان الأطفال الذين يُختنون جملة، ويحصل لعب في تلك الليلة حتىٰ يسفر الصباح.

عاداتهم في العيدين:

الاحتفال بعيد الفطر لدىٰ بني سُليم المعاصرين في هذه البلاد أهم من الاحتفال بعيد الأضحىٰ، فتراهم يلبسون في عيد الفطر الملابس الجديدة الناصعة البياض، وكل من كان لديه سلاح يأخذه معه، ويحمل عتاده في حزام يتحزم به، ويتوجهون إلىٰ مصلىٰ العيد زرافات ووحدانًا.

وبعد أن يؤدوا صلاة العيد في المصلىٰ يصافح بعضهم بعضًا، ويهنئ بعضهم بعضًا بحلول العيد السعيد.

ومن كان منهم بينه وبين آخر مشاجرة فإنه يصافحه وتصالحه في ذلك اليوم الميمون، فيتصافيان وتزول أسباب الخلاف والشقاق بينهما.

---

(١) «الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» (ص١٣١) الجزء الخامس.

وبعد الصلاة يجتمعون في صعيد مرتفع، ويتريضون برمي الأهداف بطلقات بنادقهم، ويفتخرون بإجادة الرماية وإصابة الأهداف، ثم يعود كل واحد منهم إلىٰ بيته. هذا إذا كانوا حاضرة.

أما البادية السلميون فإنهم قبل العيد يجتمعون يجتمع منهم جمع غفير في كل بيت من بيوت الشَّعَر، ومدة العيد من ثلاثة أيام إلىٰ أربعة، وفي كل يوم تذبح الذبائح، ويُطْعِم منها الذين ذبحوها، الآخرين الذين لم يذبحوا... وهكذا حتىٰ تنتهي أيام العيد ومن ثم يتفرقون في المراعي.

وهكذا شأنهم في عيد الأضحىٰ إلا من ناحية الرماية.

عاداتهم في شهر رمضان:

يبتهج بنو سليم بمقدم شهر رمضان المبارك، ويطلقون الطلقات المتواصلة من بنادقهم إعلانًا لفرحتهم الغامرة بالعيد، ويخبر بعضهم بعضًا بقدومه، وتمضي ليالي شهر رمضان عندهم كلها في غبطة وانشراح، ويكثرون فيه من الصلاة والصدقة، وأهل البادية في هذا الشأن مثل أهل القرىٰ..

أعراف أخرى:

يكرمون ضيفهم، ويحسنون جواره، ولمن جاورهم أو استجار بهم الحماية، وباديتهم كثيرو الترحال وراء الأمطار، وإلىٰ منابت العشب، أما حاضرتهم فيتعاطون زراعة النخيل والليمون والفواكه والحبوب بأنواعها في بلادهم... كما يتعاطون التجارة. وليس في بلادهم في الوقت الحاضر خيل يُربونها، أو خيل يركبونها، كما كان عليه الحال لديهم في سالف الأزمان، إبان الجاهلية القريبة من الإسلام، وفي صدر الإسلام.

❁ ❁ ❁

أمثال عامية لنبي سُليم

آثرتُ صيغة «العامية» في وصف أمثال بني سُليم المعاصرين -علىٰ صيغة «الشعبية» لأني رأيتها أدق في إعطاء الوصف المروم.

وقد حدد أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بـ«الميداني» المتوفىٰ سنة (٥١٨هـ) في كتابه «المثَل» في أشكال وتعريفات رواها عن العلماء... فنقل عن المبرد أن المثل مأخوذ من المثال. وأنه: «قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول». والأصل فيه التشبيه. فقولهم: مَثَلَ بين يديه إذا انتصب معناه: أشبه الصورة المنتصبة. وفلان أمثل من فلان، أي: أشبه بما له من الفضل. والمثال: القصاص، لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول. فحقيقة المثل: ما جعل كالعلم، للتشبيه بحال الأول، كقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلًا … وما مواعيدها إلا الأباطيل

فمواعيد عرقوب، «علم لكل ما لا يصح من المواعيد».

ويفسر ابن السكيت المثل بأنه: «لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه، معنىٰ ذلك اللفظ... شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره».

ولا يخرج رأي ابن السكيت عن رأي المبرد السالف ذكره.

وعرَّف لنا إبراهيم النظام المثل بما يُعْرَفُ في علم المنطق بالتعريف بالخاصية، فقال: «يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنىٰ، وحسن التشبيه، وجودة الكناية» فهو نهاية البلاغة.

وقال ابن المقفع: «إذا جعل الكلام مثلًا كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث».

وقد كانت الأمثال العربية الدارجة علىٰ ألسنة الشعب العربي فصيحة في عهد فصاحة العرب، فلما غشيتهم العامية وركبتهم العجمة، هبط مستوىٰ الأمثال إلىٰ مستوىٰ كلامهم الدارج، فخرجت عن إطار الفصاحة أيضًا... وأمثال بني سليم وأمثال كل قبيلة عربية، وكل قطر عربي منذ ذلك العهد، إلىٰ يوم الناس هذا، سائرة علىٰ هذا المنوال، فهي مثل لهجاتهم وهي نابعة منها، وهي محشوة بالأغلاط النحوية، ولا تتقيد بالسَّنن العربي الفصيح.

وما يأتي من أمثال بني سليم المعاصرين دليل واضح علىٰ صحة هذه النظرية.

هذا، وجدير بعلماء العرب والمسلمين أن يقوموا بدراسات واسعة في أبعاد الأمثال العربية العامية المختلفة من ناحية علاقتها بالأمثال العربية الفصحىٰ، ومن ناحية علاقتها بمجتمعات الأقطار والمدن والأرياف والبادية التي تُضرب فيها قديمًا وحديثًا.

إن الأمثال العامية العربية بحر واسع متلاطم وموضوع واسع الأطراف، وهي في تبدُّل وتغير ومحو وإثبات، وربما اندثر بعضها وانمحىٰ من الوجود، وحل محلها أمثال أخرىٰ أو لا يحل.... وكل ذلك مرتبط بالبواعث والفواعل الاجتماعية وغيرها.

يقول أحمد أمين في «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية»: «وإني أعتقد أن في العادات والتقاليد دلالة علىٰ نوع الأخلاق، ونوع العقلية للشعوب، وأن في التعابير الشعبية من أنواع البلاغة ما لا يقل شأنًا عن بلاغة اللغة الفصحىٰ، وأن

هناك من أمثلة المصريين وتعبيراتهم وزجلهم ما يُعجب به عالم البلاغة، كما يُعجب بامرئ القيس وزهير». (ص د).

ويصح أن يُقال في أمثال شبه جزيرة العرب وسائر بلاد العرب ما يقوله أحمد أمين عن أمثال مصر.. وبنو سليم في الصميم من سكان شبه جزيرة العرب.

ويقول عبد الرحمن التكريتي في «الأمثال البغدادية المقارنة مع أمثال أحد عشر قطرًا عربيًّا»: «أمثال كل أمة خلاصة تجاربها، ومستودع خبراتها، ومستار حكمتها، ومثار ذكرياتها، ومرجع عاداتها، وسجل وقائعها -وترجمان أحوالها- إلىٰ أن يقول: (فهي مرآة الأمة، تعكس واقعها الفكري والاجتماعي بصفاء ووضوح) وقد أوضح أن عناية العرب بالأمثال قديمًا ضئيلة، ولكنهم استدركوا ذلك النقص حديثًا بعد أن أدركوا أهميتها فغنوا بجمعها وشرحها والبحث عن أصولها، واقتصر بعض المؤلفين علىٰ أقطارهم دون تجاوز حدودها وما زالت بعض الأقطار العربية لم يظهر من أمثالها شيء حتىٰ يومنا هذا).

وكما يقول التكريتي... قد بدأ الاهتمام بدراسة الأمثال العامية يغزوها العرب. وقد اطلعت علىٰ هذه الكتب المؤلفة حديثًا فيها وهي: «الأمثال العامية في نجد» للأستاذ محمد العبودي و«الأمثال البغدادية المقارنة مع أمثال أحد عشر قطرًا عربيًّا» لعبد الرحمن التكريتي، و«الأمثال اليمانية مع مقارنتها بنظائرها من الأمثال الفصحىٰ والأمثال العامية في البلاد العربية» لإسماعيل الأكوع، وكتاب أحمد تيمور «الأمثال العامية»، وفي كتاب «تاريخ مدينة جُدة» لمؤلف هذا الكتاب طائفة من الأمثال التي تُسْتَعْمَل في جدة في العصر الحاضر.

وبعد: فهذه طائفة من أمثال بني سليم العامية المقيمين في المملكة العربية

السعودية بديارهم القديمة في أعالي الحجاز بين نجد والحجاز. وقد كتبها لنا الشيخ حسين بن هندي السلمي:

- من عَطىٰ نصف يريد مليتها(١).

- صرْدانه ما تُدَفي بردانه(٢).

- الجَيْعان يتحلَّم بسوق العيش(٣).

- يا أبو المكاسب رأس مالك لا يضيع(٤).

- عُرْضَ الصياح صياح وتسلم(٥).

- ضربني وبكىٰ وسبقني واشتكىٰ.

- إذا أردت فراقه فاضربه باللي ما يطاقه(٦).

- مَن لا نفعني والبلاد أمان ما فادني والبلاد مخيفه(٧).

---

(١) يعني: من أعطىٰ شيئًا فهو ينتظر أكثر منه.

(٢) الصردان والبردان بمعنىٰ واحد، ويضرب المثل في أن الضعيف لا يستطيع نفع الضعيف.

(٣) المعنىٰ: أن الجوعان يحلم دائمًا بسوق مملوة بالخبز، ومضرب المثل أن الإنسان الأدنىٰ يتطلع دائمًا لمن هو أعلىٰ منه.

(٤) المعنىٰ: يا محب المكسب احذر من ضياع رأس مالك... يضرب لمن يتطلع للربح الوفير، ويخشىٰ أنه لا يحسن التصرف، والمثل توصية له بالحرص علىٰ المحافظة قبل كل شيء علىٰ رأس المال.

(٥) المعنىٰ: عليك أن تقابل الصياح بصياح أشد منه لعلك بذلك تسلم، ويقابله في أمثال الحجاز العامية المعاصرة: «قابل الغوش بالغوش لعلك تنجىٰ» أي: تنجو.

(٦) المعنىٰ: إذا أردت فراق إنسان فعليك أن تقدم له أمرًا كبيرًا لا يطيقه، ليفارقك حالًا عند سماعه بذلك.

(٧) المعنىٰ: من لا فائدة منه لك في وقت الرخاء وطيب العيش فأحرىٰ به ألا يفيدك في وقت الشدة.

- يريد يداويها وأعماها.

- عدوك صاحب صنعتك.

- احفظ عن جارك ولا تتهمه.

- قريبك من نصيبك.

- يا خال أبوي حُك أظهري.

- كيف حالك يوم أمسيت، قال: مثلي يوم أصبحت.

- حيْمِر عينك وأرخ إيديك.

- ما جاءت به سود الليالي غدت به.

- احفظ مالك يصلح حالك.

- أبعدها عني واطلب ثمرتها مني: (هذا المثل عن النخلة).

- سوق الرجال بشوايقها وتسلم من بوايقها: (معنىٰ هذا المثل: أعط الناس بقدر ما يعطونك.

- صب القوم علىٰ القوم وتسلم من عواقبهم (يعني هذا المثل: اترك العدو يتصارع مع عدوه لتسلم منهما).

- رجل الديك نجيب الديك: يعني المثل: أن رجل الديك تسحبه إذا سحبت).

* * *

بنو سليم آخرون

يرىٰ مؤلف «الرحلة اليمانية» أن قبيلة معاوية المقيمة بقضاء غامد في جبال السراة، بجنوب الطائف البالغ تعدادها اثنين وأربعين وألفًا، تنتسب إلىٰ (معاوية بن بكر بن هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن إلياس - إلىٰ - عدنان)(١).

وقبيلة سُليم التي هي بغامد، هي قحطانية، ولا تمُتُّ إلىٰ قبيلة سُليم العدنانية بصلة نسب.

قال ابن حزم في فصل: «وهؤلاء سليم بن فهم بن غنم بن دوس» ما نصه: «ولَدُ(٢) سُليم بن فهم: ثعلبة وتبيع. فمن ولد ثعلبة: أبو هريرة. وقد اختلف في اسمه اختلافًا عظيمًا، وثبت الكلبي علىٰ أنه عبد الله بن عامر بن عبد ذي الشَّري بن طريف بن عباد بن أبي صعب بن هنية بن سعد بن ثعلبة بن سُليم بن فهم - صاحب رسول الله ﷺ». وقد أفادنا ابن حزم بأسماء أبناء أبي هريرة وهم: المحرز وعبد الرحمن وبلال، كما ذكر ابن ابنه: عبد الرحمن بن بلال بن أبي هريرة، وقال: إنه (محدث) وذكر أخاه كريمًا، وابن عمه أبا عبد الله الأغر. وخاله: سعد بن صُبَيْح بن الحارث كان في الجاهلية لا يأخذ أحدًا من قريش إلا قتله بأبي أزيهر الدوسي الذي قتله هشام بن المغيرة المخزوميُّ، لمطله إياه بمهر أخته. وعبد الله بن النعمان الذي ينتهي نسبه إلىٰ ثعلبة بن سليم بن فهم.

---

(١) «الرحلة اليمانية» للشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي، الطبعة الثانية (ص١٢٣).

(٢) (ولد (هنا) مضموم الدال؛ فهو اسم بمعنىٰ (الابن) لا فعل ماض وهذا أسلوب ابن حزم في كتابه «جمهرة أنساب العرب» وقد استعمله أيضًا في أنساب سليم بن منصور بن قيس عيلان.

ومن ولده عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن النعمان، وَلَّاه المهدي السراة، فهو من أمراء الدولة العباسية علىٰ جبال السراة، وعمارة بن عمر بن أبي كلثم الذي قال حينما قُتِلَ الوليد بن يزيد: «لئن انتضيتُ سيفي لا أغمده وفي الأرض قُرشيٌّ حتىٰ أقتله» فأخذه مروان بن محمد.

فضرب عنقه صَبْرًا، وذو النور الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاصي بن ثعلبة بن سليم بن فهم، صاحب رسول الله ﷺ، الذي جعل الله له نورًا في وجهه بدعوة رسول الله، فقال: «يا رسول الله أخشىٰ أن يقول قومي: هي مُثلة» فرجع النور في طرف سوطه، فكان يضيء في الليل، وقد قتل يوم اليمامة، وقتل ابنه عمرو، يوم اليرموك، وهو الذي جعل شعار الأزد: (يا مبرور... يا مبرور)(١).

ومعاوية بن بكر بن هوازن، ليس ابنًا لسليم بن منصور، الذي هو الجد الأعلىٰ لقبيلة سليم بن منصور، والذي تنسب إليه، بل إن معاوية هذا هو: (ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس) وهو حفيد هوازن، وهوازن أخو (سُليم) بن منصور(٢)... ووالد هوازن وسليم هو (عكرمة) بن خصفة بن قيس عيلان، وعلىٰ ذلك فإن ما ورد في الرحلة اليمانية فيه خلط كثير.

ومن كل ما سبق يستبين أن سُليم السراة، أو قضاء غامد، ليسوا من سُليم بن منصور في قَبيل ولا دبير، فأولئك دَوسيون أزديون قحطانيون، ولهم أبناء عمومة آخرون، ينتمون إلىٰ عُدْثان -بالثا- ابن عبد الله بن زهران... وهؤلاء هم زهرانيون، وهم أيضًا أزديون قحطانيون.

---

(١) «جمهرة أنساب العرب» (ص٣٨١، و٣٨٢، و٢٦٤).

(٢) «جمهرة أنساب العرب» (ص٣٨١، و٣٨٢، و٢٦٤).

أما بنو سليم بن منصور، فهم في نسبهم بمنأىٰ عن نسب سُليم بن فهم الأزديين القحطانيين، فسليم بن منصور عدنانيون -بنونين- من قيس عيلان. وبلادهم تقع شمال الطائف قديمًا وحديثًا. وبنو سليم فهم الأزديون مساكنهم بجبال الحجاز -السراة- جنوب الطائف، قديمًا وحديثًا.

ومما يَدْعَمُ أن بني سليم السراة هم أزديون من بني قحطان ما أورده محمد بن سعد قال: «كتب النبي ﷺ إلىٰ أبي ظبيان الأزدي من غامد، ويدعوه ويدعو قومه إلىٰ الإسلام، فأجابه في نفر من قومه بمكة، منهم مخْنَفٌ، وعبد الله، وزهير، بنو سليم، وعبد شمس بن عفيف بن زهير... هؤلاء بمكة»(١).

فأنت ترىٰ أن ابن سعد قد نص علىٰ أن هؤلاء السليميين هم من غامد، ومن الأزد.

والواقع أن اسم «سُليم» أو «بني سليم» هو من أسماء العربية المشتركة بين عدة قبائل عربية مختلفة الأنساب، فسُليم بن منصور -بضم سين سليم- هم من بني معد بن عدنان لأنهم من قيس عيلان، وبنو سُليم بطن من جذام القحطانيين(٢)، وبنو سليم بطن من شنوءة من الأزد من القحطانية، وهم بنو سليم بن قطرة بن غنم بن دوس بن عدثان -بثاء مثلثة- بن عبد الله بن زهران بن كعب... إلخ».

وقد ذكر القلقشندي بني سُليم الذين هم بطن من جذام أيضًا كما ذكر بني سليم الذين هم بطن من شنوءة من الأزد من القحطانية، إضافة إلىٰ ذكره لبني سُليم الذين هم من قيس عيلان(٣).

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٢٨٠) المجلد الأول، طبع بيروت.
(٢) في «لسان العرب» لابن منظور أن «سليمًا أيضًا قبيلة في جذام من اليمن». مادة (سلم).
(٣) «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» عراب، للبهم، طبع مطبعة النجاح ببغداد.

ويبدو لي أن «المقريزي» قصر بحثه علىٰ بني سليم بن منصور الذين أُخرجوا من ديارهم مرتين، مصر إلىٰ مصر، ومرة بعدها من مصر إلىٰ أرض المغرب، ولم يتعرض للسلميين الآخرين[(١)].

وقد مر بنا في فصل «بنو سليم أصلًا وفصلًا، وهجرات وتنقلات» تفصيل واف لفروع بني سليم بن منصور الذين هاجروا -عودًا علىٰ بدء- من المغرب إلىٰ مصر في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للثامن عشر الميلادي، ومر بنا أنهم قد انتشروا من غرب الإسكندرية إلىٰ مديريات الفيوم، والمنيا، وبني سويف كما انتشرت بطون منهم في أرض الدلتا شرقًا وغربًا، وفي بعض مناطق الصحراء الغربية.. كما مر بنا أيضًا - في ذلك الفصل، أسماء أفخاذ بني سُليم المقيمين ببرقة في زمن القلقشندي (القرن التاسع الهجري).

ولست أدري أسليم السودان، من قيس عيلان أم من الأزد؟

وجاء في كتاب «تاريخ السودان» لنعوم شقير: أن سُليمًا من أشهر قبائل السودان، علىٰ النيلين: الأبيض والأزرق، والجزيرة بينهما جنوبي قبيلة كنانة، وفي موضع آخر ذكر أن سُليم السودان تنتسب إلىٰ جهينة[(٢)].

فإذا ثبت هذا؛ فمعناه أنهم من غير قبيلة بني سُليم بن منصور التي تنتسب إلىٰ قيس عيلان، وذلك لأن جهينة قبيلة من قضاعة، وقضاعة في أصح الأقوال غير عدنانية، وحتىٰ لو كانت جهينة عدنانية، فهي ليست بذات صلة نسبية بقبيلة بني سُليم بن منصور.

---

(١) «البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب» للمقريزي، طبع القاهرة.
(٢) «تاريخ السودان، لنعوم شقير» (ص٦٢).

علىٰ أن ابن خلدون في كتابه «العبر» يخبرنا بأن جهينة انتشرت ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة، وكاثروا هنالك سائر الأمم، وغلبوا علىٰ بلاد النوبة ومزقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم، وحاربوا الحبشة فأرهقوهم إلىٰ هذا العهد(١). فهذا نص صريح بوجود جهينة في بلاد السودان بكثرة.

ويقول عبد المجيد عابدين: أنهم دخلوا السودان في موجات متعددة، واتجه معظمهم من طريق وادي النيل إلىٰ الشرق حيث بلاد البجة وساحل البحر الأحمر، واكتظت بهم المنطقة الواسعة التي تأخذ من حلفا الحالية إلىٰ شمال غربي الحبشة، وكان لهم أثر قوي في الضغط علىٰ مملكة النوبة المسيحية الشمالية، مملكة المقرة، حتىٰ أزالوها، ثم تدفقوا إلىٰ الغرب ثم إلىٰ الجنوب، فشغلوا بقاعًا مترامية من السودان تمتد من الشرق إلىٰ الغرب(٢).

وعلىٰ هذا، فربما يكون معظم بني سُليم الذين استوطنوا السودان من جهينة التي اكتظ بها السودان كما يقول المؤرخون، جاز أكثرهم إلىٰ السودان من صعيد مصر، وجاز أقلهم في الفترات الأخيرة من الزمن بحرًا من ناحية ينبع إلىٰ السودان رأسًا.

ويؤكد المقريزي أن عرب جهينة التي هي من قبائل اليمن (هي أكثر عرب الصعيد) وكانت مساكنهم في رأيه في بلاد قريش فأخرجتها قريش بمساعدة عساكر الفاطميين ونزلوا في بلاد إخميم أعلاها وأسفلها.

---

(١) «العبر» (ص٥١٦) المجلد الثاني.
(٢) «تعليقات الدكتور عبد المجيد عابدين علىٰ نهاية الأرب» القلقشندي (ص١٤٩ و١٥٠)، طبع مطبعة أحمد مخيمر.

ويصحح الدكتور عبد المجيد في «تعليقاته علىٰ كتاب المقريزي» منازل جهينة، فيقول -نقلًا عن ابن خلدون إنها كانت ما بين الينبع -ينبع- ويثرب، في متسع من برية الحجاز، وأنه جاز منهم أمم إلىٰ العدوة الغربية من بحر القلزم وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة إلىٰ آخر ماسلف بيانه[(١)].

والهجرة لمن كان في مثل حال قبيلة جهينة القضاعية، وبني سليم العدنانية، في خفة المحمول واعتياد النجعة أمر سهل ميسور.

ويذكر محمد مرتضىٰ الزبيدي في كتابه: «تاج العروس من جواهر القاموس» أن: «بني سَلِيمة كسفينة: بطن من الأزد، وهم بنو مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن الأزد. وكجُهينة قد تقدم، والنسبة: سُلَيمي. قال سيبويه: نادر.. قلت -القائل هنا هو محمد مرتضىٰ الزبيدي-: وهم إلىٰ الآن في نواحي البحرين اجتمعتُ بجماعة منهم» مادة (سلم)، وكرر هذا القول أيضًا مرة أخرىٰ، إلا أنه قال: «ومنهم بقية بالبحرين إلىٰ يومنا هذا، وقد اجتمعتُ بجماعة منهم». المادة السابقة[(٢)].

ولا ينفي هذا ما ثبت من المصادر الموثوق بها من أن بني سليم بن منصور نزحوا مع القرامطة إلىٰ البحرين... إبان إجلاء هؤلاء من ديار الشام، وربما كان قد بقي منهم بعض بيوت آثروا المُقام في البحرين فيما بعد.

❋ ❋ ❋

---

(١) «البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب» للمقريزي، والتعليق عليه للدكتور عبد المجيد عابدين (ص٣٢).

(٢) «تاج العروس» مادة (سلم).

قسم التراجم

صحابة من بني سُليم

من هو الصحابيُّ؟

اختلف في تعريف «الصحابي».

فقال النووي في كتابه: «تقريب النواوي» ما نص: «المعروف عند المحدثين أنه -أي الصحابي- كل مسلم رأىٰ رسول الله ﷺ. وعن أصحاب الأصول أو بعضهم أنه: كل من طالت مجالسته علىٰ طريق التبع. وعن سعيد بن المُسيب: أنه لا يُعَدُّ صحابيًّا إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين، أو غزا معه غزوة أو غزوتين».

وقد ضعَّف النووي هذا القول بالنسبة لسعيد بن المسيب، وقال عنه: «فإن صح عنه -أي هذا القول- فهو ضعيف... فإن مقتضاه ألا يُعدّ جرير البجلي وشبهه صحابيًّا، ولا خلاف أنهم صحابة».

وقال النووي عن الكيفية التي تعرف بها صحبة الصحابي: «ثم نعرف صحبته، بالتواتر، أو الاستفاضة، أو قول صحابي، أو قوله إذا كان عدلًا»(١).

تلك ثلاثة أقوال أوردها النووي في تعريف «الصحابي» ومجملها كما يلي:

أولًا: الصحابي عند المحدثين كل مسلم رأىٰ رسول الله ﷺ.

ثانيًا: الصحابي -عند أصحاب الأصول أو بعضهم-: كُلُّ من طالت مجالسته للرسول علىٰ طريق التبعة له والأخذ عنه.

---

(١) «تقريب النواوي» للإمام النووي (ص٣٩ – ٤٠٠) طبعة مصر (١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م).

ثالثًا: الصحابي -في رأي نُسِبَ إلىٰ سعيد بن المسيب- هو من أقام مع رسول الله سنة أو سنتين أو غزا معه غزوة أو غزوتين.

وثمة أقوال ثلاثة أخرىٰ في تعريف الصحابي أوردها السيوطي في كتابه: «تدريب الراوي شرح تقريب النواوي» هي:

أولًا: الصحابي: من طالت صحبته وروىٰ عن الرسول.

ثانيًا: الصحابي: من رأىٰ الرسول ﷺ وهو بالغ.

ثالثًا: الصحابي: من أدرك زمنه ﷺ وإن لم يره[(١)].

وإذا كان لمثلي أن يقول شيئًا في هذا الموضوع... فإني أرىٰ أن التعريف الأول الذي قدمه لنا النووي وهو: أن الصحابي: كل مسلم رأىٰ رسول الله ﷺ هو التعريف الأمثل للصحابي.

هذا، وقد أوردتُ في هذا الفصل جملةً من الصحابة السليميين، وهو استعراض متفاوت لحياة من تمكنت من معرفة تراجمهم حسب ما اطلعت عليه فيما بين يدي من المراجع حين كتابة هذا الفصل، عن الصحابة السليميين رضي الله عنهم، وليس إحصاءً، ولا شبه إحصاء.. فإني ما اطلعت علىٰ كل ما كُتِب في هذا الشأن، ولا علىٰ كل من تُرجمُوا من صحابة رسول الله ﷺ، من بني سُليم... وما لا يُدرك كله لا يُترك كل.

علىٰ أنه حتىٰ في المراجع التي هي بين أيدينا ربما يفوت علىٰ الرؤية أسماء بعضهم، فلم تدرج في هذا الفصل، لسهو أو تجاوز نظر... والكمال لله وحده.

---

(١) «تدريب الراوي شرح تقريب النواوي» لعبد الرحمن السيوطي (ص٣٩) طبعة مصر.

وجدير بالذكر أننا قفَّينا فصل الصحابة السليميين هذا، بفصل آخر عن الصحابيات السليميات التي استطعنا أن نتوصل إلىٰ تراجمهن من بين ثنايا المصادر التي بين أيدينا.

فن كتابة التراجم:

هذا، وقد عَرّفت الحضارةُ العربية الإسلامية، فن كتابة التراجم، قديمًا.

والترجمة تؤدي معنىٰ تدوين السيرة أو تاريخ حياة من تترجم له أولها، وأول ما عُني به المسلمون من فن التراجم، تدوينُ سيرة الرسول ﷺ، وحينما اتسعت الدائرة شملت في إطارها سِيَر صحابة الرسول، خاصة أولئك الذين سبقوا إلىٰ الإسلام، ووردتْ أسماؤهم في أخبار المغازي النبوية، وفي الأحداث التي كانت منذ فجر الإسلام، وأولئك الذين رووا أحاديث المصطفىٰ، وتسلسل ذلك إلىٰ تراجم التابعين، ومشاهير الفقهاء والعلماء والأدباء وغيرهم ممن حفلت بهم كتب التراجم في الحضارة العربية الإسلامية.

ومن ثم عُني المترجِمون -بكسر الجيم- بوضع معاجم وكُتُبٍ تشمل تراجم المشاهير والأعلام في حرب، وفي سياسة، وفي اقتصاد، واجتماع، وفي غير ذلك.

ومن التراجم ما يختص بأعلام دولة معينة أو إقليم معين، أو قبيلة من القبائل، أو بلد من البلدان(١).

والتراجم التي دونت في الفصول التالية هي النوع الخاص بالصحابة الذين ينتمون خاصة إلىٰ قبيلة بني سُليم، هذه القبيلة التي انتشرت في أركان المعمورة حتىٰ

(١) «القاموس الإسلامي» لأحمد عطية (ص٤٥٦) الجزء الأول.

لا يكاد يعرف بعض أبنائها بعضًا، وقد لا يكون سمع بعضهم بأسماء بعض.

وستتلوه تراجم أخرىٰ للصحابيات السليميات، فالتابعين السليميين، فالتابعيات السليميات، فالعلماء السليميين والمفتين والقضاة، فالعالمات السلميات، فالأمراء السليميين والقادة والولاة، ومن إليهم من المحتسبين والفرسان والموظفين، فالسراة والتجار، ورجال الأعمال السليميين، فالشعراء السليميين والأدباء، فالشاعرات السليميات، ومن بعد ذلك الرواة وشعراء الشعر النبطي السليميون، ونماذج مما قاله الشعراء السليميون المعاصرون في الشعر العامي المعروف بالشعر النَّبَطي.

ولسنا نزعم أننا أحصينا كل نوع من الأنواع المذكورة، أو كل شيء عنها، وإنما هي «نماذج» تدل علىٰ غيرها، وهي علىٰ كل حال ليست إحصائية وإن كنت قد راجعت الكثير من المصادر القديمة والحديثة في هذا الميدان، مما هو مدون في هوامش صفحات هذه الفصول.

ولا أكتم للقارئ أن «قسم التراجم» في هذا الكتاب، قد أخذ الكثير أيضًا من صفحاته، وذلك لما لهذا الفن من أهمية دقيقة في إماطة اللثام عن حياة المجتمعات يتقصىٰ حقائق حياة أفرادها الذين تتكون منهم جماعاتها.

وقد أدرك علماؤنا قديمًا أهمية هذا الفن وأَوْلَوْه عناية خاصة، ودونوا فيه الأسفار الكثيرة، ولم يكتفوا بذلك بل قدموا لنا المزايا الخاصة بهذا الفن التي جعلتهم يولونه قسطًا كبيرًا من عنايتهم.

يقول السخاوي إن: «ذلك أَوْفَىٰ مصنَّفات التواريخ فائدة، وأكثرها عائدة، وأجلها أثرًا، وأطيبها خبرًا، وأحسنها سمرًا، وأحلاها ثمرًا، لأن فيها ما يبعث علىٰ

الفضائل، واجتناب الرذائل، وفي مصارع الأعيان، ومن ساعده الزمان، اعتبارٌ لمن اعتبر، وتجربة لمن تفكَّر؛ إذ اللبيبُ يرىٰ مكارم الأخلاق فيستحسنها، وعوائد الخير فيطلبها، وعواقب الشر فيتجنبها»(١).

ويقول العقاد: «شغف الناس في هذا القرن بقراءة السير، فهي تحررهم حين يقرءونها من حدود الزمن، ونعيدهم إلىٰ الماضي، يستمدون منه العبرة، ويتزودون منه بالعظات، فتتصل بذلك حلقات الإنسانية ولا تنقطع».

ثم يقول: «وكتابة السير ليست عملًا سهلًا ولا هينًا، ولكنه من أصعب صنوف التأليف، فهي تتطلب من كاتبها أن يجمع بين قدرة المؤرخ، وموهبة الأديب، ليصبح قادرًا علىٰ تحري الحقيقة، واستقصاء الشواهد، وإلزام الحيدة والإنصاف».

ويضيف قوله: «ولا شك أن للعرب نصيبًا كبيرًا في الحضارة الإنسانية. والتاريخ العربيُّ زاخر بالأمجاد، حافل بالأعلام، في كل فرع من فروع المعرفة، وفي كل ميدان من ميادين الحياة، وما أحوجنا في هذا الطور من أطوار نهضتنا العربية المتوثبة إلىٰ دراسة هؤلاء الأعلام! والترجمة لكل منهم في كتاب يؤلفه كاتب من المتخصصين، يعرض فيه سيرته، ويحللها، ويصف عصره ووقائع حياته، ويبرز شخصيته، ويبين آثاره وفضله، علىٰ التقدم الإنساني(٢).

وهذا الذي يشيد به السخاوي والعقاد من أهمية فنّ التراجم، هو أمر واقع، وأضيف إلىٰ قولهما: أن فن التراجم والسير هو «العرق النابض» بالحيوية في التاريخ، ذلك أن إبراز مزايا المترجم تدعو القارئ من حيث يدري ولا يدري إلىٰ الإعجاب،

---

(١) «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» السخاوي (ص٢٣٧) طبع مطبعة العاني ببغداد.

(٢) «محمد عبده» لعباس محمود العقاد.

والإعجابُ يدعو إلىٰ محاولة المحاكاة، ومحاولةُ المحاكاة تدعو إلىٰ المضي فيها قُدُمًا. والمضيّ فيها قُدُمًا وبعناية يدعو علىٰ أن يبرز علماء وأعلام مماثلون أو علىٰ منهج من أعجب القارئ بسيرته.

وبنو سليم قد حفل تاريخهم بالأعلام، في دينٍ وحربٍ، وفي أدب وسياسة، وفي إدارة واجتماع، مما سترىٰ نماذج منه في الفصول المتتابعة التالية.

عمرو بن عبسة السلمي:

هو عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منظور[(١)] -منصور- بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ويكنىٰ عمر بن عبسة، «أبا نجيح».

قصة دخوله الإسلام:

حدث عمرو بن عبسة عن دخوله في دين الإسلام.. فقال:

أتيت رسول الله ﷺ، وهو نازل بعكاظ، فقلت: يا رسول الله، من معك في هذا الأمر؟ قال الرسول ﷺ: «**معي رجلان: أبو بكر وبلال**».

وفي رواية أنه قال: «أتيتُ النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أنا عمرو بن عبسة السلمي، أحب أن أسألك مما تعلم وأجهل، وينفعني ولا يضرك».

وفي رواية أنه قال: «أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله مَنْ أسلم؟ فقال الرسول: «**حُرّ وعبد**» يعني: أبا بكر وبلالًا... فأنا رابع الإسلام أو رُبُع الإسلام».

---

(١) في كتاب «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد، طبعة بيروت، بدار صادر: «منظور» بالظاء المشالة. وصوابه كما هو معروف: «منصور» بالصاد المهملة.

وقد سأل أبو أمامة عمرو بن عبسة، فقال: يا عمرو بن عبسة (لصاحب العُقُل رجل من بني سليم): بأي شيء تدعي أنك رُبع الإسلام؟ فقال: إني كنت في الجاهلية أرىٰ الناس علىٰ ضلالة، ولا أرىٰ الأوثان بشيء، ثم سمعتُ عن رجل يخبر أخبارًا بمكة، ويحدث بأحاديث، فركبتُ راحلتي حتىٰ قدمت مكة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مستخفيًا، وإذا بقومه، عليه جزءان (١).

فتلطفت حتىٰ دخلتُ عليه، فقلت: ما أنت؟ قال: «**أنا نبي**». فقلت: وما نبي؟ قال: «**رسول الله**». قلت: آلله أرسلك؟ قال: «**نعم**» فقلت: فبأي شيء؟ قال: «**بأن يُوَحَّدَ الله ولا يُشْرَك به شيء، وكسْرِ الأوثان، وصلة الأرحام**». فقلت له: من معك علىٰ هذا؟ قال: «**حُرٌّ وعبد**»، وإذا معه أبو بكر وبلال. فقلت له: إني متبعك. قال: «**إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ولكن ارجع إلىٰ أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرتُ فالحق بي**».

قال عمرو بن عبسة: فرجعت إلىٰ أهلي، وخرج النبيُّ ﷺ مهاجرًا إلىٰ المدينة، وقد أسلمتُ، قال عمرو بن عبسة: فجعلت أتخَبَّر الأخبار، حتىٰ جاء ركبة -ركَبَةٌ جمع راكب- من يثرب، فقلت: ما فعل هذا الرجل المكي الذي أتاكم؟ فقالوا: أراد قومه قتله، فلم يستطيعوا ذاك، وحيل بينه وبينهم، وتركتُ الناس إليه سِراعًا.

فتمكنتُ راحلتي، حتىٰ قدمتُ عليه المدينة، فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله، أتعرفني؟ قال: «**نعم، ألستُ الذي أتيتني بمكة؟**» فقلت: بلىٰ، وقلت: يا رسول الله، علمني ما علمك الله وأجهل؛ فعلمه رسول الله صلاة الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والوضوء للصلاة، وفضْله.

---

(١) في الرواية الأخرىٰ: «ووجدت قريشًا عليه أشداء» وستأتي عما قريب في هذا الفصل.

وفي رواية عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عبسة السلمي، قال: رغبتُ(١) عن آلهة قومي في الجاهلية وذلك أنها باطل، فلقيت رجُلًا من الكتاب، من أهل تيماء، فقلتُ: إني امرؤ ممن يعبد الحجارة، فينزل الحَيُّ ليس معهم إله، فخرج -فيخرج- الرجل منهم، فيأتي بأربعة أحجار، فينصب ثلاثة، لقدْرِه، ويجعل أحسنها إلهًا يعبده، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل، فيتركه، ويأخذ غيره إذا نزل منزلًا سواه. فرأيت إنه إله باطل، لا ينفع ولا يضر، فدُلَّني علىٰ خير من هذا.

فقال (الرجل التيماوي) لعمرو بن عبسة السلمي: يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه، ويدعو إلىٰ غيرها فإذا رأيتَ ذلك فاتبعه، فإنه يأتي بأفضل الدين.

قال عمرو بن عبسة: فلم تكن لي همة منذ قال لي ذلك إلَّا مكة. فآتي فأسأل: هل حدث فيها حدَث؟ فيقال: لا. ثم قدمتُ مرة فسألت: فقالوا: حدث فيها رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو إلىٰ غيرها، فرجعت إلىٰ أهلي، فشددت راحلتي برحلها، ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزله بمكة، فسألت عنه، فوجدته مستخفيًا، ووجدت قريشًا عليه أشداء(٢).

فتلطفتُ حتىٰ دخلت عليه، فسألته، فقلت: أي شيء أنت؟ قال: «**نبي**». قلت: ومن أرسلك؟ قال: «**الله**». قلت: وبم أرسلك؟ قال: «**بعبادة الله وحده لا شريك له، وبحقن الدماء، وبكسر الأوثان، وصلة الرحم، وأمان السبيل**». فقلت: نِعْمَ ما أُرْسِلت

(١) معنيا، رغبت عن هذا، كرهه. وذلك أن صيغة (رغب) ذات معنيين مضادين، والذي بعده لها معناها من المعنيين المتضادين هو حرفا الجر: (في) و(عن).. فإذا كان المراد هو (الحب) فتأتي بعدها بـ(في) فتقول: (رغبت في هذا) أي أحببته. وإذا كان المقصود هو (الكره) فتأتي بعدها بـ(عن) فتقول: (رغبت عن هذا) أي كرهت.

(٢) في «الاستيعاب» لابن عبد البر: «إلبًا عليه» (ص١١٩٤) الجزء الثالث.

به، وقد آمنت بك وصدقتك. أتأمرني أمكث معك أو أنصرف؟ فقال: «**ألا ترىٰ كراهة الناس ما جئتُ به؟ فلا تستطيع أن تمكث، كن في أهلك، فإذا سمعت بي قد خرجتُ مخرجًا فاتبعني**».

فكنتُ في أهلي حتىٰ إذا خرج إلىٰ المدينة، سِرْتُ إليه، فقدمت المدينة، فقلت: يا نبي الله، أتعرفني؟ قال: «**نعم، أنت السلمي الذي أتيتني بمكة، فسألتني عن كذا وكذا، فقلت لك كذا وكذا**».

فاغتنمتُ ذلك المجلس، وعلمتُ ألا يكون الدهر أفرغَ قلبًا لي منه في ذلك المجلس، فقلت: يا نبي الله، أي الساعات أسمع؟(١) قال: «**الثلث الآخر، فإن الصلاة مشهودة مقبولة حتىٰ تطلع الشمس؛ فإذا رأيتها طلعت حمراء كأنها الجحفة(٢)، فأقصر عنها فإنها تطلع بين قرني شيطان، فيصلي لها الكفار، فإذا ارتفعت قيد رُمح أو رمحين فإن الصلاة مشهودة مقبولة، حتىٰ يساوي الرجل ظله، فأقصر عنها فإنها حينئذٍ تسجد جهنم، فإذا عاد الفيء فَصَلِّ، فإن الصلاة مشهودة مقبولة، حتىٰ تغرب الشمس، فإذا رأيتها تغرب حمراء كأنها الجحفة فأقْصِر...** » ثم ذكر الوضوء فقال: «**إذا توضأت فغسلت يديك ووجهك، فإذا جلست كان ذلك لك طهورًا، وإن قمت فصليت، وذكرت ربك بما هو أهله، انصرفت من صلاتك كهيئتك يوم ولدتك أمك من الخطايا**»(٣).

وقد أورد ابن قتيبة قصة إسلام عمرو بن عبسة السلمي بإيجاز، وقال عنه:

---

(١) يعني: أي الساعات يكون الدعاء فيها مستجابًا أكثر من غيرها؟

(٢) الجحفة: الترس.

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٢١٧ و٢١٨) الجزء الرابع.

«فلما قبض النبيّ ﷺ سكن (عمرو) الشام بعده»(١).

هذا ويلمس القارئ من ثنايا حديث هذا الصحابيِّ السلمي ذي السابقة في الإسلام، حرارة الصدق، وصفاءَ الضمير، وذكاءَ الفكر، وطُهْرَ الفطرة، وما رواه شهر بن حوشب عنه -فيما أراه- هو تفصيل من عمرو بن عبسة نفسه لقصة إسلامه، ولقدمة إسلامه.

وواضح تجرُّد هذه القصة الواقعية الجميلة من التصنع والتكلف والتنميق، هي منسجمة تمامًا مع واقعها، ومع صاحبها وبطلها، وهي تعبير صادق عن شعور نفسي عميق، وهي تجربة واقعية خاض غمارها عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فنجح باهر النجاح، وقد أدرك بفطرته السليمة أن ما كان عليه هو وقومه العرب من عبادة الأحجار وإشراكها بالله جل وعلا في العبادة هو أمر ناجم عن انطماس نور العقل، وإرادة الفكر.

ويحدثنا محمد بن عمر الواقدي عن عمرو بن عبسة فيقول: «لما أسلم عمرو ابن عبسة رجع إلىٰ بلاد قومه بني سُليم، وكان ينزل بصفة وحاذة وهي من أرض بني سليم، فلم يزل مقيمًا هناك حتىٰ مضت بدر وأُحد والخندق والحديبية وخيبر، ثم قدم علىٰ رسول الله ﷺ بعد ذلك المدينة»(٢).

هذا وقد أثنىٰ ابن خلدون علىٰ عمرو بن عبسة، وقَدَّر مكانته في الإسلام.

ثم قال عنه: «وعمرو بن عتبة(٣) بن منقذ بن عامر بن خالد، كان صديقًا

(١) «المعارف» لابن قتيبة الدينوري (ص١٣٩) طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(٢) «الطبقات الكبرىٰ» لمحمد بن سعد (ص٢١٤ – ٢١٩) المجلد الرابع.
(٣) هكذا ورد اسمه في «تاريخ ابن خلدون» طبع بيروت، والصحة ما أوضحناه وهو: «عبسة» كما نص عليه العديد من المراجع.

لرسول الله ﷺ، في الجاهلية، وأسلم (ثلاث؟) أبو بكر وبلال. فكان يقول: كنت يومئذٍ رُبع الإسلام»(١).

ويبدو لي أن اسم (عتبة) الوارد في «العبر» في سلسلة نسب عمرو بن عبسة هو تحريف من النساخ أو الطابع... فاسم أبيه هو (عبسة) لا (عتبة)... أما جعل جده الأول (منقذًا) فلعله تحريف لاسم (حذيفة)... وقد ورد اسم (عمرو) الجد الثاني - عند ابن خلدون- هكذا: (عامرًا)... ولعله هو أيضًا تحريف لاسم (عمرو).

عروة بن أسماء بن الصلت السلمي:

هو عم عبد الله بن خازم، أمير خراسان، والفارس الصنديد المعلم الوفي بالعهد إلىٰ آخر نقطة من دمه، وكان عروة هذا من جِلَّة الصحابة. وقتل في يوم بئر معونة رضي الله عنه.

الحجاج بن عِلاطٍ السلمي:

هو الحجاج بن عِلاطٍ بن خالد بن ثويرة -نويرة- بن جسر -حنثر- بن هلال ابن عبيد بن ظفر بن سعد بن عمرو بن تميم بن بهز بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ابن منصور.

يُكَنَّىٰ الحجاج بن علاط: أبا كلاب وقيل: أبا محمد. وكان من خيار الصحابة.

نزل الحجاج مدينة حمص(٢) -بسورية- وابنه نصر بن الحجاج الذي نفاه عمر ابن الخطاب سترد ترجمته وقصة نفيه في الفصل المعقود للتابعين من هذا الكتاب.

---

(١) «العبر وديوان المبتدأ والخبر» لابن خلدون (ص٦٣٩) المجلد الثاني: طبع المطبعة الباسيلية في بيروت.

(٢) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص٢٥٠)، و«تاريخ ابن خلدون» (ص٦٣٨) المجلد الثاني، طبع بيروت، و«الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٤١٢)، المجلد السابع.

وقد نزل الحجاج المدينة، وعد من أهلها، لأنه سكنها وبنىٰ بها دارًا ومسجدًا يعرف به.

وقد ذكروا سبب إسلامه فقالوا: إنه خرج في ركب من قومه إلىٰ مكة، فلما جن عليه الليل، وهو في واد وحش مخوف قعد... فقال له أصحابه: يا أبا الكلاب، قم فاتخذ لنفسك ولأصحابك أمانًا، فقام الحجاج بن علاط يطوف حولهم، يكلؤهم، ويقول:

أعيــذُ نفســي وأعيــذ صــحبي ... مــن كــل جنــيٍّ بهــذا النّقْــب

حتىٰ أؤوب سالمًا وركبي

فسمع قائلًا يقول: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرحمن: ٣٣]. فلما قدموا مكة أخبر بذلك في نادي قريش، ثم أسلم، وحسن إسلامه.. ورَخَّص له رسول الله أن يقول فيه بما شاء عند أهل مكة، عام خيبر، من أجل الحصول علىٰ ماله وولده بها.. فجاء العباسَ -بفتح السين- بفتح خيبر، وأخبره بذلك سِرًّا، وأخبر قريشًا قبله بضد ذلك جهرًا حتىٰ جمع ما كان له من مال بمكة، وخرج منها.

وعقب ابن عبد البر علىٰ ما ذكر، بأن «حديث الحجاج بن علاط بذلك صحيح، وقد شهد مع رسول الله خيبر، وكان مكثرًا من المال... كانت له معادن بني سُليم، وقد دُفِن بقاليقلا من ديار بكر»(١).

(١) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (ص٢٦)، الجزء الأول، طبع مطبعة نهضة مصر.

وتوجد ترجمة للحجاج بن علاط السلمي في كتاب «قصص العرب»(١).

وللحجاج بن علاط بيتان تمثل بهما عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حينما بلغه قولُ عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إن ابن جعفر لمن المسرفين.. وقال ابن الزبير ذلك بمناسبة تفريقه للصلة الكبيرة التي وافته من يزيد بن معاوية في مقامه ذاك، والبيتان هما:

بخيل يرىٰ في الجود عارًا وإنما ... علىٰ المرء عارٌ أن يَضِنَّ ويبخلا
إذا المرء أثرىٰ ثم لم يرْجُ نفعه ... صديقٌ فلاقته المنية أولَا(٢)

مُعرّض بن علاط السلمي:

صحابي، أخو الحجاج بن علاط السلمي الذي سبقت ترجمته آنفًا، قُتل معرض يوم الجمل، ولا يعلم ابن عبد البر له رواية، وقد رثاه أخوه الحجاج بن علاط بقوله:

ولم أر يومًا كان أكثر ساعيًا ... بكف شِمالَ فارقتها يمينُها

وقد نقد ابن عبد البر قول ابن إسحاق: إنه لما أصيب معرض بن حجاج بن علاط السلمي يوم الجمل بكاه أخوه نصر بن الحجاج بن علاط فقال:

لقد فزعت نفسي لذكر مُعرّض ... وعيناي جادت بالدموع شؤونها

ومحل النقد هو أن (معرضًا) هو عَمُّ نصر بن الحجاج بن علاط، وليس أخاه.. فهو معرض بن علاط مباشرة كما أن الحجاج أخاه هو: الحجاج بن علاط.

---

(١) «قصص العرب» (ص٣٦٠ و٣٦١) الجزء الثاني، طبع مطبعة السعادة بمصر.
(٢) «الحماسة الشجرية» لابن الشجري هبة الله بن علي العلوي الحسني (ص٤٩٠ – ٤٩١)، القسم الأول، طبع دمشق.

ووَهِمَ الدارقطني حينما قال بقول ابن إسحاق فيه، وهذا «التوهيم» صادر مني. ويدل عليه سياق كلام ابن عبد البر أن عبد البر في توهيمه لابن إسحاق في قوله الآنف ذكره الذي اعتمده الدارقطني فيما بعد، وكأنما نقله عن ابن إسحاق بدون فحص ولا تمحيص.

مالك بن عمرو السلمي:

شهد مالك بدرًا، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ... وهو من بني حجر من بني سُليم، حلفاء بني كبير، حلفاء بني عبد شمس، واستشهد مالك بن عمرو، بيوم اليمامة(١).

وجاء في «الاستيعاب» اسم (مالك بن أمية بن عمرو السلمي)(٢) وهو غير مالك بن عمرو هذا، ولذلك أفردنا له هذه الترجمة، وأفردنا لسميه المذكور ترجمة أخرىٰ فيما بعد.

مدلاج بن عمرو السلمي:

هو أخو مالك وبدر، مات في خلافة معاوية سنة (٥٠هـ)، وقد شهد مدلاج مع أخويه: مالك وثقيف بدرًا وأحدًا، والخندق، والحديبية، وخيبر.

ثقيف بن عمرو السلمي:

شهد مع أخويه السابق ذكرهما، بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقد اختلف في اسم (ثقيف): أهو (ثقف) أو (ثقاف).. ويبدو لي أن هذا الاختلاف في

---

(١) «الاستيعاب» (٢١٣٥٥) المجلد الثالث، و«العقد الثمين» للتقي الفاسي (ص١١٤) الجزء السابع.
وقد نشر هذا الكتاب الثمين في ثمانية أجزاء محققة تحقيقًا علميًّا، علىٰ نفقة معالي الشيخ محمد سرور الصبان، فكان ذلك فضلًا منه علىٰ تاريخ مكة المكرمة يذكر فيشكر.

(٢) «الاستيعاب» أيضًا (ص١٣٤٦) الجزء الثالث.

اسمه ربما كان مصدره عِلْمَ الرسمِ العربي.. فقد اعتاد كُتَّاب العرب في الجاهلية والإسلام، حذف الألف اللينة من الكتابة تخففًا، واتكالًا علىٰ ذكاء القارئ وفهمه وعلمه. فهم يكتبون مثلًا: إسحاق وإسماعيل هكذا: إسحق وإسمعيل.

قتل ثقف أو ثقاف أو ثقيف بخيبر سنة سبع للهجرة، وقاتله أسير اليهود[1].

كثير بن عمرو السلمي:

صحابي حليف لبني أسد كان، ويقال: إنه كان حليف بني عبد شمس. شهد كثير بدرًا، فيما ذكره ابن إسحاق من رواية زياد. وليس في رواية ابن هشام. وذكره ابن السراج عن عمر بن محمد بن الحسن الأسدي عن أبيه زياد عن ابن إسحاق – قال: وشهد بدرًا، من حلفاء بني أسد، كثير بن عمرو وأخواه مالك بن عمرو، وثقف ابن عمرو.

وقد ترجمه التقيُّ القاسي كذلك، ولكنه تعقب ذلك بقوله: «ولم أرَ كثيرًا في غير هذه الرواية، ولعله أن يكون ثقف له لقبًا، واسمه كثير»[2].

عتبة بن غزوان السلمي:

واسم والد أبيه: ياسر. كان عتبة من أجلاء الصحابة، وفي عداد المهاجرين الأولين. وكان شجاعًا بطلًا، وراميًا حاذقًا، وفارسًا مغوارًا، قدم المدينة مهاجرًا، وله من العمر أربعون سنة، وشهد بدرًا، وأبلىٰ فيها بلاءً حسنًا بسهامه، كان رجلًا طوالًا، مشرف القامة، وقد فتح الأُبُلَّة بعد أن هزم جيش الفرس الذي كان بها. واختط البصرة

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٩٧ و٩٨) المجلد الثالث.
(٢) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين الفاسي (ص٩٣) المجلد السابع، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ص١٣٠٨) المجلد الثالث.

بأمر عمر بن الخطاب، وأمر محجن بن الأذرع فاختط مسجدها، ثم ذهب إلىٰ مكة فلما كان بمعدن سُليم -ولعله المعروف اليوم بالمهد، لأنه تل مرتفع- أدركه الموت فتوفي سنة (١٧هـ).

وهكذا كان عتبة بن غزوان رجل حرب، ورجل سِلْمٍ، ورجل اقتصاد وعمران في وقتٍ واحد.

وكما كان عتبة بن غزوان بطلًا محاربًا، ورجل اقتصاد وعمران كما قدمناه كذلك كان خطيبًا مفوهًا.. وقد رأيناه يلقي هذه الخطبة الرنانة ذات الأهداف الإسلامية القيمة بعد فتحه للأُبُلَّة..

قال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة علىٰ النبي ﷺ: «أما بعد فإن الدُّنيا قد تولت حَذَّاء(١) مدبرة، وقد آذنت أهلها بصَرْمٍ(٢)، وإنما أُبقي منها صبابة كصبابة الإناء، يصطبُّها(٣) صاحبها، ألا وإنكم مفارقوها لا محالة، ففارقوها بأحسن ما يحضركم.

ألا وإن من العجب أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحجر الضخم يُلقىٰ في النار من شفيرها، فيهوي فيها سبعين خريفًا(٤) ولجهنم سبعة أبواب، ما بين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة. ولتأتينّ عليه ساعة وهو كظيظ بالزحام**». ولقد كنت مع رسول الله ﷺ سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق البشام (٥) حتىٰ قرحت أشداقنا(٦) فوجدت أنا

---

(١) حذاء: بمعنىٰ منقوصة.
(٢) الصرم: القطع.
(٣) الصبابة -بضم الصاد المهملة-: بقية الماء أو اللبن، ويصطبها معناه: يفرغها.
(٤) الخريف هنا بمعنىٰ: العام.
(٥) **البشام**: شجر عطر الرائحة يتخذ من قضبانه المساويك.
(٦) معنىٰ: «قرحت أشداقنا»: حدثت فيها قروح.

وسعد بن مالك، تمرة، فشققتها بيني وبينه نصفين، والتقطتُ بردة، فشققتها بيني وبينه، فأتزرت بنصفها، وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير علىٰ مصرٍ من الأمصار، وإنه لم يكن نُبُوّة قط إلا تناسختها جبرية(١)، وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا، وفي أعين الناس صغيرًا، وستجربون الأمراء من بعدي، فتعرفون وتنكرون»(٢).

هذا وقد قال ابن دريد: إن «بني نُعَيْلَة بطن من العرب إخوة بني سُليم، ويقال إن عتبة بن غزوان منهم»(٣). فإذا صح هذا القول يكون عتبة بن غزوان من أبناء عم بني سُليم.

صفوان بن عمرو السلمي:

عقد ابن سعد في أول الجزء الرابع من كتابه «الطبقات الكبرىٰ» فصلًا هذا عنوانه: «الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار ممن لم يشهد بدرًا، ولهم إسلام قديم وقد هاجر عامتهم إلىٰ أرض الحبشة وشهدوا أُحدًا وما بعدها من المشاهد».

وأدخل في هذا الفصل، صفوان بن عمرو السلمي، وقال عنه: «وهو من بني سُليم بن منصور، من قيس عيلان، حلفاء بني كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حلفاء بني عبد شمس، شهد أُحدًا، وهو أخو مالك ومِدْلاج وثقف بن عمرو: الذين شهدوا بدرًا. قُتِلَ هو وأخوه مالك شهيدين في اليمامة).

---

(١) معنىٰ: «تناسخها جبرية»: غالبها جبروت ذوي السلطان، فإنا نسختها وأزالتها، وإما غلبت عليها.

(٢) عن كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ، والتعليقات عليه لحسن السندوبي (ص٤٤ و٤٥)، طبع المطبعة الرحمانية بمصر (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) مع إضافات طفيفة مني.

(٣) «جمهرة اللغة» لمحمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ص١٤٠)، الجزء الثالث، طبع حيدر آباد دكن.

وفي «الاستيعاب» أنه اختُلِف في شهوده بدرًا[(١)]، وفيه بعد ذلك في الصفحة ٧٣٤ أنه لم شهد بدرًا وإنما شهد أُحدًا.

العباس بن مرداس السلمي(٢):

أسلم العباس بن مرداس عام فتح مكة، ووفد إلىٰ رسول الله ﷺ، مع أنس بن عياض بن رعل السلمي، وراشد بن عبد ربه السلمي الذي كان اسمه (غاويًا) فسماه النبي: (راشدًا) علىٰ طريقته الجميلة النبيلة في تغيير الأسماء غير المناسبة إلىٰ أسماء حسنة مناسبة، وقد حضر مع الرسول، فتح مكة في تسعمائة ونيِّف من قومه بالقنا والدروع علىٰ الخيل، وكان إسلامه قبل فتح مكة بيسير من الزمن، وكان ممن حرّم الخمر في الجاهلية.

وهو شاعر معروف، وكان لقاؤه للرسول، وهو يسير حين هبط «المشلل» وبنو سُليم في آلة الحرب، والحديد ظاهر عليهم، والخيل تنازعهم الأعنة، فصفُّوا لرسول الله، وإلىٰ جنبه أبو بكر وعمر، وكانت رايتهم حمراء[(٣)] فقال الرسول: «**يا عيينة، هذه بنو سليم قد حضرت بما ترىٰ من العدة والعدد**». فقال عيينة: يا رسول الله،

---

(١) «طبقات ابن سعد» (ص١٠٤) المجلد الرابع، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (ص٧٢٢) المجلد الثاني.

(٢) للعباس بن مرداس ترجمة وافية في فصل «شعراء من سليم».

(٣) لعل من المناسب هنا ذكر ألوان بعض الرايات في العهد النبوي. كانت روايته ﷺ سوداء مريعة من صوف أسود وكان لواؤه أبيض مكتوبًا عليه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله). واسم رايته العقاب. وكانت راية الأنصار التي عقدها لهم الرسول، صفراء. وفي غزوة فتح مكة وافق علىٰ أن يكون لواء بني سليم أحمر (راجع كتاب التراتيب الإدارية السيد عبد الحي الكتاني ص٣٢١ – ٣٢٣ الجزء الأول. طبع بيروت.

جاءهم داعيك ولم يأتني، ثم حدث بينه وبين العباس بن مرداس كلام شديد، ورد بعضهما علىٰ بعض فأومىٰ إليهما النبي بيده حتىٰ سكتا، وأعطىٰ النبي العباس بن مرداس مع من أعطىٰ من المؤلفة قلوبهم، وكان ما أعطاه إياه هو أربعًا من الإبل، فعاتب النبي في شعر قاله. منه:

فأصبح نهبى ونهب العُبيد(١) ... بين عيينة والأقرع
إلا أفائل أُعطيتها ... عديد قوائمه الأربع
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدرأ ... فلم أعْطَ شيئًا ولم أُمنع
وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يُرفع

فرفع أبو بكر أبياته إلىٰ النبي ﷺ فقال النبي للعباس: «أرأيت قولك: أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة».

فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله، ليس هكذا قال. فقال النبي: كيف؟ فأنشده أبو بكر، كما قال عباس، فقال النبي: «**سواء. ما يضرك بدأت بالأقرع أو بعيينة**» فقال أبو بكر: بأبي أنت! ما أنت بشاعر ولا راوية ولا ينبغي لك. فقال رسول الله: «**اقطعوا عنىٰ لسانه**»: (لسان عباس بن مرداس) ففزع منها أناس، وقالوا: أمر بعباس يمثل به... فأعطاه مائة من الإبل، وقيل: خمسين من الإبل. وقد عاتبه رسول الله ﷺ فقال له: «**أتقول في الشعر؟**» فاعتذر وقال: بأبي أنت وأمي إني لأجد للشعر دبيبًا علىٰ لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا أجد بدًّا من قول الشعر. فتبسم الرسول وقال: «**لا تدع العربُ الشعر حتىٰ تدع الإبلُ الحنين**».

---

(١) العبيد (باسم العين المهملة): اسم فرس العباس بن مرداس.

هذا وقد انتقد المزرباني منع صرف (مرداس) في البيت المتقدم للعباس بن مرداس وهو:

ومــا كــان حصــن ولا حــابس يفوقــان مِــرْداسَ في مجمــع

بفتح سين (مرداس) مع أنه مصروف لغة. فقال: «وأما ترك صرف ما ينصرف فهو غير جائز، لأنه يُخرج الشيء عن أصله، وقد أجازه الأخفش، وأنشد قول العباس ابن مرداس السلمي:

ومــا كــان حصــن ولا حــابس يفوقــان مِــرْداسَ في مجمــع

فترك صرف «مرداس» وهو اسم منصرف، وهذا قبيح لا يجوز، ولا يقاس عليه، لأنه لحن»[(١)].

وكان العباس بن مرداس يغزو مع النبي ﷺ ويرجع إلىٰ بلاد قومه، وكان ينزل -كما ذكرنا في ترجمته في فصل شعراء بني سُليم- بوادي البصرة، وكان يأتي البصرة كثيرًا، ويرجع إلىٰ بلاد قومه[(٢)] وله ابن يقال له جاهمة يروي عن النبي ﷺ أحاديث[(٣)] ولم يسكن مكة ولا المدينة ويقال: إنه مات في بادية البصرة، ويقال بل نزل بدمشق وابتنىٰ فيها دارًا، ويقول ابن حجر: إن وفاته كانت في خلافة عثمان بن عفان.

---

(١) «الموشح المرزباني» (ص١٤٤) طبع دار نهضة مصر (١٩٦٥م).

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٢٧٣) المجلد الرابع.

(٣) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٦٣٤) الجزء الثاني، طبع دار الثقافة ببيروت، وفي الهامش أن في مطبوعة ليدن: جلهمة، وصوبه الأستاذ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: «لا يوجد من يسمىٰ بهذا في الصحابة ولا الرواة، وإنما هو جاهمة». انظر: «الإصابة» (٢٢٨)، و«الاستيعاب» (٢٦٧).

هذا، وفي عهد الجاهلية كان العباس يهاجي خُفاف بن ندبة السلمي، وتمادىٰ الخلاف بينهما حىٰ بلغ إلىٰ الاحتراب، وقد كثرت القتلىٰ بينهما، وعندئذٍ قام الضحاك بن عبد الله السلمي صاحب أمر بني سُليم وقال لهما: «يا هؤلاء! إني أرىٰ الحليم يُعْصىٰ، والسفيه يُطاع، وأرىٰ أقرب القوم إليكما من لقيكما بهوكما، وقد علمتم ما هاج الحرب علىٰ العرب حتىٰ تفانت... فهذه «وائل» في ضرع ناب، و«عبس» و«ذبيان» في لطمة فرس، و«أهل يثرب» في كسعة رجل، و«مراد» و«همدان» في رمية نسر.. وأمركما أقبح الأمور بدءًا، وأخوفها عاقبة! فَحُطَّا رحل هذه المطية النكداء، وانحرفا عن هذا الرأي الأعوج».

فلجَّا وأبيا إلا السفاهة، فخلعتهما بنو سليم، وأتاهما دريد بن الصمة، ومالك بن عوف النصري، رأس هوازن، فقال دريد: «يا بني سُليم، إنه أعملني إليكم صدْر وادٍّ، ورأي جامع، وقد قطعتم بحربكم يدًّا من أيدي هوازن، وصرتم بين صيد بني الحارث، وصهب بني زبيد، وجمار خثعم، وقد ركبتما شرمطية، وأوضعتما إلىٰ شرغاية، فالآن قبل أن يندم الغالب، ويذل المغلوب...» ثم سكت.

فقال مالك بن عوف: «كم حيّ عزيز الجار، مخوف الصباح، أولِعَ بما أُولِعْتُم به، فأصبح ذليل الجار، مأمون الصباح، فانتهوا ولكم كفّ طويلة، وقرْن ناطح، قبل أن تلقوا عدوكم بِكَفّ جذْماء، وقرْن أعْضَب».

فندم العباس، وقال: «جزىٰ الله خُفافًا والرحم عني شرًّا... كنتُ أخفَّ سليم من دمائها ظَهْرًا، وأخمصها من أموالها بطنًا، فأصبحت ثقيل الظهر من دمائها، مُنْفَضِح البطن من أموالها، وأصبحت العرب تعيرني بما كنت أعيرها به، من لجاج الحرب، وايم الله لوددت أني كنت أَصَمّ عن جوابه، أخرسَ عن هجائه، ولم أبلغ من

قومي ما بلغت». فلما أمسىٰ تغنىٰ:

ألـم تـر أني كرهـتُ الحـرو ... ب وأني نـدمت علـىٰ مـا مضَـىٰ
الندامـة زارِ علـىٰ نفسـه ... لتلـك التـي عارُهـا يُتَّقَـىٰ
وأيقنـتُ أني لمـا جئتـه ... مـن الأمـر لابسَ ثـوبي خـزىٰ
وكانـت سـليم إذا قـدَّمت ... فتـىٰ للحـوادث كنـتُ الفتـىٰ
وكنـتُ أفيء عليهـا النهـا ... ب وأنكي عداها أحمـد الحمي
فلـم أُوقِـد الحـرب حتـىٰ رمـىٰ ... خُفَـافٌ بأسـهمه مـن رمَـىٰ
فألهـب حربًـا بأصـبارها ... فلـم أكُ فيهـا ضـعيف القُـوَىٰ
فـإن تعطـفِ القـومَ أحلامُهـا ... ويرجِـع مـن ودهـم مـا نـأىٰ
فلسـتُ فقيـرًا إلـىٰ حـربهم ... ولا بِـي عـن سـلمِهم مـن غِنَـىٰ

وحينما سمع خُفافٌ هذه القصيدة التي أعلن فيها خصمه وابن عمه «التوبة» عن حرب ضروس أهلية، أضرت بالقبيلة وشتت شملها، وهدت من قواها، اعتبر ذلك علامة ضعف من عباس بن مرداس، فأجابه بقوله:

أعبـاسُ إمـا كرِهْـت الحـرو ... ب فقد ذُقْتَ من عضِّها ما كفىٰ
أألْقحْـتَ حربًـا لهـا دَرَّة ... زبونًـا تُسَـعِّرُّها بـاللظىٰ
فلسـا ترقيـت في غيهـا ... دحْضـت وزل لـك المرتقـىٰ
فأصـبحت تبكـي علـىٰ زلـة ... ومـاذا يـرد عليـك البكـا
فـإن كنـتَ أخطـأت في حربنـا ... فلسـنا مُقيليـك ذاك الخطـا
وإن كنـت تطمـع في سـلمنا ... فـزاوِلْ ثَبيـرًا ورُكْنَـي حِـرَا

وهكذا نرىٰ «خفافًا» -عباسًا- حيال خصمه: (عباس) الذي بدا أمامه (بسَّامًا)

وقدم له سَلامًا، -بفتح السين، وقد قابل خفاف سلامه هذا بسِلامٍ من قوارص التشنيع والتهكم تحمل في طياتها نُذُر الإصرار علىٰ مواصلة الحرب الأهلية السلمية بدون تردد.

وأخيرًا أشرقت الأرض بنور ربها، منبثقًا من مكة والمدينة فسطع علىٰ ظلام الاهلية في قلبي الرجلين البطلين السُّلَيميين المتناحرين؛ واللذين طالما امتشقا الحسام علىٰ بعض، فهذا شيطان الجاهلية بين جوانحهما ثم توارىٰ عنهما إلىٰ غير رجعة حينما دخلا حظيرة الإسلام، واستظلا بظلها الوارف، ونهلَا من معينها الغَدَق، وهكذا عاد الاستقرار إلىٰ أنفسهما، وإلىٰ القبيلة، وعاد إليهما الصفاء... فالإسلام نور وضاء للقلوب المظلمة، وروضة غناء للنفوس المكتئبة، يمحو همومها، وأدرانها، ويحل محلهما السعادة والهناء والألفة والاطمئنان، والإسلام يجُبُّ ما قبله.

وقد أطلنا في عرض قصة الخلاف الذي نَشِبَ بين العباس بن مرداس السلمي، وابن عمه خُفَاف بن ندْبَة السلمي، وما قيل من نثر وشعر في هذا الخلاف الذي كانت له أصداؤه لدىٰ العرب، فعلنا كل ذلك لأسباب في مقدمتها: الإلمام بطرف من حياة عرب الجاهلية، وألوان تفكيرهم، وكيفية معالجتهم لمشاكلهم، ثم للدلالة علىٰ نفسياتهم وما يختلج بين جوانحهم في ساعات السلم وساعات الحرب... ثم للدلالة علىٰ مكانة شاعرهم وفارسهم المُعْلَم في الجاهلية والإسلام: العباس بن مرداس السلمي، خاصة قبل دخوله في دين الإسلام، وتشرفه بصحبة الرسول ﷺ.

قيس بن نسيبة السلمي:

وفَدَ قيسٌ علىٰ النبي، فسمع حديثه، وسأله عن أشياء، أجابه عنها، ووعىٰ كلام المصطفىٰ، ودعاه الرسول إلىٰ الإسلام، فأسلم، ورجع إلىٰ قومه بني سليم، فقال لهم موجهًا لهم إلىٰ سبيل الرشاد، باللغة والأسلوب المقنعين. قال لهم: «قد سمعت

ترجمة الروم وهيمته فارس، وأشعار العرب، وكهانة الكاهن، وكلام مَقَاوِل حمير فما يشبه كلامُ محمّد شيئًا من كلامهم. فأطيعوني، وخذوا نصيبكم منه».

فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم إلىٰ رسول الله، فلقوه بِقُدَيْد، وهم تسعمائة أو ألف، وفيهم العباس بن مرداس، وأنس بن عياض بن رِعْل، وراشد بن عبد ربه[١] فأسلموا، وقالوا (لرسول الله): اجعلنا في مقدمتك، واجعل لواءنا أحمر، وشعارُنا مقدم، ففعل ذلك بهم، فشهدوا معه الفتح والطائف وحُنَيْنًا[٢].

ومن هذا الحديث ندرك مدىٰ طموح بني سليم، كما ندرك منه عمق إسلامهم في نفس الوقت.

ويحدثنا جواد علي عن قيس بن نسيبة هذا: بأنه كان علىٰ علم بلسان الروم، وبهيمته الفرس وبأشعار العرب، وبأنه ذا حظ بثقافة ذلك اليوم، وبأنه رجع إلىٰ قومه ودعاهم إلىٰ الإسلام فأسلموا[٣] ويبدو جليًّا ما أورده الدكتور جواد علي عن علم قيس بلسان الروم... إلخ -هو اقتباس منه واستنتاج مما تحدث به إلىٰ قومه، وهو يدعوهم إلىٰ الدخول في الإسلام من أنه سمع ترجمة الروم وهيمته فارس فما يشبه كلامُ محمد ﷺ كلامهم... وهو استنتاج نؤيده، وإن لم يذكر لنا صاحبه: مِمَّ استنتجه؟

---

(١) في عزم مؤلف هذا الكتاب، تأليف كتاب في «الأسماء العربية.. أصولها وأهدافها وتطوراتها عبر التاريخ»، ونسأل الله التوفيق، ونحن نرىٰ هنا «عبد ربه» اسمًا اختاره النبي ﷺ لوالد راشد، «عبد العزىٰ»... كما نراه يختار لابنه اسم «راشد» بدلًا من اسمه الجاهلي: «غاوي». وجدير بالذكر أن اسم «عبد ربه» شائع حتىٰ الآن في الحجاز وربما في مصر أيضًا.

(٢) «طبقات ابن سعد» (ص٣٠٧) المجلد الأول.

(٣) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» الدكتور جواد علي (ص٢٥٧) الجزء الرابع، طبع دار العلم للملايين في بيروت.

راشد بن عبد ربه السلمي:

يكْنَّىٰ أبا أثيلة، وراشد بن عبد ربه أحد صحابة الرسول ﷺ أعطاه (رُهاطًا) وبها عين يقال لها «عين الرسول».

وكان راشد في الجاهلية سادن صنم بني سليم، وقد رأىٰ ذات يوم ثعلبين يبولان عليه فقال:

أربٌّ يبــول الثَّعْلَبَــان برأســه   لقد هان من بالت عليه الثعالبُ

ثم شد عليه وكسره.

قدم علىٰ النبي ﷺ فقال له: «**ما اسمك؟**» قال: غاوي بن ظالم.. فقال النبي: بل أنت راشد بن عبد الله فأسلم، وحسن إسلامه، وشهد الفتح مع النبي، وقال الرسول: «**خير قرىٰ عربية: خيبر، وخير بني سليم: راشد**» وعقد له علىٰ قومه، وفي رواية أخرىٰ: «**بل أنت راشد بن عبد ربه**»(١).

قِدْ بن عمار السلمي (أو) قُدَد بن عمار:

صحابي وصفه النبي ﷺ بأنه: «**صادق الإيمان**»، وكان قدر أو قُدَدُ بن عمار قد وفد علىٰ الرسول بالمدينة، وأسلم، وعاهده علىٰ أن يأتيه بألف من قومه علىٰ الخيل. وأنشد يقول:

شـددتُ يمينـي إذْ أتيـتُ مُحمَّـدًا   بخيـر يـد شُـدّت بحجـزة مئـزرِ

وذاك امـرؤٌ قاسـمته نصـف دينـه   وأعطيته ألفَ امـرئ غيـر أعسـرِ

ثم أتىٰ قومه، فأخبرهم الخبر، فخرج معه تسعمائة، وخلف في الحي، مائة. فأقبل بهم يريد النبي ﷺ فنزل به الموت، فأوصىٰ إلىٰ ثلاثة رهط من قومه: إلىٰ

(١) «الاستيعاب» لابن عبد البر (ص٥٠٤) المجلد الثاني، وغيره... وفي «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد أن الرسول ﷺ سماه: «راشد بن عبد ربه» (ص٣٠٨) الجزء الأول.

العباس بن مرداس -أحد زعمائهم في الجاهلية والإسلام - وأمّره علىٰ ثلاثمائة. وإلىٰ جبار بن حكيم، وهو الفرّارُ الشريدي، وأمره علىٰ ثلاثمائة، وإلىٰ الأخنس بن يزيد، وأمره علىٰ ثلاثمائة. وقال: ائتوا هذا الرجل حتىٰ تقضوا العهد الذي في عنقي.. ثم مات. فمضوا حتىٰ قدموا علىٰ النبي ﷺ فقال: «**أين الرجل الحسُن الوجه، الطويل اللسان، الصادق الإيمان؟**» قالوا: يا رسول الله دعاه الله فأجابه، وأخبروه خبره. فقال: «**أين تكملة الألف الذين عاهدني عليهم؟**» قالوا: قد خلّف مائة بالحي، مخافة حرب كان -كانت- بينا وبين بني كنانة. قال: «**ابعثوا إليها، فإنه لا يأتيكم في عامكم هذا شيء تكرهونه**». فبعثوا إليها فأتته بالهدّة، وهي مائة عليها المنقع بن مالك بن أمية بن عبد العزىٰ بن عمل بن كعب بن الحارث بن بهثة بن سليم، فلما سمعوا وئيد الخيل -صوتها الشديد- قالوا: يا رسول الله، أُتينا. قال: لا، بل لكم لا عليكم، هذه سُلَيْمُ بن منصور قد جاءت... فشهدوا مع الرسول ﷺ الفتح وحُنيناً.

وعن المنقع السلمي، وقصة قدومه إلىٰ النبي علىٰ رأس مائة منهم، ووعدِه له بإكمال الألف منهم -نرىٰ العباس بن مرداس السلمي، الشاعر، يسجل لنا هذه القصة ملخصه، في قوله:

القائـد المائـة التـي وفَّـىٰ بهـا   تِسْعَ المئين فتم ألفٌ أقرَع(١)

الحكم بن الحارث السلمي:

صحابي نزل البصرة بعد اختطاطها مدينة، في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقد روىٰ عن النبي ﷺ الحديث التالي: «**من أخذ شبرًا من الأرض جاء به يوم القيامة يحمله في سبع أرضين**».

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٣٠٧ و٣٠٩) المجلد الأول.

وتحدث عن صحبته للنبي في الجهاد، فقال: غزوتُ مع النبي ﷺ سبع غزوات آخرهن حُنَيْنٌ. وكنتُ أسيرُ في مقدمة النبي ﷺ إذ خلات -خلأت- أي: بركت أو حرنت ناقته فلم تبرح مكانها -فمر بي رسول الله ﷺ، وأنا أضربها، فقال: (مَهْ) -أي: اكفف عن ضربها- وزجرها فقامت»(١).

«جدُّ» أبي الأسود السلمي:

عده ابن سعد فيمن نزل الشام من الصحابة، ولم يذكر لنا اسمه، اكتفىٰ بأن ذكر أنه جد أبي الأسود السلمي، وروىٰ له حفيده: أبو الأسود حديثًا عن النبي ﷺ هو، قوله: كنت سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، فأمرنا رسولُ الله، فجمع كل رجل منا درهمًا، فاشترينا أُضحية بسبعة دراهم. فقلنا: يا رسول الله، والله نقد أغلينا بها. فقال النبي ﷺ: «**إن أفضل الضحايا أعلاها وأسمنها**»... فأمر النبي رجلًا فأخذ بيد، ورجلًا برجل، ورجُلًا بقَرْنٍ، وذبح الرجل السابع، وكبرنا جميعًا».

«جدُّ» محمد بن خالد السلمي:

وضعه محمد بن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» فيمن نزل الجزيرة من الصحابة. ولم يذكر لنا اسمه... بل اكتفىٰ بأن نعته بأنه «جد» محمد بن خالد السلمي الذي روىٰ عن جده المذكور قوله: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إذا سبقت العبد من الله منزلة لم ينلها بعمله، ابتلاه في جسده وفي أهله، وماله، ثم صَبّره علىٰ ذلك حتىٰ ينال المنزلة التي سبقت له من الله عَزَّوَجَلَّ**»(٢).

---

(١) المصدر السابق (ص٧٦)، المجلد السابع، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (ص٣٦١) الجزء الأول.

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٤٧٧) المجلد السابع.

العباس السلمي:

يبدو أن العباس هذا ليس بابن مرداس، وإن اشتركا في الاسم، وفي صحبة النبي ﷺ.. روىٰ حفيده نائل بن مطرف بن العباس السلمي: «أن جده العباس شخص إلىٰ رسول الله ﷺ، فاستقطعه ركيَّة بالدثينة وأقطعها إياه، علىٰ أن ليس له منها إلا فضل ابن السبيل». قال أبو الأزهر: وكان نائل راوي هذا الحديث عن جده العباس السلمي، نازلًا بالدُّثينة، وهي التي أقطعها النبيُّ لجده العباس، يبدو أنها حازت إعجابهم فاستوطنوها جيلًا بعد جيل، وكان نائل أمير بني سُليم النازلين معه في الدثينة فأخرج لأبي الأزهر -علىٰ ما رواه أبو الأزهر عن نفسه -حُقَّة فيها كراع من أدم أحمر، فكان فيه ما أُقْطِعَه؛ أي: ما أقطعه النبي لجده، وإذن فلقد احتفظ نسل العباس بهذه الوثيقة النبوية الشريفة مستندًا لهم علىٰ ما أقطعه الرسول لجدهم، وبقيت الوثيقة لديهم حتىٰ كانت لدىٰ نائل حفيد العباس وأمير بني سُليم النازلين معه في الدثينة.

أبو خراش السلمي:

عده ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» من الصحابة الذين نزلوا بمصر، فلعله يكون إذن أول من نزل من السليميين بمصر أو من أوائلهم نزولًا بها علىٰ الأقل.

روىٰ عنه ابن سعد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من هجر أخاه سنة فهو كسَفْكِ دمه**»(١).

العرباض بن سارية السلمي:

نزل بالشام، وقال ابن سعد: يكنىٰ أبا نجيح(٢).

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» (ص٥٠٠) المجلد السابع.

(٢) المصدر السابق (ص٢٧٦) المجلد الرابع، وقد تقدم في ترجمة عمرو بن عبسة السلمي أنه يكنىٰ أبا نجيح أيضًا.

جاهمة أو جلهمة بن العباس بن مرداس السلمي:

ورد اسمه في كتاب «الطبقات الكبرىٰ» هكذا: (جلهمة)(١). كما ورد مثل ذلك في كتاب «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم.

أما في «الاستيعاب» فقد ورد اسمه: (جاهمة). وروىٰ ابن سعد عنه أحاديث.

منها: أنه جاء إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أردتُ أن أغزو، وقد جئتك أستشيرك، فقال الرسول: «**هل لك من أم؟**» قال: نعم. قال: «**فالزمها فإن الجنة عند رجلها...**» ثم الثانية، ثم الثالثة في مقاعد شتىٰ... وكمثل هذا القول(٢).

وقد ورد اسمه في كتاب «جمهرة الأنساب» لابن حزم: (جاهمة) بالألف بدلًا من اللام.

وفي كتاب «المفصل» لجواد علي، ورد أيضًا باسم (جلهمة)(٣) وصحح الأستاذ أحمد شاكر اسمه بأنه (جاهمة) بالألف، وقال: إنه ليس في الصحابة صحابي باسم (جلهمة) ولا في الرواة، وقد أشرنا إلىٰ هذا في مكان آخر أيضًا.

يزيد بن الأخنس السلمي:

يتصل نسبة ببهثة بن سُليم، وهو أبو معن بن يزيد السلمي الذي روىٰ عنه أبو الجويرية أنه قال: «بايعتُ النبي ﷺ أنا وأبي وجدي، وخاصمت إليه فأفلجني».

عقد له الرسول يوم فتح مكة لواءً من الألوية التي عقدها لرجالات سُليم.

---

(١) (ص٣٣ وص٣٤) المجلد السابع.

(٢) المصدر السابق (٣٢ و٣٣ و٣٤) المجلد السابع.

(٣) (ص٢٥٨) المجلد الرابع.

وسكن الكوفة بعد ذلك، وشهد ابنه «معن» المُكنَّىٰ به، يوم مرج راهط[١] وقتل فيها، وليزيد ترجمة في كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر، لا تخرج عما أوردناه آنفًا[٢].

الضحاك بن سفيان السلمي:

يتصل نسبه ببهثة بن سُليم أيضًا.

أسلم الضحاك فيمن أسلم من قومه، وصحب النبي، وعقد له لواءً يوم الفتح[٣]، وهو غير الضحاك بن سفيان الكلابي الذي كان سَيَّاف رسول الله ﷺ، وكانت بنو سليم في تسعمائة فلما قدموا قال لهم رسول الله: «**هل لكم في رجل يعدل مائة يوفيكم ألفًا؟**» فوافاهم بالضحاك بن سفيان الكلابي، وكان رئيسهم.

وفيه يقول العباسبن مرداس السلمي:

نذود أخنا عن أخينا ولو نرىٰ ... وصالًا لكنا الأقربين نتابعُ

نبايع بين الأخشبين وإنما ... يد الله بين الأخشبين نبايعُ

عشية ضحاك بن سفيان معتص ... بسيف رسول الله والموت واقعُ

وقد أثنىٰ العباس بن مرداس علىٰ قيادة الضحاك الكلابي، وعلىٰ بطولته، في

---

(١) في «الكامل» لابن الأثير (ص١٤٧) المجلد الرابع، أن «ثور بن معن السلمي» أشار علىٰ الضحاك بإظهار الأمر المكتوم في مبايعة عبد الله بن الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولست أدري الآن علاقته بيزيد بن الأخنس هذا.. أهو حفيده أم غير حفيده.

(٢) (ص١٥٧٠) المجلد الثاني.

(٣) طبقات ابن سعد، ص٢٧٤، المجلد الرابع، والاستيعاب لابن عبد البر، ص٧٤٢ و٧٤٣، الجزء الثاني.

قصيدته الميمية التي قال فيها يخاطب رسول الله:

يــا خــتم النُّبَّــاء إنــك مُرسَــلٌ   بالحق كل هدىٰ السبيل هـداكا
إن الآلــه بنــىٰ عليــك محبــة   في خلقــه ومحمــدًا ســمّاكا
ثــم الــذين وفــوا بمــا عاهــدتهم   جنـد بَعَثْـتَ علـيهم الضَّـحاكا
رجــلًا بــه ذرب الســلاح كأنــه   لمــا تكنفــه العــدو يراكــا

خُفاف بن عمير السلمي:

يتصل نسبه أيضًا ببهثة بن سُليم.

عقد له الرسول ﷺ لواءً يوم فتح مكة علىٰ بني عمومته من سُليم(١). وشهد حُنينًا والطائف.

وكان -كما أشرنا إليه في غير هذا المكان- يتهاجىٰ مع العباس بن مرداس في أيام الجاهلية، حتىٰ بلغ الأمر بهما إلىٰ الاقتتال.

وأُمُّ خُفاف: (نُدبَة) وهي سوداء... وينسب إليها فيقال: خفاف بن ندبة. وهو من أغربة العرب -أي: ذوي اللون الأسود فيهم، شبهت ألوانهم بلون الغُراب الأسود، ويقول خفاف في هذا المعنىٰ:

كلانــــا يُسَـــــوِّده قومــــه   علــىٰ ذلــك النســب المظلــمِ

يعني: السودان، ويُكنىٰ أبا خراشة. وله يقول عباس بن مرداس السلمي:

أبــا خراشــة إمــا أنــت ذا نفــر   فـإنَّ قَـوْمِيَ لـم تـأكلهم الضّـبُعُ

---

(١) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٢٥٦ و٢٥٧) الجزء الأول، طبع دار الثقافة ببيروت.

وهو ابن عم الخنساء بنت عمرو بن الشريد الصحابية الشاعرة.

وخفاف هو قاتل مالك بن حمار، سيد بني شَمْخ بن فزارة، وفي ذلك يقول:

إن تكُ خيْلي قد أصيب صميمها فعمدًا علىٰ عيْنِي تيَمْتُ مالكا
أقول له والرمح يأطِرُ مَتْنه تأمل خُفافًا إنني أنا ذلكا

ولخفاف حديث واحد عن الرسول ﷺ وبقي عباس وخفاف، علىٰ قيد الحياة إلىٰ زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

ابن أبي العوجاء السلمي:

كان دخولُ ابن أبي العوجاء في الإسلام أقدمَ من دخول عامة قومه فيه.

روىٰ ابن سعد في «طبقاته الكبرىٰ»، قال: بعث رسولُ الله ﷺ ابنَ أبي العوجاء السلمي في ذي الحجة سنة سبع، في خمسين رجلًا، سرية إلىٰ بني سُليم، فكثرهم القوم، فقاتلوا قتالًا شديدًا حتىٰ قُتل عامة المسلمين، وأُصيب صاحبهم ابن أبي العوجاء جريحًا مع القتلىٰ، ثم تحامل حتىٰ بلغ رسولَ الله ﷺ في المدينة أول يوم من صفر سنة ثمان»(٢).

أبو حصين السلمي:

أحد صحابة رسول الله الأجواد.

---

(١) «طبقات ابن سعد الكبرىٰ» (ص٢٧٥) المجلد الرابع، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٢٥٨ و٢٥٩) الجزء الأول، طبع بيروت، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للحافظ ابن عبد البر (ص٤٥٠ و٤٥١) الجزء الثاني. وجعل الاستيعاب كنيته (أبا خرشة) بدون ألف بعد الراء.

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٢٧٥) المجلد الرابع.

قدم أبو الحصين السلمي المدينة بذهب من معدنهم، فقضىٰ دينًا كان علىٰ رسول الله ﷺ، تحمل به، وفضل ذهَب مع أبي الحصين، مثل بيضة الحمامة، فأتىٰ بها رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ضع هذه حيث أراك الله، أو حيث رأيت، وجاء الرسول عن يمينه فأعرض عنه، ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه، ثم جاءه بين يديه، فنكس رسول الله ﷺ، فلما أكثر عليه أخذها من يده، فحذفه بها، لو أصابته لعَقَرته، ثم أقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: «**يعمد أحدكم إلىٰ مالة فيتصدق به، ثم يقعد يتكفف الناس، وإنما الصدقة عن ظهر غِنًىٰ، وابدأ بمن تعول**»(١).

مجاشع بن مسعود السلمي، وأخوه مجالد:

كان في مجالد قَزَل –أي: عرَجٌ خفيف– روىٰ ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» أن مجاشع بن مسعود قال: يا رسول الله، هذا مجالد بن مسعود، فبايعه علىٰ الهجرة، فقال: «**لا هجرة بعد فتح مكة ولكن أبايعه علىٰ الإسلام**» وفي رواية أوردها ابن سعد أيضًا أن مجاشعًا قال: أتيت النبي ﷺ أنا وأخي لنبايعه علىٰ الهجرة، فقال: «إن الهجرة قد مضت» فقلنا علام نُبَايِعُك؟ فقال: «**علىٰ الإسلام والجهاد في سبيل الله**» قال: فبايعناه(٢).

نزل مجاشع البصرة مع من نزلها من السليميين، وقُتل يوم الجمل، هو وأخوه مجالد، وقبراهما بالبصرة معروفان(٣)، وكان ذلك بسنة (٣٦ هـ - ٦٥٦م).

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٢٧٧) المجلد الرابع، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (ص١٦٣٢) المجلد الرابع، وسماه أبا الحسين.

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٣٠) المجلد السابع.

(٣) «الاستيعاب» لابن عبد البر (ص١٤٥٩) المجلد الرابع.

حبان بن الحكم السلمي:

حِبَّان بن الحكم صحابي[١] ويلقب بالفَرَّار، وهو شاعر أيضًا.

عبد الرحمن بن قتادة السلمي:

صحب النبي ﷺ وروىٰ عنه... قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تبارك وتعالىٰ خلق آدم، وأخذ الخلق من ظهره، فقال: هؤلاء إلىٰ الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي**» فقال رجل: يا رسول الله، فعلام ذا نعمل؟ قال: «علىٰ مواقع القدر».

الوَرْدُ بن خالد السملي:

من آل بهثة. أسلم الورد، وصحب النبي ﷺ، وكان علىٰ ميمنته يوم فتح مكة[٢].

ورَدَ اسم «الوَرْد» هذا في «تاريخ ابن خلدون» مقلوبًا هكذا: (الرَّوْدُ) بتقديم الراء علىٰ الواو، ونسبه هكذا: «الرود بن خالد بن حُذَيْفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة»، وأضاف أنه «كان علىٰ بني سليم يوم الفتح»[٣] ولم يذكر ابن سعد هذا في «طبقاته الكبرىٰ»، وأرىٰ أن اسمه هو «الورد» كما ورد في كتاب الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد و«جمهرة أنساب العرب»، لابن حزم[٤].

---

(١) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي مادة (حب). وفي العقد الفريد أنه (حيان) بالياء التحتية.

(٢) «الاستيعاب» لابن عبد البر (١٥٦٧) المجلد الرابع وغيره.

(٣) «العبر» لابن خلدون (ص٦٣٦) المجلد الثاني، طبع بيروت.

(٤) «جمهرة أنساب العرب» (ص٢٦٤).

معن بن يزيد السلمي:

صحب النبي ﷺ هو وأبوه وجده، ويكنىٰ أبا زيد، ويقال: إنه شهد مع أبيه وجده بدرًا، ولا يُعرف رجل شهد بدرًا مع أبيه وجده غيره، ولا يعرف في البدريين ولا يصح، وإنما الصحيح حديث أبي الجويرية عنه، قال: بايعتُ رسول الله ﷺ أنا وأبي وجدي، وكان له مكان عند عمر بن الخطاب وشهد صفين مع معاوية، وحضر وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس(١) وقتل فيها(٢).

هوذة بن الحارث بن عجزة السلمي:

بينه وبين جدهم: بهثة بن سُليم - سبعة آباء، فإذا أخذنا بقاعدة ابن خلدون التي تُقرر لكل ثلاثة أجيال مائة سنة فيكون «سليم» الذي هو الجد الأعلىٰ لبني سليم الذي ينتمون إليه جميعًا، قد عاش في القرن الثالث قبل الإسلام تقريبًا إذا كانت سلسلة نسب هوذة متكاملة وصحيحة.

أسلم هوذة، وشهد فتح مكة، وهو الذي قال لعمر بن الخطاب، وقد خاصم ابن عم له في الراية:

لقد دار هذا الأمرُ في غير أهله ... فأبصر وليَّ الأمر أين تريد(٣)

عبد الرحمن بن خباب السلمي:

صحابي، روىٰ له ابن سعد الحديث التالي: قال: شهدتُ النبي ﷺ وهو يحث

---

(١) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص٢٦١)، و«الاستيعاب» (ص١٤٤٢) الجزء الرابع.

(٢) «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (ص١٩٣) المجلد الثامن، طبعة مصر الثانية.

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٢٧٦) المجلد الرابع.

علىٰ جيش العسرة فقال عثمان: يا نبي الله، عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله.

ثم حضّ، فقال عثمان: مائتا بعير. ثم حضَّ، فقال عثمان: ثلاثمائة بعير. قال عبد الرحمن ابن خبّاب السلمي، فأنا رأيت النبي ﷺ ينزل من المنبر وهو يقول: «ما علىٰ عثمان ما عمل بعد هذا» مرتين[(١)].

عتبة بن عبد السلمي:

عَدّه ابن سعد من صحابة رسول الله ﷺ، ومن الذين نزلوا بالشام.

توفي سنة (٩١ أو ٩٢هـ)، وقال محمد بن عمر الواقدي: توفي سنة (٨٧هـ)، وهو ابن أربع وتسعين سنة[(٢)].

عبيد بن خالد السلمي:

صحابيّ، روىٰ عن النبي ﷺ: «أنه آخىٰ بين رجلين، أحدهما قبل صاحبه»[(٣)].

معاوية بن الحكم السلمي:

كان ينزل المدينة، ويسكن في بني سُليم[(٤)]، له عن النبي ﷺ حديث واحد

(١) «طبقات ابن سعد» (ص٧٨) المجلد السابع.
(٢) «طبقات ابن سعد» (ص٤١٣) الجزء السابع، و«الاستيعاب» (ص٨٣٠) المجلد الثاني.
(٣) «طبقات ابن سعد» (ص٢٤٢) المجلد السادس.
(٤) يفهم من هذا أن لبني سليم في صدر الإسلام محلة في المدينة المنورة خاصة بهم ينزلون فيها كما أشرنا إليه في مكان آخر من هذا الكتاب، ومما يدلنا علىٰ سكناهم بالمدينة في صدر الإسلام أنهم قتلوا عبد الرحمن بن عيسىٰ الجعفري بالغابة. راجع: «مقاتل الطالبيين» لأبي الفرج الأصفهاني (ص٧٢١) ط القاهرة.

حسن، في الكهانة والطيرة والخط وفي تشميت العاطس في الصلاة جاهلًا، وفي عتق الجارية.

ومعاوية بن الحكم معدود في أهل المدينة، روىٰ عنه عطاء بن يسار: وروىٰ كثير بن معاوية بن الحكم عن أبيه: (معاوية بن الحكم السلمي) قال: كنا مع النبي ﷺ فأنزىٰ عليُّ بن الحكم أخي، فرسته خندقًا، فدق جدار الخندق ساقه، فأتينا به النبي ﷺ، فمسح ساقه، فما نزل حتىٰ برأ، فقال معاوية بن الحكم السلمي في قصيدة له:

فأنزلها عليّ فهو يهوِي ... هُوِيّ الدلو مشْرَعة بحبلِ
فعصَّب رِجله فسما عليها ... سُمُوَّ الصقر صادف يوم ظلِّ
فقال محمد صلىٰ الله عليه ... مليكُ الناس قولًا غير فِعْلِ
لعًا لك فاستمر بها سويًّا ... وكانت بعد ذاك أصَحَّ رِجْلِ(١)

عتبة بن عمرو السلمي:

صحابي. نزل بالشام. روىٰ له سعد أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الجنة لها ثمانية أبواب، والنار لها سبعة أبواب**»(٢).

عبد الله بن سيدان السلمي:

صحابي، نزل الشام أيضًا، روىٰ ابن سعد: أنهم ذكروا أنه رأىٰ النبي. وروىٰ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه صلىٰ خلفه الجمعة، فكانت خطبته وصلاته قبل نصف

(١) «الاستيعاب» (ص١٤١٤ و١٤١٥)، الجزء الثالث.
(٢) «طبقات ابن سيد» (ص٤٣٠) المجلد السابع.

النهار. قال: وصليت خلف عمر. فكانت خطبته وصلاته قبل نصف النهار. قال: وصليت مع عثمان، فكانت خطبته وصلاته قبل الزوال(١).

صفوان بن المعطل السلمي:

نسبه ابن حزم فقال: «صفوان بن رخصة بن المؤمل بن خزاعي بن محارب بن هلال» ووصفه بأنه «الصاحب الجليل الفاضل»(٢).

ويكنىٰ صفوان: أبا عمرو. ويقال: إنه أسلم قبل المريسيع، وشهد مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق والمشاهد كلها بعدها، وكان مع كرز بن جابر الفهري في طلب العُرَنيين الذين أغاروا علىٰ لقاح النبي ﷺ، وكان يكون علىٰ ساقة النبي، ولم يتخلف بعدُ عن غزوة غزاها.

قُتِلَ صفوان في غزوة أرمينية، شهيدًا. وأميرهم يومئذٍ عثمان بن أبي العاص، سنة (١٩هـ) في خلافة عمر.

ولصفوان دار بالبصرة في سكة المريد.

وكان خيّرًا، فاضلاً، شجاعًا بطلًا، وهو الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا، مع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. فبرأهما الله مما قالوا، وقد اعترض حسّان بن ثابت بالسيف لما قذفه به من الإفك وضربه، وكان حسان قد عرض بابن المعطل، وبمن أسلم من مضر، في شعر له ذكره ابن إسحاق، وذكر الخبر في ذلك(٣).

(١) «طبقات ابن سعد» (ص٤٣٨) المجلد السابع.
(٢) «جمهرة أنساب العرب» ابن حزم (ص٢٩٤).
(٣) «الاستيعاب» للحافظ أبي عمر بن عبد البر (ص٧٢٥) المجلد الثاني.

رزين بن أنس السلمي:

صحابي، أتىٰ النبي، فكتب له كتابًا، فقال: يا رسول الله، إن لنا بئرًا بالمدينة، وقد خفنا أن يغلبنا عليها مَنْ حوالينا، فكتب له رسول الله كتابًا: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله، أما بعد: فإن لهم بئرهم، إن كان صادقًا، ولهم دارهم إن كان صادقًا**»(١).

وفي هذا الكتاب النبوي بلاغة الإيجاز، في الوثائق الشرعية، مما ينبغي أن يكون قدوة حسنة في كتابة الحجج الشرعية، مع الاحتياط والدقة... فمع إيجاز الوثيقة النبوية المذكورة احتاطت للأمر، فشرطت في تمليك البئر والدار صِدْقَ مُدَّعي المِلْك: ويؤخذ من هذا الحديث أن بعض بني سُليم كانوا يقيمون بالمدينة وكانوا ذوي أملاك فيها بزمن الجاهلية القريبة من عهد الإسلام، ونعلم من التاريخ أن إقامة جالية سُلمية بالمدينة امتد إلىٰ عهد عمر بن الخطاب وإلىٰ ما بعده كما هو موضح في مكانه من هذا الكتاب.

زيد بن كعب البهزي السلمي:

صحابي، وهو صاحب الظبي الحائف، أو حمار الوحش العقير بالروحاء، وكان صائده(٢)، روىٰ عنه عمير بن سلمة(٣).

سيابة بن عاصم السلمي:

صحابي، روىٰ أن النبي ﷺ قال يوم حنين: «**أنا ابن العواتك**».

---

(١) «الاستيعاب» (ص٥٠٦) الجزء الثاني.
(٢) ورد في «معجم ما استعجم» للبكري: «الحاقف»، وفي «الاستيعاب» (ص٥٥٨/ ج٢)، ورد هكذا، «الحائف» بمعنىٰ النائم.
(٣) الاستيعاب، ص٥٥٨، الجزء الثاني.

وقد سئل هشيم راوي الحديث عن سيابة السلمي -عن «العواتك؟» فقال: «أمهات كُنّ له من قيس». وعلّق أبو عمر بن عبد البر علىٰ ذلك بقوله: «ولا يصح ذكر سُليم فيه».. وقال: «إن العواتك جمع عاتكة» ثم إن ابن عبد البر عاد، فأعرب عن صحة ما اعترض عليه آنفًا، فقال: «قال أبو عمر: في ذلك قولان أحدهما: العواتك ثلاث من بني سليم. إحداهن: عاتكة بنت الأوقص. وهي جدة النبي ﷺ من قبل بني زهرة. والثانية: عاتكة بنت هلال بن فالج، أُمُّ عبد مناف. والثالثة: عاتكة أم هاشم».

وقد نسب جواد علي، عاتكة هذه فقال: «وأم هاشم وعبد شمس والمطلب: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمية». وهذه النسبة مطابقة تمامًا لما ورد في «تاج العروس». راجع مادة (عتك).

وقد أضاف جواد علي إلىٰ ما ذكر، أن «أم نوفل» واقدة من بني مازن بن صومعة السلمية[(١)].

والقول الثاني -فيما أورده الحافظ ابن عبد البر-: أن رسول الله ﷺ مر بنسوة أبكار من بني سُليم، فأخرجن ثُدِيَّهُنَّ، فوضعنا في في رسول الله ﷺ، فَدَرَّت[(٢)]...

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٤٨١، الجزء الرابع، طبع دار العلم للملايين في بيروت.

(٢) «الاستيعاب» لابن عبد البر (ص٢٩٢) المجلد الثاني.

هذا وقد ورد في «القاموس المحيط» مع شرحه «تاج العروس» تفضيل أوفىٰ عن العواتك جدات النبي ﷺ، وقد اتبعه «تاج العروس» بمفاخر بني سليم. ونحن هنا نورد لك ذلك النص من العواتك وعن مفاخر قيس المناسبة القائمة هنا.

يقول اللغويان الفيروزآبادي والزبيدي ما نصه: «والعاتكة: المرأة المحمرة من الطيب، وقيل: امرأة عاتكة؛ أي: محمرة بالطيب، وقيل: سميت لصفائها وحمرتها، وقيل: لشرفها. والجمع: العواتك. وهن في جدات النبي ﷺ تسع. قال ﷺ في يوم حنين: «**أنا ابن العواتك**» من سليم... =

وكان ذلك حينما كان رسول الله رضيعًا في بني سعد، وذلك لقرب منازل بني سعد من هوازن - من منازل بني سليم، ولأنهم -هوازن وسليمًا- من أصل واحد هو «قَيْسٌ».

سليم السلمي:

صحابي، روىٰ عنه العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير، يُعَدُّ في أهل البصرة[١].

=

قال القتيبي: قال أبو اليقظان: العواتك ثلاث نسوة من سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، تسمىٰ كل واحدة منهن عاتكة.

إحداهن: عاتكة بنت هلال بن فانج بن ذكوان، وهي أم عبد مناف بن قصي جد هاشم، كذا هو في «الصحاح» و«العباب». والصواب: أم والد هاشم أو أم عبد مناف.

والثانية: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان، وهي أم هاشم بن عبد مناف.

والثالثة: عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان، وهي أم وهب بن عبد مناف بن زهرة، أبي آمنة أم النبي ﷺ... فالأولىٰ من العواتك عمة الوسطىٰ، والوسطىٰ عمة الأخرىٰ، وبنو سليم تفتخر بهذه الولادة.

وذكوان هو ابن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور المذكور آنفًا». انتهىٰ النصان الواردان في «القاموس» و«تاج العروس» عن العواتك..

ويليه مفاخر بني سليم وهي من «تاج العروس» قال: «قلت: ولبني سليم مفاخر.

منها: أنها ألفت يوم فتح مكة؛ أي: شهده منهم ألف، وأن النبي ﷺ قدم لواءهم يومئذٍ علىٰ الألوية، وكان أحمر.

ومنها: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إلىٰ أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام: أن ابعثوا إلي من كل بلد بأفضله رجلًا، فبعث أهل البصرة بمجاشع بن مسعود السلمي، وأهل الكوفة بعتبة بن فرقد السلمي، وأهل مصر بمعن بن يزيد بن الأخنس السلمي، وأهل الشام بأبي الأعور السلمي».

راجع: مادة «عتك» في «تاج العروس».

(١) «الاستيعاب» (ص٦٥٩) المجلد الثاني.

طلحة بن مالك السلمي:

صحابي، روىٰ عن النبي ﷺ: «**إن من اقتراب الساعة هلاك العرب**»[(١)].

طلحة بن معاوية بن جاهمة - أو جلهمة- السلمي:

صحابي روىٰ عنه ابنه محمد بن طلحة[(٢)].

طلحة والد عقيل بن طلحة السلمي:

له صحبة فيما ذكره ابن شؤدب، روىٰ عنه ابنه عقيل بن طلحة[(٣)].

عبد الله بن النضر السلمي:

صحابي، روىٰ عنه أبو بكر بن محمد بن حزم عن النبي ﷺ حديثًا واحدًا. وهو: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاث من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جُنّة من النار**».

ويرىٰ ابن عبد البر أنه مجهول، وقال عنه: «وما أعلم في «الموطأ» رجلًا مجهولًا غير هذا»[(٤)].

عبد الرحمن بن مرفع السلمي:

صحابي، سكن مكة والمدينة، روىٰ عنه أبو يزيد المزني[(٥)].

---

(١) «الاستيعاب» (ص٧٧٠) المجلد الثاني.

(٢) «الاستيعاب» (ص٧٧١) المجلد الثاني.

(٣) «الاستيعاب» (ص٧٧١) المجلد الثاني.

(٤) «الاستيعاب» (ص٩٩٨، و٩٩٩) المجلد الثاني.

(٥) «الاستيعاب» (ص٨٥٢) الجزء الثاني.

عتبة بن الندر، أو ابن السلمي:

صحابي... كان اسمه (عتلة) فغير الرسول ﷺ اسمه فسماه (عتبة)، وهذا التغيير في الاسم يلاحظ أنه قريب اللفظ من الاسم الأصلي: (عتلة). ومن معاني العتلة لغة: المدرة الكبيرة تنقلع من الأرض.

وكان النبي ﷺ كثيرًا ما يراعي هذا التقارب بين الاسم الأصلي والاسم الجديد الذي اختاره، مثل (زيد الخيل) الذي غيَّره إلىٰ (زيد الخير) وغيره، وربما غير الاسم إلىٰ ضده مثل (غاوي بن ظالم السلمي) الذي غيّره بضده، في شقيه فَسَمَّىٰ الرجلين: الوالِدَ والولَدَ المُسْلِم: باسمي (راشد بن عبد ربه).. وهذا التعديل كله من الرسول هو تعديل أحسن وأجمل وأنسب للحضارة الإسلامية وأبعد من عنجهية الجاهلية وتقاليدها.

شعر عتبة خير، وتوفي سنة سبع وثمانين للهجرة في أيام الوليد بن عبد الملك، وهو ابن أربع وتسعين سنة مما يدلنا علىٰ أنه يوم أسلم كان شابًّا في مقتبل الشباب، ويعد من الشاميين، وروىٰ عنه جماعة من التابعين بالشام، منهم عبد الرحمن بن عمرو السلمي[(١)]، الذي له ترجمة في التابعين - بهذا الكتاب في الفصل الخاص بهم.

وقيل: إنه مات سنة (٨٤هـ) وشهد فتح مصر.

والنُّدَّرُ بضم النون: بعدها دال مهملة مشددة مفتوحة عند الجمهور[(٢)].

عتبة بن فرقد السلمي:

هو من الصحابة فيما جاء في كتاب «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد، واسمه يربوع بن حبيب، ويكنَّىٰ أبا عبد الله، ويتصل نسبه ببهثة بن سُليم.

---

(١) «الاستيعاب» (ص١٠٣١) الجزء الثالث.

(٢) «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ص١٠٢ و١٠٣) المجلد السابع.

كان عتبة أميرًا لعمر بن الخطاب علىٰ بعض فتوحات العراق. وقال أبو عثمان النهدي: جاءني كتاب عمر -ونحن مع عتبة بن فرقد- وأبوه فرقد أو حبيب هو: ابن أسعد بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم، فبينه وبين سُليم جد بني سُليم الأعلىٰ، أربعة آباء.. فهو أعلىٰ نسَبًا من هوذة بن الحارث السلمي. وعلىٰ حسب القاعدة التي وضعها أبو عِلم الاجتماع (عبد الرحمن بن خلدون) بأن يُحسَب لكل ثلاثة أجيال مائة عام -وهذا في الأغلب الأعم- يكون بين زمن عتبة، وزمن (سليم) جده الأعلىٰ، مائة وثلاثون سنة.

ونرىٰ أن هذه القاعدة لا يمكن أن تعتبر عامة لكل أجيال البشر بصفة دقيقة وشاملة، فلربما يخرج عن نطاقها بعض المعمرين، وربما كان عتبة بن فرقد وأبوه وبعض أجداده من هؤلاء.

وأُم عتبة: آمنة بنت عمر (عمرو) بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف(١)، فهو قرشي من جهة أمه، ولعل هذا وما ذكره التاريخ من أنه كان شريفًا في قومه هو الذي أو هو بعض الذي جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعينه عاملًا له.

سكن عتبة الكوفة هو وأبناؤه ومات بها، ويقال لهم الفراقدة(٢).

وقد أعطاه رسول الله موضع دار بمكة يبنيها مما يلي المروة(٣).

عروة بن أسماء بن الصلت السلمي:

صحابي، وأحد أصحاب بئر معونة -عرض عليه المشركون في يوم بئر معونة

---

(١) «الاستيعاب» (ص١٠٢٩) الجزء الثالث.

(٢) «الاستيعاب» (ص٤٨) الجزء الثاني، و«طبقات ابن سعد» (ص٤١) الجزء السادس.

(٣) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» لجواد علي (ص٢٦٩) الجزء الرابع.

أن يؤمنوه، فأبىٰ، وقال: لا أقبل لهم في ذلك أمانًا، ولا أرغب بنفسي عن مصارعهم – أي: مصارع رفاقه الذين استشهدوا في ذلك اليوم ببئر معونة – ثم تقدم للقتال فقاتل، حتىٰ قتل شهيدًا(١).

قبيصة بن وقاص السلمي:

صحابي، سكن البصرة، له حديث مع النبي، وهو: «**سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة**»... فذكر الحديث في جواز الصلاة خلف أئمة الجور ما صلَّوا إلىٰ القبلة(٢).

كعب بن مرة السلمي:

صحابي، سكن الأرْدُنَّ من الشام، ومات بالشام سنة (٥٩هـ) أو (٥٧هـ). وله أحاديث مخرجها عن أهل الكوفة(٣).

مالك بن عمير السلمي:

صحابي، شهد مع النبي فتح مكة، وحُنينًا، والطائف، وكان شاعرًا.

روىٰ عنه يزيد بن واصل السلمي، قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إني رجل شاعر، فهل عليَّ شيء من الشعر؟ فقال: «**لأن يمتلئ ما بين لبتك إلىٰ عاتقك قيحًا ودمًا خيرٌ من أن يمتلئ شعرًا**»(٤).

---

(١) «الاستيعاب» (ص١٠٦٤ و١٠٦٥). الجزء الثالث.
(٢) «الاستيعاب» (ص١٢٧٣) الجزء الثالث.
(٣) «الاستيعاب» (ص١٣٢٦) الجزء الثالث.
(٤) «الاستيعاب» (ص١٣٥٦) الجزء الثالث.

مخول بن يزيد السلمي:

روىٰ مخول حديثًا عن النبي ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أوصني! قال: «**أقم الصلاة...**» الحديث(١).

مخمر السلمي:

صحابي، وهو عم معاوية بن حكيم البهزي، سمع رسول الله يقول: «**لا شُؤم، وقد يكون اليُمنُ في الفَرس والمرأة والدار**»(٢).

ربيعة بن رفيع السلمي:

كان يقال له: ابن الدُّغُنَّة. والدغنة: أمه، فغلبت علىٰ اسمه، ويقال: أن اسمه رفيع، وأعتقد أن هذا سهو من جواد علي في كتابه «المفصل».

شهد حنينًا، ثم قدم علىٰ رسول الله ﷺ، في وفد بني تميم.

وربيعة هو قاتل دريد بن الصمة، بيوم حنين(٣) أو بأوطاس علىٰ رواية أخرىٰ كما سيجيء في فصل «سراة وتجار ورجال أعمال من بني سُليم».

أبو قُراد السلمي:

له صحبة للنبي ﷺ، روىٰ عنه عبد الرحمن بن الحارث(٤).

---

(١) «الاستيعاب» (ص١٤٦٧) الجزء الرابع.
(٢) «الاستيعاب» (ص١٤٦٧) الجزء الرابع.
(٣) «الاستيعاب» (ص٤٩١) الجزء الثاني.
(٤) «الاستيعاب» (ص١٧٣٣) الجزء الرابع.

عمرو بن مرداس السلمي:

هو أخو العباس بن مرداس، كان عمرو، من المؤلفة قلوبهم، كأخيه العباس بن مرداس في ذلك.

معن بن حاجز السلمي:

عدَّه الحافظ بن عبد البر في كتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» من صحابة رسول الله ﷺ وترجم له علىٰ ذلك في «باب معن»[١] فقال: «كان هو وأخوه طريفة ابن حاجز –حاجزة، حاجر– مع خالد بن الوليد، مسلمَين في الردة وقد نصرهما الله علىٰ المرتدين».

طريفة بن حاجز السلمي:

ترجم له ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب» فقال: طُريفة بن حاجز، مذكور فيهم –أي: في صحابة رسول الله ﷺ–، ثم أورد رواية سيف بن عمر: بأن عمر كتب إليه في قتال الفجاءة السلمي: إياس بن عبد الله بن عبد الله المرتد عن الإسلام حتىٰ أسره وأنفذه إلىٰ أبي بكر الصديق فأحرقه[٢].

وقد ذكرنا هذه الرواية بإيضاح أكثر في ترجمته في فصل الأمراء من بني سُليم.

عبد اللّه بن ربيعة بن فرقد السلمي:

الكوفي، مختلف في صحبته للنبي ﷺ، وقال شعبة وحده: له صحبة، وله حديث

---

(١) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (ص١٤٤) القسم الرابع، طبع مطبعة نهضة مصر، بمصر.

(٢) (ص٧٧٦) من كتاب «الاستيعاب».

في «سنن النسائي»، وروىٰ عن ابن مسعود وعبيد بن خالد، وعتبة بن فرقد السلمي. وعنه: عطاء بن السائب، ومالك بن الحارث وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، وعمرو بن ميمون، وعلي بن الأقمر، وابن أخيه: منصور بن معتمر بن عتاب بن ربيعة وغيرهم[(١)].

حبيب بن ربيعة السلمي:

صحابي، وابنه أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب من جلة التابعين.

ورد حبيبٌ المدائن في حياة حذيفة بن اليمان، وقال: جمعتُ مع حذيفة بالمدائن، وقال محمد بن إسماعيل البخاري: لحبيب أبي عبد الرحمن صحبة[(٢)].

هوذة بن نبيشة السلمي من بني عُصية:

سُلمي، ورد في التاريخ: أن النبي ﷺ أعطاه ما حوىٰ الجفر كله[(٣)]، والجفر موضعان أحدهما بجفاف والآخر بجَنَفَاءَ، وربما كان الممنوح لهوذة، الذي بجنفاء لقربه من ديار سُليم[(٤)].

الأجبُّ السلمي:

رجل من بني سُليم أعطاه الرسول فالسًا وكتب كتابه وشهد عليه الأرقم[(٥)].

* * *

(١) «القاموس» و«تاج العروس» مادة (ربع).
(٢) «تاريخ بغداد» الخطيب البغدادي (ص٢٠٢) المجلد الأول.
(٣) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» لجواد علي (ص٢٥٩) الجزء الرابع.
(٤) «معجم ما استعجم» للبكري (ص٣٨٦ و٣٨٧ و٣٩٨) الجزء الأول.
(٥) «المفصل» (ص٢٥٩) الجزء الرابع.

صحابيات من بني سليم

الخنساء: تُمَاضِر السُّلمية:

ترجمنا للخنساء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في فصل «شاعرات سلميات»، لما حظي به شعرها من شهرة مستفيضة في رثاء أخويها: معاوية وصخر.

والخنساء -كما هو معلوم- صحابية جليلة، وهي سلمية أبوها من مشاهير العرب في الجاهلية: عمرو بن الشريد.

أم مالك البهزية السلمية:

صحابية، روىٰ عنها طاوس اليماني، نحو حديث مجاهد عن أم بشر الأنصارية. قالت: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أفضل في الفتنة؟ قال: «**رجل أخذ برأس فرسه قد أخاف العدو وأخافه، ورجل اعتزل في ماله، فعبد الله ربه، وأعطىٰ حق ماله**». فقال رجل لطاوس: أي العدو؟ قال: الشرك. وروىٰ عنها مكحول، وروىٰ لها الترمذي السُّلمي، وذكرها مسلم في الصحابيات المَكيَّات(١).

أم الكرام السلمية:

صحابية، روت عن النبي ﷺ، في كراهة التحلي بالذهب للنساء، روىٰ عنها الحكم بن حَجْل، وليس إسناد حديثها بالقوي، وقد ثبتت الرُّخْصَةُ في ذلك للنساء(٢).

* * *

(١) «الاستيعاب» (ص١٩٥٦) الجزء الرابع، و«العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين الفاسي المكي (ص٣٥٣) الجزء الثامن.
(٢) «الاستيعاب» (ص١٩٥١) المجلد الرابع.

تابعيون من بني سليم

من هو التابعي؟

كما حصل الاختلاف في تعريف الصحابي، حدث الاختلاف في تعريف التابعي، فأورد النووي قول من قال: إن التابعي هو من صحب الصحابي، وثنَّاه بقول آخر هو أن التابعي من لقي الصحابي، ورجح النووي هذا الرأي[(١)].

وكما يقال: (تابعي) يقال أيضًا: (تابع)[(٢)].

وقد عقدنا هذا الفصل للتابعين السليميين خاصة، لأن بني سليم هم موضوع الكتاب...

وقد ترجمنا لجملة صالحة من التابعين السليميين، وغني عن البيان أن هذه التراجم ليست من باب الإحصاء، وإنما هي ذكرٌ لمن تمكنا من معرفته من تابعيِّي بني سليم، ولا يتنافىٰ هذا مع العثور علىٰ أسماء وتراجم لسواهم في المراجع، والغاية من ذكرهم أن يكون في ذلك فتح باب لمن يريد أن يستقصي هذا الموضوع، وأول الغيث قطر ثم ينهمر.

وجدير بالذكر أننا أتبعنا فصل التابعين السليميين، بفصل عن التابعيات السلميات اللائي وجدنا لهن تراجم وأسماءً في المصادر التي بين أيدينا.

أبو عبد الرحمن السلمي:

تابعي، كان مقرئ الكوفة، واسمه: عبد الله بن حبيب بن ربيعة، ولأبيه صحبة،

(١) «تقريب النواوي» (ص٤١٦) طبعة مصر.

(٢) «تدريب الراوي شرح تقريب النواوي» للسيوطي (ص٤١٦).

وقد مر في فصل «صحابة من سليم».

وُلِد أبو عبد الرحمن هذا في حياة النبي ﷺ، وقرأ القرآن وجوَّده، وبرع في حفظه، وعَرَض علىٰ عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وعلىٰ غيرهم، وحدَّث عن عمر وعثمان رضي الله عنهما.

قال أبو عمر الداني: «أخذ القرآن عرضًا عن عثمان، وعلي ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب رضي الله عنهم، وأخذ عنه القراءة - عرضًا- عاصمُ بن أبي النجود، ويحيىٰ بن وثاب، وعطاء بن السائب، وعبد الله بن عيسىٰ بن أبي ليلىٰ، ومحمد بن أيوب أبو عون، والثقفي، والشعبي، وإسماعيل بن أبي خالد، وعَرَض عليه الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكان إمام المسجد، وكان يُحْمَلُ في الطين، وكان ينهىٰ الناس عن مجالسة القُصَّاص، وكان أعمىٰ.

توفي أبو عبد الرحمن سنة (٧٤هـ)، وقيل سنة (٧٣) في إمرة بشر بن مروان علىٰ العراق، أو في ولاية الحجاج»[(١)].

وقد عمر حتىٰ تجاوز الثمانين عامًا. وكانت وفاته بالكوفة، وكان ثقة كثير الحديث، له ترجمة في «تاريخ بغداد أو مدينة السلام» للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي. راجع المجلد التاسع والصفحة (٤٣٠ و٤٣١) طبعة بيروت.

هذا، وقد تُرجم أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب «مفتاح السعادة» **لطاش كيري زاده، وقال عنه:** «إليه انتهت القراءة تجويدًا وضبطًا، وأورد أسماء من أخذ عنهم القراءة حسب ما رواه الذهبي في كتابه: «معرفة القراء الكبار»، وكذلك من أخذوا عنه القراءة.

---

(١) «معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار» للذهبي (ص٤٥ و٤٩) طبع دار التأليف بمصر.

وأضاف «طاش كيري زاده» في ترجمته: «أنه كان ثقة كبير القدر، وحديثه مخرج في الكتب الستة».

وقال عن تاريخ وفاته مثل ما قال الذهبي تمامًا علىٰ ما سبق ذكره آنفًا(١).

وقال عنه تقي الدين الفاسي: «تابعي من أصحاب عبد الله بن مسعود، وكان يقرئ في زمان عثمان إلىٰ زمان الحجاج، وقرأ علىٰ عثمان بن عفان، وعرض علىٰ علي بن أبي طالب(٢).

ويفهم من ذكره له في كتابه أنه أقام بمكة المكرمة» لأن كتابه: «العِقد الثمين» هو في تاريخ سكان البلد الأمين: مكة المشرفة، وقد ذكر الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» أنه أقام بنيسابور مدة مديدة من الدهر يقرئ القرآن في المسجد.

عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي:

تابعي، والده عتبة بن فرقد سبقت ترجمته في فصل: «صحابة من بني سليم».

روىٰ عمرو بن عتبة عن عبد الله بن مسعود، كما روىٰ عنه الهيثم بن شهاب السلمي، وروىٰ عمرو عن سبيعة الأسلمية، كتابة، وروىٰ عنه عبد الله بن ربيعة السلمي، وكان ثقة قليل الحديث، وكان من نُسَّاك الكوفة المجتهدين في العبادة، وقد

---

(١) «مفتاح السعادة» لطاشكبري زاده (ص٢١ – ٢٢) المجلد الثاني، طبعة مطبعة الاستقلال الكبرىٰ بمصر.

(٢) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين الفاسي (ص٦٦ و٦٧) المجلد الثامن، طبع مصر، وقد نشر هذا الكتاب علىٰ نفقة الشيخ محمد سرور الصبان ووزع كميات كبيرة منه علىٰ دور العلم والعلماء والمفكرين مجانًا.

استشهد بِتُسْتَرَ، في خلافة عثمان بن عفان، فصلَّىٰ عليه علقمة(١).

مِلْحَان بن ثروان السلمي:

تابعي: روىٰ عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢).

مالك بن الحارث السلمي:

تابعي ثقة، له أحاديث صالحة، روىٰ عنه الأعمش(٣).

عبد اللّه بن رُبَيْعَةٍّ بن فرقد السلمي:

اختلف في صحبته، روىٰ عن النبي ﷺ وعن ابن مسعود وابن عباس، وعبيد بن خالد السلمي وغيرهم، وروىٰ عنه عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ وعطاء بن السائب وغيرهما، ذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وذكر أنه يروي عن ابن مسعود، وذكره في الصحابة أيضًا(٤).

الهيثم بن شهاب السلمي:

تابعي، روىٰ عن عبد الله بن مسعود، قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن الفضيل ابن غزوان عن الحصين عن الهيثم بن شهاب، قال: سمعت ابن مسعود يقول: «لأن

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لمحمد بن سعد (ص٢٠٦ و٢٠٧) المجلد السادس، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص٢٥١)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ص٧٥ و٧٦) المجلد الثامن.

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» (ص٢١٧) المجلد السادس.

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» (ص٢٩٤) المجلد السادس.

(٤) «الطبقات الكبرىٰ»، و«تهذيب التهذيب» (ص٢٠٨ و٢٠٩) المجلد الخامس.

أقعد علىٰ رَضْفَتَيْن -حجرين مَحمِيَّيْن- أحب إليَّ من أن أقعد متربعًا في الصلاة. وكان قليل الحديث[(١)].

محمد بن قدامة السلمي:

جده إسماعيل.. أبو عبد الله البخاري نزيل مرو، روىٰ عن النضر بن شميل، وكان مستمليه وروىٰ عن غيره، روىٰ عنه مسلم وأبو داود، في غير السنن، وغيرهما، ووثقه ابن حبان[(٢)].

نجدة بن المبارك السلمي الكوفي:

روىٰ عن رزين بن عقبة ومالك بن مغول، وغيرهما، وروىٰ عنه عبد الله بن خبيق وغيره، وقال الحسن بن الربيع: نجدة بن المبارك عندنا مثل سفيان الثوري[(٣)].

نضر بن عبد الله السلمي:

الحجازي، روىٰ عن عمرو بن حزم في النهي عن القعود علىٰ القبر، وعن عمرو بن مساحق المدني، وروىٰ عنه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. وقال ابن عبد البر: «لا أعرف في رواة الموطأ مجهولًا غيره»[(٤)].

وقد مرت بنا في فصل «صحابة بني سليم» ترجمةُ عبد الله بن النضر السلمي نقلًا عن «الاستيعاب» وقول ابن عبد البر فيه: «وما أعلم في الموطأ رجلًا مجهولًا غير هذا»...

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لمحمد بن سعد (ص١٩٨) المجلد الثامن.
(٢) «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ص٤٠٩) المجلد التاسع.
(٣) «تهذيب التهذيب» (ص٤١٩) المجلد العاشر.
(٤) «تهذيب التهذيب» (ص٤٣٩ و٤٤٠) المجلد العاشر.

وإذا قارنًا بين الاسمين، فإننا نجد عبد الله بن النضر في الصحابة وقد روىٰ عن النبي ﷺ حديثًا واحدًا هو: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنَّة من النار**».

ونجد نضر بن عبد الله السلمي في صفوف التابعين، وإذا قارنا بين قول الحافظ ابن عبد البر في كل من: عبد الله بن النضر السلمي الصحابي الذي قال عنه ابن عبد البر إنه مجهول، ومجهول وحده في رجال «الموطأ» وقوله في نضر بن عبد الله السلمي التابعي مثل هذا القول تمامًا بإبدال صيغة: «وما أعلم» بصيغة لا أعرف.

وإذا رجعنا إلىٰ ترجمة عبد الله بن النضر السلمي في «الاستيعاب» لابن عبد البر، نجد أنه يقول عنه: روىٰ عنه أبو بكر بن محمد بن حزم حديثًا واحدًا عن النبي وهو: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جُنة من النار**»...

وإذا رجعنا في نفس الوقت أيضًا إلىٰ ترجمة: نضر بن عبد الله السلمي التابعي في كتاب «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني نجده يقول عنه: «روىٰ عن عمرو بن حزم في النهي عن القعود، وعن عمرو بن مساحق المدني، وروىٰ عنه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم». ولكن بدون أن يذكر ما رواه عنه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم...

فهل يرجح أنهما شخصان اثنان أو شخص واحد؟ اضطرب الحافظ ابن عمر في اسميهما.. أو في اسمهما؟ إن وصولنا إلىٰ حقيقة الأمر يحتاج إلىٰ تحقيق أوسعَ مدًىٰ، وإلىٰ تمحيص أعمقَ غورًا، وليس هذا الكتاب موضعهما، فإنما هو استعراض مبسط لرجالات سليم من الصحابة والتابعين.. علىٰ أنه يتراءىٰ لي ضباب من قاتم

الشك حول حقيقة الاسمين والمُسَمَّين بهما معًا، وربما كُنتُ أميلَ إلىٰ أنهما اسم واحد لمسمىٰ واحد، لكثرة القرائن التي تشير إلىٰ هذا، والله أعلم.

حيان بن عطية السلمي:

ذكره البخاري في حديث سعد بن عبيدة، ومما قاله أبو علي الغساني في «تقييد المهمل»: «إن ذكر هذا الرجل في رجال البخاري عجيب، فإنه ليست له رواية»... «ولم يعرف من رجاله بشيء، ولا عرفتُ فيه إلىٰ الآن جرحًا ولا تعديلًا»(١).

كنانة بن عباس بن مرداس السلمي:

روىٰ عن أبيه أن النبي ﷺ دعا لأمته عشية عرفة، وروىٰ عنه ابن عبد الله بن كنانة، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال عنه في كتاب «الضعفاء»: حديثه منكر جدًّا، لا أدري، التخليط منه أو من ابنه؟ ومن أيهما كان فهو ساقط الاحتجاج، وقد أشار العسقلاني إلىٰ تخبط (ابن حبان) في أمر كنانة، وتوثيقه إياه وعدمه.. أشار إلىٰ ذلك في ترجمته الآتية لابنه عبد الله بن كنانة السلمي(٢).

عبد الله بن كنانة السلمي:

جده عباس بن مرداس، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: السلمي - يعني كنانة والد عبد الله - قال البخاري لم يصح حديثه. وقد مرَّ بنا آنفًا ما أبداه العسقلاني حيال تخبُّط ابن حبان في أمر كنانة: أهو ثقة أم غير ثقة(٢).

---

(١) «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ص١٧٢ و١٧٣) المجلد الثاني، طبع حيدر آباد دكن.

(٢) «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ص٤٤٩)، المجلد الثامن، و(ص٣٧٠)، المجلد الخامس.

خالد بن يزيد السلمي:

أبو هاشم الأزرق الدمشقي.

روىٰ عن محمد بن راشد المكحول، والمطعم بن مقدام، والثوري، وليث بن أبي سليم، وغيرهم.

وروىٰ عنه ابنه محمود، ودحيم(١)، وصفوان بن صالح، وسلمان بن عبد الرحمن وغيرهم، ذكره سميع في الطبقة السادسة، وذكره ابن حبان في الثقات.

سعد بن عبيدة السلمي:

من التابعين، روىٰ عنه الأعمش وحُصين، توفي في ولاية عمر بن هبيرة علىٰ الكوفة (وربما يفهم من ذلك أنه استوطن الكوفة حتىٰ الممات) وكان ثقة كثير الحديث(٢).

منصور أبو عتاب بن المعتمر السلمي:

تابعي.. قال منصور: لقد طلبنا العلم وما لنا فيه تلك النية، ثم رزق الله فيه بَعْدُ. (فَسَّرَ مِنْدَلٌ قوله: فقال: يقول: رزق الله بَعْدُ، البصر.. يقول: كنا أحداثًا.

وقد عمش من البكاء من خوف الله عَزَّوَجَلَّ. قال أبو نعيم: سمعت حماد بن زيد، قال: رأيت منصورًا بمكة، قال أظنه من هذه الخشبية، قال: وما أظنه كان يكذب.

توفي منصور بن المعتمر السلمي في آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وكان ثقة مأمونًا، كثير الحديث، رفيعًا عاليًا(٣)، وقد يكون استوطن مكة، ليبتعد عن الفتن

---

(١) يلاحظ أن اسم «دحيم» لا يزال مستعملًا حتىٰ اليوم في نجد، وربما يعنون في الأصل به تصغير اسم «عبد الرحمن» أو «عبد الرحيم» تصغير تحبب وتدليل.

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» لمحمد بن سعد (ص٢٩٨) المجلد السادس.

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» (ص٣٣٧) المجلد السادس.

الدائرة في أوائل العهد العباسي، وقد يكون في مكة حاجًّا أو معتمرًا.

حُصين بن عبد الرحمن السلمي:

قال عنه محمد بن سعد: إنه «من أنفسهم»(١).

محمد بن إسماعيل السلمي:

اسم أبيه راشد، وكانوا ثلاثة إخوة يُروىٰ عنهم، أسنَّهُم وأقدمهم موتًا: إسماعيل بن راشد، روىٰ عنه حصين، وأخوه محمد بن إسماعيل أيضًا، مات محمد سنة اثنتين وأربعين ومائة في خلافة أبي جعفر (المنصور)، روىٰ عنه الثوري، وأخوه الآخر الذي هو عمر بن راشد، وروىٰ عنه حفصُ بن غياث، وعبد الله بن نُمَيرٍ، ويحيىٰ القطان، والثوري(٢).

سُنَيْن أبو جميلة السلمي:

تابعي من بني سليم من أنفسهم، له أحاديث، سمع من عمر بن الخطاب، وفي حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن سُنَيْنٍ أبي جميلة السليطي -السلمي- وكان منزله بالعُمَق، وهو جادة الطريق إلىٰ مكة بين معدن بني سليم وذات عرق.

وحدث سفيان بن عيينة عن الزهري أنه سمع سُنَيْنًا أبا جميلة يقول: وجَدْتُ منبوذًا علىٰ عهد عمر، فذكره عَرِيفي، له، فأرسل إلي، فدعاني، فقال لي: هو حر، وولاؤه لك، وعلينا رضاعه(٣).

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» (ص٣٣٨) المجلد السادس.

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٣٤٦) المجلد السادس.

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٦٣) المجلد الخامس.

محمد بن علي السلمي:

قال ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ»: وقد رووا عنه(١).

عيسى بن عبد الرحمن السلمي:

من أنفسهم، وهو قديم الموت، توفي في خلافة أبي جعفر(٢).

أبو العجفاء السلمي:

اسمه هرم، روىٰ عن عمر بن الخطاب، وعدَّه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» من الطبقة الأولىٰ، من الفقهاء والمحدثين والتابعين من أهل البصرة، ومن أصحاب عمر بن الخطاب(٣).

سفيان بن حسين السلمي:

مولًىٰ لبني سُليم، ويكنىٰ سفيان أبا الحسن، أو أبا محمد، وكان ثقة يخطئ في حديثه كثيرًا، وكان مؤدِّبًا مع المهدي أمير المؤمنين، ومات بالريِّ في خلافة المهدي، وعدهُ ابن سعد من الفقهاء والمحدثين بواسط(٤).

عبد الرحمن بن عمرو السلمي:

عدَّهُ ابن سعد من الطبقة الثانية من التابعين المقيمين بالشام، ومات سنة عشر ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك(٥).

---

(١) (ص٣٧٠) المجلد السادس.
(٢) «الطبقات الكبرىٰ» (ص٣٧٠) المجلد السادس.
(٣) «الطبقات الكبرىٰ» (ص١٠٢) المجلد السابع.
(٤) «الطبقات الكبرىٰ» (ص٣١٢) المجلد السابع.
(٥) «الطبقات الكبرىٰ» (ص٤٤٩) المجلد السابع.

سويد بن عبد العزيز السلمي:

هو مَولًىٰ لبني سليم، ويكنىٰ أبا محمد، وكان يروي أحاديث منكرة، وُلِدَ سنة تسعين في آخر خلافة الوليد بن عبد الملك، وتوفي سنة سبع وستين ومائة (في خلافة المهدي العباسي).

وقد ولي قضاء بعلبك، وكان محتاجًا، فلقيه داود بن أبي شيبان الدمشقي، فقال له: يا أبا محمد، وُلِّيتَ القضاء بعد العلم والحديث؟ فقال: نعم، نشدتك الله أتحت جُبَّتك شعار؟ فقال داود: نعم! فرفع سويد جبته، وقال: لكن جبتي ليس تحتها شعار. ثم قال له: أنشُدُك الله، هل هذا الطيلسان لك؟ قال داود: نعم! قال سويد: فوالله ما هذا الطيلسان الذي ترىٰ علي، لي. وإنه لعاريةٌ. أفلا ألِي القضاء بعد هذا؟ فوالله لو ولوني بيت المال -فإنه شر من القضاء- لَوَلَيتُهُ(١).

نصر بن حجاج السلمي:

كان نصر جميلًا فائق الجمال، وكان يقيم بالمدينة، مما يدلنا علىٰ أن «جالية» سلمية كانت تقيم بها ربما قبل عهد الرسول، وربما في عهده وفي خلافة أبي بكر ثم في خلافة عمر بن الخطاب، وكانت المدينة عاصمة الخلافة الإسلامية، ومن دأب الناس أن ينزحوا إلىٰ «العواصم» لما فيها من العلم والعمل ووفير الخيرات، قديمًا وحديثًا.

وقد حدَّثوا أن عمر بن الخطاب سمع -وهو يَعُسُّ ذات ليلة- امرأة تجهر بأمنيتها الكمينة، فتقول:

هل من سبيل إلىٰ خمر فأشربها ... أو هل سبيل إلىٰ نصر بن حجاج

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٤٧٠) المجلد السابع.

فلما أصبح سأل عنه، فإذا هو من بني سُليم، فأرسل إليه فأتاه، فإذا هو من أحسن الناس شَعَرًا، وأصبحهم وجهًا، فأمر عمر أن يَطُمَّ -يَجُز- شعره، ففعل، فخرجت جبهته، فازداد حُسنًا، فأمره عمر أن يعتم، ففعل، فازداد حُسْنًا، فقال عمر: لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها.. فأمر له بما يصلحه، وسيَّرَهُ إلىٰ البصرة.

وكان بالبصرة جالية من بني سليم، اتخذوها موطنًا لهم عقب تمصيرها، ولابد أن عمر اختارها «مَنْفًىٰ» لنصر بن حجاج، رأفة به؛ إذ لا ذنب له، وإنما هي سياسة درء المفاسد، وسد باب الفتن، وحماية الأخلاق الإسلامية في بلد الرسول المصطفىٰ من أن يتطرق إليها ما يكدر صفوها.

ونصر بن حجاج شاعر، ولذلك سنورد له ترجمة في فصل «شعراء من بني سليم» تتعلق بشعره وشاعريته، وقد أضفنا إلىٰ ذلك مزيدًا من التفصيل حيال قضية نفيه إلىٰ البصرة، وقصة مصيره بعد ذلك.

أبو ذئب السلمي:

يُعتبر «أبو ذئب» من صِبَاح -بكسر الصاد المهملة والباء التحتية الموحدة فألف فحاء جمع صبيح- بني سليم، ولذلك غَرَّبه عمر بن الخطاب أيضًا، أسوة بزميله، فقد ذكر الرواة أن عمر كان يعسُّ بالمدينة ليلًا؛ إذ سمع نسوة يتحدَّثن، فإذا هُنَّ يقلن: أي أهل المدينة أصبح؟ فقالت امرأة منهن: أبو ذئب! فلما أصبح عمر سأل عنه، فإذا هو من بني سليم، فلما نظر إليه عمر، إذا هو من أجمل الناس، فقال له عمر: «أنت والله ذِئْبُهُن!» قالها مرتين أو ثلاثًا «والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها». والشطر الأخير من هذه الكلمة التي خاطب بها عمر أبا ذئب، هي مثل الشطر الأخير من الكلمة التي خاطب بها نصر بن حجاج، قال أبو ذئب: فإن كنت لا بد

مُسَيِّري، فَسَيِّرني حيث سَيَّرْتَ ابن عمي - يعني نصر بن حجاج السلمي - فأمر له بما يصلحه أيضًا، وسيَّرَهُ إلىٰ البصرة[١].

وهكذا اختار أبو ذئب منفاه من المدينة بنفسه، ونزل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عند رغبته، لأنه يشعر بأن لا ذنب له فيما قالته المرأة عنه وسمعه ليلًا وهو يقوم بمهمة العس في شوارع المدينة وأزقتها، لضمان الأمن والاستقرار والأخلاق الإسلامية الكريمة.

ولأبي ذئب الحق في اختيار البصرة مَنْفًىٰ له، لأنها بلد حديث الإنشاء، وفيها بنو عمومته، فإذا أقام به فلن يكون غريبًا، ولن يشعر بقلق نفسي كبير هنالك بسبب الغربة التي فرضت عليه من قِبَل الخليفة العادل.

جعدة السلمي:

أمَّا جعدة السُّلمي.. فقد اشتكاه شاعر مجهول لَبِقٌ إلىٰ عمر بن الخطاب، وكان جعدة مقيمًا في المدينة مع جالية قومه الذين نزحوا من ديارهم إلىٰ عاصمة الخلافة الأولىٰ.. وكانت الشكوىٰ محبوكة، وتتضمن أنه يغشىٰ بيوت المسلمين فيما وراء جبل سَلع، حيث منَازِلُ بني سعد بن بكر وأسلم وجهينة وغِفَار. وقد رمز «الشاعر» إلىٰ النساء اللواتي يَحْفُفن بجعدة السلمي (ولابد أنه كان فتىٰ جميلًا أيضًا) من نساء تلك الأحياء، رمز إليهن باسم «القُلُص» جمع قَلُوص، ورمز إلىٰ وجودهن معه بقوله: «يُعَقِّلهن» قال الشاعر:

ألا أبلــغ أبــا حفــصٍ رســولًا ... فــدًىٰ لــك مــن أخــي ثقــة إزاري
قلائصــــنا هــــداك الله إنـــا ... شُــغِلنا عنكمــو زمــن الحصـــارِ

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٢٨٥) المجلد الثالث.

فمـــا قُلُـــصٌ وُجِـــدن مُعَقَّـــلات قفــا ســلع بمختلــف البحــارِ[(١)]
قلائـص مـن بنـي سـعد بـن بكـر وأســـلم أو جهينـــة أو غِفـــارِ
يُعَقِّلُهُـــن جعـــدة مـــن سُـــلَيم معيـــدًا يبتغـــي سَـــقَطَ العـــذارِ

وإذا عرفنا معنىٰ «القلوص» في اللغة العربية: «الشابة من الإبل، أو الباقية علىٰ السير، أو أول ما يركب من إناثها إلىٰ أن تثني ثم هي ناقة» أدركنا عندئذ دقة الكناية من هذا الشاعر المجهول الذي عرف من أين تؤكل الكتف، وعرف كيف تكون إصابة السهم لمرماه.. ورُب كناية أبلغ من تصريح.

إن الشاعر يريد أن يكشف لعمر بن الخطاب حقيقة انحراف أخلاق جعدة السلمي -بحسب دعواه- وهو يعرف أن عمر ذو إحساس مرهف من هذه الناحية، فهو من هذه الناحية يهدف إلىٰ سد الذرائع، وإلىٰ الاحتياط في هذه الأمور المخلة بالآداب الإسلامية في بلد الرسول ولا يتسامح فيها علىٰ أي حال.

وقد ضرب الشاعر -فعلًا- علىٰ الوتر الحساس.. فقال عمر: ادعُو لي جعدة، من سُليم.. فدعوا به له، فَجُلِدَ مائةً، مَعْقُولًا. ونهاه أن يدخل علىٰ امرأة مغنية[(٢)].. ولابد أن أخبار انحراف أخلاق جعدة واستهوائه لفتيات ما وراء جبل سلع كان قد بلغ مسامع عمر، وكان ينتظر أن تسنح الفرصة المناسبة لتأديبه.. وآية ذلك أنه جلده مائة، معقولًا.

وعُمَرُ عادل، ولا يقوم بمثل هذا التأديب الشديد إلا بمقتضىٰ أدلة مثبتة.. وهي -طبعًا- غير شعر الشاعر المجهول، وشعر الشاعر المجهول كان مجرد علامة

---

(١) هكذا في الأصل، ولعلها: النجار.
(٢) «الطبقات الكبرىٰ» لمحمد بن سعد (ص٢٨٦) المجلد الثالث.

وإنذارًا بأن الكيل قد طفح، وبأنه لابد من وضع حدٍّ لهذا العبث الخُلُقي الذي يقوم به جعدة من وراء ستار شفيف.

ومن واضح الأدلة علىٰ إدراك عمر لحقيقة سلوك جعدة فيما رواه جبل سلع أنه بعدما جلده مائة، معقولًا، نهاهُ عن الدخول علىٰ امرأة مغنية كان عمر لا يخفىٰ عليه حقيقة سلوكها، ولكنه كان يدرأ الحدود بالشبهات، ولابد أن عمر سماها له عندما نههُ عن دخول منزلها.. ولكن الرواة آثروا سترها، فاكتفوا بالإشارة إلىٰ واقعها من دون إثارة فضيحة عليها خالدة بذكر اسمها ولعلها تتوب. والله ستار يحب الستر وغفَّار للذنوب، وعمرُ ومَن كانوا في عصره من الصحابة والتابعين ما كانوا يريدون أن تشيع الفاحشة ولا سوء السمعة بين المسلمين علىٰ بعضهم.

مليح بن عوف السلمي:

رُوِيت عن مليح هذا قصةُ ذلك (الباب الخشبي) الذي وضعه سعد بن أبي وقاص علىٰ داره، مع قصة ذلك (الخُصِّ القصبي) الذي خصه سعد علىٰ قصره في الكوفة.

وتقول القصة: إنه بلغ عمر بن الخطاب، وَضْعُ سعد للباب الخشبي والخص القصبي علىٰ داره، فاهتم بهذا الشأن، الذي رأىٰ فيه حدثًا غير مناسب، ومن أجل ذلك انتدب من المدينة محمد بن مسلمة ومعه مليح بن عوف السلمي دليل طريق، وأمر عمر محمد بن مسلمة بالتحقيق في ذلك ورَفْعِ الأمر إليه، وكان مليح دليلًا خبيرًا.

وهكذا خرج مَندوب الخليفة سِرًّا في المهمة الإدارية المكلَّف بالتحقيق فيها وتقديم نتيجة تحقيقاته عنها إليه، ثم أمر عمر -بعد وصول الحقيقة الإيجابية إليه عن

الباب الخشبي، والخص القصبي- أمر عمرُ، محمد بن مسلمة بأن يحرق الباب والخص معًا، ففعل.. وأمره بأن يُقيم سعدًا لأهل الكوفة في مساجدهم، بسبب ما بلغ عمر من بعض أهل الكوفة -من أن سعدًا حابىٰ في بيع خُمُس، باعه. ففعل.. فأقام محمد بن مسلمة سعد بن أبي وقاص، في مساجد الكوفة، فجعل يسألهم عن سعد ويخبرهم بأن أمير المؤمنين أمره بهذا، فلا يجد أحدًا يخبره إلا خيرًا(١)..

هي سعاية من بعض من تنقُّصهم متانة الخلق الإسلامي علىٰ سعد بن أبي وقاص، لم ير أمير المؤمنين العادل إلا أن يستكشف حقيقة أمرها، حتىٰ تظهر جليةً للجمهور، فلا يكثر اللغط والإشاعات المفتراة بين الناس سرًّا وجهرًا علىٰ هذا الصحابي النزيه الجليل، فكان عمر بذلك خليفة بارعًا وعبقريًّا حكيمًا، كما أنه كان مثالًا للعدل؛ إذ أجرىٰ التحقيق الدقيق وأحرق الباب والخص، وأقام سعد بن أبي وقاص صاحب رسول الله ﷺ للناس حتىٰ تنجلي حقيقة ما زعمه بعضهم من قيامه بالمحاباة وهو أمير علىٰ الكوفة، وهكذا كان عمر مُنَفِّذًا دقيقًا لتعاليم الإسلام علىٰ الجميع، لا فرق لديه بين أمير ومأمور ولا كبير ولا صغير.

❊ ❊ ❊

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (ص٦٢) المجلد الخامس.

تابعيات من بني سليم

أم عيسى:

روت أم عيسىٰ بن عبد الرحمن السُّلمي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وروىٰ عنها ابن عيسىٰ بن عبد الرحمن السلمي، وذكرها محمد بن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» في باب: «تسمية النساء اللواتي لم يَرْوِينَ عن رسول الله ﷺ، ويَرْوِينَ عن أزواجه وغيرهن»[(١)].

وأم عيسىٰ، لا ندري مما ذكر، هل هي سلمية أصلًا، أو سلمية في أهل زوجها وفي ابنها فحسب، وقد كانت لها مكانتها في رواية الحديث حتىٰ إن ابنها المذكور روىٰ عنها الحديث، وقد وضعناها في هذا المكان أخذًا بالاحتمال الأول ريثما تظهر حقيقة نسبها.

* * *

(١) (ص٤٩١ و٤٩٢) المجلد الثامن من «الطبقات الكبرىٰ» لمحمد بن سعد.

علماء ومفتون وقضاة
من بني سليم

هذا الفصل -بطبيعة الحال- ليس حصرًا ولا إحصاءً للعلماء والمفتين والقضاة من بني سليم، وإنما هو عرضٌ لنماذج من هؤلاء جميعًا، تسنىٰ لنا من مطالعتنا للمراجع التي بين أيدينا أن نطلع علىٰ تراجمهم التي منها الموجز، ومنها المسهب، وهذا الفصل من هذه الناحية هو قرين للفصول السابقة في التراجم ومثيل لها في هذا الشأن، وقد دوَّنا فيه تراجم طائفة لا بأس بها من بني سليم، من القرن الهجري الأول إلىٰ الثالث عشر.

ونعني بصيغة العلماء في هذا الفصل ما كانت تعنيه وما لا زالت تعنيه هذه الصيغة في التاريخ الإسلامي والاصطلاح الإسلامي، أي: علماء الدين، ونعني بالمفتين، من يتعاطون مهمة الإفتاء من أولئك العلماء للمستفتين، ونعني بالقضاة مَن يحكمون بين الناس في قضاياهم وخُصوماتهم وحقوقهم، ويعيدون الحق إلىٰ أهله وإلىٰ نصابه، علىٰ أن تكون أحكامهم بمقتضىٰ الشريعة الإسلامية.. فالمفتي والقاضي عالمان إسلاميان، يقومان بمهمتين إسلاميتين جليلتين، زيادة علىٰ علمهما أو تدريسهما للعلم الإسلامي مثلًا.

وأول من تمكنَّا من ترجمته -حسب المصادر الموجودة لدينا- من هؤلاء العلماء السليميين الإسلاميين، من عاش في القرن الهجري الأول ومات فيه، ألا وهو تميم بن سلمة الكوفي السلمي.

وآخر من تمكنا من ترجمته -حسب مصادرنا- من هؤلاء العلماء السليميين

الإسلاميين، من كان عائشًا في أخريات القرن الثالث عشر الهجري ومات فيه.. وهو محمد بن حمدون المرداسي الفاسي السلمي.

وبمقارنة زَمَنَيْ وموطني هذين العالمين السليميين، اللذين يفصل بينهما عشرة قرون من الزمن، وكان أولهما يقيم بالكوفة، وثانيهما يقيم بفاس، والكوفة تقع في غرب آسية، وفاس تقع في إفريقية الشمالية القصوىٰ - ندرك مدىٰ حيوية بني سُلَيم عبد التاريخ الإسلام المديد..

تميم بن سلمة الكوفي السلمي:

روىٰ عن سليمان بن الزبير، وشريح بن الحارث القاضي، وعبد الرحمن بن هلال العبسي، وروىٰ عنه الأعمش، ومنصور، وطلحة بن مصرف، وأبو صخرة جامع بن شداد، وجماعة.

قال ابن معين والنسائي: ثقة. وقال ابن عاصم وغيره: مات سنة (١٠٠ هـ). وقاله ابن سعد. قال: وكان ثقة، وله أحاديث، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وفرق بينه وبين تميم بن سلمة الخزاعي.

روىٰ عن جابر بن سمرة، وعنه المسيب بن رافع، قال: وهو الذي روىٰ عن عروة بن الزبير[(١)].

منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي:

يكنىٰ أبا عتاب، من أعلام رجال الحديث، ولم يكن أحفظ منه للحديث،

(١) «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ص٥١٢ و٥١٣) المجلد الأول، طبعة حيدر آباد دكن، سنة (١٣٢٥هـ).

وكان ثقة، وهو من أهل الكوفة، مات سنة (١٣٢هـ- ٧٥٠م) ونسب جده عبد الله هكذا: عبد الله بن عتاب بن رُبَيِّعَةَ (بالتصغير) بن فرقد وهو يربوع بن حبيب الفقيه[(١)].

سويد بن عبد العزيز السلمي:

مولاهم.. الدمشقي، وقيل: حمصي، وأصله من واسط بالعراق أو من الكوفة، كان شريك يحيىٰ بن حمزة في القضاء، قرأ القرآن علىٰ يحيىٰ بن الحارث الذماري، والحسين بن عمران العسقلاني.

وروىٰ عن حميد الطويل، والأوزاعي، ومالك، وجماعة.

وقرأ عليه أبو مسهر، وهشام بن عمار، وغيرهما، وروىٰ عنه أبو مسهر، وصفوان بن صالح، وغيرهما.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: متروك الحديث. وقال ابن معين: ليس بثقة، قال أبو حاتم: قلتُ لدحيم[(٢)]: كان سويد عندك ممن يقرأ إذا دفع إليه ما ليس من حديثه. قال: نعم! وقال عثمان الدارمي عن دحيم: ثقة، وكانت له أحاديث يغلط فيها.

مات سويد السلمي سنة (١٩٤هـ). وقال دحيم: سمعته يقول: وُلِدْتُ سنة (١٠٨هـ)[(٣)].

---

(١) «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (ص٢٤٥) الجزء الثامن، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم.

(٢) لا يزال هذا الاسم مستعملًا في أنحاء نجد كما قدمناه، وتدل التسمية به في أول القرن الهجري الثاني علىٰ أنه كان مستعملًا معروفًا قبل ذلك.

(٣) «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ص٢٧٦ و٢٧٧) المجلد الرابع.

عمر بن عامر السلمي:

من القضاة. **قال أبو عبيدة:** «لما عَزَلَ سليمان بن علي، الحجاجَ بن أرطاة (من قضاء البصرة) أعاد عياد بن منصور علىٰ قضائها، ثم عزله في سنة سبع وثلاثين ومائة، وولي عُمر بن عامر السُّلمي، وسوارَ بن عبد الله (قضاءها) فكانا يجلسان جميعًا، وكان عمر بن عامر يكلم الخصوم، وسوار ساكت»[(١)].

قال عمر بن شبة: «سمعت أبي يقول: تقدَّم خالد بن يوسف التميمي إلىٰ عمر بن عامر، في منازعة، وكان رجلًا بدينًا، فأمر بإقامته، فعنف به الذي أقامه، فأظهر من جسده شيئًا، فأصبح ميتًا، فخرج بجنازته، وتبعه صوارخ يصرخن: وا قتيل عمراه! فخرج من ذلك جزعًا فاحشًا، فجعل يدعو بالموت والراحة من القضاء، فلم ينشب أن مات فجأة».

قال أبو بكر: ولعمر بن عامر حديث صالح، وروىٰ عنه الناس.

هُشَيْمُ بن بشير السلمي:

من واسط، وقدم بغداد وأقام فيها حتىٰ الممات.

نابغة من بني سليم، في القرن الهجري الثاني، في علم الحديث وفي روايته.

وهو هُشَيم بن بشير بن أبي خازم -القاسم- بن دينار السلمي، ويكنىٰ أبا معاوية، ومقره ومقر أبيه: واسط -المدينة التي بناها الحجاج بن يوسف. وقيل: إنه بخاري الأصل، أي: الموطن، لا النسب، فإنه سُلَمِيٌّ النسب.

---

(١) «أخبار القضاة» لوكيع (ص٥٥) الجزء الثاني، طبع الاستقامة بمصر، وما بين الحاصرتين ( ) من تكملاتنا لدلالة السياق عليه. «المؤلف».

وكان بشير والد هشيم طباخًا للحجاج بن يوسف، وكان يطبخ «الصحناة» - إدام يتخذ من السمك الصغار مُشهٍّ مُصلِحٌ للمعدة -وقد طلب ابنه- هشيم - الحديث، فاشتهاه، وكان أبوه يمنعه، فكتب الحديث حتىٰ جالس أبا شيبة القاضي، فكان يناظر أبا شيبة في الفقه، فمرض هشيم فقال أبو شيبة: ما فعل ذلك الفتىٰ الذي كان يجيء إلينا؟ قالوا: عليل. قال: فقال: قوموا بنا حتىٰ نعوده، فقام أهل المجلس جميعًا يعودونه، حتىٰ جاءوا إلىٰ منزل بشير، فدخلوا إلىٰ هشيم، فجاء رجل إلىٰ والده بشير، ويده في «الصحناة» فقال: الحق ابنك فقد جاء القاضي إليه يعوده، فجاء بشير، والقاضي في داره، فلما خرج قال لابنه: يا بُنيَّ قد كنت أمنعك من طلب الحديث، فأما اليوم فلا... صار القاضي يجيء إلىٰ بابي، متىٰ أمَّلتُ أنا هذا؟!

وكان جد هشيم -القاسم- وأبو شعبة الحجاج شريكين في بناء قصر الحجاج بواسط.

سمع هشيم، عَمرَو بن دينار، والزهريَّ، ويونس، وعبيدًا، وأيوب السختياني، وغيرهم، وروىٰ عنه مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وشعبة، وعبد الله بن المبارك، ويحيىٰ بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وغندر، ووكيع، وأحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين، وعلي بن المديني، وأبو خيثمة، وغيرهم، وهو محدث بغداد. قال يحيىٰ القطان: هو أحفظ من رأيت بعد سفيان وشعبة، وكان عنده عشرون ألف حديث، ومكث يصلي الفجر بوضوء العشاء عشرين سنة قبل موته، وله من الكتب: كتاب «السنن» في الفقه، وكتاب «التفسير»، وكتاب «القراءات»(١).

---

(١) كتاب «الفهرست» لابن النديم، و«مرآة الجنان» لأبي محمد اليافعي اليمني المكي (ص٣٩٣) الجزء الأول، طبع حيدر آباد دكن.

ومولده بسنة (١٠٤هـ)، ويبدو أن ولادته كانت بواسط، وحينما كبر لم يخضب، بل ظل أبيض شعر الرأس واللحية.

وتوفي ببغداد، في يوم الأربعاء لعشر مضين من شعبان سنة (١٨٣هـ)، فله من العمر إذن (٧٩) عامًا.

وكان هشيم سريع الحفظ، قوي الذاكرة، يقول عن نفسه: سمعت من الزهري نحوًا من مائة حديث فلم أكتبها: يقصد أنه اكتفىٰ بحفظها الراسخ، وما احتاج إلىٰ أن يكتبها.

وثَّقه أئمة الحديث، وأعلامه، في عصر الإسلام الذهبي، بالنسبة لعلوم الحديث خاصة، وقال عبد الرحمن بن مهدي: كان هشيم أحفظ للحديث من سفيان الثوري.

ووثَّقه شعبة وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدي وأبو عبد الله ووكيع ويزيد بن هارون وأبو داود سليمان بن الأشعث ويحيىٰ بن سعيد القطان، وعلي بن حجر، وابن المبارك، وابن عمار، وقال عنه ابن عمار: لا يُعَد عليه خطأ، وقال عنه إبراهيم الحربي: كان حُفاظ الحديث أربعة، كان هشيمٌ شيخهم، كان هشيم يحفظ هذه الأحاديث –يعني: المقطوعة– حفظًا عجيبًا... وكان يصفُ المعنىٰ.

وممن وثقه مالك بن أنس، جاءه رجل من العراق، وذاكره بحديث، فقال مالك: «وهل بالعراق أحد يُحسنُ يحدِّث إلا ذاك الواسطي؟»[1] يعني هُشَيمًا.

وكفاه توثيقًا في الحديث أن يكون مالك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل

---

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ص٨٥ – ٩٢) المجلد الرابع عشر.

ويحيىٰ بن معين – من طُلَّابه و من رواة الحديث النبوي عنه.

حفظ بن عبد الله السلمي:

قال ابن عميرة عنه: إنه سرقسطي. روىٰ عن مالك بن أنس، ومات بالأندلس قريبًا من سنة (٢٠٠هـ)[١]، وكان حفص بليغًا حافظًا، ولازم مالكًا سبعة أعوام، وكان مالك يُدني منزله، وصام أربعين سنة، وكان الحكم (الأموي) يستقدمه في كل عام شهر رمضان يؤم به[٢].

أبو عبد الله محمد السلمي:

قيرواني، سكن المهدية – (بتونس) آخرًا وسمع أبا ذر الهروي، وأبا عمران الفاسي، وسمع منه أبو بكر بن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣].

عمر بن عبد الله بن رزين السلمي:

هو نيسابوري الموطن، محدث، رحل وسمع محمد بن إسحاق وطبقته، قال سهل بن عمار: لم يكن بخراسان أنبل منه، توفي سنة (٢٠٣هـ)[٤].

يزيد بن هارون السُّلمي:

هو مولاهم، ويكنىٰ أبا خالد، توفي بواسط سنة ست ومائتين، وله من الكتب:

---

(١) «الحلل السندسية» للأمير شكيب أرسلان (ص١٥٧) الجزء الثاني، طبع المطبعة الرحمانية بمصر.

(٢) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» لابن الفرضي (ص١٣٩) الجزء الأول، طبع مصر.

(٣) «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (ص٧٩٨) المجلد الرابع.

(٤) «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي (ص٧) الجزء الثاني.

كتاب «الفرائض»[(١)].

أسد بن الفرات:

له ترجمة وافية في فصل: «أمراء ومحتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سليم» فراجعها إن شئت هناك.

حسان بن عبد السلام السلمي:

من أهل سَرَقُسْطَة بالأندلس، رحل إلىٰ مالك بن أنس من الأندلس إلىٰ المدينة، وسمع منه مع أخيه حفص، ذكره محمد بن حارث الخُشُني في كتابه[(٢)].

عبد الغافر بن عبد السلام السلمي:

من أهل رَيّه بالأندلس، كان فقيهًا حافظًا زاهدًا، كثير التلاوة، ذكره إسحاق[(٣)].

محمد بن يعلى السلمي:

قدم بغداد من الكوفة، ويلقب بزنبور، حدَّث عن محمد بن عمر بن علقمة المديني وغيره، وفي بغدد حدث، وروىٰ عنه من أهلها محمد بن عبد الله المنادي، روىٰ عن الربيع بن صبيح عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن، قال: لما كان من

---

(١) «الفهرست» لابن النديم (ص٣٣٢ و٣٣٣).

(٢) «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي، المتوفىٰ سنة (٤٤٨هـ)، طبع القاهرة (ص١٨٣).

(٣) «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي، المتوفىٰ سنة (٤٠٣هـ)، (ص٣٣٩)، و«ترتيب المدارك» للقاضي عياض (ص٥٠٩) المجلد الثاني، طبع بيروت.

بعض همج الناس ما كان - يريد في الفتنة التي قُتل فيها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - جعل رجل يسأل عن أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ، فجعل لا يسأل أحدًا إلا دلَّه علىٰ سعد بن مالك، قال: فقيل له: إن سعدًا رجل إذا أنت رفقت به، كنت قَمِنًا أن تصيب منه حاجتك، وإن أنت خرَقت به، كنت قَمِنًا ألا تصيب منه شيئًا، فجلس أيامًا لا يسأله عن شيء، حتىٰ استأنس به، وعرف مجلسه، ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ إلىٰ آخر الآية.

قال: فقال سعد: هات ما قلت، لا جرم والذي نفس سعد بيده لا تسألني عن شيء أعلمه إلا أنبأتك به. قال: أخبرني عن عثمان. قال: كنا إذ نحن جميع مع رسول الله ﷺ كان أحسننا وضوءًا وأطوَلنا صلاة، وأعظمنا نفقة في سبيل الله.

فسأله عن شيء من أمر الناس، فقال: أما أنا فلا أحدثك بشيء سمعته من وُرَّادنا، لا أحدثك إلا بما سمعت أذناي، ووعاه قلبي.. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن استطعت أن تكون أنت المقتول، ولا تقتل أحدًا من أهل الصلاة فافعل**»... قالها ثلاثًا.

وقال محمد بن إسماعيل البخاري في نقده وتجريحه: «محمد بن يعلىٰ السلمي الكوفي يُقال لها: زنبور، يُتكلم فيه وهو ذاهب».

مات محمد بن يعلىٰ السلمي هذا في سنة (٢٠٥هـ)(١).

جمعة بن عبد الله السلمي:

جمعة بن عبد الله بن زياد بن شداد السلمي أبو بكر البلخي، وقيل: إن جمعة لقبه، واسمه يحيىٰ.

---

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ص٤٤٧ و٤٤٨) الجزء الثالث.

روىٰ عن مروان بن معاوية، وأسد بن عمرو البجلي، وعمرو بن هارون البلخي، وهُشَيم، وغيرهم.

وروىٰ عنه البخاري، والحسين بن سفيان، ومحمد بن إسحاق بن عثمان السمسار، والحسن بن الطيب.

قال ابن حبان في «الثقات»: «مستقيم الحديث، كان ينتحل مذهب الرأي قديمًا، ثم انتحل السنن، وجعل يذب عنها».

وقال اللالكائي: يُقال: إنه مات سنة (٢٣٣هـ)، وقال العسقلاني: جزم به الكلاباذي وابن عساكر، وزاد: لخمس بقين من جمادىٰ الآخرة.

وقال ابن منده: جمعة أخو خاقان، وليس له في الصحيح سوىٰ حديث واحد في فضل الهجرة(١).

عبد الملك بن حبيب السلمي:

هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة -جلهمة- بن عباس بن مرداس السلمي..

ذكر الأمير شكيب أرسلان تراجم من أقاموا بالأندلس من العرب بعد استقرار قَدَم الإسلام فيها، غِبَّ فتحها، وأورد من هؤلاء من أقاموا بها من قيس عيلان العدنانية وذكر منهم من ينتسب إلىٰ سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس. ومن هؤلاء: عبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه، صاحب الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(٢).

(١) «تهذيب التهذيب»، لابن حجر العسقلاني (ص١١٠) المجلد الثاني، طبع حيدر آباد دكن.
(٢) «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية» لشكيب أرسلان (ص٢٩٣) الجزء الأول، طبع المطبعة الرحمانية بمصر (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م)؛ و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص٢٦٣).

وقد أفرد القاضي عياض لعبد الملك بن حبيب ترجمة مطولة جامعة، تقع في نحو (١٨) صفحة من كتابه «ترتيب المدارك» وقد خَرَجْتُ من هذه الترجمة بما سأورده فيما يلي:

فهو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن عباس بن مرداس السلمي، ويكنىٰ أبا مروان، وكان أبوه يعرف بالحبيب العصار، لأنه كان يعصر الأدهان ويستخرجها، فوالده إذن من رجال الصناعة، وقال الإمام الفرضي: إنه من مواليهم، وقال ابن حارث: إنه من أنفسهم، وسلسلة نسبه المتقدم ذكرها آنفًا تدل علىٰ أنه من سليم نسبًا لا ولاءً.

وكانت إقامته بإلبيرة من الأندلس، انتقل إليها أبوه في فتنة الربض، ورحل إلىٰ المشرق سنة ثمان ومائتين، بعد وفاة الإمام مالك بن أنس بنحو ثلاثين عامًا.

وفي رحلته إلىٰ المشرق سمع من ابن الماجشون، ومطرف، وإبراهيم بن المنذر، وغيرهم، وانصرف إلىٰ الأندلس سنة عشر ومائتين، وقد جمع علمًا عظيمًا، ومن هنا نزل بلدة إلبيرة، ثم سكن قرطبة، وقد انتشر علمه وروايته، فنقله الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلىٰ قرطبة، ورتبه في طبقة المفتين بها، فأقام مع يحيىٰ بن يحيىٰ زعيمها، في المشاورة والمناظرة، وكان الذي بينهما يسيء جدًّا، وبعد وفاة يحيا انفرد عبد الملك بالرئاسة مُدَيْدَةً.

ولعبد الملك السلمي مكانة من العلم ممتازة، وقد أثنىٰ عليه العلماء الأعلام بها.

فقال ابن الفرضي: «كان عبد الملك حافظًا للفقه علىٰ مالك[(١)]، نبيهًا فيه، غير أنه لم يكن له علم بالحديث، ولا معرفة بصحيحه من سقيمه».

وسئل ابن الماجشون: «مَن أعلَمُ الرجلين: القروي التنوخي، أم الأندلسي السلمي؟ فقال: السلمي مَقْدَمَهُ علينا أعلم من التنوخي مُنْصَرَفَهُ عنا. ثم قال للسائل: أفهمت؟ وكان يخرج من الجامع وخلفه نحو من ثلاثمائة: من طالب حديث وفرائض وفقه وإعراب. وكان يجمع إلىٰ إمامته في الفقه، التنجيح في الأدب والتفنن فيه، وفي ضروب العلم، وكان فقيهًا مفتيًا، نحويًّا لغويًّا، نسابة إخباريًّا، عروضيًّا فائقًا، شاعرًا محسنًا، مرسلًا حاذقًا، مؤلفًا متفننًا.

ذكر بعض المشيخة أنه لما دنا من مصر - في رحلته إلىٰ المشرق من الأندلس - أصاب جماعة من العلماء بارزين لتلقي الرفقة علىٰ عادتهم، فكلما أطلَّ عليهم رجل له هيبة ومنظر رجحوا الظن به، وقضوا بفراستهم عليه، حتىٰ رأوه، وكان ذا منظر جميل، فقال قوم: هذا فقيه. وقال آخرون: شاعر. وقال آخرون: طبيب. وقال آخرون: خطيب. فلما كثر اختلافهم تقدموا نحوه، وأخبروه باختلافهم فيه، وسألوه عما هو؟ فقال لهم: كلهم قد أصاب، وجميع ما قررتم أحسنه، والخبرة تكشف الحيرة، والامتحان يجلي عن الإنسان، فلما حط رحله، ولقي الناس، شاع خبره، فقصد إليه كل ذي علم يسأل عن فنه، وهو يجيبه جوابَ محققٍ. فعجبوا من ثبوت علمه».

---

(١) سبق لنا آنفًا أنه لم يدرك مالك بن أنس في رحلته إلىٰ المشرق؛ إذ بين وفاة مالك ورحلته إلىٰ المشرق نحو ثلاثين عامًا.

مؤلفاته:

ولعبد الملك بن حبيب مؤلفات كثيرة، ذكروا أنها «حِسانٌ» في الفقه، والتاريخ، والأدب.

ومن أهم كتبه في الفقه: الكتب المسماة بـ«الواضحة» في السُّنن والفقه، قالوا: إنه لم يُؤلَّف مثلها.. ومنها «الجوامع»، وكتاب «فضائل الصحابة» و«غريب الحديث»، و«سيرة الإمام في الملحدين» وكتاب «تفسير الموطأ»، وكتاب «حروب الإسلام» وكتاب «المسجدين»، وكتاب «طبقات الفقهاء والتابعين»، وكتاب «مصابيح الهدىٰ»، وكتاب «إعراب القرآن»، وكتاب «الحسبة في الأمراض»، وكتاب «الفرائض»، وكتاب «السخاء واصطناع المعروف» وكتاب «كراهية الغناء»، وكتاب في «النسب»، وفي «النجوم»، وكتاب «الجامع في الفقه»، وكتاب فيه «مناسك النبي ﷺ»، وكتاب «الرغائب» وكتاب «الورع في العلم»، وكتاب «الورع في المال وغيره» في ستة أجزاء، وكتاب «الرياء» وكتاب «الحكم والعدل والعمل بالجوارح» وغير ذلك، وكتاب «الرهائن» في ثمانية أجزاء، وكتاب «الباه والنساء» ثمانية كتب؛ أي: أجزاء، وكتاب «المواعظ» سبعة أجزاء، وكتاب «فضائل عمر بن عبد العزيز»، و«فضائل مالك بن أنس»، وكتاب «في أخبار قريش[(١)] وأنسابها».

وقال القاضي عياض: إنه في خمسة عشر جزءًا. وكتاب «السلطان وسيرة الإمام» في ثمانية كتب -أي: أجزاء- وكتاب «الأصول والمغازي والحدثان» خمسة وتسعون كتابًا -أي: جزءًا- وكتاب «مغازي مقام رسول الله ﷺ» اثنان وعشرون

---

(١) تكررت كلمة «أخبارها» هنا في المطبوعة، ولما يبدو أنها من زيادة الطابع أو الناسخ أشرنا إليها هنا مكتفين بذلك.

كتابًا؛ أي: جزءًا، وله تواليف في الطب والحديث والفقه وتفسير القرآن ستون كتابًا؛ أي: جزءًا.

مكانته في الدولة الأموية بالأندلس:

كان ذا مكانة مرموقة في الدولة الأموية بالأندلس، وكان ذا حظوة لدىٰ الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وحصلت له حوادث ومشاكل، سلم منها بإخلاصه وعلمه الغزير وتقواه، ومن كان في منزلته لابد أن تناله قوارص الحساد، فكل ذي نعمة محسود، فكيف من كان ذا نعمتين كبيرتين: نعمة العلم الغزير والجاه الرفيع.

روىٰ القاضي عياض عن ابن الفرضي: أن ابن حبيب كان يأخذ بالرخصة في السماع، وأنه كان له «جَوارٍ يُسْمِعْنَهُ»، وقد انتقد القاضي عياض هذه الحكاية فقال: «الأشبه بُطلان هذه الحكاية، فإن لابن حبيب كتابًا في كراهة الغناء» وقد سبق أن ذكرناه آنفًا في جريدة أسماء مؤلفاته.

ولا ننسىٰ أن ابن الفرضي هذا قال عن عبد الملك بن حبيب: إنه من بني سليم ولاءً، لا من بني سليم بُنُوَّةً.. وقد يُشتمُّ من حكايته عن سماع ابن حبيب وحكايته أنه مولًىٰ - قد يشتم من ذلك وجود غرض معين دفين عند ابن الفرضي علىٰ ابن حبيب، وقديمًا كان في الناس الحسد.. والمعاصرة تذهب المناصرة..

لباسه وسيرته:

اعتناء المؤرخين القدامىٰ بذكر لباس عبد الملك بن حبيب، يدل علىٰ مكانته الدينية والعلمية والاجتماعية، فقد ذكروا أنه كان يلبس إلىٰ جسمه مسح شعر، تواضعًا.

وكان صوَّامًا قوَّامًا، ولم يكن مثريًا، آثر الفقر علىٰ الغنىٰ، وحينما نُعي إلىٰ سحنون استرجع وقال: «مات عالم الأندلس، بل والله عالم الدنيا!».

ويقول صاحب «نفح الطيب»: إن تواليف ابن حبيب بلغت ألفًا، علىٰ ما رآه في بعض التواريخ، ومن أشهرها كتاب «الواضحة» في مذهب مالك، كتاب كبير مفيد، وقال عنه: «ولابن حبيب مذهب في كتب المالكية مسطور، وهو مشهور عند علماء المشرق، وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر، وصاحب المواهب وغيرهما» وأورد له أبيات شعر، خاطب بها سلطان الأندلس.

وأورد المقَّري في «المَطْمَح» ترجمة عبد الملك بن حبيب التي أنشأها «الفتح» فيه.

جاء فيها قوله: «الفقيه أبو مروان عبد لملك بن حبيب السلمي، أيَّ شرف لأهل الأندلس وأي مَفْخَرٍ، وأي بحر بالعلوم يزخر» إلىٰ أن قال: «وسمع بالأندلس وتفقه، حتىٰ صار أعلم من بها وأفقه، ولقي أنجاب مالك، وسلك في مناظرتهم أوعر المسالك، حتىٰ أُجْمِعَ عليه بالاتفاق، ووقع علىٰ تفضيله الإصفاق - أي: الإجماع - ويقال: إنه لقي مالكًا في آخر عمره. وروىٰ عنه عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود صلىٰ الله عليهما وسلم كان يركب إلىٰ بيت المقدس فيتغدىٰ به، ثم يعود فيتعشىٰ بإصطخر»(١).

وأوجز «بروكلمان» ترجمته، فقال: «وُلد عبد الملك بن حبيب السلمي في حصن واط (Hut Orvega) القريب من غرناطة، بعد سنة (١٨٠هـ - ٧٩٦م) ولما ذهب إلىٰ الحج، تعرف بالمدينة علىٰ مذهب مالك بن أنس، واعتنقه، فلما رجع إلىٰ

---

(١) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» لأحمد بن محمد المقري التلمساني (ص٢١٤ و٢١٥) طبع مطبعة السعادة بمصر.

وطنه الأندلس، بذل نشاطًا كبيرًا في نشر هذا المذهب بالأندلس، واشتهر أيضًا أديبًا وشاعرًا، وتوفي يوم (٤ من رمضان سنة ٢٣٨هـ - ١٨ من فبراير سنة ٨٥٣م). وقيل: يوم (١٢ من ذي الحجة سنة ٢٣٩هـ - ٥ من أبريل سنة ٨٥٤م) وكانت وفاته بقرطبة.. وأول كتاب صنف في تاريخ الأندلس، وبقي إلىٰ الآن يُنسب إلىٰ أبي مروان عبد الملك بن حبيب السلمي المرداسي الإلبيري القرطبي[١].

نماذج من شعره:

تدلنا النماذج التالية من شعره، علىٰ شاعرية متمكنة، مطعمَّة بالعلم والدين، واستيعاب أوضاع المجتمع الذي يعيش فيه الشاعر العلامة عبد الملك بن حبيب السلمي.

كتب إلىٰ «الرشَّاش» الأديب، يستهديه «مدادًا» ووجه إليه مع الأبيات بقارورة كبيرة ليملأها «الرشاش» له حبرًا.. قال:

احتجت من حبر إلىٰ سقبه ... فامدد لنا من مُرَسَّاكَ
وابعثْ وإن قلَّ به طَيِّبًا ... ولا تكن دُونًا فنلحاك
ولا تهولنَّك قارورتي ... فإنها أقنَعُ من ذاك

وله يرفع طِلْبته إلىٰ الله تعالىٰ أن يهبه «ألفا من الصُّفر» -ولعلها عملة نقدية ذهبية معروفة إذ ذاك بهذا الاسم أو وصفٌ للدنانير- قال:

صلاح أمري والذي أبتغي ... هَيْنٌ علىٰ الرحمن في قدرته

---

(١) «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (ص٨٦) المجلد الثالث، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، طبع دار المعارف بمصر (١٩٦٢م).

ألــفٌ مــن الصــفْرِ وأقلِــل بهــا ... لعــــالمٍ أوفىٰ علــــىٰ بغيتــــه

زريـــاب قـــد يأخـــذها قفلـــة ... وصـــنعتي أشـــرف مـــن صـــنعته

و«زرياب» هو المغني المعروف الذي رحل من المشرق إلىٰ الأندلس ولاقىٰ غناؤه إقبالًا منقطع النظير هنالك.

وتقدم لنا أن عبد الملك بن حبيب قد رحل إلىٰ المشرق في طلب العلم؛ لأن المشرق كان يومئذٍ مصدر العلم والدين، وقد اشتاق عبد الملك إلىٰ اهله، وهو بالحجاز، فألهمته أشواقه الحرىٰ إليهم هذه القصيدة التي مُلِئَت حنينًا وذكريات إلىٰ المغرب الذي هو موطنه ومسقط رأسه ومرتع شبابه:

أُحِـبُّ بـلاد الغـرب، والغـرب مـوطني ... ألا كـــل غربتـــي إلـــيَّ حبيـــبُ

فيـــا جســـدًا أضـــناه شـــوق كأنـــه ... إذا نُضِـــيَت عنـــه الثيـــاب، قضـــيبُ

ويـــا كبـــدًا عـــادت رُفاتًـــا كأنهـــا ... يُلَـــدِّغها بالكاويـــات طبيـــبُ

بَلِيـــتُ وأبـــلاني اغترابـــي ونأيـــه ... وطـــول مقـــامي بالحجـــاز أجـــوبُ

وهـــولٌ كريـــهٌ ليلـــه كنهـــاره ... وسَـــيْرٌ حثيـــثٌ للركـــاب دءوبُ

فمـــا الـــداء إلا أن تكـــون بغربـــة ... وحســـبك داءً أن يقـــال غريـــبُ

فيـــا ليـــت شـــعري هـــل أبيـــتنَّ ليلـــة ... بأكنـــاف نهـــر الـــثلج حـــين يصـــوبُ

وحـــولي شـــيخان وبنتـــي وأمُّهـــا ... ومعشـــر أهلـــي، والـــرءوف مجيـــبُ

والمتأمل في هذه القصيدة تلوح له بين ثناياها، روحُ «حب الوطن» الغامرة.. كما يلوح له منها أن الشاعر كان قد استأنس في بعض أبياتها ومعانيها بقول بلال بن رباح حين ألمت به الحُمَّىٰ في المدينة، أثناء هجرته إليها:

ألا ليـــت شـــعري هـــل أبيـــتنَّ ليلـــة ... بـــوادٍ وحـــولي إذخـــرٌ وجَلِيـــلُ؟

و«بعض الأبيات» التي تطل من قريب علىٰ هذا البيت لبلال وهي قول عبد الملك:

فيـا ليـت شـعري هـل أبيـتن ليلـة ... بأكنـاف نهـر الـثلج حـين يصـوب
وحــولي شــيخان وبنتــي وأمُّهــا ... ومعشــر أهلـي والـرءوف المجيـب

كما يلوح للمتأمل في قصيدة عبد الملك أنه قد نسي دفعة واحدة أنه في الأصل من أهل الحجاز.. وأن أسلافه من «بني مرداس بن العباس» وجده «العباس بن مرداس» كانوا يستوطنون بهذا الحجاز الذي أصبح حفيدهم (عبد الملك) يتبرم من المكث فيه لشوقه العارم إلىٰ وطنه الجديد: «الأندلس» الذي تطفح عليه ذكرياته المتلامعة النضرة... فيقول عن نفسه:

بليــت وأبــلاني اغترابــي ونأيُــهُ ... وطــول مقــامي بالحجــاز أجــوبُ
فمــا الــداء إلا أن تكــون بغربــة ... وحســـبك داءً أن يقـــال: غريـــبُ

وهكذا نرىٰ ابن حبيب يتمثل فيه تمامًا قول ابن الرومي:

وحَبَّــبَ أوطــان الرجــال إلــيهمُ ... مــآربُ قضــاها الشــباب هنالكــا
إذا ذكـــروا أوطـــانهم ذكَّـــرتهم ... عهــود الصــبا فيهــا فحَنُّــوا لــذاكا

ونموذج من نثره:

بلغ عبد الملك بن حبيب تحامُلُ الفقهاء عليه، وحسدهم له، فشقَّ ذلك عليه.. فكتب إلىٰ الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأموي رسالة بليغة، بثَّه فيها ما يجيش بخاطره، وما يستدعي آلامه وقلقه.. وقد استشهد فيها بأبيات شعرية سوائر، تناسب مقتضىٰ الحال، قال:

«أسبغ الله علىٰ الأمير كرامته، وأعلىٰ في الجنة درجته، إن العذري قال -أكرم الله الأمير- أبياتًا أعجب بها العلماء، ما فيها مثل يضرب علىٰ الأمير في خاصة نفسي،

واليسير من التعرض يكفي غيره من التصريح.. قال الشاعر:

لذي اللب قبل اليوم ما تُقرع العصا ... وما عُلِّمَ الإنسان إلا ليعلما

وهي:

حسدوا الفتىٰ إذ لم ينالوا فضله ... فالقوم أعداءٌ له وخصومُ

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسدًا وبُغضًا إنه لدميمُ

يلقىٰ اللبيب مُشَتَّمًا لم يحترم ... شِيَمَ الرجال وعرضُه مشئومُ

وما هذا إلا كما قال زهير:

وأخو التحمي ليس يبرح حاملًا ... ذنبًا عليك عرفت أم لم تعرف»

وفاته:

توفي ابن حبيب في ذي الحجة سنة (٢٣٨هـ)، وقيل: سنة (٢٣٩هـ) أو (٢٣٧) إلا ستة أشهر، وقد بلغ ستًّا وخمسين سنة، أو ثلاثًا وخمسين، وقبره بقرطبة، بمقبرة أم سلمة في قبلة مسجد الضيافة، وصلىٰ عليه ابنه محمد أو يحيىٰ، وكانت وفاته في ولاية الأمير محمد، وقد رثاه أبو عبادة الرشاش ببيتين رواهما القاضي عياض، كما أورد بيتين آخرين رثاه بهما أحمد بن باجي. وخلَّف ابنين، هما: محمد وعبد الله[(١)].

عبد الله بن عبد الملك بن حبيب السلمي:

من أهل إلبيرة في الأندلس، وقد سمع من أبيه، وكان رجلًا صالحًا وله حظ من

---

(١) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» (ص٣٠ - ٤٨)، المجلد الثالث، طبع بيروت، وفي «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» (ص٢٥٠) طبع القاهرة: أن عبد الملك بن حبيب السلمي توفي سنة مائتين ونيف وتسعين.

العلم، حدَّث عنه محمد بن فطيس.

خلاد بن يحيى السلمي:

يكنىٰ خلاد، أبا محمد، وهو كوفي، نزيل مكة.

روىٰ عن إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفيراء، وعبد الرحمن بن أيمن، ومالك بن مِغْوَل، ومِسْعَر بن كدام، وغيرهم.

وروىٰ عنه البخاري، ومحمد بن إسحاق الصاغاني، وبشير بن موسىٰ، وحنبل بن إسحاق، ومحمد بن سليمان الباغندي، وأبو زرعة الرازي، وآخرون، وروىٰ له الترمذي (السلمي) وأبو داود السجستاني، ووصفه ابن نُمير بأنه «صدوق إلا أن في حديثه غلطًا قليلًا». وقال أبو داود: «ليس به بأس» وقال أبو حاتم: «محله الصدق، ليس بذاك المعروف» وقال أحمد بن حنبل: «ثقة أو صدوق ولكن كان يرىٰ شيئًا من الإرجاء»، وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال البخاري في «التاريخ الكبير»: «سكن مكة، ومات بها قريبًا من سنة ثلاث عشرة ومائتين».

وقد حصل اختلاف في تاريخ موته ما بين سنة (٢١٣) و(٢٢٠)(١).

أحمد بن يوسف السلمي:

نيسابوري من الحفاظ، كان ممن رحل إلىٰ اليمن، وأكثر عن عبد الرزاق وطبقته، وكان يقول: كتبتُ عن عبد الله بن موسىٰ، ثلاثين ألف حديث.

توفي سنة ٢٦٤هـ(٢).

(١) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين الفاسي (ص٢٤١ و٢٤٢) الجزء الرابع.
(٢) «مرآة الجنان» لليافعي (ص١٧٦) المجلد الثاني.

أبو عبد الله السلمي:

بغدادي، حدَّث عن ضمرة بن ربيعة، وأبي داود الطيالسي، وإبراهيم بن عيينة، وعن أحمد بن حنبل وروىٰ عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل.

ومن حديثه عن ابن حنبل عن زائدة عن الشيباني، عن عبد الملك بن ميسرة، قال: كنت بالمدينة، فشهد رجل أنه رأىٰ الهلال، فأمر ابن عمر أن يجيزوا شهادته»(١).

أبو سوار السلمي:

له حديث أورده كتاب «تاريخ واسط» لأسلم بن سهل الرزاز المتوفىٰ سنة (٢٩٢هـ-٩٠٥م).

وقد روىٰ أبو سوار السلمي هذا الحديث عن أبي حاضر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «احتجم رسول الله ﷺ بالقاحة وهو صائم»(٢).

ابن خزيمة السلمي:

هو محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر: إمام نيسابور في عصره، كان فقيهًا مجتهدًا عالمًا بالحديث، ولد وتوفي بنيسابور، ورحل إلىٰ العراق والشام والجزيرة ومصر وتفقه علىٰ المزني وغيره، ولقبه السبكي بإمام الأئمة، تربو مصنفاته علىٰ (١٤٠) كتابًا، منها كتاب «التوحيد وإثبات صفة الرب» ومولده بسنة (٢٢٣هـ) - ووفاته بسنة (٣١١هـ).

---

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ص٤٠٤) المجلد الرابع عشر.

(٢) «تاريخ واسط» لأسلم بن سهل الرزاز (ص١٤٨) طبع بغداد (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧)، والقاحة: موضع علىٰ ثلاث مراحل من المدينة في طريق مكة، معروفة إلىٰ اليوم بهذا الاسم.

وقال الدارقطني: «كان إمامًا معدوم النظير»[(١)].

بكار بن أحمد بن بكار السلمي:

نسبه ابن حزم هكذا: «بكار بن أحمد بن بكار بن عبد الله بن سعيد بن العباس بن مرداس. وقال عنه: «محدث، عابد، مات بمصر»[(٢)] ولم يعين سنة وفاته.

أحمد بن عبد الله بن نصر بن هلال السلمي:

ذكره الذهبي، وقال عنه: توفي سنة (٣٣٤هـ)[(٣)].

محمد بن مسعود العياشي السلمي:

أبو النضر، فقيه من كبار الإمامية، من أهل سمرقند، اشتهرت كتبه في نواحي خراسان اشتهارًا عظيمًا، وتزيد كتبه علىٰ مائتي كتاب، وقد أورد ابن النديم أسماء أكثرها[(٤)].

وفي نسخة «فهرست ابن النديم» المطبوعة بمطبعة الاستقامة بمصر عنه - وهي كثيرة الأغلاط المطبعية: «أبو النضر محمد بن مسعود من أهل سمرقند، وقيل إنه من بني تميم، من فقهاء الشيعة الإمامية، أوحد دهره وزمانه في غزارة العلم»[(٥)].

وربما كانت لفظة (تميم) المذكورة محرفة عن (سُليم) لأنهما متقاربتان في

---

(١) «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (ص٢٥٣) المجلد السادس، و«مرآة الجنان» (٣٦٤) الجزء الثاني.
(٢) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص٢٦٢).
(٣) «تذكرة الحفاظ» (ص٨٤٧) الجزء الثالث.
(٤) «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (ص٣١٦) الجزء السابع، الطبعة الثالثة بيروت.
(٥) «الفهرست» لابن النديم (ص٢٨٨ و٢٨٩) طبع مطبعة الاستقامة بمصر.

الخط، ولم يعول الأستاذ خير الدين الزركلي في (سُلمية) العياشي علىٰ «فهرست ابن النديم» وحده، بل أتىٰ بمستندات أخرىٰ علىٰ ذلك هي: «النجاشي»، و«سفينة البحار»، و«منهج المقال»، و«الذريعة».

ويدلنا إسناد كونه سلميًّا إلىٰ «فهرست ابن النديم» علىٰ أن هناك نسخة تنص علىٰ ذلك. توفي العياش السلمي نحو سنة (٣٢٠هـ - ٩٣٢م).

هياج بن العلاء السلمي:

هو صاحب واصل بن عطاء أحد رؤساء المعتزلة. صحبه في علم الكلام، وتضلع فيه[(١)].

أبو عروبة الحسن بن أبي معشر السلمي:

هو الحافظ أبو عروبة الحسن بن أبي معشر محمد بن مودود السلمي، توفي سنة (٣١٨هـ) وهو في عشر المائة[(٢)].

منصور بن عمار السلمي الواعظ:

أصل منصور من خراسان، أو البصرة، سكن بغداد، وحدث بها، وجدُّهُ كثير، وكنيته أبو السري، وهو واعظ بليغ مؤثر، فصيح البيان.

حدَّث في بغداد عن جملة علماء، منهم معروف أبو الخطاب صاحب واثلة بن الأسقع، وليث بن سعد، وغيرهما، وروىٰ عنه ابنه: سليم السلمي، وعلي بن خشرم،

---

(١) «مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» لأحمدبن مصطفىٰ الشهير بطاشكبري زاده (ص١٦٩) الجزء الثاني.

(٢) «مرآة الجنان» (ص٢٧٧) المجلد الثاني.

ومحمد بن جعفر لقلوق وغيرهم.

وقال أبو عبد الرحمن بن محمد الحسين السلمي: إنه من أهل مَرْوَ، من قرية يقال لها: (دنداقان) ويقال: من أهل (أبيورد) أو من أهل (بوشنج).

لمنصور بن عمار حديث بسنده المتصل إلىٰ واثلة بن الأسقع. قال واثلة: لما أسلمت أتيت النبي ﷺ، فأسلمت علىٰ يديه، فقال لي: «**اذهب فاحلق عنك شعر الكفر واغتسل بماء وسدر**».

قدوم منصور إلى مصر:

حين قدم منصور بن عمار إلىٰ مصر جلس يقص علىٰ الناس، فسمع كلامه الليثُ بن سعد فاستحسن قصصه، وفصاحته، فقال له الليث: يا هذا، ما أقدمك إلىٰ بلدنا؟ قال: طلبتُ أكتسب بها ألف دينار. فقال له الليث: فهي لك علىٰ رصين كلامك هذا الحسن، ولا تتبذل، فأقام بمصر في جملة الليث بن سعد وفي جرايته، إلىٰ أن خرج عن مصر فدفع له الليث ألف دينار، ودفع إليه بنو الليث أيضًا ألف دينار، فخرج فسكن بغداد وبها توفي.

ويتحدث منصور بن عمار عن نفسه أثناء إقامته بمصر فيقول: «لما قدمتُ إلىٰ مصر، وكان الناس قد قحطوا، فلما صلَّوا الجمعة رفعوا صواتهم بالبكاء والدعاء، فحضرتني النية، فصرتُ إلىٰ صحن المسجد، فقلت: يا قوم تقربوا إلىٰ الله بالصدقة، فإنه ما تُقُرِّبَ إليه بشيء أفضل منها.. ثم رميت بكسائي، ثم قلت: اللهم هذا كسائي، وهو جهدي وفوق طاقتي، فجعل الناس يتصدقون ويعطوني ويلقون علي الكساء، حتىٰ جعلت المرأة تلقي خُرْصَها وسخابها (قلادتها) حتىٰ فاض الكساء من أطرافه، ثم هطلت السماء، فخرج الناس في الطين والمطر.

فلما صُلِّيَت العصر قلت: يا أهل مصر أنا رجل غريب ولا علم لي بفقرائكم، فأين فقهاؤكم؟ فدُفِعتُ إلىٰ الليث بن سعد، وابن لهيعة، فنظرا إلىٰ كثرة المال، فقال أحدهما لصاحبه: لا تحرك، ووكلوا بها الثقات حتىٰ أصبحوا.

فرُحْتُ، أو قال: فأدلجت إلىٰ الإسكندرية، وأقمت بها شهرين، فبينا أنا أطوف علىٰ حصنها وأُكبِّرُ فإذا أنا برجل يرمقني، فقلت: ما لك؟ قال: يا هذا، أنت قدمت من مصر؟ قلت: نعم! قال: أنت المتكلم يوم الجمعة؟ قال: قلت: نعم. قال: فإنك صرت فتنة علىٰ أهل مصر. قلت: وما ذاك؟ قال: قالوا: كان ذاك الخضر دعا، فاستجيب له. قلت: ما كان الخضر، بل أنا العبد الخاطئ.. قال: فأدلجت فقدمت مصر، فلقيت الليث بن سعد، فلما نظر إليَّ قال: أنت المتكلم يوم الجمعة؟ قال: قلت: نعم! قال: فهل لك في المُقام عندنا؟ قال: قلت: وكيف أقيم وما أملك إلا جُبتي وسراويلي؟ قال: قد أقطعتك خمسة عشر فدانًا، ثم صرت إلىٰ ابن لهيعة، فقال لي مثل مقالته -مقالة الليث- وأقطعني خمسة فدادين».

وهكذا أقام منصور بن عمار السلمي بمصر مكرمًا منعَّمًا.

مدلولات القصة:

والقصة المذكورة آنفًا تدلنا علىٰ أمور:

أولًا: أن منصور بن عمار كان واعظًا قديرًا ومخلصًا، وصالحًا موفقًا في حياته ولم يكن دجالًا من الدجاجلة.

ثانيًا: أن الليث بن سعد وهو إمام من أئمة العلم والدين من طبقة الإمام مالك بن أنس ومن أصدقائه - كان ثريًّا وجيهًا في مصر، وكان ينفق ماله في وجوه البر والخير، فهو ممن ينطبق عليه أول بيت الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

ثالثًا: وكذلك كان شأن زميله ابن لهيعة إلا أنه ربما كان أثل ثراء منه بدليل أنه أعطىٰ منصورًا ثُلث عطية الليث.

رابعًا: أن أهل مصر كانوا منذ القدم سريعي التأثُّر بالخيالات، فهاهو ذا أحدهم يتحدث عنهم ويقول لمنصور بن عمار ما معناه: إنه بعد استجابة دعائه وهطول المطر في مصر اعتقد أهلها أنه الخضر.

خامسًا: أن أهل مصر كانوا منذ صدر الإسلام يتسابقون إلىٰ فعل الخيرات رجالًا ونساءً.

من شواهد فصاحة منصور بن عمار:

كتب إليه بشر الحافي يقول له: اكتب إليَّ بما منَّ الله علينا. فكتب إليه منصور هذه الرسالة الوجيزة الضاربة في البلاغة صوب القمة:

«أما بعد يا أخي، فقد أصبح بنا من نعم الله ما لا نحصيه، في كثرة ما نعصيه، ولقد بيتُ متحيرًا فيما بين هذين، لا أدري كيف أشكره لجميل ما نشر، أو قبيح ما ستر».

إثراء منصور وإنفاقه في الخير:

ويبدو جليًّا أن منصور بن عمار قد أثرىٰ بأخرَةٍ، ونحن نراه ينفق إنفاق من لا يحسب للفقر حسابًا.

قال محمد بن موسىٰ: «شهدتُ منصور بن عمار القاص، وقد كلمه قوم فقالوا له: هذا رجل غريب يريد الخروج إلىٰ عياله.. فقال لابنه أحمد بن منصور: يا أحمد،

امضِ معهم إلىٰ أبي العوام البزاز، فقل له: أعطه ثيابًا بألف درهم، بل بأكثر من ذلك، حتىٰ إذا باعها صحَّ له ألف درهم.

ويمكن أن نستنتج من «تحويله» العطاء إلىٰ أبي العوام البزاز، أن أبا العوام هذا ربما يكون وكيل دكان منصور بن عمار الذي يباع فيه البز، ولذلك حوَّل عليه إعطاء الغريب من البز الذي بالدكان، وربما يكون أيضًا صديقه الأثير لديه.

الذي يعرف عن تجربة أنه سيدفع له قيمة ما حوله عليه من البز.. والتأويل الأول أقرب عندي، وخاصة إذا نظرنا إلىٰ قول منصور في آخر كلامه: (حتىٰ إذا باعها -أي: الثياب- صح له ألف درهم).. فإن هذا التعليل للتحويل وإعطاء الغريب من بز الدكان الذي يعمل فيه أبو العوَّام - يضع أصابعنا علىٰ أن الدكان لمنصور بن عمار، ويدلنا في نفس الوقت علىٰ أنه كان كل ما يملك أو جله، ويدلنا في نفس الوقت علىٰ أنه لم تكن لديه نقود بهذا القدر يوم أمر بالتحويل علىٰ أبي العوام.

وفاته:

توفي منصور بن عمار، ودفن ببغدد، بباب حرب، ووضع علىٰ قبره لوح منقوش عليه اسمه، وإلىٰ جانبه قبر ابنه سليم.. وهو غير ابنه أحمد الذي سبق ذكره آنفًا(١).

هذا، وقد ترجم الشيخ عبد الرزاق البيطار، منصور بن عمار بن كثير السلمي الخراساني الواعظ، وسماه باسمه المذكور، وذكر اسم أبيه: عمار، واسم جده: كثير، ونسبه إلىٰ سليم، ووصفه بأنه (صوفي) بدلا من وصف (الواعظ) الذي وصفه به الخطيب البغددي في «تاريخ بغداد» والبغدادي من أهل القرن الخامس الهجري، ومنصور بن عمار من أهل القرن الثالث الهجري، وجعله الشيخ عبد الرزاق (دمشقيًّا)..

---

(١) «تاريخ بغداد» (ص٧١ - ٧٩) المجلد الثالث عشر.

وموضوع كتاب الشيخ عبد الرزاق البيطار علىٰ ما ورد نصًّا في عنوان الكتاب: «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» هو تراجم أهل القرن الثالث عشر الهجري.

وقال الشيخ البيطار عن منصور بن عمار أثناء ترجمته له كشخصية صوفية بارزة من أهل القرن الثالث عشر الهجري ما نصه: «إنه كان مسرفًا علىٰ نفسه ثم تاب» وأورد قصة وجوده رقعة مكتوبًا فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم» فلم يجد لها موضعًا يضعها فيه فأكلها فرآىٰ في المنام قائلًا يقول له: قد فتح الله عليك باب الحكمة لاحترامك للرقعة. فقام من نومه نادمًا علىٰ أفعاله، تائبًا من وقوعه في أوحاله، مقبلًا علىٰ مولاه، معرضًا عما سواه.. ففتح الله عليه أبواب القبول، وسهل له أسباب الوصول، ومنحه من العلوم الإلهية والتجليات العرفانية ما أثبت له الفضيلة» ... إلخ، وقد جعل الشيخ عبد الرزاق البيطار وفاة (منصور بن عمار بن كثير السلمي) (في دمشق في سنة ألف ومائتين و..)[(١)].

ويبدو لي أن الثابت في التاريخ هو أن منصور بن عمار السلمي الواعظ كان معاصرًا لليث بن سعد، وكان من أهل القرن الثالث الهجري، وقد استوفىٰ ترجمته الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» حسب ما سبق بيانه.

عباس بن الوليد بن صبح الحلال أو (الخلال) السلمي:

أبو الفضل الدمشقي، روىٰ عن زيد بن يحيىٰ بن عبيد الدمشقي، وأبي مسهر، وعبد السلام بن عبد القدوس الشامي وغيرهم، وروىٰ عنه ابن ماجه، وأبو حاتم، وغيرهما.

---

(١) «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» الجزء الثالث (ص١٥٦٢)، طبع مطبعة الترقي بدمشق سنة (١٩٦٤م).

قال أبو حاتم: شيخ. وقال الآجري عن أبي داود: كتبتُ عنه، وكان عالمًا بالرجال والأخبار، وقال محمد بن عوف الطائي: كان أبو مسهر ومروان بن محمد يقدمانه، ويرحبان به.

وقال عمرو بن دحيم: مات لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين.. وذكره ابن حبان في الثقات[(١)].

محمد بن أحمد بن حكيم بن كثير السلمي:

أبو الحسن، بغدادي، كان يذكر أنه ابن أخي منصور بن عمار.

وحدث عن سليم بن منصور بن عمار، وروىٰ عنه عبد الله بن عدي الحافظ، وذكر أنه سمع منه بجرجان[(٢)].

أبو عون أحمد بن المنجم السلمي:

هو ابن أخي هلال أبي المنجم، وأحمد بن أبي المنجم، وهو شاعر ومتكلم ومترسل.

له من الكتب: «كتاب التوحيد»، و«أقاويل الفلاسفة»، وكتاب «النواحي في أخبار الأرض»، وقيل: إن الكتاب الأخير هو لأبي إسحاق بن أبي عون الذي هو ابن هذا المترجَم[(٣)]، ولم يفدنا ابن النديم في «فهرسته» عن تاريخ مولده ومكان مولده، وتاريخ وفاته ومكانها. وله العذر، فإن كتابه إنما هو كاسمه «فهرست»، والفهرست

---

(١) «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (ص١٣١) المجلد الخامس، طبع حيدر آباد دكن.

(٢) «تاريخ بغداد» (ص٢٩٣) الجزء الأول.

(٣) «الفهرست» لابن النديم (ص٢١٧) مطبقة الاستقامة بمصر.

ليس من شأنه أن يحمل التفاصيل، كما تحملها الكتب التي هي أوسع نطاقًا من الفهارس أو من كتب الفهارس.

أبو إسحاق بن أبي عون السلمي بالولاء:

أبو عون الذي هو والد إسحاق، هو ابن أحمد بن المنجم، وكان أبو إسحاق من أصحاب جعفر محمد بن علي الشلغاني المعروف بابن أبي العزاقر.

وأُخِذَ معه أبو إسحاق فضربت عنقه بعده.. وذلك أن أبا إسحاق عُرِض عليه أن يشتم ابن أبي العزاقر، وأن يبصق عليه، فأبىٰ وأرعد، وأظهر خوفًا من ذلك، للحَيْن والشقاء[(١)]. وهذا يدل علىٰ أنه يعتقد فيه ما يحول بينه وبين توجيه أية إهانة منه إليه، فكان عقابه القتل معه، استئصالًا لفتنته وزيغه في عصرٍ كثر فيه مروجو الفتنة والزيغ والإلحاد.

وكان ابن إسحاق -علىٰ ما حكاه ابن النديم- من أهل الأدب، مؤلفًا للكتب، ناقص العقل، ولولا نقصان عقله ما تعَبَّدَ لابن أبي العزاقر، واعتقد فيه الألوهية.

وله كتاب «النواحي في أخبار البلدان» وتتمة عُنوان هذا الكتاب هي: «الأرض» لا «البلدان».

وكأنَّ ابن النديم سها أخيرًا عما كتبه أولًا في ترجمة أبي عوف، والد ابي إسحاق، فيما يتعلق باسم هذا الكتاب، فأخذ تكملة اسمه من معنىٰ اسمه الذي سبق

---

(١) في النسخة المطبوعة بمطبعة الاستقامة من كتاب الفهرست لابن النديم: «للجبن» بالجيم والباء التحتية الموحدة. وقد رجحنا أن تكون صحة الكلمة: «للحين» بفتح الحاء المهملة بعدها ياء تحتية مثناة ساكنة، وذلك بدليل سياق الكلام.. فقد وردت بعدها كلمة: (والشقاء).. وهي تتناسب مع (الحين بمعنىٰ الهلاك) بخلاف كلمة (الجبن).

أن أورده، فالأرض والبلدان متقاربتا المعنىٰ.

ولأبي إسحاق أيضًا كتاب «الجوابات المسكتة»، وكتاب «التشبيهات»، وكتاب «بيت مال السرور» وكتاب «الدواوين» وكتاب «الرسائل»[(١)].

محمد بن عيسى بن سورة الترمذي السلمي:

الإمام الترمذي صاحب «الكتاب الجامع» في الحديث النبوي، الذي هو أحد الصحاح الستة، هو من بني سُليم بن منصور؛ فهو من مفاخرهم الخالدة في الدين والعلم الإسلامي.

وقد ذكروا أن اسم جده الثاني لأبيه هو: موسىٰ.

والترمذي أحد حفاظ حديث الرسول، وكتابه «الكتاب الجامع» من أهم كتب الحديث النبوي، ومن أحسنها تأليفًا وتنسيقًا وصحة.

كان مولده سنة بضع ومائتين للهجرة، وسمع كثيرًا من كبار العلماء، وأخذ علم الحديث عن أبي عبد الله البخاري، وروىٰ عنه كثيرون، وذكره ابن حبان في الثقات، وكان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر.

ومن كتبه غير الكتاب الجامع: «شمائل رسول الله ﷺ»، وكتاب «العلل»، و«رسالة في الخلاف والجدل والتاريخ».

وينسب إلىٰ «بوغ» فيقال له: «البوغي» ويضرب به المثل في علم الحديث، وكان ضريرًا[(٢)].

---

(١) «الفهرست» لابن النديم (ص٢١٧).

(٢) «الوافي بالوفيات»، لصلاح الدين الصفدي، الجزء الرابع (ص٢٩٤ و٢٩٥)، و«التاج المكلل» =

هذا وقد غلط الأستذ ناجي معروف حينما سماه «عيسىٰ بن سورة»(١).. فعيسىٰ بن سورة هو اسم أبيه وليس اسمه هو.. إن اسمه - كما أسلفناه آنفًا هو: «محمد بن عيسىٰ» وربما كان هذا الغلط ناشئًا من الطبع لا من المؤلف، فما أكثر أغلاط المطابع العربية في هذا الزمان وفيما سبقه من الأزمان.

وفاته:

توفي الترمذي في ثالث عشر رجب سنة (٢٧٩هـ) بترمذ أو بقرية بوغ.

سفيان السلمي:

من أهل مدينة واسط وقدم بغداد.

وهو سفيان بن حسين بن الحسن، مولىٰ بني سُليم، ومولاه بالذات هو عبد الله بن خازم السلمي القائد البطل المعروف، حدث سفيان عن الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وابن شهاب الزهري، وأبي بشر جعفر بن إياس، وروىٰ عنه شعبة، وهشيم، ومحمد بن يزيد، وعباد بن العوام، ويزيد بن هارون، وغيرهم.

ضمه المنصور أبو جعفر العباسي إلىٰ المهدي، يُعلمه، وخرج معه إلىٰ الري.

وكان مؤدِّبَ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، ثم أدب ولد يزيد بن هبيرة، ثم

=

لصديق حسن القنوجي (ص١١٢) طبع بومباي سينة (١٣٨٣ هـ-١٩٦٢م)، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (ص١٠٤ و١٠٥) الجزء الحادي عشر، و«الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (ص٢١٣) الجزء السابع، طبع مصر، و«مرآة الجنان» لليافعي (ص١٩٣) الجزء الثاني، طبع مطبعة حيدر آباد دكن.

(١) «علماء ينسبون إلىٰ مدن أعجمية وهم من أرومة عربية»، للأستاذ معروف ناجي (ص٢) طبع بغداد سنة (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م).

ضمه المنصور إلىٰ المهدي.

وكان حسن الصوت في قراءة القرآن وطلب منه أبو جعفر المنصور أن يقرأ له شيئًا من القرآن فقال له: القرآن لا يُتلذذ به. فقال له الخليفة: عالم أنت؟ فسكت. فقال له الربيع -حاجب أبي جعفر المنصور-: أجب أمير المؤمنين! فقال له: سألني عن مسألة لا جواب لها.. إن قلت: لست عالمًا وقد قرأت كتاب الله كنت كاذبًا. وإن قلت: أنا عالم كنت بقولي جاهلًا.

وهذه براعة من سفيان، جابَه بها تدخل الربيع المعروف في تاريخه بالقسوة والضراوة، وقد أفحمه سفيان السلمي بهذا الجواب البارع، وسد عليه أبواب الاعتراض والتدخل من كل جهة..

كان سفاين ثقة مضطربًا في الحديث، وكان صاحب تفسير.

سئل أحمد: سفيان أحبُّ إليك أو صالح بن أبي الأخضر؟ قال: سفيان بن حسين.

ووثقه يحيىٰ بن معين، ولكنه قال: «هو ضعيف الحديث عن الزهري» وقال عنه: «لأنه ليس من أكابر أصحاب الزهري.. أكابرهم المعتمد عليهم منهم: معمر، وشعيب، وعقيل، ويونس، ومالك. وربما قال: وابن عيينة».

ووثقه أحمد بن عبد الله العجلي وقال: «سفيان بن حسين واسطي ثقة».

وفاته:

مات بالري في خلافة المهدي العباسي[١].

---

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ص١٥٠ و١٥١) الجزء التاسع.

محمد بن أحمد بن عباس: أبو جعفر السلمي، نقاش الفضة:

سمع محمد بن محمد بن سليمان الباغندي والحسن بن محمد المخرمي، وعبد الله بن محمد البغوي وغيرهم، وقد سأل الخطيب البغدادي -الأزهريَّ، عن أبي جعفر النقاش، فقال: ثقة، وقال: كان أحد المتكلمين علىٰ مذهب الأشعري، ومنه تعلم أبو علي بن شاذان الكلام.

ولد أبو جعفر السلمي للنصف من جمادىٰ الأولىٰ سنة (٢٩٤هـ). وقال الخطيب البغدادي: «سمعت منه في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، وكان يسكن درب الديزج. وتوفي سنة (٣٧٩هـ) بين الأحد أو الاثنين لستٍّ خلون من المحرم»[(١)].

الحسن بن أحمد: أبو محمد السُّلمي:

هو الحسن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن يحيىٰ بن خالد.

حدَّث ببغداد عن جده سعيد بن محمد، وغيره عمن رواه عنه يرفعه إلىٰ ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ كان إذا جدَّ به السير جمع بين المغرب والعشاء».

توفي الحسن السلمي الرهاوي بسنة ٣٢٩هـ في الرها[(٢)].

أبو عمرو بن نجيد السلمي:

إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمي النيسابوري أبو عمرو: زاهد عابد، له جزء في الحديث، قال ابن الجوزي: كان ثقة، وكان شيخ الصوفية في نيسابور، وكان يقول: «من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد

---

(١) «تاريخ بغداد» (ص٣٢٥ و٣٢٦).

(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ص٢٧١) الجزء الثاني.

أظهر جهله». «ومن لم تهذبه رؤيته فاعلم أنه غير مُهَذَّب». توفي بمكة سنة (٣٦٦هـ - ٩٧٧م)[١].

أبو طاهر السلمي:

هو ابن الفضل بن محمد بن إساحق بن خزيمة السُّلمي الفقيه الإمام أبو عبد الله ابن بطة الحنبلي، توفي سنة (٣٨٧هـ)[٢].

ولعل أبا طاهر هذا، حفيد الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة الذي مرت بنا ترجمته في هذا الفصل.

أبو عمر عبد الله السلمي:

عبد الله بن عبد الوهاب السلمي الأصبهاني المقري، توفي سنة (٣٩٤)[٣].

أبو عبد الرحمن: محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري السلمي:

له ترجمات في كتاب «الأنساب»، وممن ترجمه: الحافظ الذهبي، قال: «محمد بن الحسين: أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري، شيخ الصوفية، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم. تكلموا فيه، وليس بعمدة.

روىٰ عن الأصم وطبقته، وعُنِيَ بالحديث ورجاله، وسئل الدارقطني قال: قال الخطيب: قال لي محمد بن يوسف القطان: كان يَضَعُ الأحاديث للصوفية، وقال الحافظ عبد الغافر الفارسي في «تاريخ نيسابور»: جمع من الكتب ما لم يسبق إلىٰ

(١) «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (ص٣٢٦) المجلد الأول الطبعة الثانية بمصر.
(٢) «مرآة الجنان» لليافعي (ص٤٣٥) الجزء الثاني.
(٣) «مرآة الجنان» (ص٤٤٧) الجزء الثاني.

ترتيبه، حتىٰ بلغ فهرست تصانيفه مائة أو أكثر. وكتب الحديث بمرو، ونيسابور، والعراق، والحجاز.

وقال الخطيب البغدادي: قدم بغداد مرات، وحدَّث بها عن شيوخ خراسان، وصنف للصوفية سُننًا وتفسيرًا وتاريخًا، ونقده محمد بن يوسف القطان النيسابوري فقال عنه: «كان غير ثقة وكان يضع للصوفية الأحاديث».

ولكن الخطيب البغدادي قال عن أبي عبد الرحمن السلمي ما نصُّه: «قَدْرُ أبي عبد الرحمن عند أهل بلده جليل، وكان مع ذلك مجودًا صاحب حديث، وله دُوَيْرَة للصوفية.

وقال اليافعي في «مرآة الجنان»: «إنه صحب جده أبا عمر بن نجيد، وصنف التفسير والتاريخ، وترجم له ابن الأثير، فقال عنه: «وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسين ابن محمد بن موسىٰ السُّلمي الصوفي، وهو ابن بنت أبي عمرو بن نجيد السلمي، له تصانيف في علوم الصوفية لم يسبق إليها، ومؤلَّفه: «طبقات الصوفية» كبير»(١).

وكان مكثرًا من الحديث، روىٰ عنه الحاكم أبو عبد الله، ومات قبله بسبع سنين.

مولده ووفاته:

ولد سنة (٣٣٠هـ) وقد اتفق الحافظ الذهبي، وابن الأثير، واليافعي، علىٰ أن وفاته كانت في شعبان سنة (٤١٢هـ) إلا أن ابن الأثير حدد وفاته بثالث شعبان من تلك السنة(٢).

---

(١) طبع بمطابع دار الكتاب العربي بمصر سنة (١٣٧٢هـ-١٩٥٣م) في (٥٧١) صفحة.

(٢) «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي، طبع دار إحياء الكتب العربية، القسم الثالث (ص٥٢٣ و٥٢٤) و«اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (ص٥٥٤) الجزء الأول، طبع مكتبة القدسي بالقاهرة سنة (١٣٥٧)، و«مرآة الجنان» (ص٢٦) الجزء الثالث.

محمد بن الحسين بن موسى السلمي:

يُلقب بأبي عبد الرحمن، صنف كتاب «عيوب النفس ومداواتها»[(١)]. وقد توفي في شعبان (٤١٢هـ) الموافق (١٠٢١م). ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون»[(٢)].

أحمد بن عيسى أبو عقيل السلمي:

من بغداد، وهو أحمد بن عيسىٰ بن زيد بن الحسن بن عيسىٰ بن موسىٰ بن هادي بن مهدي، أبو عقيل السلمي القزاز.

سمع أحمد بن سلمان النجاد وغيره، وقال عنه الخطيب البغدادي: كَتَبْتُ عنه، وكان يسكن باب البصرة، وروىٰ له حديثًا بسنده إلىٰ عمرو بن تغلب.. قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تقاتلوا قومًا كأنَّ وجوههم المجانُّ المُطرقة**».

مولده ووفاته:

ولد في صفر من سنة (٣٣٨هـ)، وقال الخطيب البغدادي: «مات في يوم الأحد الثالث من شوال سنة (٤٢١هـ)[(٣)] ومعنىٰ ذلك أن وفاته كانت قبل وفاة الخطيب البغدادي باثنين وأربعين عامًا.

أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد السلمي:

هو أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد السلمي، اقتصر اليافعيُّ

---

(١) مخطوط في خزانة الرباط ورقمه (١٤١٩د).

(٢) فهرس المخطوطات العربية برباط الفتح القسم الثاني، الجزء الأول، للأستاذين علوش وعبد الله الرجراجي، طبع باريز (١٩٥٤)، بمكتبة الأستاذ خير الدين الزركلي.

(٣) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ص٢٨٤) الجزء الرابع.

في «مرآة الجنان» علىٰ القول بأنه توفي في سنة (٤٦٩هـ)(١).

وقال عنه عبد الحي بن العماد الحنبلي: «أحد رؤساء دمشق وعدولها». «روىٰ عن جده أبي بكر محمد بن أحمد بن عثمان وجماعته، وسمع بمكة من ابن جهضم، وحدَّد شهر وفاته وسنتها فقال: توفي في ربيع الأول سنة (٤٦٩هـ) في عشر التسعين. قاله في العبر»(٢). فهو إذن مُعَمَّر.

سلامة بن سليمان أبو الحسين السلمي:

هو سلامة بن سليمان بن أيوب بن هارون، أبو الحسين المقرَّي الباجدائي. حدَّث في بغداد بعد قدومه إليها عن جماعة، منهم أبو يعلىٰ الموصلي.

ويقول عنه الخطيب البغدادي: «ما علمت من حاله إلا خيرًا».

وروىٰ عنه بسنده إلىٰ بندار منامًا رأىٰ فيه بندارٌ سفيانُ الثوري بعد موته، علىٰ ما وصفه له عبد الرحمن بن مهدي. وكان قد طلب منه أن يصفه له ففعل(٣).

محمد بن حامد السلمي:

قدم بغداد. وهو محمد بن حامد بن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل، أبو أحمد السلمي الخراساني.

قدم بغداد حاجًّا في حياة الحافظ الخطيب البغدادي، وحدَّث بها عن محمد بن يزيد السلمي النيسابوري، وغيره، أحاديث منكرة، منها ما رواه عن محمد بن يزيد بن

(١) (ج٣/ ص٩٧).
(٢) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي (ص٣٣٣) الجزء الثالث.
(٣) تاريخ بغداد، (ص٢٠٢ و٢٠٣) الجزء التاسع.

عبد الله السلمي، عن سليمان بن قيس، عن أبي المعلىٰ بن المهاجر عن أبان، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيأتي من بعدي رجل يقال له النعمان بن ثابت ويُكنَّىٰ أبا حنيفة، ليحيينَّ دين الله وسنتي علىٰ يديه**».

ويقول الخطيب البغدادي: لم أكتب هذا الحديث إلا من هذا الوجه، وهو باطل موضوع.. ومحمد بن يزيد متروك الحديث، وسليمان بن قيس، وأبو المعلىٰ مجهولان، وأبان بن أبي عياش رُمِيَ بالكذب(١).

محمد بن علي بن عبد الله السلمي:

من بغداد. هو محمد بن علي بن عبد الله بن يعقوب بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن زيد بن عتبة بن فرقد: أبو الحسن السلمي. ويعرف بالحبري، لأنه كان يبيع الحبر بباب الشام - ببغداد.

وقد روىٰ حديثًا بسنده المتصل إلىٰ أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقوم الرجل من مجلسه إلا لبني هاشم**». وقد وثقه الخطيب البغدادي.. قال: «سألت عبد العزيز بن علي عن هذا الشيخ؟ فقال: بغداديٌّ ثقة(٢).

يوسف بن عبد الواحد السلمي:

سمع من أبي البيان القرشي الدمشقي: نَبَا بن محمد بن محفوظ المعروف بابن الحوراني شيخ الطريق البيانية بدمشق(٣).

---

(١) «تاريخ بغداد» (ص٢٨٨ و٢٨٩) الجزء الثاني.

(٢) «تاريخ بغداد «ص٨٨» الجزء الثالث.

(٣) «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (ص٢٠٤) الجزء السابع، طبع هندية بمصر.

ابن أبي الفضل المريسي السلمي.

هو محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي، أبو عبد الله مفسر علَّامة، ولد في ذي الحجة سنة (٥٦٩هـ) أو (٥٧٠ هـ) بمرسية، وكان رحالة، سمع بالمغرب من جماعة.

ورحل من المغرب سنة (٦٠٣هـ)، وعمره نحو ثلاث أو أربع وثلاثين سنة، وتجول في أنحاء العالم الإسلامي لطلب العلم، فدخل مصر، وسمع بها من علمائها، وبدمشق من قضاتها، ودخل بغداد، فصنع مثل ذلك، وممن سمع منهم ببغداد أبو أحمد بن عبد الوهاب، وممن سمع منهم بنيسابور: زينب الشعرية، سمع منها جزء ابن نجيد وغيره، ودخل هراة، وسمع من علمائها، وجاء مكة فتلقىٰ من الشريف يونس بن يحيىٰ الهاشمي وطبقته، وحدث بالكثير من أماكن عدة، منها مكة، وتردد إليها مرات، وجاور بها كَرَّات. سمع منه الحفاظ والأعيان من العلماء، وبالغوا في الثناء عليه.

وهو ضليع في علوم الحديث والقراءات والفقه والخلاف والنحو واللغة، وله مصنفات فيها، وكان زاهدًا متورعًا، كثير العبادة. وقد جاور بمكة سنين كثيرة.

وله تفسير كبير يزيد علىٰ عشرين سفرًا، وتفسير أوسط، في عشرة أجزاء، وصغير، في ثلاثة أجزاء. واختصر «صحيح مسلم» في جزأين. وله كتاب «الضوابط الكلية في علم العربية» وكتاب «الكافي في النحو» (ولم يتمه) بقي منه يسيرٌ. وكان مالكيَّ المذهب، كأكثر أهل الأندلس والمغرب.

وفاته:

توفي بين الزعقة أو الرعقة أو غزة، وبين العريش في مُتَوَجَّهِهِ من مصر إلىٰ

دمشق، ودُفن بيومه بتلِّ الزعقة، وكان ذلك اليوم يوم الإثنين منتصف شهر ربيع الأول سنة (٦٥٥هـ)، وكانت له كتب كثيرة بيعت بعد وفاته في نحو من سنة وكان فيها نفائس.

نماذج من شعره:

ومحمد بن عبد الله السلمي هذا كان يقول الشعر، وشعره أقرب إلىٰ شعر الفقهاء الأدباء.. قال:

قالوا محمد قد كبرتَ وقد أتىٰ ... داعي المنون وما اهتممت بزادِ
قلت الكريم مَن القبيح لضيفه ... عند القدوم مجيئه بالزادِ

ومن شعره عندما دخل بعض بلاد العجم، ولم يُعبأ به كأي غريب مجهول وافد:

أيجهلُ قدري في الورىٰ ومكانتي ... تزيد علىٰ مرقىٰ السماكين والنسرِ
ولي حسبٌ لو أنه متقسم ... علىٰ أهل هذا العصر تاهوا علىٰ العصرِ

وقال عندما دخل هراة في إحدىٰ رحلاته العلمية الواسعة في أنحاء العالم الإسلامي آنذاك:

دخلتُ هراة أستفيد علومها ... فألفيت ما فيها حميرَ الوَرَىٰ فهما
يمرون بي لا يعرفون مكانتي ... كأني دينار يمر به أعمىٰ

والبيت الثاني مضمن لغيره(١).

---

(١) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» (ص٨٥ و٨٦) الجزء الثاني.

شمس الدين بن سيده السلمي:

هو الشيخ شمس الدين أبو طالب محمد بن عبد الله بن صابر السلمي، عرف بلقب «ابن سيده» وهو من أهل بيت كبير في دمشق ومن أهل العلم والحديث والتصوف، صحب الشيخ عتيقًا وغيره، وكان يخضب شعره، توفي سنة (٦٣٧هـ)(١).

سلطان العلماء:

أبو العز عبد العزيز بن عبد السلام السلمي.

هو أبو محمد عز الدين، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء. واشتهر بالعز بن عبد السلام، والسلمي نسبة إلىٰ بني سُليم إحدىٰ القبائل المشهورة من مُضَر.

ويبدو لي أنه ربما كان من نسل بني سليم الذين دخلوا سورية مع القرامطة من قبل.

زار «سلطان العلماء» بغداد في سنة (٥٩٩هـ) فأقام بها شهرًا، وعاد إلىٰ دمشق.

وسمع من عبد اللطيف بن أبي سعد، والقاسم بن عساكر، وجماعة، وتفقه علىٰ فخر الدين بن عساكر، والقاضي جمال الدين بن الحرستاني، وقرأ الأصول علىٰ الآمدي، وبرع في الفقه والأصول والعربية، وفاق الأقران والأضراب، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه واختلاف أقوال الناس ومآخذهم.

وقد بلغ رتبة الاجتهاد في الفقه، ورحل إليه الطلاب من سائر البلاد، وصنَّف

---

(١) «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» المعروف بـ«الذيل علىٰ الروضتين» لأبي شامة المقدسي الدمشقي (ص١٦٨)، الطبعة الأولىٰ سنة (١٣٦٦هـ-١٩٤٧م).

التصانيف المفيدة، وروىٰ عنه الدمياطي، وخرَّج له أربعين حديثًا، وروىٰ له ابن دقيق العيد، وهو الذي لقبه بسلطان العلماء، وخلقٌ غيرهما.

وحينما عاد من بغداد إلىٰ دمشق، تولىٰ الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم بالجامع الأموي، وفي خطابته أزال كثيرًا من بدع الخطباء، ولم يلبس سوادًا، ولا سجع في خُطبه، كان يقولها مترسلًا، واجتنب الثناء علىٰ الملوك، وإنما كان يدعو لهم، وأبطل صلاة الرغائب والنصف من شعبان فوقع بينه وبين ابن الصلاح بسبب ذلك.

وحينما سلَّم الصالح إسماعيل قلعة «الشقيف»(١) و«صفد» للفرنج، نال منه الشيخ علىٰ المنبر، ولم يدعُ له، فغضب الملك من ذلك، وعزله وسجنه، ثم أطلقه.

فتوجه إلىٰ مصر، فتلقاه صاحب مصر الصالح نجم الدين أيوب، وأكرمه، وولاه قضاء مصر دون القاهرة والوجه القبلي، مع خطابة جامع مصر، فقام بمهمات المنصب خير قيام، ومكنه «الصالح» من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم اعتزل القضاء، وعزله السلطان من الخطابة، فلزم بيته، يُدرِّس الناس، وأخذ في التفسير في دروسه، وهو أول من أخذه في الدروس.. قال الشيخ قطب الدين اليونيني: كان مع شدته فيه حسن محاضرة بالنوادر والأشعار، ولما مرض أرسل إليه الملك الظاهر يقول: «إن في أولادك من يصلح لوظائفك!» فقال: لا!

وقد انتهت إلىٰ الشيخ عز الدين السلمي معرفة المذهب الشافعي مع الزهد والورع، وقمعه للضلالات والبدع، وكان يحضر السماع، وكان قائمًا خير قيام

---

(١) قلعة الشقيف الآن في لبنان بالجنوب وتشرف علىٰ فلسطين.

بالذب عن السنة، لا يقبل الهوادة أو المسايرة في ذلك مطلقًا، مع أي إنسان ولو كان السلطان.

ولهيبته العلمية في النفوس وصلاحه وورعه وتقواه لُقِّبَ بسلطان العلماء.. مما يذكرنا بما قاله الشاعر في الإمام مالك بن أنس:

يـأبىٰ الجـواب فمـا يُراجَـع هيبـة ... والسـائلون نـواكس الأذقـان

أدب العلـوم و«عـز سـلطان» التقـي ... فهـو المهيـب ولـيس ذا سـلطان

ومن لطائف المصادفات: أن الشاعر الذي مدح الإمام مالكًا، جاء في بيته الثاني قوله: «وعز سلطان التقىٰ» وهذه العبارة جمعت بين أوائل لقبي عبد العزيز بن عبد السلام السلمي اللذين هما: «عز الدين» و«سلطان العلماء».

مؤلفاته:

للعز بن عبد السلام مؤلفات كثيرة، في التفسير، وقواعد الأحكام، وفي الحديث، والعقائد، والأصول، والفتاوي، والسيرة، والتصوف، وفضائل الأعمال، وتربوا، مؤلفاته علىٰ ثلاثين كتابًا، أكثرها مخطوط.

ومن مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن: «كشفُ الإشكالات عن بعض الآيات»، ويلوح لي أنه هو الكتاب الذي قامت بطبعه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.. وكان عنوانه: «الفوائد في مشكل القرآن».

ومن مؤلفاته في علم الحديث: «مختصر صحيح مسلم».

ومن مؤلفاته في العقائد: «كتاب الأنواع في علم التوحيد»، ويوجد في مكتبة برلين.

ومن مؤلفاته في علم الفقه الإسلامي: كتب في الصلاة والصوم، و«مناسك الحج»، و«أحكام الجهاد وفضله»، و«اختصار النهاية» في الفقه الشافعي، و«الجمع بين الحاوي والنهاية»، و«الفتاوىٰ الموصلية» و«الفتاوىٰ المصرية».

ومن مؤلفاته في أصول الفقه: «قواعد الأحكام في مصالح الأنام».

ومن مؤلفاته في السيرة النبوية: «بداية السول في تفضيل الرسول عليه الصلاة والسلام».

ومن مؤلفاته في التصوف: «حل الرموز» و«مفاتيح الكنوز».

ومن مؤلفاته في فضائل الأعمال والعلوم المختلفة: «شجرة المعارف»، و«أدلة الأحكام»، و«الفتن والبلايا والمحن والرزايا»، و«ترغيب أهل الإسلام في سكنىٰ الشام».

وله وصية، منها نسخة بالمكتبة الظاهرية بالرقم (٥٢٥٨).

وقد وُصف العز بن عبد السلام بأنه «رزق قسامة في الوجه، ونعومة الأسارير، فهو مقبول الصورة، وكان مع ذلك جليلًا، وكان قوي الشخصية، ومع ذلك كان متواضعًا في مظهره بعيدًا عن التكلف، لا يتأنَّق لكاذب الحشمة ومألوف الوقار، حتىٰ لم يكن يتقيد بلبس العمة، علىٰ عادة العلماء والفقهاء، بل ربما لبس قبع لباد (طاقية الصوف) وكان يحضر المواكب السلطانية به.

وقد روىٰ الأستاذ خير الدين الزركلي أن من أمثال مصر القديمة قولهم: «ما أنت إلا من العوم ولو كنت ابن عبد السلام»[(١)].

(١) «كتاب الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (ص١٤٥) الجزء الرابع.

وقال عنه أبو محمد عبد الله بن سعد اليافعي في كتابه «مرآة الجنان»: «ومرتبته في العلوم الظاهرة مع السابقين في الرعيل الأول»[(١)].

مولده.. ووفاته:

ولد العز بن عبد السلام بدمشق ونشأ بها، ومولده كان سنة (٥٧٧هـ) أو (٥٧٨هـ).

وكانت وفاته بالقاهرة في جمادىٰ الأولىٰ سنة (٦٦٠هـ) ومشىٰ في جنازته الخاص والعام، وشيعه الظاهر، ولما بلغ خبر وفاته السلطان قال: «لم يستقر ملكي إلا الساعة، لأنه -أي: عز الدين- لو أمر الناس فيَّ بما أراد لبادروا إلىٰ امتثال أمره».

أبو جعفر محمد بن علي السلمي: مسند الشام:

العباسي الدمشقي، كان متزهدًا، حج مرارًا، وجاور، وتفرد عن أبي القاسم بن حصري، والبهاء عبد الرحمن، ورحل إليه.

توفي عن أربع وتسعين سنة، في عام (٧٠٨هـ)[(٢)].

يحيى بن خضر السلمي البصري:

يلقب بمحيي الدين، كان يعمل الحياكة في بيته، له نظم، فمن ذلك قوله في مليح أصابه رمد:

لما بدا وعلىٰ عينيه من رمد ... شعرٌ به ما لها شبه سوىٰ الغسق

(١) «مرآة الجنان» لليافعي، و«أئمة الفكر الإسلامي العز بن عبد السلام» لرضوان علي الندوي، من (ص٧٢ إلىٰ ص٨٣) طبع دمشق.
(٢) «مرآة الجنان» (ص٢٤٥) الجزء الرابع.

حسبته البدر فوق الجو يستره غيم وقد كحلت للشمس بالشفق

وله أيضًا في مثل ذلك:

هيهات ما عينه محمرَّة رمدا ولا بها مثل ما قال الورىٰ ألمُ

لكن أراق دم العشاق ناظرها وشاهد القتل في حد الحُسام دمُ

توفي سنة (٧١١هـ)(١).

سيف بن سليمان السلمي:

هو سيف بن سليمان بن كامل بن منصور بن علوان بن ربيعة، الموازيني السلمي الزرعي القاضي شرف الدين، سمع من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، ومن غيرهما، وحدَّث واشتغل وولي القضاء بعدة بلاد.

وُلِدَ سنة (٦٤٣هـ)، ومات بالقدس سنة (٧١٣هـ) في شهر جمادىٰ الأولىٰ، وكان مشكور السيرة، وله نظم قليل(٢).

أبو بكر السلمي:

ابن محمد بن أحمد بن عنتر السلمي: كمال الدين بن شرف الدين، سمع من إسماعيل بن عبد الرحمن القوصي، وحدَّث بالإجازة عن سبط السلفي، فأكثروا عنه جدًّا، وخرَّج له البرزالي جزءًا لطيفًا من عواليه، وحدث عنه جماعة من شيوخ ابن

---

(١) «درة الحجال» لابن القاضي، الجزء الثاني، طبع المطبعة الحديثة بالرباط سنة (١٩٣٤) من مكتبة الأستاذ خير الدين الزركلي.

(٢) «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني (ص١٨٣) الجزء الثاني، طبع مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد دكن.

حجر العسقلاني، وذكره أبو جعفر بن الكويك في معجم ابن جماعة.

ولد سنة (٦٤٥هـ)، ومات في ربيع الآخر سنة (٧٣٨)[١].

بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عرض بن عمر السلمي الدميري:

علم فقيه مالكي، مغربي.

يلقب بتاج الدين أبي البقاء، له ثلاثة شروح علىٰ مختصر خليل، وله كتاب شامل في الفقه المالكي وغير ذلك من تآليفه.

ولد سنة (٧٣٤هـ) – وتوفي سنة (٨٠٥هـ)[٢].

أبو البركات المعروف بابن الحاج البلفيقي السلمي:

من مشاهير القضاة بالأندلس.

وهو محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف السلمي، من ذرية العباس بن مرداس، فهو ابن عم عبد الملك بن حبيب السلمي المرداسي المترجم في هذا الكتاب.

ويعرف أبو البركات في بلده بابن الحاج، وفي غير لده بالبلفيقي. و«بلفيق» حصن من عمل مدينة المُرِّيَّة بالأندلس.. وبيت أبي البركات بيت دين وفضل.

---

(١) «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لأحمد بن حجر العسقلاني (ص٤٥٦) المجلد الأول، ط دار الكتب الحديثة بمصر.

(٢) «درة الحجال في غرة أسماء الرجال» لأحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن القاضي (ص١١٨) الجزء الأول، طبع المطبعة الجديدة في رباط الفتح بالمغرب، بمكتبة الأستاذ خير الدين الزركلي.

ذكر ابنُ الأبَّار جدَّه الأعلىٰ أبا إسحاق وأطنب في الثناء عليه بالخير والصلاح.

وكان أبو البركات ممن نشأ علىٰ طهارة وعفاف، واجتهد في طلب العلم صغيرًا وكبيرًا، وعبر البحر إلىٰ بجاية فأدرك بها المدرس المعمر أبا علي منصور بن عبد الحق المشدَّالي، وحضر مجالسه العلمية، وأخذ عنه وعن غيره من أهلها.

ثم قدم إلىٰ مراكش، وتجول فيما بينها من البلاد وأثار (آثر) السكنىٰ بسبتة، علىٰ طريقة جده إبراهيم الأقرب إليه.

ثم عاد إلىٰ الأندلس، فأقام منها بمالقة واختص بخطيبها الشيخ أبي عبد الله الطنجالي، وروىٰ عنه وعن غيره.

وقيد الكثير بخطه، ورام في ابتداء طلبه التشبه بالقاضي أبي بكر بن العربي في لقاء العلماء، ومصاحبة الأدباء، والأخذ من المعارف كلها، والتكلم في أنواعها، وكان كثير الضبط لحاله، مهتمًّا بالنظر في تثمير ماله، علىٰ رأي ابن سحنون الذي يقول: «ما أحب أن يكون عيش الرجل إلا علىٰ قدر ذات يده، ولا يتكلف أكثر مما في وسعه».

وكان أبو البركات يميل إلىٰ القول بتفضيل الغنىٰ علىٰ الفقر، ويبرهن علىٰ صحة ذلك ويقول: «وبخصوص البلاد الأندلسية، لضيق حالها، واتساع نطاق مدنها، ولاسيما في حق القضاة فقط شرط كثير من العلماء في القاضي أن يكون غنيًّا، ليس بمديان ولا محتاج».

ومن كلامه: «من اقتصر علىٰ التعيش من مرافق الملوك ضاع هو: ومن له، وشمله القُلُّ، وخامره الذُّلُّ، اللهم إلا مَن كان من القوة بالله قد بلغ من الزهد في الدنيا

إلىٰ الحد الذي يكسبه الراحة بالخروج من متاعها، وترك شهواتها، قليلها وكثيرها، مالها وجاهها، بأمر آخر، ومن لنا بالعون علىٰ تحصيل هذا المقام، ولاسيما في هذا الزمان، ولم يسمع من الولاة المتقدمين بالأندلس إلا ما حُكِيَ عن إبراهيم بن أسلم، وقد أراد الحكم المستنصر بالله رياضته، فقطع عنه جرايته فكتب إليه عند ذلك:

تزيد علىٰ الإقلال نفسي نزاهة ... وتأنس بالبلوىٰ وتقوىٰ مع الفقر
فمن كان يخشىٰ صرف دهر فإنني ... أمنت بفضل الله من نُوَبِ الدهر

فلما قرأ الحكم بيتيه، أمر برد الجراية وحَمْلِها إليه، فأعرض عنها، وتمنع من قبولها، وقال: «إني والحمد لله، تحت جراية من إذا عصيته لم يقطع عني جرايته، فليفعل الأمير ما أحب».

فكان الحكم بعد ذلك يقول: «لقد أكسبنا بن أسلم بمقالته مخزاة عظم منا موقعها، ولم تسهل علينا المقارضة فيها».

تولىٰ الشيخ أبو البركات القضاء في بلاد عديدة، منها: مالقة صدر عام (٧٣٥هـ) ثم نقل إلىٰ قضاء الجماعة بحضرة غرناطة والخطابة فيها، ثم صُيِّرَ إلىٰ مدينة المُرِّيَّة، ثم أعيد إلىٰ قضاء الجماعة، واستعمل في السفارة بين الملوك، فكان موفقًا في مهماته السياسية وكان كثير الرحلات من قُطر إلىٰ قُطر، والتنقل من عمل إلىٰ عمل، من غير استقرار في منزل أو محل ويقول في هذا المعنىٰ عن نفسه:

ماذا تقول: فدتك النفسُ في حالي ... يَفْنَىٰ زماني في حل وترحال

وكان شاعرًا، وله ديوان كبير سماه: «العذب الأجاج».. وهي تسمية لطيفة تدل علىٰ ذوق أدبي وشعري مرهف، لاسيما إذا علمنا أن ديوانه يحتوي من ضروب الأدب جدًّا وهزلًا، وله كتاب سماه: «المؤتمن في أنباء من لقيته من أبناء الزمن».

وفي مدينة المرية كان استقراره، إلىٰ أن توفي فيها في شهر رمضان عام (٧٧٣هـ) عن بنت أمتِهِ، وعن أربع زوجات، وعاصب بعد.

نماذج من شعره:

يقول ملغزًا:

ومُصْفَرَّةِ الخدين مطوية الحشا ... علىٰ الجبن والمصفرُّ يُؤذِنُ بالخوفِ
لها بهجة كالشمس عند طلوعها ... ولكنها في الحين تغرب في الجوفِ

ويقول في كتمان السر وحكمته:

إذا ما كتمت السرَّ عمن أودُّهُ ... توهَّمَ أن الود غير حقيقِ
ولم أخفِ عنه السرَّ من ضِنَّةٍ به ... ولكنني أخشىٰ صديق صديقِي

ويقول في الغُربة وأسبابها وملابساتها:

قالوا تغربت عن أهل وعن وطن ... فقلت لم يبقَ لي أهل ولا وطنُ
قضىٰ الأحبة والأهلون كلهمُ ... وليس بعدهم سكنىٰ ولا سكنُ
أفرغْتُ دمعي وحزني بعدهم فأنا ... من بعد ذلك لا دمع ولا حزنُ

ويقول عن «إخوان الخيانة»:

رعىٰ الله إخوان الخيانة إنهم ... كَفَوْنا مئونات البقاء علىٰ العهدِ
ولو قربوا كنا أُساریٰ حقوقهم ... نراوح ما بين النسيئة والنقدِ

ويقول متغزلًا:

يلومونني بعد العذار علىٰ الهوىٰ ... ومثلي في حبي له لا يُفَنَّدُ

يقولون أمسِكْ عنه قد ذهب الصِّبا وكيف أرىٰ الإمساكَ والخيطُ أسود

ابن عشائر السلمي:

ولد محمد بن علي بن محمد السلمي الحلبي أبو المعالي، ناصر الدين بن عشائر في سنة (٧٤٢هـ) – الموافقة لسنة (١٣٤١م) – وتوفي في سنة (٧٨٩هـ) – الموافقة لسنة (١٣٨٧م).. وهو حافظ مؤرخ، كان خطيب حلب، وسافر إلىٰ القاهرة فتوفي بها، وله مصنفات منها: «ذيل علىٰ تاريخ حلب لابن العديم» في أربعة مجلدات، و«تاج النسرين في تاريخ قِنَّسرين»[(١)].

أبو الفضل السلمي:

أحد علماء إفريقية الشمالية، ولعل اسمه وكنيته شيء واحد، ويكنىٰ أيضًا أبا القاسم السلمي الباجي، وهو أحد فقهاء تونس المدرسين بها.

قال أحمد القلقشاني: «كان فقيهًا محققًا، من أهل الدين والفضل والعلم التام».

توفي بتونس أول المحرم عام (٧٧٠هـ)[(٢)].

حسن بن أحمد السلمي المكي البزاز:

هو حسن بن أحمد بن محمد بن سلامة بن عطوف بن يعلىٰ السُّلمي الملكي البزاز –بزاءين منقوطتين– ويلقب: بدر الدين.

أجاز له جماعة من أصحاب الفخر بن البخاري وغيرهم، وحدَّث وهو من

---

(١) «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي عن مصادره.

(٢) «الحلل السندسية في الأخبار التونسية» لمحمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج (ص٦٨١ و ٦٨٢) الجزء الأول، القسم الثالث، طبع تونس.

شيوخ مكة الذين خرَّج لهم المحدث جمال الدين بن مرسي المراكشي، وصار كفيف البصر بأخرة، وكان يبيع الحرير والبز، ومن هنا لُقب بالبزاز[١]. وزاد السخاوي أنه يعرف بابن سلامة.

مولده ووفاته:

ولد حسن البزاز السلمي سنة إحدىٰ وخمسين وسبعمائة بمكة، وتوفي في ليلة ثالث جمادىٰ الأولىٰ سنة سبع وعشرين وثمانمائة، بمكة، ودفن بالمعلاة[٢].

محمد بن إبراهيم الصدر السلمي:

هو محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن الصدر: أبو المعالي بن الشرف السلمي المناوي نسبة لمنية القائد فضل بن صلح من أعمال الجيزية - (الجيزة) ثم القاهري الشافعي القاضي، سبط الزين عمر البسطامي القاضي.

حفظ القرآن والتنبيه وغيره، وسمع من الميدومي وغيره، وناب في الحكم وهو شاب، وولي إفتاء دار العدل، والتدريس بالشيخونية والمنصورية والسكرية، ودرَّس، وأفتىٰ قليلًا، وخرَّج أحاديث المصابيح، وتكلم علىٰ أماكن منه، وسماه: «كشف المناهي والتنافيح في تخريج أحاديث المصابيح»، وكتب شيئًا علىٰ جامع المختصرات، وغير ذلك.

---

(١) في «الضوء اللامع» للسخاوي جاء لقبه هكذا: (البزار) بالراء في الآخر.. ولعله تحريف إما من الناسخ أو من الطابع، راجع الصفحة (٩٤) المجلد الثالث.

(٢) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي (ص٦٦ و٦٧) الجزء الرابع، والضوء اللامع للسخاوي (ص٩٤) المجلد الثالث.

وولي القضاء بالديار المصرية، استقلالًا في أيام المنصور حاجي، ومدبر المملكة منطاس، عوضًا عن الناصري بن الميلق، وذلك في يوم الخميس سلخ شوال (٧٩١هـ) فباشر القضاء بشهامة واستقامة، إلىٰ أن صُرِفَ عنه بعد أقل من شهرين في (٢٧) ذي الحجة منها، بالبدر بن أبي البقاء، ثم أعيد في ثاني المحرم (٧٩٥هـ) ثم صرف في سنة (٧٩٦هـ) بالبدر بن أبي البقاء أيضًا، ثم أعيد في شعبان (٧٩٦هـ)، ثم صرف بأحد نوابه: التقي الزبيري، في جمادىٰ الأولىٰ (٧٩٩هـ). ثم أعيد في رجب (٨٠٠هـ).

ودرَّس بجامع طولون وجامع الشافعي، وغيرهما، من الوظائف المضافة إلىٰ القضاء، ومات الظاهر برقوق أثناء ولايته هذه، فأمن علىٰ نفسه، لكونه غير مطمئن إليه، لما اتفق من أن ابتداء ولايته كان من قبل منطاش والناصري، وفي أيام غير الظاهر برقوق لا يتجرأ أحد عليه، لما ثبت له من المهابة في قلوب الناس.

وعندما سافر «الناصر فرج» إلىٰ الشام لقتال الطاغية تيمور لنك سنة (٨٠٣هـ) كان «محمد السلمي» ممَّن برز معه، ولم يحسن المداراة مع عدوه فأهانه، وبالغ في ذلك حتىٰ مات في القيد، غريقًا في نهر الزاب بالفرات عند قنطرة باشا، في شوال من السنة المذكورة.

وكان بعض التمرية أسروه، ولما جازوا به النهر خاض الأمير هو وأتباعه، لازدحام غيرهم علىٰ القنطرة، فغرق القاضي، لتقصيرهم في حقه، بعد أن قاسىٰ أهوالًا، وكان مولده في ثامن رمضان سنة (٧٤٢هـ) وأبوه (إبراهيم) كان عندئذٍ ينوب في القضاء عن العز بن جماعة.

وله ترجمات في كتب عديدة، وممن ترجمه ابن ظهيرة، والمقريزي وآخرون.

وكان ذا هيبة عظيمة، وذا نزاهة، وقوة نفس، وحشمة، وكان ذا دنيا متسعة، وكان كثير التودد إلىٰ الناس، ومُوَقَّرًا عند الخاص والعام، محببًا إليهم.. وكان يُعْنَىٰ

بتحصيل نفائس الكتب، ولما استقل بالقضاء لان جانِبُهُ كثيرًا، مع تفضل علىٰ الطلاب بالإطعام، ومع مداراة لمن قد يقصر في حقه بالستر، مع قدرته علىٰ هتك ستره بالانتقام منه، ولم يعقب(١).

محمد بن عثمان بن محمد بن إسحاق السلمي:

جده الثالث هو: إبراهيم البدر بن الفخر بن التاج السلمي المناوي ثم القاهري الشافعي، أخو البهاء أحمد الماضي، استقر شريكًا له بعد موت أبيهما في تداريسه، وقد رأىٰ السخاوي بخطه أنه يروي عن ابن عم والده: الصدر المناوي.

وقال في ترجمته: «والظاهر أنه من أهل هذا القرن»، وأضاف قوله: «ثم رأيت من عرض عليه سنة ثلاث وثمانمائة»(٢) وبذلك تأكد أنه من أهل القرن الهجري التاسع الذي ترجم لهم السخاوي في كتابه وقصر تراجمه عليهم.

محمد بن مسعود السمرقندي السلمي:

صاحب التصانيف الكثيرة التي تزيد علىٰ مائتي مؤلف، وهو من أهل سمرقند.

أبو بكر السلمي:

هو أبو بكر آخر غير من سبقت ترجمته في هذا الفصل.

واسم أبيه: محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن الشرف بن التاج السلمي المناوي الشافعي، ولد قبل سنة (٧٦٠هـ). وأجاز له ابن جماعة فهرست مروياته، واشتغل قليلًا، وقرأ «التنبيه» وسمع علىٰ البهاء بن خليل وغيره، وناب في

---

(١) «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ص٢٤٩ و٢٥٠) الجزء السادس، طبع بيروت.
(٢) «الضوء اللامع» (ص١٤٩) الجزء الثامن.

الحكم عن ابن عمه الصدر محمد إبراهيم الذي تقدمت ترجمته في هذا الفصل، ودرَّس بعدة أماكن، وخطب بالجامع الحاكمي، وكان مُزْجَىٰ البضاعة.

مات أبو بكر السلمي هذا في جمادىٰ الآخرة سنة (٨٠٩هـ) وقد قارب الخمسين، وقال المقريزي: «مات علىٰ نحو الخمسين»[(١)].

محمد بن عثمان بن محمد السلمي السويدي الدمشقي:

سمع من ابن الشيرجي جزء الأنصاري، ومن علي بن موسىٰ الصفدي، والتقي بن رافع، وجماعة، ووقَّع في الحكم، في ولاية البلقيني لقضاء دمشق، وفاق أقرانه في ذلك.

قال ابن حجي: «كان صحيح العدالة، محررًا عارفًا بالشروط، انفرد بذلك في وقته، مع حسن خطه، وجودة ضبطه، وقد حدَّث قليلًا».

مات في ربيع الأول سنة (٨١٥هـ)[(٢)].

محمد بن عبد الله السلمي:

اسم والد أبيه المذكور: موسىٰ بن رسلان بن زين الدين موسىٰ بن إدريس بن موسىٰ بن موهوب، البدر أبو عبد الله بن الجمال أبي محمد بن الشرف أبي البركات السلمي، بضم المهملة - الدمشقي الشافعي.

ولد في ذي الحجة ليلة عرفة سنة (٧٥٣هـ) وحضر - وهو في الخامسة في عاشر رمضان سنة ثمان وخمسين[(٣)] علىٰ العماد بن كثير الحافظ، منتقىٰ من رابع حديث

(١) «الضوء اللامع» (ص٦٩) الجزء الحادي عشر.
(٢) «الضوء اللامع» (١٥٠) الجزء الثامن.
(٣) العماد بن كثير توفي سنة (٧٧٤هـ)، راجع «الأعلام» للزركلي (ص٣١٧ و٣١٨) الجزء الأول.

سعدان بسماعه علىٰ الحجار، وسمع علىٰ محمد بن موسىٰ بن سليمان بن الشيرجي جزء الأنصاري من الفوائد، وعلىٰ الشمس محمد بن موسىٰ بن سند الحافظ، بعض المائة انتقاء العلائي من مشيخة الفخر.. وحدَّثَ وسمع منه الفضلاء.

مات محمد بن عبد الله السلمي في ذي الحجة سنة (٨٣٧هـ)؛ أي: في الشهر الذي ولد فيه بعد أربع وثمانين سنة من عمره المديد[١].

محمد بن حسن السلمي:

جده الأول هو: أحمد بن محمد بن سلامة بن عطوف بن يعلىٰ السلمي المكي. مات المترجم - في مكة سنة (٨٤٤هـ)[٢].

منصور بن محمد بن عبد العزيز السلمي:

نَسَبَهُ السخاوي فقال: «منصور بن محمد بن عبد العزيز بن سليمان بن عمر السلمي المتناني -متنانة من أعمال بجاية- البجائيُّ المغربي المالكي».

ولد سنة (٨٦٥هـ)، وحفظ القرآن المجيد ببلده، ثم تحوَّل إلىٰ بجاية في سنة (٨٧٨هـ) فاشتغل في الفقه والأصلين والعربية والمنطق والفرائض والحساب، وغيرها، وارتحل إلىٰ تونس، وقدم القاهرة سنة (٨٧٩هـ) ليحج فلم يتيسر له، وتخلَّف عن الحج، وكتب السخاوي له إجازة، وكان والده محمد حيًّا، إذ ذاك، وكان يقرئ الناس في البادية، وحينما ترجم السخاوي لمنصور هذا، كان عمره قد بلغ ٦٥ عامًا[٣].

---

(١) «الضوء اللامع» (ص١١٥) الجزء الثامن.
(٢) «الضوء اللامع» (ص٢١٨) الجزء السابع.
(٣) المصدر السابق (ص١٧٢) الجزء العاشر.

أحمد بن محمد بن علي بن محمد:

الشهاب، السلمي، المنصوري، الشافعي ثم الحنبلي.

يعرف المُتَرْجَمُ بابن الهائم وبالمنصوري. و«المنصوري نسبة إلىٰ المنصورة بمصر.

ولد ابن الهائم في سنة (٧٩٨هـ)، وقال فيما كتبه إنَّ مولده كان سنة (٧٩٩هـ)، وبلفظه أنه قبيل القرن بيسير، في المنصورة، ونشأ بها فحفظ القرآن ثم انتقل منها إلىٰ القاهرة، فحفظ التنبيه والملحة في النحو: «ملحة الأعراب» ودرس «التنبيه» علىٰ الشرف عيسىٰ الأقفهسي، و«ألفية بن مالك» علىٰ الشمس بن الجندي.. وسمع الحديث علىٰ شيخ السخاوي والرشيدي، وتنزل في حنابلة الصوفية، بالشيخونية، وتعانىٰ الأدب، وطارح الشعراء، وصار بأخرة أوحد شعراء القاهرة مع عدم تقدمه[(١)] في الفنون، حتىٰ كان العز قاضي الحنابلة -وناهيك به- يرجحه علىٰ كثيرين. وقد حج وامتدح النبي ﷺ بعدة قصائد.

وقال في مولود وُلِدَ للسخاوي، يهنؤه به:

لِيَهْنِكَ شمس الدين فَرْعُك مشبهٌ ... سجاياكَ، والقطر الشهيُّ من الطخا
وذلك من جود الإله وفضله ... ففرعك من جود[(٢)] وأصلُكَ من سخا

وإذا كان هذا «نموذج» روائع شعر ابن الهائم السلمي في نظر السخاوي ومعاصريه

---

(١) مما يسترعي الانتباه، استعمال محمد بن عبد الرحمن السخاوي وهو من أهل القرن الهجري العاشر. لصيغة: (التقدم) في المعنىٰ الذي تستعمل له في العصر الحديث وفي الأدب الحديث.

(٢) في طبعة أوفست كونروغرافير، بيروت، ما نصه: (فقرعك) بالقاف بعد الفاء، وواضح من سياق البيت أن الصحة: (ففرعك) بفاءين كما أثبتناه.

من أهل القرن التاسع الهجري –وقد قال السخاوي في شعره: (صار بأَخَرَةٍ، أوحد شعراء القاهرة)– فإن الشعر في ذلك العصر عامة كان في دركة منحطة...

وعجيبٌ أن يضيف السخاوي إلىٰ وصفه لابن الهائم بالأوحدية بين شعراء القاهرة، قوله: (مشارًا إليه بالشعر في الآفاق) إذ مفهوم ذلك أنه كان في نظر معاصريه من أعلام شعراء الآفاق، مشارًا إليه بينهم برفعة الشاعرية والإبداع فيها والإمتاع..

مات ابن الهائم بعد انقطاعه يوم الإثنين، سادس جمادىٰ الآخرة سنة (٨٨٧هـ)[١].

ابن الحاج السلمي:

هو: «الطالب بن حمدون بن الحاج حمدون السلمي، المعروف بابن الحاج. وهو مغربي الموطن علىٰ ما يبدو من اسمه.. وله من المؤلفات: «حاشية علىٰ شرح بَحْرَق علىٰ لامية الأفعال لابن مالك»[٢] وكتاب «العقد الجوهري» من فتح الحي القيوم في حل شرح الأزهري علىٰ مقدمة ابن آجروم».. وهي حاشية علىٰ شرح الشيخ خالد الأزهري علىٰ «الآجرومية» أتمَّها سنة (١٢٦٩هـ)[٣].

محمد بن حمدون المرداسي السلمي:

عالم جليل من فاس، بالمغرب الأقصىٰ.. له مشاركة في العلوم، وكُتُبٌ كثيرة، منها: «النشر علىٰ مبادئ العلوم العشر» و«الإشراف علىٰ من مات بفاس من مشاهير الأشراف».

---

(١) «الضوء اللامع» (ص١٥٠ و١٥١) الجزء الثاني.

(٢) طبعت بفاس في سنة (١٣١٥هـ) وبمصر.

(٣) «معجم المطبوعات العربية والمعربة» ليوسف إليان سركيس (ص٧٠).

توفي سنة (١٢٧٤هـ-١٨٥٨م).

وقال عنه صاحب «معجم المؤلفين» استنادًا إلىٰ «معجم المطبوعات العربية والمعربة» لإليان سركيس وعلىٰ «فهرس المكتبة التيمورية» بمصر، و«فهرس دار الكتب المصرية» - إنه نَظَمَ «أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك» و«حواشي عليه» لابن هشام، مع شرح النظم للمؤلف.

وقد راجعنا ما ورد في «معجم المطبوعات العربية والمعربة» فإذا الأمر كما ورد في «معجم المؤلفين»، وقد أضاف إليانُ سركيس إلىٰ ما ذُكر قوله: «وبأوله ترجمته، وإنه -أي الكتاب الذي نظم به أوضح المسالك طبع بفاس سنة (١٣١٨هـ)»(١).

* * *

(١) «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (ص٢٧٠) الجزء التاسع، و«معجم المطبوعات العربية والمعربة» (ص٧٠) طبع مطبعة سركيس بمصر سنة (١٣٤٦هـ-١٩٢٨م).

عالمات من بني سُليم

مشاركة النساء للرجال في العلوم الإسلامية، وعلم الحديث النبوي خاصة، أمر سارت بذكره الركبان.. بل إن النساء بالنسبة لعلم الحديث خاصة، قد كُنَّ في طليعة رواته عن النبي ﷺ، وتدوين علم الحديث وطبقات رواته من صحابة وصحابيات ومن تابعين وتابعات وممن جاءوا أو جئن بعدهم، طفحت به الكتب المعتبرة من قديم الزمان، وكثيرًا ما نجد من حُفاظ الحديث ورجاله ممن يشار إليهم بالبنان، من يذكر في مشايخه وإسناده بعض النساء المزكيات في الورع والرواية والدراية، ومن يراجع أسفار هذا العلم يجد الشواهد تترىٰ علىٰ ما قلناه.

وفي أثناء تجوالنا بين المصادر القديمة والحديثة وجدنا امرأة واحدة من بني سُليم، قد أسهمت في هذا الميدان، فأدرجناها في هذا الفصل.

زينب بنت الخطيب يحيى ابن الشيخ عز الدين بن عبد السلام السلمية:

هي حفيدة «سلطان العلماء» عبد العزيز السلمي المشهور بلقبي: «سلطان العلماء، والعز بن عبد السلام» وقد مرَّت بنا ترجمته الوافية في فصل العلماء من هذا الكتاب.

كانت زينب مُعَمَّرَةً، إذ بلغت من العمر (٨٧) سنة، وقد رَوَتْ عن جماعة، وحدَّثتْ بالكثير وتفرَّدت.

وكانت وفاتها سنة (٧٣٥هـ)(١).

❋ ❋ ❋

(١) «مرآة الجنان» لليافعي (ص٢٩٠) الجزء الرابع.

أمراء وزعماء ومحتسبون وفرسان
وقادة وولاة وموظفون
من بني سليم

جمعنا هذه الأنواع من بني سليم، في هذا الفصل، لتقارب صفاتهم، ووظائفهم في المجتمع، فالأمير قريب الصفة من الزعيم، والمحتسب، كذلك والفارس والقائد والوالي والموظف، ليسوا بعيدين عن بعض في الصفة الاجتماعية العامة بالنسبة لحياة الفارس والقائد والوالي والموظف وطبيعة أعمالهم، وهم جميعًا ليسوا بمنأىٰ عن طبيعة ما يقوم به الأمير والزعيم والمحتسب.

وإذن فهناك رابط دقيق خفي أو جلي يربط بين هؤلاء الأفراد أو هؤلاء الطوائف، وهذا الرابط الخفي الموجود فعلًا فيما بينهم هو الذي سَهَّل لي أن أجمع فيما بينهم في رابط آخر، علمي، يلم شملهم ويبرز كيانهم كوحدات مستقلة عن بعض، لينسجم جميعًا نوع من الوحدة العامة والتواؤم الاجتماعي الشامل.. ويمثل هذا الرابط العلمي هذا الفصل.

نبيشة بن حبيب السلمي:

يفيدنا «المبرد» بأن ربيعة بن مكدم الكناني، كان الذي قلته هو أُهبان بن غادية الخزاعي.

أما «قيس» فتقول غير ذلك، إنها تقول: إن قاتل ربيعة بن مُكدم هو نبيشة بن حبيب السلمي، وكان أهبان أخًا لنبيشة لأمه، وكان أتاه زائرًا، وأغار ربيعة بن مكدم علىٰ بني سليم، فخرج أهبان مع أخيه لأمه نبيشة، فحمل أهبان علىٰ ربيعة بن مكدم فقتله، وحمل أخو ربيعة بن مكدم علىٰ أهبان فقتله، وفي تأييد ما تدعيه خزاعة من أن

أهبان لا نبيشة هو قاتل ربيعة يقول أهبان:

ولقد طَعَنْتُ ربيعةَ بنَ مُكَدَّمٍ ... يوم الكديدِ فخرَّ غير موسَّدِ
في عارض شَرِقٍ بناتُ فؤاده ... عنه بأحمر كالنقيع المُجْسَدِ
ولقد وهبتُ سلاحه وجواده ... لأخي نُبَيْشَةَ قبل لوم الحُسَّدِ(١)

وهكذا تركنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد، في متاهة حول البطل الحقيقي لهذه المسرحية.. مسرحية قتل ربيعة بن مكدم.. أهي من نسج يد أهبان الخزاعي، أم من صنع نبيشة السلمي!

إن «المبرد» في هذه القصة لم يأتِ لنا بالخبر الواضح الفصل.. ولعل السبب في ذلك يعود إلىٰ تناقض ما ورد في حقيقة قاتل ربيعة بن مكدم.. فهي قصة تدور حول أهبان الخزاعي، ونبيشة بن حبيب السلمي. ولعل السبب في هذا «الخلط» يعود أيضًا إلىٰ القرابة التي بين أهبان ونُبَيشة من جهة الأم التي ولدتهما معًا، وهي سلمية.

هذا وقد نصَّ ابن دريد علىٰ أن قاتل ربيعة بن مكدم الكناني هو نبيشة بن حبيب(٢).

مرداس بن أبي عامر السلمي:

هو والد عباس بن مرداس الصحابي الشاعر الفارس البطل، ووالد أبي عامر جد مرداس هو: رفاعة، وقيل جارية بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة

---

(١) «الكامل» للمبرد (ص٨٩ و٩٠) الجزء الرابع طبع مطبعة النهضة بمصر.
(٢) «الاشتقاق» لابن دريد (ص٣١١) طبع مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة (١٣٧٨هـ-١٩٥٨م).

بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر[(١)].

وكان مرداس ممن حضر يوم شعب جبلة في صف بني عامر وأبلىٰ في ذلك اليوم بلاءً حسنًا.

وكان مرداس من سادة العرب، ومن سادة سليم وفرسانها وأثريائها، وقد اشترك مع حرب بن أمية القرشي في «القُرَية»، وهي غيضة شجر ملتف لا يُرام.

قيل: إنهما مرَّا بها يومًا، فقال مرداس لحرب: أما ترىٰ هذا الموضع؟ قال: بلىٰ! قال: نِعْمَ المُزْدَرَعُ هو، فهل لك أن تكون شريكي فيه، ونحرق هذه الغيضة ثم نزدرعه بعد ذلك؟ قال: نعم! فأضرما النار في الغيضة، فلما استطارت النار وعلا فيها لهبٌ سُمع فيها أنين وضجيج كثير، ثم ظهرت منها حيَّاتٌ بيضٌ تطير حتىٰ قطعتها وخرجت منها، ولم يلبث مرداس وحرب أن ماتا. وينسبون موت مرداس إلىٰ الجن ربما لأنه هو صاحب الفكرة الذي أشار علىٰ حرب بن أمية بازدراع الغيضة وبإشعال النار فيها حتىٰ ظهرت منها الحيات البيضُ وطارت هاربة منها.

ودفن مرداس بن أبي عامر بالقُرَيَّة التي استصلحها وازدرعها، ثم ادعاها بعد ذلك كُلَيْبُ بن أبي عهمة السلمي ثم الظفري، وقد طالب العباس بن مرداس بحقه في «القرية»، وقال قصيدته النونية يُخاطب بها كُلَيْبًا ويهجوه ويحذره من مغبة الظلم..

وكان كُليب السلمي هذا قد جحد بني مرداس حصتهم من القرية التي عمرها أبوهم مرداس مع حرب بن أمية، قال عباس يُخاطب كُليبًا:

أكليبُ ما لك كُلَّ يوم ظالمًا ... والظلمُ أنكد وجهه الملعونُ

---

(١) «مقدمة ديوان العباس بن مرداس» ليحيىٰ الجبوري (ص١) طبع بغداد (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).

قـد كـان قومـك يحسـبونك سـيدًا ... وإخـــال أنـــك ســــيدٌ معيـــونُ
فـإذا رجعـت إلـىٰ نسـائك فـادهِن ... إن المســــالم رأسُــــهُ مــــدهونُ
وافعــل بقومــك مــا أراد بوائــل ... يــوم الغــدير سَــميُّكَ المطعــونُ
وإخـال أنـك سـوف تلقـىٰ مثلهـا ... في صــفحتيك ســنانها المســنونُ
إن (القُرَيَّــةَ) قــد تَبَــيَّن أمرهــا ... إن كــان ينفــع عنــدك التبيــينُ
حـين انطلقـت تخطهـا لـي ظالمًـا ... وأبــو يزيــد بجوهــا مــدفونُ

و«أبو يزيد» في البيت الأخير هو والد عباس بن مرداس.

وهكذا نرىٰ عباسًا يهدد كليبًا السلمي تهديدًا مباشرًا، مما يدل علىٰ أن هذا الشعر قاله في الجاهلية قبل أن يسلم ويحسن إسلامه.

ولمرداس هذا بيتان في حادث تعميره «القُرَيَّة» التي لا نستطيع تحديد موضعها بالدقة الآن، وربما تسعفنا بها المصادر فيما بعد - هو وحرب بن أمية شريكِهِ في هذه الشركة الاقتصادية المساهمة. يقول:

إني انتخبــتُ لهــا حربًــا وإخوتــه ... إني بحبــل وثيــق العقــد دســاسُ
إني أقــوم قبــل الأمــر حجتــه ... كيمـا يقـال ولـى الأمـر مـرداس[1]

وفي هذين البيتين عدة فوائد:

منها: أن مرداسًا هو الذي دفع حربًا إلىٰ العمل معه في زراعة الغيضة التي آضت مكانًا صالحًا للزراعة فسميت «القُرَيَّة» وعرفت بهذا الاسم، ومنها أن مرداس

(١) «مقدمة ديوان العباس بن مرداس السلمي» للدكتور يحيىٰ الجبوري نقلًا عن مصادره (ص١ و٢ و١٠٨) طبعة بغداد.

ابن أبي عامر قد احتاط لأمر نجاح الشركة والعدل فيها فأشرك مع حربٍ إخوته، ولم يكتف بذلك بل أبرم بينه وبينهم عقدًا ربما كان مكتوبًا، ولذلك قال: إنه يُقوم للأمر حجته وبرهانه قبل مباشرته ليقال: إن وليّ هذا الأمر الناجح وهذه الشركة الناجحة هو مرداس الحصيف الذي لا يمكن أن يُخدع أو يغرر به.

ولعباس بن مرداس ترجمة في كتاب «معجم الشعراء» للمرزباني، وقال عنه: «يكنىٰ أبا الهيثم، ويقال: أبو الفضل»، وأضاف أنه «أحد فرسان الجاهلية وشعرائهم المذكورين، وفد علىٰ النبي ﷺ ومدحه، فأسلم، فأعطاه مع المؤلفة قلوبهم» وقال عنه (وهو القائل:

أشُدُّ علىٰ الكتيبة لا أبالي ... أحتفي كان فيها أم سواها)

وهذا البيت من جملة أبيات قالها موجهًا «الإنذار» فيها إلىٰ خصمه ومنافسه: خُفاف، وهي:

ألا مَن مُبلِّغٌ عني خُفافًا ... ألوكًا بيت أهلك منتهاهَا
أنا الرجل الذي حُدثتَ عنه ... إذا الخَفِراتُ لم تَسْتُر بُراهَا
أشُدُّ علىٰ الكتيبة لا أبالي ... أحتفي كان فيها أم سواها
ولي نفسٌ تتوق إلىٰ المعاني ... ستتلفُ أو أبلغها مناها»[١]

و«الألوك» الرسالة، و«براها»: زينتها، وكل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها: بُرة.

---

(١) «معجم الشعراء» للمرزباني (ص١٠٢ و١٠٣) وديوان العباس بن مرداس (ص١١٠).

العباس بن أنس الأصم السلمي:

هو من فرسان الجاهلية وشجعان العرب، وله ذكر في وقائعهم[١].

عمرو بن رياح - الشريد السلمي:

من سادة سليم بن منصور، وهو والد الخنساء، وصخر، ومعاوية، ومالك. اعترف له العرب بشرف المكانة.

ووالده: رياح بن عمرو.. وقد غلب عليه لقب «الشريد» لقوله:

تــــولىٰ إخـــوتي وبقيـــت فـــردًا ... وحيـــــدًا في ديــــارهم شــــــريدا[٢]

وقد أورد المؤرخون قصة النعمان بن المنذر مع كسرىٰ ملك الفرس، وكان كسرىٰ طعن في شأن العرب، ورد عليه النعمان في ذلك، في بيان عربي فصيح مؤدَّب، مما استوجب إعجاب كسرىٰ ببيانه وكِسْوَتَهُ.

ولكن النعمان شعر من فحوىٰ كلام كسرىٰ في توهين أمر العرب والحط من كرامتهم، أن وراء الأكمة ما وراءها.. فلما غادر إلىٰ الحيرة رأىٰ أن يبعث إلىٰ نفر من سادة العرب يدعوهم للحضور إليه، وكان من بينهم عمرو بن الشريد السلمي، وقد حدثهم النعمان بما كان من أمر كسرىٰ ومقاله، وقال لهم: «قد سمعت من كسرىٰ مقالات تخَوَّفتُ أن يكون لها غَوْرٌ، ويكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خَوَلًا -عبيدًا- كبعض طماطمته -أي قومه الذين في لسانهم عجمة ولا يفصحون- في تأديتهم الخراج إليه».

(١) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» لجواد علي (ص٢٦١)، الجزء الرابع، طبع دار العلم للملايين في بيروت؛ وكتاب الاشتقاق (ص٣١١).

(٢) «البيان والتبيين» للجاحظ (ص٢٨٩) الجزء الأول، طبع المطبعة الرحمانية بمصر.

وقد استحسن الحاضرون من رؤساء العرب كلام النعمان ورأيه ووافقوه في اتباع ما ينصح به.. فَبَيَّنَ لهم أن من رأيه أن يسيروا بجماعاتهم إلىٰ كسرىٰ وأن يتكلم كلمنهم بما حضره من الكلام المرتجل، لكي يعلم كسرىٰ أن العرب علىٰ غير ما يظن، أو تحدثه نفسه به، علىٰ ألا ينطق أحد منهم بما يغضبه، ولا ينخزلوا - ينخذلوا- انخزال - انخذال- الخاضع الذليل.

وكتب معهم كتابًا إلىٰ كسرىٰ يخبره فيه بأنه أوفد إليه رهطًا من العرب، لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم، وعقولهم وآدابهم، ليسمع منهم، ويُكرمه بإكرامهم، وتعجيل سراحهم، وقال له: إن في نسبهم في أسفل كتابه إلىٰ عشائرهم، فخرج القوم بعد أن كساهم النعمان بما في خزائنه من طرائف حُلل الملوك، كسا كل رجل منهم حُلة، وعمَّمه عمامة، وخَتمه بياقوتة، وأمر لكل واحد منهم بنجيبة.

ودخلوا علىٰ كسرىٰ، وأذن لهم بالكلام، فتتابعوا في خُطبهم المرتجلة: أكرم بن صيفي، فحاجب بن زرارة التميمي، فعمرو بن الشريد السلمي.

وقال له عمرو بن الشريد: «أيها الملك نعم بالك، ودام في السرور حالك، إن عاقبة الكلام متدبرة، وأشكال الأمور معتبرة، وفي كثير قلة، وفي قليل بُلْغَةٌ، وفي الملوك سَورة العز، وهذا منطلق له ما بعده، شَرُف فيه مَن شَرُف، وخمل فيه من خمل، لم نأت لضيمك، ولم نَفِدْ لسخطك، ولم نتعرض لرفدك، إن في أموالنا منتقدًا، وعلىٰ عزنا معتمدًا، إن أورينا نارًا أثقبنا، وإن أَوِدَ دهر بنا، اعتدلنا، إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون، ولمن رامك كافحون، حتىٰ يُحمد الصدرُ، ويُستطاب الخبر».

وقد أجابه كسرىٰ بقوله: «ما يقوم قصد منطقك بإفراطك، ولا مدحك بذمك».

عباس بن رعل السلمي:

كان عباس هذا أحد القادة في حرب الفِجَار التي وقعت بين قريش وأحلافها من الأحابيش، وبين قيس عيلان، ومنهم بنو سليم، وكانت الدبرة أول النهار لقيس علىٰ قريش وكنانة علىٰ ضوىٰ إليهم، ثم صارت الدبرة آخر النهار لقريش وكنانة قيس، فقتلوهم قتلًا ذريعًا، حتىٰ نادىٰ عتبة بن ربيعة يومئذٍ -وإنه لشاب ما كملت له ثلاثون سنة- إلىٰ الصلح، فاصطلحوا علىٰ أن عدوا القتلىٰ، ووَدَت قريش لقيس ما قتلت، فضلًا عن قتلاهم. ووضعت الحرب أوزارها.

وقد حضر النبي ﷺ مع عمومته هذه الحرب، ورمىٰ فيها بأسهم، وكان عمره يومئذٍ عشرين سنة، وكان الفجار قبل الفيل بعشرين سنة، وقالت العرب في الفجار -كدأبها في هذه المواقف- أشعارًا كثيرة(١).

حكيم بن أمية السلمي:

والد جد حكيم السلمي هو حارثة بن الأوقص(٢) بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة، كان حكيم هذا نصب نفسه «محتسبًا» بمكة، في زمن الجاهلية، فكان يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر.

وهذا أمرٌ عجيب: أن يقوم جاهلي في مكة من سليم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الأمر يدل علىٰ أنه كان بمكة جالية مهمة من سليم، وإلا ما استطاع حكيم أن يقوم بهذا الأمر الذي ربما ترىٰ قريش نفسها أحق به منه، لأنهم

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لمحمد بن سعد (ص١٢٧ و١٢٨) الجزء الأول.

(٢) لعل حارثة بن الأوقص هذا، أخ لعاتكة بنت الأوقص جدة النبي ﷺ من قبل بني زهرة، وقد ذكرت في ترجمة سيابة بن عاصم السلمي الصحابي الذي مرت بنا ترجمته في فصل الصحابة.

سدنة بيت الله، المقيمون بجواره، والمقيمون لشعائر الحج من رفادة وسقاية... إلخ.

وقد بلغ نفوذ حكيم السلمي محتسب مكة المتطوع إلىٰ أن بعض سفهائها عَبر -شعرًا- عن «مطاردة» حكيم له ولأضرابه من السفهاء وأصحاب اللهو والمجون.. فقال ذلك السفيه:

أُطَــوِّفُ في الأبــاطح كــل يــوم مخافــة أن يشــردني حكــيم(١)

فحكيم إذن كان ذا مكانة عالية لا تُنال، وكان ذا نفوذ واسع في أحياء مكة، حتىٰ إنه كان يُطارِدُ ويُلاحق مُجَّانهم، ويطهر بيت الله من وجودهم حوله.

وقد يكون حكيم اكتسب هذه المنزلة الرفيعة لقرابته من «عاتكة» جَدة النبي ﷺ من قبل بني زهرة أهل والدته.

قيس بن خزاعي السلمي:

ارتفع صِيتُ بني سليم، بين العرب، حينما بعث (يوسطنيان) رسولًا اسمه: «يوليانوس» (جوليانوس) (Julianus) إلىٰ النجاشي، وإلىٰ (السميفع أشوع) (Esimphanu) حاكم اليمن في القرن السادس الميلادي(٢) ليتودد إليهما وليطلب منهما باسم (العقيدة المشتركة) التي تجمعهما أن يُكوِّنا مع الروم جبهة واحدة في محاربة الساسانيين - (الفرس)، وأن يقوما مع من ينضم إليهما من قبائل العرب بمهاجمتهم.

وحمل (يوسطنيان) سفيره الآنف الذكر إلىٰ (السميفع أشوع) رجاءً آخر، هو

---

(١) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص٢٦٣).

(٢) راجع (ص٤٩١) من كتاب «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» لجواد علي، الجزء الثالث.

طلب موافقته علىٰ تعيين رئيس عربي اسمه (Kaisos) (قيس) عاملًا: (فيلارخًا) (Phyiarch) علىٰ قبيلة عربية تدعىٰ: (معديني) (Msddeni) أي قبيلة (معد) ليشترك معه، ومع عدد كبير من أفراد هذه القبيلة، بمهاجمة الساسانيين (الفرس)..

وقد رجع سفير (يوسطنيان) مغتبطًا بنجاح مهمته، معتمدًا علىٰ الوعود التي أخذها من العاهلين: «النجاشي» ملك الحبشة، و«السميفع أشوع» حاكم اليمن، غير أنهما لم يفعلا شيئًا مما تعهدا به للسفير، فلم يَغْزُوا الفرس، ولم يعين (السميفع أشوع) «قيسًا» (فيلاخا) أي: عاملًا علىٰ قبيلة معد.

وقد وصف المؤرخ (بروكوبيوس) (Kaisos) (Caisus) (قيسًا) بأنه كان شجاعًا، ذا شخصية قوية مؤثرة، حازمًا، من أسرة سادت قبيلة معد، وقتل أحد ذوي قرابة (السميفع أشوع) (Esimiphaeus) (Esimaphaios) فتعادىٰ معه - فعاداه- بذلك حتىٰ اضطر إلىٰ ترك دياره والهرب إلىٰ مناطق صحراوية نائية، فأراد القيصر أن يشفع له لدىٰ (Esimaphaios) ورجاه أن يوافق علىٰ إقامته رئيسًا (Phylarch) علىٰ قبيلة معد.

وهناك روايةٌ لابن إسحاق جاء فيها أن أبرهة عَيَّن محمد بن خزاعي عاملًا له علىٰ مُضَر، وأن (قيسًا) كان يرافق أخاه محمدًا حين كان في أرض كنانة، فلما قتل (محمد) فرَّا -فر- إلىٰ أبرهة[(١)].

---

(١) في «المحبر» لمحمد بن حبيب الهاشمي البغدادي (ص١٣٠) طبعة حيدر آباد دكن، اسم محمد بن خزاعي هذا، وقد وضعه في فصل: «المسمون بمحمد لما كان يبلغهم أنه يبعث في العرب نبي يقال له «محمد» فجعل الله النبوة لمحمد ﷺ» وقد أفادنا «المحبر» بسلسلة نسب محمد بن خزاعي هذا فهو (محمد بن خزاعي بن علقمة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج بن =

ولعلنا نستطيع من تحليل الحوادث السالف ذكرها أن نتوصل إلىٰ تقرير هذه النظرية أو هذه النتيجة: وذلك أنه لما لم يقبل (السميفع أشوع) حاكم اليمن وساطة القيصر (يوسطنيان) في تعيين قيس السلمي فيلارخًا -عاملًا علىٰ قبيلة معد- أي قبيلة بني سليم المعدية، ظلت فكرة تولية سلمي بطلٍ حازم علىٰ قبيلة بني سليم للاستعانة بقوتهم وبكثرة عددهم وببطولتهم في تطويع الخارجين علىٰ طاعة أبرهة من العرب بأرض كنانة - تراود ذهن أبرهة.. ومن ثمَّ ولىٰ محمد بن خزاعي رئاسة القبيلة المذكورة، ولما كان محمد أكبر سنًّا - فيمىٰ نرىٰ - من أخيه قيس المرشح من قبل يوسطنيان للزعامة، رأىٰ قيس أن ينضوي تحت زعامة أخيه، فزعامته زعامة له هو أيضًا.. وقام محمد ابن خزاعي بمهمته حتىٰ قتل خلال ذلك.. ففر قيس إلىٰ أبرهة باليمن خوفًا من حدوث ما لا تحمد عقباه عليه.

ودليلنا علىٰ أن قيسًا سلمي، هو ما ورد في سلسلة نسب أخيه محمد بن خزاعي، من أنه: محمد بن خزاعي بن علقمة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمي. وما ذكر من أنه كان في جيش أبرهة مع الفيل يجعلنا نرىٰ أن قتله ربما كان مع أصحاب الفيل في طريقهم إلىٰ مكة المكرمة.

والوساطة المشار إليها آنفًا من القيصر لقيس لدىٰ السميفع أشوع، بأن يوليه رئاسة قبيلة معد التي نرىٰ أن المقصود منها هو قبيلة سُليم المعدية، لا قبائل معد كلها كما يتبادر من ترجمة النص الأجنبي - تضع أصابعنا علىٰ أمرين: بُعْد صيت سُلَيم الذي بلغت أصداؤه يومئذٍ أنحاء العالم المجاور لبلاد العرب، وشهرة بسالة

=

ذكوان السلمي» وقال عنه: «وكان في جيش أبرهة مع الفيل، وفي ابن إسحاق أن أبرهة عين عاملًا له علىٰ مصر»، «المفصل» (ص١٧٣) الجزء الرابع.

قيس في مختلف الأوساط، هي مما حمل القيصر علىٰ أن يطلب إلىٰ (السميفع أشوع) توليته علىٰ قبيلته المعدية، ليكون له خير معين علىٰ تطويع من يجافي دولته من العرب لتأمين سبل تجارتها الخارجية.

ولقيس هذا ابن، اسمه معاوية، وقيس ومعاوية من الأسماء الشائعة قديمًا في بني سُلَيم.. ومن هؤلاء الصحابي، قيس بن نسيبة السُّلمي المترجم في فصل: «صحابة من بني سليم»، وقيس بن سباع بن خزاعي بن محارب بن هلال، ومعاوية بن عمرو بن الشريد، أخو الخنساء الشاعرة السلمية المشهورة، ومعاوية بن قرة السُّلمي الصحابي.

وقد زار والد (نونوسوس) (Nonnosos) «قيسًا» مرتين، وذلك قبل سنة (٥٣٠م)، وزاره «نونوسوس» نفسه أيضًا، أثناء حكمه -حكم قيس- وربما كان ذلك أثناء رئاسته لقبيلة بني سليم التي يُعَبر عنها في النص الأجنبي المنقول إلىٰ العربية بقبيلة معد... و«معد» والد قبائل، لا قبيلة واحدة، وربما كانت رئاسة قيس للقبيلة المذكورة بعد مقتل أخيه محمد بن خزاعي وقبل فراره هو، إلىٰ أبرهة أو بعده.

وقد أرسل قيس ابنه معاوية إلىٰ (يوسطنيان)، وأعطىٰ القيصر الإمارة لمحمد بن خزاعي أخي قيس ثم لابن قيس، وكانت هذه الإمارة علىٰ فلسطين[(١)]، وربما كان هذا كله بعد إخفاق وساطة القيصر لدىٰ «السميفع أشوع» حاكم اليمن، في تنصيب

(١) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» لجواد علي (ص١٧٣ و١٧٤) الجزء الرابع، وفي الجزء الثالث منه (ص٤٩٢) أن يوسطنيان عين «حرثم بن جبلة»: الحارث بن جبلة، عاملًا (فيلارخا) علىٰ عرب السرسين (Saracens) بفلسطين، وأنه كان رجلًا صاحب قابليات وكفاية، وتمكن من تأمين الحدود ومن منع الأعراب من التعرض لها، وكان شديدًا علىٰ المخالفين.

قيس «فيلارخًا» - عاملًا، علىٰ قبيلة بني سليم أو علىٰ «قيس» المعدية كلها.

هذا وبمراجعتنا لعمود نسب حكيم بن أمية السلمي، الذي سبقت ترجمته في هذا الفصل، والذي نصب نفسه «محتسبًا» في مكة، في زمن الجاهلية، يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ويطارد المُجَّانَ والعابثين والسفهاء.. ويُجْليهم عن مكة - وجدناه هكذا: «حارثة -وهو جد حكيم الأول- بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج -فالح- بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة السلمي.

وقيسٌ - علىٰ ما نرىٰ، ويُلمحُ إليه صاحب كتاب «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» - سُلَمِيٌّ، وإذا تأملنا نسَبَهُ فإننا نجده هكذا: (قيس بن خزاعي بن علقمة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج - فالح - بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة السلمي).

وفي البيان المقارن التالي يتضح أن «حكيمًا» و«قيسًا» متساويان في عدد الآباء إلىٰ جدهما: (مرة بن هلال):

١- حكيم بن أمية(١) بن حارثة(٢) بن الأوقص(٣) بن مرة.

٢- قيس بن خزاعي(١) بن علقمة(٢) بن محارب(٣) بن مرة(٤).

ويتفق محمد وقيس ابنا خزاعي في الانتساب إلىٰ محارب بن مرة بن هلال، ومحارب -كما يبدو- أخو الأوقص، وهما ابنا مرة بن هلال بن فالج - فالح -، كما يتفق في هذه السلسلة من النسب كل من البطلين: عُمير بن الحباب، والجحَّاف بن حكيم السليميين، إلا أن خزاعي بن محارب هو الجد الرابع للجحاف، ومحاربًا هو

الجد الرابع في عمود نسب عمير(١).

الضحاك بن عبد الله السلمي:

كان الضحاك بن عبد الله السلمي رئيس بني سليم، حينما كان العباس بن مرداس وخُفاف بن ندبة السلميان يتلاحيان ويتقاتلان بعدما حَمِيَ وطيس الهجاء بينهما.. وقد جرا معهما قبيلة بني سليم إلىٰ التعادي والتقاتل، وقد تألم الضحاك من هذه الحرب الأهلية فأسدىٰ لهما النصح بمجانبة ما هما عليه، إبقاءً لمكانة القبيلة، وصونًا لوحدتها وقوتها.. فما أصغيا لنصحه، ولجَّا في الخصام، وكثرت القتلىٰ في سليم، وحينئذٍ خلعتهما بنو سليم(٢).

مجاشع السلمي:

قدمنا له ترجمة في فصل: «صحابة من بني سليم»؛ لأنه من صحابة رسول الله ﷺ، ونحن هنا نأتي بموجز من ترجمة حياته الإدارية والحربية والاجتماعية.

فقد ولي إمارة البصرة، نيابة عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنهما، وفي أثناء إمارته علىٰ البصرة نيابة عن المغيرة بن شعبة عاملها الأصيل من قِبَل عمر بن الخطاب انتهز الفرصة فغزا كابل بأفغانستان، وصالحه صاحبها «الأصبهبذ» وكان علىٰ يديه فتح حِصن أبرويز بفارس، وكان في يوم الجمل مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أميرًا علىٰ كتيبة بني سُليم، وقد قتل في ذلك اليوم قبل الوقعة، ودفن بداره في بني سدوس بالبصرة.

---

(١) راجع «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم، بحث سليم بن منصور (ص٢٦٤).
(٢) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» للدكتور جواد علي (ص٢٥٨) الجزء الرابع.

وكان مجاشع من الأجواد.. وفد عليه عمرو بن معديكرب، وهو في البصرة، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وفرسًا، وسيفًا، ودرعًا[١] وقال لعمرو بن معديكرب حينما وفد عليه: «اذكر حاجتك!» فقال له عمرو: «حاجتي صلة مثلي». فأعطاه ما ذكر آنفًا، وأضاف إلىٰ عطيته السالفة غلامًا خبازًا، فلما خرج عمرو من عنده قال له أهل المجلس: كيف وجدت صاحبك؟ قال: «لله درُّ بني سليم، ما أشدَّ في الهيجاء لقاءها، وأكرم في اللأواء عطاءها، وأثبت في المركمات بناءها، والله يا بني سليم، لقد قاتلناكم في الجاهلية فما أجبنَّاكم، ولقد هاجيناكم فما أفحمناكم، وقد سألناكم فما أبخلناكم»[٢].

فلله مسؤولًا نوالًا ونائلًا وصاحب هَيْج يوم هَيْج مجاشعُ[٣]

وجاء في رواية أخرىٰ: «أن مجاشعًا أمر لعمرو بن معديكرب بعشرين ألف درهم، وفرس عتيق جواد، وسيف صارم، وجارية نفيسة، فمر ببني حنظلة، فقالوا له: يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك؟ فقال: لله بنو مجاشع، ما أشد في الحرب لقاءها، وأجزل في اللزبات عطاءها، وأحسن في المكرمات ثناءها، ولقد قاتلتُها فما فللتُها، وسألتها فما أبخلتها، وهاجيتُها فما أفحمتُها»[٤].

وهاتان الروايتان، وإن اختلفتا شكلًا ولفظًا فهما متفقتان موضوعًا ومعنىٰ.

---

(١) «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (ص١٦٠) الجزء السادس، الطبعة الثالثة في بيروت.

(٢) أي: فما وجدناكم جبناء ولا مفحمين ولا بخلاء.

(٣) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (ص٦٦ و٦٧) المجلد الثاني، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر.

(٤) «لباب الآداب» لأسامة بن منقذ، (ص٣٤٩ و٣٥٠) طبع المطبعة الرحمانية بمصر (١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م).

يزيد بن معن السلمي:

من الحديث التالي الذي دار بين يزيد ومعاوية يبدو لنا أنه كان أثيرًا لدىٰ معاوية، فقد قال له حينما شق عليه سقوط مقادم فمه: «والله ما بلغ أحد سنك، إلا كَرِه بعضه بعضًا، ففوك أهون علينا من سمعك وبصرك». فطابت نفس معاوية بهذه الكلمة(١)، ولابد أن معاوية كان يركن إلىٰ رأيه ولذلك استحسن قوله، فهو إذن بمثابة مستشار خاص له فيما نفترضه من فحوىٰ ما ذكر.

طُرَيْفَة بن حاجز السُّلمي:

من أمراء الإسلام في بني سليم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد ثبت علىٰ دينه وحارب بني عمه المرتدين حتىٰ نصر الله الإسلام، كتب إليه أبو بكر الصديق في قتال الفجاءة السلمي الذي ارتد، والذي أحرقه أبو بكر بالنار، فسار طريفة في طلب الفجاءة، وكان طريفة وأخوه: معن بن حاجز، الذي تلي ترجمته، مع خالد بن الوليد، وكان مع الفجاءة، نجبة بن أبي الميثاء، فالتقىٰ نجبة، وطُرَيْفة فتقاتلا، فقتل الله نجبة علىٰ الردة، ثم سار طريفة مع أخيه حتىٰ لحقا بالفجاءة السلمي، واسمه إياس بن عبد الله بن ياليل، فأسره وأنفذه إلىٰ أبي بكر، فلما قدم عليه أوقد له نارًا، وأمر به فقذف فيها حتىٰ احترق(٢).

مَعْن بن حاجز السلمي:

كان هو وأخوه طُريفة بن حاجز مع خالد بن الوليد مسلمَيْن في الردة.. وكان

---

(١) «البيان والتبيين» للجاحظ (ص٦٦) الجزء الأول.
(٢) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، القسم الثاني (ص٧٧٦) طبعة نهضة مصر، بمصر.

معن أميرًا لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علىٰ بني سليم، وقد ثبته الله علىٰ الإسلام هو وأخاه طُريفة بن حاجز، وولاه أبو بكر قيادة المسلمين من بني سليم، لمحاربة المرتدين عن دين الله منهم، وعندما تلقىٰ كتاب أبي بكر بذلك استخلف أخاه طُريفة بن حاجز علىٰ عمله، وسار إلىٰ المرتدين من قومه ليُناجزهم، وقد تقدم لنا في ترجمة أخيه أنهما قاتلا الفجاءة ووقع في الأسر، وقد أحرقه أبو بكر في ناحية المصلىٰ - مسجد الغمامة بالمدينة[(١)].

عمرو بن سفيان أبو الأعور السلمي:

«فارس أهل الشام، وكان فيمن كفر وغدر بُرُسُل رسول الله ﷺ فقنت رسول الله شهرًا يدعو علىٰ قبائل من سُلَيم، منها رِعل وذكوانُ وعُصَية، وقال عنها الرسول ﷺ: «**عَصَت الله ورسوله**» وسمي عمرو بن سفيان باسمه ولعنه ولعن سهلًا ذا الأسنان - الأشنان- وأبا سفيان، وأسلم أبو الأعور بعد ذلك وحضر فتوح الروم بالشام، وأبلَىٰ، ورأس هناك، ثم كان رئيس الفتنة القيسية يوم صفين بالشام، وعظيم القدر عند معاوية، ومشهور الخبر، ويقول الشعر».

وأورد ابن الحجاج أيضًا: أن معاوية غَرِضَ بمجلسائه فقال لحاجبه: اطلُب لي قومًا يحدثوني سواهم، فوجد ببابه أبا الأعور ومعن بن يزيد بن الأخنس ونصر بن الحجاج بن علاط السليميين، فأدخلهم، فخاطبهم معاوية، وخاطبوه بكلام طويل، ثم أمر بإخراجهم، فكتب إليه أبو الأعور:

مُعَاوِيَ! أما التَمَسْتَ الرجال   فتلك التي مِثْلُها يُلْتَمَسْ
فقد أمكنتك لعمري الأمو   ر من الكاشفي عنك ما قد لبسْ

---

(١) «الاستيعاب» لابن عبد البر (ص١٤٤١) القسم الرابع، وتاريخ الطبري (ص٤٩٢) المجلد الثاني.

مــــن إيـــــراد أمـــــرٍ وإصــــداره وهـــــمٍّ تطـــــاولَ فيـــــه الــــنفسْ

فأمــــا تُرِدنــــا لِهَنــــي الجمــــال ومــــد الــــدِّلاء وجــــر الفَــــرَسْ

وإطراقنــــا بعــــد ثَنْــــي الســــؤا ل فليس بنا يا ابن هند خرَسْ(١)

وأبو الأعور جد عبيد السلمي أو «عبيدة» والي إفريقية أو عم أبيه، واسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن خائف بن الأوقص ابن مرة بن هلال.

وكان أبو الأعور أحد قواد معاوية بن أبي سفيان(٢).

ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» أنه يعد في الصحابة، ولكن أبا حاتم الرازي أنكر ذلك وقال: لا يصح له صحبة ولا رواية. وكان من أشد الناس علىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحدث بقصة هزيمة حنين، وكان عليٌّ يذكره في القنوت، في صلاة الغداة يقول: «اللهم عليك به» مع قوم يدعو عليهم في قنوته.

عُمير بن الحُباب السلمي:

هو عمير بن الحباب بن جعدة، رأس القيسية في العراق، وأحد الأبطال الدهاة.

كان عمير ممن قاتل عبيد الله بن زياد، مع إبراهيم بن الأشتر بالخازر، ثم أتىٰ قرقيسيا، خارجًا علىٰ عبد الملك بن مروان، وتغلب علىٰ نَصِيبين، واجتمعت عليه كلمة قيس كلها، ونشبت بينه وبين اليمانية، وبني كلب، وتغلب - وقائع منها يوم

(١) مخطوطة «مَن سمي من الشعراء عمرًا» لابن الجراح (ص٥٤ - ٥٥) بمكتبة الدكتور عزة حسن المدير العام للمكتبة الظاهرية بدمشق.

(٢) «تاريخ ابن خلدون» (ص٦٣٦) المجلد الثاني، طبع بيروت و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص٤٩).

ماكسين، ويوم الثرثار الأول، ويوم الثرثار الثاني، والفدين، والسكير، والمعارك، والشرعبية، والبليخ، ويوم الحشاك، وهذا اليوم الأخير - يوم الحشاك - هو الذي قتل فيه عمير بن الحباب السلمي، قتله بنو تغلب[١] وكان بطل هذه الوقائع كلها.

وقد استشهد «المبرد» بقول عمير بن الحباب السلمي:

أنـــا عميــــر وأبـــو المُغَلِّـــس وبالقنــــاة مــــازنيٌّ مِـــــدْعَسْ

استشهد به علىٰ أن معنىٰ: (دعسه بالرمح: طعنه).

وكان مقتل عمير بن الحباب بسنة (٧٠هـ[٢] - ٦٩٠م).

عبيدة (أو) عبيد بن عبد الرحمن السلمي(٣):

هو أخو الأعور السلمي، أو ابن أخيه، هكذا نسبوه، وأرىٰ بناء علىٰ ما سبق عن أبي الأعور أن المناسب أن يكون عبيدة، حفيده أو ابن عم أبيه.

قدم عبيدة، أو عبيد بن عبد الرحمن السلمي إلىٰ «إفريقية» في سنة عشر ومائة؛ واليًا عليها من قبل هشام بن عبد الملك، الخليفة الأموي بدمشق.

---

(١) «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (ص٢٦٤) المجلد الخامس، طبع مصر، الطبعة الثانية.

(٢) «الكامل» للمبرد (ص٣٩) الجزء الأول طبع مطبعة نهضة مصر.

(٣) في كتاب «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم، ورد اسمه هكذا «عبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الأعور» وقال عنه: «ولي إفريقية» وكذلك اسمه عند ابن خلدون، ففي كتاب «العبر» لابن خلدون، أنه: «عبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الأعور السلمي» (ص٦٣٦) المجلد الثاني، وفي «تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيرواني (ص١٠٤) ورد اسمه «عبيدة» بالتاء المربوطة، وفي الاستقصا لأخبار المغرب الأقصىٰ لأحمد بن خالد الناصري، أنه «عبيدة بن عبد الرحمن السلمي» أيضًا وأنه «ابن أخي أبي الأعور السلمي وقيل ابن ابنه» (ص١٠٤) المجلد الأول، طبع دار الكاتب بالدار البيضاء بالمغرب الأقصىٰ.

وقد حدَّث موسىٰ بن أشعث عن قصة مقدم عبيدة أو عبيد من المشرق إلىٰ المغرب -كما شاهدها- وهي قصة طريفة ومثيرة تعبر عن نفسية عبيدة أو عبيد السلمي، وعن اتجاهاته وأخلاقه.. وخاصة في الفقرة التي يُخاطب فيها الأمير عبيدة أو عبيدٌ، هذا الرجل الذي يقابله مصادفة وهو علىٰ مداخل القيروان، وأعني به موسىٰ بن الأشعث فيقول له: «أنا أميركـ: عبيدة بن عبد الرحمن».. وهذا اعتزاز واضح بالنفس وبالمنصب، لعله هو الذي حمله علىٰ أن ينكل بكبار الناس في إفريقية، عَقِبَ مباشرته لأعمال منصبه.

وكان من هؤلاء «أبو الخطار» بن ضرار الكلبي المجاهد السري الكريم، والشاعر الفحل، وقد حمل عليه أبو الخطار حيال تنكيله به، في نفسه، فأرسل - سِرًّا - قصيدته السياسية المثيرة العنيفة إلىٰ الخليفة هشام، فلما قرئت عليه استشاط غضبًا علىٰ عبيدة وعزله عن ولاية إفريقية، وولي مكانه أحد الموالي مما سيأتي تفصيله.

ونحن نعلم ما كان قد حدث بين قس -ومنهم بنو سُليم معشر عبيدة- وبني كلب من قتال ضارٍ في «مرج راهط» وعقابيل ذلك، ولعل هذه الحرب الضروس التي انهزمت فيها قيس، ووقعت فيها مقتلة عظيمة منهم، كانت السر الدفين وراء حَرْد عبيدة عن أبي الخطار.

ونحن نعلم أيضًا مكانة بني كلب في الدولة الأموية منذ تزوج معاوية ابنتهم ميسون وأولدها يزيد بن معاوية، ومنذ ناصروا الأمويين، وأيدوا خلافتهم ضد عبد الله بن الزبير، وضد أشياعه الكثر في الشام حتىٰ وضعوا في يد الأمويين صولجان الخلافة أو الملك.

فلا غرو أن يأخذ هشام -وهو ابن عبد الملك- الخليفة أو الملك الذي

ساعدته بنو كلب بإصرار علىٰ توليه الحكم ومشت في ركابه حتىٰ آخر الشوط ضد خصمه الألد في مكة: عبد الله بن الزبير، وضد مناصريه القروم من قيس ومنهم بنو سُليم.. لا غرو أن يأخذ بناصر أبي الخطار الكلبي فيستشيط غضبًا للإهانة التي لحقته فيعزل الوالي السلمي الجريء المتهور: عبيدة أو عبيد بن عبد الرحمن الذي تجاوز حده، فقسا علىٰ أبي الخطار الكلبي.

بعد هذه المقدمة، هانحن أولاء ننقل لك ما دار بين عبيدة أو عبيد بن عبد الرحمن السلمي أمير إفريقية، وموسىٰ بن الأشعث، من حوار.

قال موسىٰ بن الأشعث: «خرجتُ من منزلي إلىٰ الرملة، وكانت سكةً للبريد.. فبينا أنا متوجه نحو القيروان؛ إذ أنا بركب ثمانية علىٰ دواب البريد، فتصديت للقائهم، فإذا قوم سَراة، أجد عَرْف المسك كلما ضرَبتِ الريحُ إليَّ منهم، فسلم أحدهم وهو من أحسنهم هيئة وملبسًا ومركبًا، فرددتُ عليه السلام، وقال: سِر هاهنا!

فملتُ إليه، آخذًا معهم نحو القيروان، فسألني عن بعض حديث الناس والبلد، سؤال من لا يعرف البلد، فقلت: إذا توالت الغيوث، فالواحد مائة، قال: ينبغي أن يكون فحصًا مِسْناتًا، يعطي عامًا في أعوام. قلت: أجل! وقد سألتني، فأخبرتك، وأنا أُحِبُّ -أصلحك الله- أن أعرف مَن أنت؟ فإني أرىٰ شارَةً. قال: (أنا أميرك عُبيدة بن عبد الرحمن) فما زلتُ أساقطه الحديث، مرة أُنشئ، ومرة أُجيبُ، حتىٰ جئنا مدنية القيروان، فمال إلىٰ دار الإمارة، وذلك يوم الجمعة، فألفىٰ العباس بن ناصعة الكلبي، قد تهيأ لشهود الجمعة، ولبس ثيابه، فقيل له: هذا عبيدة قد قدم أميرًا، فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله، هكذا تقوم الساعة بغتة!» فألقىٰ بنفسه، فما حملته رجلاه.

ودخل عبيدة بن عبد الرحمن، يجمع الناس، وأخذ عُمال بشر، فحبسهم وأغرمهم، وتحامل عليهم، وعذب بعضهم، وكان فيهم أبو الخطار بن ضرار الكلبي، وكان قائدًا جليلًا، ورئيسًا شريفًا في قومه، مع فصاحة وبيان، وقول حسَنِ الشعر، ووَليَ في إفريقية ولايات كثيرة في إمارة بشر بن صفوان، وولي بعد ذلك إمارة الأندلس، فقال:

أفـادت بنـو مـروان قيسًـا دماءنـا ... وفي الله إن لـم يعـدلوا حكـمٌ عـدلُ
وقينـاكُم حـر القنـا بصـدورنا ... ولـيس لكـم خيـل سـوانا ولا رَجِـلُ
فلمـا بلغـم نيـل مـا قـد أردتمـو ... وطابت لكم فيهـا المشارب والأُكُـلُ
تغـافلتمو عنـا كـأن لـم نَكُـنْ لكـم ... صَـديقًا وأنـتم مـا علمـت لنـا وُصُـلُ

وبعث بها إلىٰ «الأبرش الكلبي»، فدخل علىٰ هشام، وقرأها، فغضب هشام، وأمر بعزل عبيدة بن عبد الرحمن، عن إفريقية، فقفل منها، واستخلف علىٰ إفريفية عقبة بن قدامة التجيبي، وذلك في شوال سنة أربع عشرة ومائة، وولَّىٰ هشامُ بن عبد الملك علىٰ إفريقية عبيد الله بن الحبحاب مولىٰ بني سلول»(١).

وهكذا كانت عاقبة ولاية عبيدة السُّلمي، لم يصانع في أمور كثيرة، كان علىٰ مثله أن يصانع فيها، ليظل في إمارة هذا القطر النائي عن دار الخلافة، أطول مدة ممكنة، لقد تعجل وطغت عاطفته ونزعاته القبليةُ علىٰ عقله وحكمته، فكانت عاقبته

(١) «تاريخ إفريقية والمغرب» للرقيق القيرواني (ص١٠٤-١٠٦) طبع تونس، ونرىٰ أن تولية هشام لعبيد الله بن الحبحاب لإفريقية كانت ضربة سياسية بارعة، فعبيد الله بن الحبحاب مولىٰ ولا عصبية له، وليس له من يفيء إليه سوىٰ هشام، وقد تخلص بتوليته من تقديم أحد الفريقين المتنازعين المتنافسين علىٰ الآخر، وهما: بنو قيس وبنو كلب علىٰ السواء.

العزل السريع العنيف من قبل هشام، وكما قال زهير بن أبي سلمىٰ:

ومن لم يُصانعْ في أمور كثيرة ... يُضَرَّسْ بأنْيابٍ ويُوطَأْ بمنسمِ

عبد اللّه بن خازم السُّلمي:

يكنىٰ أبا صالح، كان شجاعًا صنديدًا، وفارسًا مغوارًا، وقائد حرب مُحنكًا، وكانت أمه سوداء، فهو من هذه الناحية يماثل خُفافَ بن ندبة الذي كانت أمّه (ندبةُ) سوداء، وكان أقوىٰ الناس أيدًا، وأعظمهم بسالة.

وقد وُصِفت قوته البطولية الخارقة فقيل: كان أقوىٰ من الأسد، وذلك لأنه فتح مدينة وحده، كان علىٰ خراسان عشر سنين، وكان الحشرج بن الأشهب جمع له جموعًا، وغلب علىٰ قهستان فسار إليه عبد الله بن خازم فقتله، وأخذها منه، ثم فتح الطبسين، ثم ثار به أهل خراسان من العرب، وقاتلوه فخر صريعًا بالمعركة.

ولما قدم قُتيبة بن مسلم خراسان، أبلغ الناس بقوله: «من كان في يديه شيء من مال عبد الله بن خازم فلينبذه، وإن كان في يده فليفظه، وإن كان في صدره فلينفثه».

وقد عجب الناس من حسن ما فصل وقسَّم، ثم غبر بعد ذلك عيال عبد الله بن خازم، وما بخراسان أحسن حالًا منهم[(١)].

ويبدو لي أن حسنًا السندوبي قد دخل عليه وهم في تحقيقه الذي شرح به سيرة عبد الله بن خازم، فقد ذكر فيما ذكر أن (قَتْلَهُ بالمعركة كان في عهد معاوية سنة ٥٦هـ)[(٢)]. والواقع الذي يقره التاريخ الصحيح أن عبد الله بن خازم كان والي خراسان لعبد الله بن الزبير،

(١) «البيان والتبيين» للجاحظ (ص٨٧ و٨٨) طبع المطبعة الرحمانية بمصر.
(٢) «شرح البيان والتبيين» للسندوبي، هامش الصفحة (٨٨).

وحاول عبد الملك بن مروان أن يستميله إليه بمختلف وسائل الإغراء السياسي والمادي فلم يقبل فنقض بيعته لابن الزبير، وأَصَرَّ عليها كل الإصرار.

فلما يئس عبد الملك من اجتذابه إليه سلط عليه تيار دهائه فجعل كبار معاونيه ورجاله الذين يعتمد عليهم في كفاحه وولايته، ينقلبون عليه خفية وهو لا يدري، ولقد تآمروا عليه حتىٰ قتلوه في معركة ضارية جرت بينهم وبينه، وكان ذلك بعد مقتل مصعب بن الزبير في عهد عبد الملك بن مروان وفي سنة (٧٢هـ).

هذا وقد ترجم لعبد الله بن خازم كثير من المؤرخين.

ومما ترجمه ترجمة وافية صاحب «خزانة الأدب»، فقال عنه: «هو أحد غربان العرب في الإسلام[1]، وكان من أشجع الناس، وقتله بنو تميم بخراسان في سنة اثنتين وسبعين، وكان الذي ولي قتله وكيع بن الدورقية القريعي، وكان ابن خازم أمير خراسان من قِبَلِ ابن الزبير وكان أولًا استعمله ابن عامر، علىٰ خراسان، في أيام عثمان، وكان أحد الأبطال المشهورين، وقد حضر مواقف مشهورة وأبلَىٰ فيها».

وبعد ذلك وصف لنا عبد القادر البغدادي كيف قتل، فقال: «وهذا خبر مقتله من تاريخ النويري، قال: «ولما قُتِلَ مصعب بن الزبير كان ابن خازم يُقاتل بجير بن ورقاء التميمي بنيسابور، فكتب عبد الملك بن مروان إلىٰ ابن خازم يدعوه إلىٰ البيعة، ويطعمه خراسان سبع سنين، فامتنع، وأطعم كتابه لرسوله، وكتب عبد الملك إلىٰ بكير بن وشاح[2] -وكان خليفة ابن خازم علىٰ مرو- وتعهده علىٰ خراسان،

(١) «خزانة الأدب» (ص٦٥٨) المجلد الثالث، طبع المطبعة الأميرية ببولاق بالقاهرة.

(٢) في «تاريخ الكامل» لابن الأثير، طبعة صادر ببيروت: «ابن وساج: بالسين المهملة والجيم» (ص٣٤٥) المجلد الرابع.

ووعده ومناه، فخلع بكيرٌ ابنَ خازم، ودعا إلىٰ عبد الملك؛ فأجابه أهل مرو، وبلغ ابنَ خازم، فخاف أن يأتيه بكيرٌ، فيجتمع عليه أهل مرو، وأهل نيسابور، فترك بُجيرًا(١) وأقبل إلىٰ مرو، فاتبعه بجير، فلحقه بقرية علىٰ ثمانية فراسخ من مرو، فقاتله، فقتل ابن خازم، وكان الذي قتله وكيع بن عمرو القريعي(٢)، اعتوره وكيع وبجير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز، فطعنوه، فصرعوه.

وقعد وكيعُ علىٰ صدره، فقتله وبعث بشيرًا بقتله إلىٰ عبد الملك، ولم يبعث برأسه، وأقبل بُكيرٌ في أهل مرو، فوافاهم حين قتل ابن خازم، فأراد أخذ الرأس وإنفاذَهُ إلىٰ عبد الملك فمنعه بجير».

هذا ما قاله النويري، ونقله عنه عبد القادر البغدادي، صاحب «خزانة الأدب».

وقد نقد البغدادي قَوْلَ النويري هذا، وعلق عليه بقوله: «كذا قال النويري، وهو خلاف قول الفرزدق:

فمــا منهمــا إلا بعثنــا برأســه ... إلىٰ الشام فوق الساجحات الرواسم(٣)

وأقول: إن الضمير في قول الفرزدق: (فما منهما) يعود إلىٰ «ابن قتيبة وابن خازم»؛ حيث قال الفرزدق في القصيدة نفسها وقبل البيت المار ذكره:

أتغضــبُ أنْ أُذْنــا قتيبــة حُزَّتَــا ... جهارًا ولـم تغضَـبْ لقتـلِ ابـن خـازم

وقد حَدَّثنا ابنُ الأثير، بقصة رأس ابن خازم، حيث قال عن رغبة بكير في أخذه

---

(١) في «الكامل» لابن الأثير: «بحيرًا» بالحاء المهملة (ص٣٤٦)، طبعة دار صادر ببيروت.
(٢) في «الكامل»: «أعثره» (ص٣٤٦) ط. دار صادر.
(٣) «خزانة الأدب» لعبد القادر البغدادي (ص٦٥٩)، طبع المطبعة الأميرية ببولاق، المجلد الثالث.

إلىٰ عبد الملك: «فمنعه بجير، فضربه بكير بعود وحبسه، وسيَّر الرأس إلىٰ عبد الملك، وكتب إليه يخبره بأنه هو الذي قتله، فلما قدم الرأس دعا عبد الملك رسول بكير، وقال: ما هذا؟ قال: لا أدري، وما فارقتُ القوم حتىٰ قتل ابن خازم».

ثم أورَدَ ابنُ الأثير الرواية القائلة بأن قتل ابن خازم كان بعدُ.

أبو العاج: كثير بن عبد الله السُّلمي:

هو أبو العاج كثير بن عبد الله بن فروة بن الحارث بن حنتم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عصية، ولي البصرة(١).

الجحاف بن حكيم السُّلمي:

أحد شجعان بني سليم وفُتاكِهِم الشعراء، كان مُعاصرًا لعبد الملك ابن مروان، ولما أوقعت تغلب ببني سليم، وقتلت عمير بن الحباب السُّلمي، كما سبقت الإشارة إليه في ترجمته في هذا الفصل، وتحداه «الأخطل» الشاعر التغلبي الفحل في الشعر، لا في الحرب، تحداه في أبيات معروفة، نهض عند ذاك الجحاف بقومه: «بني سُلَيم» مستعملًا دهاءه وشجاعته وحميته معًا، فقتل كثيرًا من التغلبيين، وبَقَرَ بطون النساء الحوامل، وقتل غير الحوامل، فما كان من تغلب إزاء هذه الفتكة «الجحَّافية السُّلمية» غير المتوقعة إلا أن يستجيروا بعبد الملك، فأهدر دم الجحاف، فهرب إلىٰ بلاد الروم، فأقام سبع سنين، وبعد موت عبد الملك أمنه الخليفة بعده: الوليد -في رواية- فرجع(٢).

---

(١) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص٢٦١) طبع دار المعارف بمصر.
(٢) «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (ص١٠٣) المجلد الثاني، وغير الأعلام، من المراجع القديمة والحديثة.

هذا، ومنذ معركة مرج راهط، كانت المعارك مستعرة بين قيس وتغلب بالشام والجزيرة، وفي سنة (٧٣هـ) كان مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فهدأت الفتنة بين القبيلتين، واجتمع الناس علىٰ عبد الملك بن مروان، وتكَافَّت قيس وتغلب عن المغازي، وإن كان في أنفس زعمائهما ورجالهما شيء كبير من الحق علىٰ بعض، وتكلم عبد الملك في ذلك ولكنه لم يُحكم الصلح.

وبينما هم علىٰ ذلك الحال من المهادنة؛ إذ قام الأخطل فأنشد عبد الملك بن مروان -وعنده وجوه قيس، وفيهم الجحَّاف بن حكيم السُّلمي- أنشده قَوْلَه من قصيدة كان نظمها مدحًا في بعض بني أمية:

ألا سائلِ الجحاف هل هو ثائر ... بقتلي أُصيبتْ من سُلَيمٍ وعامرِ

أجحافُ إن نهبط عَلَيْكَ فتلتقي ... عليك بحور طاميات الزواجرِ

تكن مثل أبْداءِ الحُباب الذي جرىٰ ... به البحر تزهاه رياح الصراصرِ

فوثب الجحاف، يجر مطرفه من الغضب... فقال عبد الملك للأخطل: ما أراك إلا قد جررت علىٰ قومك شرًّا... ومضىٰ الجحاف، فأتىٰ قومه، وافتعل كتابًا، وحشا جرُبًا -جمع جراب- ترابًا، وقال لهم: إن عبد الملك قد ولاني بلاد تغلب، وهذه الجرُبُ فيها المال، فتأهبوا وامضوا معي... فمضوا معه.

فلما أشرف علىٰ بلاد تغلب نثر التراب، وخرق الكتاب، وقال: ما من ولاية، ولكني غَضِبتُ لكم -وأخبرهم بقول الأخطل عند عبد الملك- فاثأروا بقومكم، فشد علىٰ بني تغلب بالبشر -ماء لهم أو جبل- ليلًا، وهم غَارُّونَ آمنون... فقتل منهم مقتلة عظيمة، وهرب من ليلته، وكان ممن وقع في أيدي بني سُلَيم «الأخطل» الشاعر نفسه، وكانت عليه عباءة دنسة، فسألوه، فذكر أنه عبد من عبيدهم، فأطلقوه، فقال ابن

صفار في ذلك يخاطب الأخطل:

لـــم تَــنْجُ إلا بالتعبــدِ نفسُـــهُ لَمَــا تــيقَّنَ أنهـــم قـــومٌ عِـــدَا
وتشـــابهت بـــرق العبـــاء علـــيهم فنجـــا ولـــو عرفـــوا عباءتـــه هَـــوىٰ

وقُتِل ابنُ الأخطل المسمىٰ بأبي غياث في غزاة الجِحاف لبني تغلب، قال جرير، يخاطب الأخطل في ذلك:

شَـــرِبتَ الخمـــر بعـــد أبـــي غيـــاث فـــلا نعمـــت لـــك النشـــوات بـــالَا

وقد بلغ الأخطلُ في طريق هروبه بليله، عبدَ الملك بن مروان، فاستغاث به، وقال حينما دخل عليه:

لقـد أوقـع الجحـاف بالبشـر[١] وقعـه إلـــىٰ الله منهـــا المشـــتكىٰ والمعـــولُ
فـــإن لا تغيرهـــا قـــريش بملكهـــا يكُـــنْ عـــن قـــريش مُســـترادٌ ومرحـــلُ

وفي رواية: (متزاد ومزحل).

فقال له عبد الملك: إلىٰ أين يا بن اللخناء[٢]؟

قال: إلىٰ النار، يا أمير المؤمنين... قال: أوْلَىٰ لك لو قُلْتَ غيرها[٣].

ثم إن الجحاف لقي الأخطل فيما بعد فقال:

---

(١) في «لسان العرب» لابن منظور «البشر» -بباء مكسورة بعدها شين ساكنة فراء مهملة-، وفسره قوله: «البشر: ماء لتغلب، والبشر: اسم جبل، وقيل: جبل بالجزيرة». انظر: مادة (بشر).

(٢) في رواية «معجم البلدان» لياقوت الحموي، مادة «بشر»: «إلىٰ أين يا بن النصرانية».

(٣) في رواية «معجم البلدان» لياقوت الحموي، مادة (بشر) أيضًا: «لقتلتك» بعد كلمة «غيرها» بدلًا من رواية الأغاني المكتفية بـ«أولىٰ لك لو قلت غيرها».

أيا مالك هل لمتني إذ حضضتني ... علىٰ القتل أم هل لامني لك لائم[(١)]

وقد أوردت كتاب «الهفوات النادرة» تأليف غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابي المتوفىٰ سنة (٤٨٠) قصة الجحاف السُّلمي، مع الأخطل، ولكنه اختصرها بالنسبة لما جاء في كتاب «الموشح» وبينهما بعض الاختلاف في الأقوال... وهو اختلاف غير جوهري.

قال: حضر الأخطل عند عبد الملك بن مروان، فأنشده:

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر ... بقتلىٰ أصيبت من سليم وعامرِ

قال: فاتفق أن كان الجحاف حاضرًا فكلح -فعبس- وجهه في وجه الأخطل، وقال مجيبًا:

نعم سوف نبكيهم بكل مهند ... ونبكي عُمَيرًا بالرماح الخواطر

يعني: عمير بن حُباب السُّلمي الذي قتلته تغلب... ثم قال (الجحاف): لقد ظَنَنْتُ يا بن النصرانية، أنك لم تكن لتجترئ عليَّ، ولو رأيتني مأسورًا.. وأوعده... فما زال الأخطل في موضعه حتىٰ حُمَّ، فقال له عبد الملك: أنا جارك منه[(٢)].

أما ياقوت في «معجم البلدان»، فقد ساق القصة في مادة «بشر» بإسهاب، وزاد علىٰ كلا «الموشح» و«الهفوات النادرة» أشياء من أهمها: ذِكْرُهُ أن (البشر) -بكسر أوله وسكون ثانيه- هو اسم جبل يمتد من عرض إلىٰ الفرات، من أرض الشام، من

(١) «الموشح» للمرزباني (ص٢١٧-٢١٩)، طبع دار نهضة مصر (١٩٦٥م).

(٢) «الهفوات النادرة» لغرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابي (ص٨٥)، طبع دمشق (١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م).

جهة البادية، وفيه أربعة معادن: معدن القار، ومعدن المغرة، ومعدن الطين الذي يُعمل منه البَواتِقُ التي يُسْبَكُ فيها الحديد، ومعدن الرمل الذي في حلب، يعمل منه الزجاج، وهو رمل أبيض، كالإسفيداج، وهو -أي: جبل البشر- من منازل بني تغلب بن وائل، قوم الأخطل الشاعر بطل القصة الجبان، إلىٰ جانب بطلها الآخر الفتَّاك: الجحاف السُّلمي.

ويفيدنا ياقوت بأن جبل البشر سُمِّي باسم شخص هذا اسمه، من النمر بن قاسط، كان خفيرًا لفارس، وقد قتله خالد بن الوليد في طريقه إلىٰ الشام... وكان من حديث ذلك أن خالد بن الوليد لمَّا وقع -(أوقع) بالفرس، بأرض العراق-، وكاتبه أبو بكر بالمسير إلىٰ الشام، نجدةً لأبي عبيدة، سار إلىٰ عين التمر، فتجمعت قبائل من ربيعة -نصارىٰ- لحرب خالد، ومنعه من النفوذ، وكان الرئيس عليهم، عَقَّةَ بن أبي عَقَّة قيس بن البشر بن هلال بن البشر بن قيس بن زهير بن عقَّة بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط... فأوقع بهم خالد، وأسر عقَّةَ، وقتله وصلبه، فغضبت له ربيعة، وتجمعت إلىٰ الهذيل بن عمران، فنهاهم حُرقوص بن النعمان عن مكاشفته، فعصوه، فرجع إلىٰ أهله وهو يقول:

ألا يا اسقياني قبل جيش أبي بكر ... لعل منايانا قريب ولا ندري
ألا يا اسقياني بالزجاج وكررا ... علينا كُمَيْتَ الدَّوْنِ صافيةً تجري
أظُنُّ خُيولَ المسلمين وخالدًا ... ستطرقكم عند الصباح علىٰ البشرِ
فهل لكمُ بالسير قبل قتالهم ... وقبل خروج المعصرات من الخدرِ
أريني سلاحي يا أميمة إنني ... أخاف بيات القوم أو مطلع الفجرِ

فطرقهم خالد، وأعجلهم عن أخذ السلاح، وضرب عنق حرقوص، فوقع رأسه في جفنة الخمر(١).

وقد تحقق ظنه في طروق خالد لهم في صباح تلك الليلة، والبلاء موكل بالمنطق كما يقولون.

وقصيدة الأخطل التغلبي التي فيها بيته:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً ... إلىٰ الله مِنْها المُشتكىٰ والمعولُ

وردت في أول ديوانه، في رواية أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، وجاء في مقدمة تلك القصيدة أن الأخطل قالها في مدح خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العيص بن أمية... وجاء في المقدمة المذكورة قولها: (ويذكر وقعة الجحاف بن حكيم السُّلمي)، وبعد البيت المتقدم:

فسائل بني مروان ما بال ذمة ... وحَبْلٍ ضعيف لا يزال يُوَصَّلُ

إلىٰ أن يقول:

أتاك بها الجحاف ثم أمرته ... بجيرانكم عند البيوت تُقَتَّلُ

لقد كان للجيران ما لو دعوتُم ... به حافل الأروىٰ أتتكم تغزل

فإن لا تغيرها قريش بملكها ... يكن في قريش مسمار ومرْحل(٢)

وتَعْرُرْ أناسًا عرة تكرهونها ... ونحيا كرامًا أو نموت فنقتل(٣)

أما البيت الذي أثار ثائرة الجحاف، فهو مطلع خمسة أبيات للأخطل وردت في

---

(١) «معجم البلدان» لياقوت الحموي (ص٦٣١ و٦٣٢)، المجلد الأول، طبع إيران.
(٢) هذه هي رواية الديوان، أما «الأغاني» للأصفهاني فروايته هي: «مستراد ومرحل» كما أسلفناه.
(٣) «ديوان الأخطل» (ص١٠ و١١) طبع مطابع أوفست علي بن علي بالدوحة، عاصمة قطر.

ديوانه الآنف ذكره بعد ذلك البيت الذي هو:

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلي أصيبت من سليم وعامر؟

وفيها يقول الأخطل مُهددًا متوعدًا بني سليم عامة في شخص الجحاف بن حكيم السُّلمي:

أَجَحافُ إنْ تَصْطَكَ يومًا فَتَصْطَدِمْ عليك أوَاذيُّ البحور الزواخر (١)
تَكُنْ مِثْل أقْذَاءِ الخبَاب الذي جرىٰ به الماء أو جاري الرياحِ
لقد حان كُلَّ الحَيْنِ من رام شاعرًا لدىٰ السَّورةِ العلياءِ عن كُلِّ شاعرِ

ويحدثنا كتاب الأغاني للأصفهاني، فيقول ما ملخصه: «إن عبد الملك أمر الوليد بن عبد الملك فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب، وضَمَّنَ الجحاف ما حُمِّلَ، فلحق بالحَجاج في العراق يسأله ما حمل، لأنه من هوازن، وبعد لَأْيٍ أعطاه عطاءً جزيلًا، وأدوا البقية.

ثُم تأله الجحاف بعد ذلك، واستأذن في الحج، فأذن له، فخرج في المشيخة الذين شهدوا معه، قد لبسوا الصوف، وأحرموا، وبَرَوْا أنوفهم -أي: خَرِمَوهَا وجعلوا فيها البُرىٰ- ومشوا إلىٰ مكة فلما قدموا المدينة -لأنها علىٰ طريقهم من الشام إلىٰ

---

(١) هذه رواية ديوان الأخطل، أما «الأغاني» ففيه (ص١٠٦) المجلد الحادي عشر:

أجحاف إن نهبط عليك فتلتقي عليك بحور طاميات الزواجرِ
تكن مثل أبداء الحباب الذي جرىٰ به البحر تزهاء رياح الصراصرِ

(٢) هذه رواية ديوان الأخطل، أما «الأغاني» ففيه (ص١٠٦)، المجلد الحادي عشر:

أجحاف أن نهبط عليك فتلتقي عليك بحور طاميات الزواجر
تكن مثل أبداء الحباب الذي جرىٰ به البحر تزهاء رياح الصراصر

مكة- وقدموا مكة، جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم ويعجبون منهم.

وقد سمع عبدُ الله بن عمر الجحَّاف، وقد تعلق بالكعبة وهو يقول: اللهم اغفر لي، وما أراك تفعل، فقال له ابن عمر: يا هذا، لو كنت الجحَّاف ما زدت علىٰ هذا القول.

فقال له: أنا الجحَّاف. فسكت ابن عمر، وسمعه محمد بن علي بن أبي طالب وهو يقول ذلك، فقال له: يا عبد الله قنوطك من عفو الله أعظم من ذلك.

وكان مولد الجحَّاف بالبصرة، فهو من أبناء الجالية السُّلمية التي اختارت البصرة موطنًا عقب إنشائها، وتوفي نحو سنة (٩٠هـ- ٧٠٩م)»(١).

أشرس السُّلمي:

هو أشرس بن عبد الله السُّلمي، أميرٌ من الفضلاء، كانوا يسمونه: «الكامل» لفضله، ولَّاه هشام بن عبد الملك إمارة خراسان سنة (١٠٩هـ) فَقَدِمَها، وسُر به الناس، واستمر إلىٰ سنة (١١٢هـ)، وفي تلك السنة غزا المسلمون مدينة فرغانة، وعليهم أشرس بن عبد الله السُّلمي فالتقاهم الترك، وأحاطوا بالمسلمين، وبلغ الخبرُ هشامَ بن عبد الملك، فبادر إلىٰ تولية جنيد بن عبد الرحمن المري، علىٰ بلاد ما وراء النهر، ليحفظ ذلك الثغر.

توفي أشرس سنة (١١٢هـ-٧٣٠م)(٢)، أي في سنة غزوه لفراغانة، وربما كان سبب وفاته اغتمامه من الإخفاق الذي مني به في هذه الغزوة وعزله من الإمارة علىٰ إثر ذلك.

---

(١) «الأعلام» للأستاذ خير الدين الزركلي (ص١٠٣) المجلد الأول، طبعة مصر الثانية، و«الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني (ص١٠٥-١٠٩) المجلد الحادي عشر.

(٢) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص٢٦٣)، و«الأعلام» للزركلي (ص٣٣٢) المجلد الأول، طبعة مصر الثانية.

عمرو بن معاوية السُّلمي:

هو من ولد عمير بن الحباب السُّلمي، أحد الفرسان الأربعة من بني سليم، وهم: عبد الله بن خازم[1]، والجحاف بن حكيم، وقد مرت ترجمتهما، وعمير بن الحباب جد عمرو هذا، وزفر بن الحارث.

تولىٰ عمرو بن معاوية ناحية القصرين من إفريقية، وخرج علىٰ إبراهيم بن الأغلب مع عمران بن مجالد، وكان وزيرَه الغالب عليه في أموره، ثم خرج ثانية علىٰ ولده: زيادة الله بن إبراهيم، وكان قد ولاه القصرين وما إليهما، فتغلب علىٰ تلك الناحية، وأظهر الخلاف، فلما ظفر به زيادة الله، قتله وولديه: الحباب وسكتان، ودعا أهل بيته، فشرب معهم، ورءوسهم بين يديه، فغضب لهم منصور بن نصر الجشمي المعروف بالطنبذي -وكان عاملًا علىٰ طرابلس- وتابعه الجند، فاضطربت إفريقية علىٰ زيادة الله، وحُصِرَ في قصره، ولم يبق في يده إلا الساحل وقابس إلىٰ أن قُتِل المنصور.

ومن شعر عمرو بن معاوية قوله يخاطب مُبارِزَه من أصحاب تمام بن تميم يوم التقىٰ هو وإبراهيم بن الأغلب عند خروج تمام علىٰ بن العكي:

مَــنْ مُبْلِــغ قــولي إلــىٰ التَّمَّــام ... حِلْفًــا بــرب الحــل والحــرامِ
إنــك محمــول علــىٰ الصمصــامِ ... وقــد تلاقــت حِلَــقُ الحــزامِ

---

(١) في المطبوعة التي حققها الدكتور حسين مؤنس من «الحلة السيراء» للقضاعي: «حازم» بالحاء المهملة (ص١١٠) المجلد الأول، طبع القاهرة، والصواب أنه «خازم» بالخاء المنقوطة من فوق.

ثم شد عليه عمرو بن معاوية فأرداه[١].

يزيد بن أسيد السُّلمي:

اسم جده: زافر بن أبي أسماء بن أبي السيد بن منقذ «فرقد» بن مالك بن عوف بن امرئ القيس، وكان يزيد هذا من القادة في دولة بني العباس[٢]، ولاه أبو جعفر المنصور العباسي أرمينية، وتولاها لولده المهدي، وغزا الروم سنة (١٥٨هـ)، واستولىٰ علىٰ حصون من ناحية قاليقلا سنة (١٦٢هـ)، وكانت أمه نصرانية، وهو الذي فَضَّلَ الشاعِرُ ربيعةُ الرقي عليه، يزيدَ بن حاتم الأزدي، في الكرم في قوله من أبيات مشهورة متداولة علىٰ ألسنة الأجيال المتعاقبة حتىٰ الآن:

لَشتان ما بين اليزيدين في الندىٰ ... يزيد سليم والأغر بن حاتمِ
فهَمُّ الفتىٰ الأزدي إتلاف ماله ... وهَمُّ الفتىٰ القيسي جمع الدراهمِ

توفي يزيد بن أسيد السُّلمي سنة (١٦٢هـ)، وقد تأمر ابنه أحمد بن يزيد السُّلمي أيضًا[٣].

أحمد بن يزيد السُّلمي:

والده يزيد بن أُسيد بن زافر بن أبي أسماء بن أبي السيد بن فرقد بن مالك بن عوف بن امرئ القيس، من قواد بني العباس... له ذكر في «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم... وهو الذي فضل الشاعرُ ثابتٌ الرقي، يزيد بن حاتم المهلبي علىٰ أبيه

(١) «الحلة السيراء» (ص١١١) الجزء الأول.
(٢) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص٢٦٢) ط مصر.
(٣) راجع «تاريخ الكامل» لابن الأثير وغيره.

يزيد بن أسيد في أبيات سارت مسير الأمثال وأوردناها جميعًا في فصل «قصص من ماضي سُلَيم»... وقد روينا له قصة مع سمسار جوار لها علاقة بالأبيات التي قيلت في هجاء أبيه... وذلك في الفصل المذكور آنفًا.

وقد وصفوا ابنه أحمد بأنه أمير ... وقد كان ركنًا ركينًا ومرجعًا أمينًا للجالية السُّلمية التي كانت تقيم في زمنه بجرجان... علىٰ ما يفهم من فحوىٰ أبيات للشاعر «أشجع السُّلمي»... وقد توفي أحمد هذا بجرجان...

وكونه ركنًا ومرجعًا لقومه في جرجان يدلنا علىٰ أنه كان كريمًا ووجيهًا وذا مكانة مرموقة لديهم.

معن بن أبي عاصية السُّلمي:

هو مدني شاعر، استعمله زياد بن عبد الله الحارثي حينما كان عاملًا علىٰ المدينة للمنصور -استعمله علىٰ ينبع، فحبس بعض أولياء عبد الله بن حسن، فشتمه عبد الله فهجاه، وقبَّح، وستأتي بقية ترجمته في فصل «شعراء من بني سليم».

يعقوب بن داود بن عمر السُّلمي:

والد جده عمر هو عثمان بن طهمان مولىٰ أبي صالح عبد الله بن حازم -خازم- السُّلمي.

يُكنَىٰ يعقوب: أبا عبد الله الوزير.

كان ذا فضل في فنون العلوم، سمحًا جَوَادًا، كثير الصدقة والبر، وكان كاتبًا لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي خرج هو وأخوه محمد المنصور، وقُتِل الأَخوانِ في سنة خمس وأربعين ومائة، فظفر المنصور

بيعقوب فضربه واعتقله في السجن المُطبق، فلما مات المنصور أطلقه ابنه المهدي وواخاه، وحل منه محلًّا عظيمًا حتىٰ كانت كُتُبُ المهدي لا تنفذُ حتىٰ يرد كتابه بإنفاذها، ثم استوزره في سنة ثلاث وستين ومائة، فأنفق أموال بيت المال، وأقبل علىٰ اللذات والشرب وسماع الغناء، فكثرت الأقوال فيه، ووَجَدَ أعداؤه مقالًا فيه، فقالوا، وذكروا خروجه علىٰ المنصور، مع إبراهيم بن عبد الله العلوي، فامتحنه المهدي في مَيله إلىٰ العلويين، فدفع إليه بعضهم، وقال: أشتهي أن تكفيني مئونته، وتريحني منه، بعد أن توثق منه، ووهب له مائة ألف وجارية، فاستعطف العلويُّ يعقوبَ، فأطلقه وأحسن إليه، ووصله بمال، فعَرَّفت الجارية المهدي بالخبر، فبعث إليه من أحضر له العلوي والمال، واستدعىٰ يعقوبَ، وسأله عن العلوي، فأخبره بأنه كفاه أمره، فاستحلفه بالله وبرأسه(١) فحلف.

فأمر المهدي العلويَّ بالخروج، فخرج؛ فبقي يعقوب متحيرًا، فأمر بحبسه في المُطبق أو في البئر، فحبس فيه، واستمر به سنين، في أيام المهدي والهادي، وخمس سنين في أيام الرشيد، حتىٰ شفع فيه يحيىٰ بن خالد بن برمك عند الرشيد، ورد إليه ماله، وخيَّره في المُقامِ حيث شاء، فاختار مكة، فأذن له في ذلك، فأقام بها إلىٰ أن مات سنة (١٨٢هـ)، وقيل سنة (١٨٧هـ)، وقيل: سنة (١٨٥هـ).

كان يعقوب عالمًا سمحًا جَوَادًا كثير البر والصدقة واصطناع المعروف مقصودًا ممدوحًا(٢)، فلعل ما أصابه من الميل إلىٰ اللذات بعد اعتقاله في السجن

---

(١) هذا من الحلف بغير الله وحكمه في الشرع الإسلامي معروف.
(٢) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين الفاسي المكي (ص٤٧٤ و٤٧٥) من الجزء السابع، طبع مصر، و«مرآة الجنان» لليافعي اليمني المكي (ص٤١٧ و٤٢٠) والجزء الأول.

المطبق كان من أثر الصدمة النفسية التي مُني بها.

أسد بن الفرات السُّلمي بالولاء أيضًا:

يُكنىٰ أسد أبا عبد الله، وهو إما من خراسان من نيسابور، أو مولود بحَران من ديار بكر... وقيل: بل قدم أبوه وأمه حامل، وكان علَّم القرآن ببعض القرىٰ، ثم اختلف إلىٰ علي بن زياد بتونس، فلزمه، وتعلم منه وتفقه بفقهه، ثم رحل إلىٰ المشرق، فجمع من مالك بن أنس «موطأه» وغيره، ثم ذهب إلىٰ العراق، فلقي أبا يوسف، ومحمد بن الحسن، وأسد بن عمرو، وكتب عن يحيىٰ بن أبي زائدة، وهشيم، والحسيب، وأبي شريك، وأبي بكر بن عياش وغيرهم، وأخذ عنه أبو يوسف، موطأ مالك.

حدَّث عن نفسه، فقال: «لما خرجتُ من المشرق، وأتيت المدينة فقدمت مالكًا، وكان إذا أصبح خرج آذنُه، فأدخل أهل المدينة، ثم أهلَ مصر، ثم عامة الناس، فكنتُ أدخل معهم، فرأىٰ مالكٌ رغبتي في العلم، فقال لآذنه: أدخل القروي مع المصريين.

فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قلتُ له: إن لي صاحبين وقد استوحشت أن أدخل قبلهما، فأمر بإدخالهما معي، وكان ابن القاسم وغيره يحملني أن أسأل مالكًا، فإذا أجابني قالوا لي: قل له: فإذا كان كذا وكذا؟ فضاق عليَّ يومًا، وقال: هذه سلسلة بنت سلسلة: إن كان كذا كان كذا... إن أردت فعليك بالعراق.

فلما وَدعته حين خروجي إلىٰ العراق، دخلتُ عليه وصاحبان لي، وهما: حارث التميمي، وغالب صهر أسد، فقلنا له: أوصنا!

فقال لي: أوصيك بتقوىٰ الله العظيم، والقرآن، ومناصحة هذه الأمة خيرًا -

فراسة من مالك لمستقبل أسد- فَولي أسدٌ القضاء... وقال لصاحبيَّ: أوصيكما بتقوىٰ الله ونشر هذا العلم».

ولما سمع أسد «الموطأ» عن مالك، قال له: زدني سماعًا! قال: حسبك ما للناس.

وذهب أسد إلىٰ العراق، وتتلمذ علىٰ أبي يوسف، ثم ارتحل إلىٰ إفريقية بعدما نعي إليه أستاذه الإمام مالك بن أنس الأصبحي، وقد ارتجت العراق لموته، وقد رأىٰ بعيني رأسه وسمع بأذنيه كيف يقدر العراقيون مالكًا؛ فندم أسد علىٰ ما فاته، وأجمع أمره علىٰ الانتقال إلىٰ مذهبه، فقدم مصر، وقال: إن كان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم أصحابه(١)، وفي مصر ألَّف كتاب «الأسدية» دونها عن ابن القاسم، أكبر تلاميذ مالك فهي المدوَّنة، وانتشر صيت أسد بن الفرات في تونس، وقد كان ثقة لم يُرْمَ ببدعة... وبسببه ظهر العلم بإفريقية، وسمع منه علماء القيروان ووجوهها في القيروان: سحنون بن سعيد، وأمثاله من المدنيين وغيرهم، وحينما مات قال أبو محرز الكناني -وهو أحد أعلام العلم والقضاء بتونس وكان منافسًا لأسد-: «اليوم مات العلم».

ولايته للقضاء، فالإمارة مع القضاء:

ولَّىٰ زيادة الله أسدًا القضاء، مشاركًا فيه لأبي محرز الكناني سنة ثلاث أو أربع ومائتين للهجرة، وكان أسدٌ أغزر علمًا وفقهًا، وكان أبو محرز أسدَّ رأيًا، وأكثر صوابًا، ومكث أسد في القضاء مع أبي محرز إلىٰ أن ولاه زيادة الله سنة (٢١٢هـ) إمارة

(١) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضي عياض (ص٤٦٥-٤٦٩) الجزء الثاني، منشورات دار مكتبة الحياة في بيروت.

جيش فتح صقلية، وأضاف إليه مع الإمارة القضاء، فكان ممن جمع بين منصبي القضاء والإمارة، وهُمْ قِلَّةٌ جدًّا في تاريخ العالم الإسلامي.

وكان أسد مع علمه أحد الشجعان، وسبب توليته الإمارة والقضاء معًا يتخلص في أن ملك صقلية نَقَض العهد الذي بينه وبين زيادة الله، وقد كان ملك صقلية في هدنة مع زيادة الله، وكان في شرط الهدنة أنَّ من دخل إليهم من المسلمين وأرادوا أن يَردوه فعليهم ردُّه، فوصل إلىٰ زيادة الله أن عندهم أسرىٰ من المسلمين، وأحس ملك صقلية بالخطر، فأرسل رُسلًا من عنده إليه، فجمع زيادة الله العلماء، وسألهم عن الأمر، فقال أبو محرز: يُستأني حتىٰ يتبين.

وقال أسد: يُسأَلُ رُسُلهم عن ذلك. فقال أبو محرز: كيف يقبلُ قولهم عليهم؟ فقال أسد: بالرسل هادناهم، وبهم نجعلهم ناقضين، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ [محمد: ٣٥]. فنحن الأعلون...

فسأل زيادة الله الرسل -ومعنىٰ هذا أنه أخذ برأي أسد لا برأي أبي محرز- فاعترفوا (كما قدَّر أسد) بأنهم في دينهم لا يحل لهم ردهم، فأمر زيادة الله بالغزو إلىٰ صقلية، وولىٰ أسد بن الفرات إمارة الجيش الغازي لصقلية في سبيل الله، فقال له أسد: من بَعْدِ القضاء والنظر في الحلال والحرام تعزلني وتوليني الإمارة؟

فقال له زيادة الله: لا، ولكني وليتُك الإمرة، وهي أشرف، وأبقيتُ لك اسم القضاء، فأنت أمير وقاض.

فخرج أسد إلىٰ صقلية، وشيعه كل أهل البلاد، تنفيذًا لأمر الأمير زيادة الله، فلما نظر أسدٌ الناسَ، حوله من كل جهة وقد صهلت الخيل، وضُربت الطبول، وخفقت البنود، قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، والله يا معشر المسلمين، ما

وَلِي لي أبٌ، ولا جد، ولا رأىٰ أحد الناس من سلفي مثل هذا، ولا بلغتُ ما ترون إلا بالأقلام -فاجتهدوا- فأجهدوا أنفسكم فيها، وثابروا علىٰ تدوين العلم، تنالوا به الدنيا والآخرة.

ثم ذهب أسد بن الفرات الأمير القاضي، إلىٰ صقلية علىٰ رأس الجيش الإسلامي الغازي البالغ عشرة آلاف رجل، منهم (٩٠٠) فارس، وتصادم الجيش المسلم مع جيش ملك صقلية فهزمه الله، وسالت الدماء علىٰ قناة لواء أسد حتىٰ صار الدم تحت إبطه، وردَّ يده في بعض تلك الأيام، فلم يستطع مما اجتمع من الدم تحت إبطه(١).

وتوفي أسد وهو محاصِرٌ لسرقوسة، أميرًا قائدًا، وقاضيًا، وكان ذلك سنة ثلاث عشرة ومائتين للهجرة، وقيل: أربع عشرة، وقيل: (٢١٧هـ)، وقبره ومسجده بصقلية.

كانت ولادة أسد سنة (١٤٥هـ) بِحران، وقيل: بسنة (١٤٣هـ)، وقيل: سنة (١٤٢هـ)... وكان قدومه إلىٰ إفريقية من المشرق سنة (١٨١هـ)، فعلىٰ القولين الأولين كان عمره ثمانيًا وستين سنة قمرية.

هذا، ولأسد بن الفرات عدة تراجم في كتب التاريخ والفقه، ومن هذه الكتب: «طبقات علماء إفريقية وتونس» لمحمد بن أحمد بن تميم القيرواني المتوفي سنة (٣٣٣هـ)، بعد وفاة أسد بن الفرات بمائة وعشرين عامًا فقط.

عزيزة (أو) عزيرة بن قطاب السُّلمي:

كان المقدم علىٰ بني سليم، إبان غزو القائد (بغَا) لهم من بغداد، وهم في

(١) «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (ص٤٧٦-٤٧٧).

بلادهم الأصلية، وذلك إنفاذًا لأمر الخليفة العباسي «الواثق بالله»، وكان بنو سليم قد عاثوا في الأرض، وأغاروا علىٰ جيرانهم من باهلة، وكنانة بميناء الجار: (البريكة)(١) الذي كان ميناء المدينة قِبَل ينبع البحر، وأوقعوا بهم علىٰ ما فصلناه في فصل «دور بني سليم في الأحداث العربية والإسلامية».

كان عزيرة أو عُزيرة مقدَّم بني سليم، وكان بطلًا مغوارًا وفارسًا صنديدًا لا يُشق له غبار، وكان يحمل علىٰ الجيش الذي يقوده بُغَا ويرتجز ويقول:

لابد من زحم وإن ضاق الباب ... إني أنا عُزيزة بن قطاب

لَلْمَوْتُ خيرٌ للفتىٰ مِنَ العَابْ

وظل يقاتل إلىٰ أن قتل، وصلب بسنة (٢٣٠هـ)(٢).

ومن شعره:

لقد رُعتموني يوم ذي الغار روعة ... بأخبار سوء دونهن مشيبِي

نعيتم فتىٰ قيس بن عيلان غدوة ... وفارسها تنعونه لحبيبِ

وقد اختلف في تحرير اسم هذا البطل السُّلمي، ففي «النجوم الزاهرة» ورد هكذا (عُزيرَة)، وفي الطبراني كذلك، كما ورد أيضًا هكذا (غزيرة وغديرة وغويرة)، ولابد أن تقارب الحروف أوجد هذا لاختلاف في اسمه.

---

(١) قمنا برحلة إلىٰ البريكة من جدة مرتين... وقد تأكد لدينا أن ميناء الجار الذي كان يمون المدينة من البحر هو هذه (البريكة) لا الرايس المجاور لها... وقد نشرنا بحثًا مسهبًا عن الرحلة وعن ميناء الجار المعروف حاليًا باسم (البريكة) في مجلة المنهل بعدد جمادىٰ الأولىٰ «الخاص» سنة (١٣٩١هـ-١٩٧١م).. فراجعه فيه إن شئت.

(٢) «النجوم الزاهرة» (ص٢٥١ و٢٥٨) الجزء الثاني وغيره.

علي بن وداعة السُّلمي:

أحد الأمراء الشعراء من بني سليم في الأندلس، كان قريبًا من سنة (٤٠٠هـ).

وكان «صاعد» اللغوي المشهور قد انتهت به الحال إلىٰ أن أُغْرِم، فاستغاث علي بن وداعة أحد الفرسان الأبطال، وأحد نبهاء الدولة في ذلك الأوان، وقد مدحه بقصيدة استعطفه فيها لاتصال نسيبهما: فصاعدٌ من ربيعة (وربيعةُ من سُلَيم سِنَانٌ زان عالية الرماح).

قال صاعد:

أبا حسَنٍ ربيعةُ من سليمٍ ... سِنَانٌ زان عاليةَ الرماحِ
وإني عائذ بك من هَنَاة[1] ... تَحُس دعائمي تحت القِداحِ
فكُرَّ عل ابن عمك وانتَشِلْهُ ... فليس حِمَىٰ ابن عمك بالمباحِ
فإن الجار عندك بين جنبي ... عقابُ الدَّجْنِ كاسرة الجناحِ
نظنك طالعًا ببني سليم ... عليها عند مفتضَحِ الصَّباحِ
إذا ساورت قِرْنَكَ في مكر ... جعلت له ذراعك كالوشاحِ

وله في ابن أبي وداعة (ابن وداعة):

زار الحبيب فمرحبًا بالزائر ... أهلًا ببدر فوق غصن ناضر
قَبَلْتُ من فرحي تراب طريقه ... ومسحتُ أسفل نعله بمحاجري

---

(١) معنىٰ «الهناة» هنا هو: (الداهية).

وخشـيتُ أن ينقـدْ أخمـص رجلـه ... مـن رقـة فبسـطتُ أسـود نـاظري[(١)]

وقد قتل علي بن وداعة في عهد هشام بن الحكم الأموي بالأندلس.

قاسم بن مرة بن أحمد السُّلمي:

قام قاسم بن مرة بالدعوة إلىٰ الدين الحق والسنة، وذلك في المائة السابعة للهجرة.

يقول عنه ابن خلدون: «ويختلف حال صاحب الدعوة معهم -مع الأعراب- في استحكام دينه وولايته في نفسه دون تابعه، فإذا هلك انحلَّ أمرهم، وتلاشت عصبيتهم، وقد وقع ذلك بإفريقية لرجل من كعب من سليم، يُسمَّىٰ قاسم بن مرة بن أحمد في المائة السابعة».

أبو محمد السُّلمي:

كان أبو محمد السُّلمي، كاتب الأمير محمد بن سعد بن مردنيش، فهو موظف رسمي، وكانت له لماحية وذكاء وثقافة واسعة... حدَّث أن وزير ابن مردنيش بمرسية الذي هو: عبد الرحمن بن عبد الملك تحاور -ذات يوم- بين يدي الأمير مع حاتم بن سعيد من ذرية عمار بن ياسر، وكان صاحبَ آراء الأمير ومن ذوي الخاصة من وزرائه، فقال عبد الرحمن بن عبد الملك، يخاطب الأمير، ويلمز حاتمًا: لعل الأمير اغتر بسماع اسمه: (اسم حاتم)... ما فيه من الكرم إلا الاسم... فقال حاتم: ولعل الأمير اغتر بسماع أمانة عبد الرحمن وما عنده من الأمانة إلا الاسم، وكان عبد

---

(١) «الحلة السيراء» لمحمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار (ص٢٨٢ و٢٨٣) الجزء الأول، طبع مصر.

الرحمن بن عبد الملك هذا، بيده المجابي والأعال، فقدمه علىٰ وزرائه.

فقال الأمير محمد بن سعد بن مردنيش -وقد ضحك-: الأولىٰ فهمتْ، ولم أفهم الثانية، (يقص أنه فهم خُلُو حاتم بن سعيد من الكرم)، وإن كان اسمه علىٰ اسم (حاتم طئ)، ولم يفهم النكتة الثانية التي رمز إليها حاتم بن سعيد في غمزه لعبد الرحمن بن عبد الملك وزير الجباية والخزانة... وعندئذ انبرىٰ الكاتب أبو محمد السُّلمي؛ فشرح للأمير ابن مردنيش ما رمز إليه حاتم من الطعن في أمانة عبد الرحمن بن عبد الملك بأن قال للأمير: «إن حاتمًا أشار إلىٰ قول رسول الله ﷺ في عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «**أمير هذه الأمة، وأمير في أهل السماء، وأمير في أهل الأرض**»[(١)]...

ومعنىٰ ذلك أن عبد الرحمن بن عبد الملك الأمين لديك أيها الأمير، رسميًّا، علىٰ جباية الأموال والأعمال، وإن كان اسمه علىٰ اسم عبد الرحمن بن عوف الذي هو أمين حقًّا وصدقًا، فإنه -أي: عبد الرحمن بن عبد الملك- ليس أمينًا فعلًا... وعندما شرح أبو محمد السُّلمي الكاتب هذا المعنىٰ العميق لهدف حاتم بن سعيد البعيد «طرب الأمير ابن مردنيش» وجعل يقول: أحسنتما... أحسنتما...».... قال ذلك وهو يخاطب المتحاورين أمامه: عبد الرحمن بن عبد الملك وحاتم بن سعيد).

هذا ومما يلاحظ أن مطبوعة دار المعارف بمصر، من كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» ورد فيها النص الذي سبق ذكره من حديث الرسول ﷺ محرفًا؛ إذ ورد فيها كما سبق أن بيناه: «**أمير هذه الأمة، وأمير في أهل السماء، وأمير في أهل الأرض**».

---

(١) «الإحاطة بأخبار غرناطة» للسان الدين الخطيب (ص٤٩١ و٤٩٤)، طبع دار المعارف بمصر.

بالراء في ثلاث صيغ الأمير.

والصواب: أن الصيغ الثلاث المذكورة، كلهن بالنون، لا بالراء... جاء ذلك نصًّا في كتاب «الاستيعاب» للحافظ أبي عمر بن عبد البر: «قال عبد الرحمن بن عوف لأصحاب الشورىٰ: هل لكم أن أختار لكم، وأنتفي منها؟

قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنا أولىٰ من رضي... فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنت أمين في أهل السماء، وأمين في أهل الأرض**»... وقال الزبير بن بكار: كان عبد الرحمن بن عوف، أمين رسول الله ﷺ علىٰ نسائه»[(١)].

* * *

(١) «الاستيعاب في معرفة الصحاب» لابن عبد البر (ص٨٤٦) المجلد الثاني، طبع مطبعة نهضة مصر، وتحقيق محمد علي البجاوي.

سراة وتجار ومزارعون
من بني سُليم

ربما كان السَّراة والتجار، والمزارعون كثيرين في بني سليم، لاتساع دائرة وجودهم في أنحاء العالم الإسلامي، قديمًا وحديثًا، وأغلب المؤرخين القدامىٰ لا يعنون بهذه الناحية الاقتصادية، عنايَتَهُمْ بالنواحي التاريخية الأخرىٰ: الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والأدبية.

ولهذا -كما نرىٰ- حُرِمْنا من الاطلاع علىٰ تراجم حيوات كثير من التجار ورجال الأعمال والسَّراة السُّليميين الذين وجدوا في مختلف الأصقاع الإسلامية منذ صدر الإسلام، وكما زاول كثير من بني سليم شؤون العلم والحرب والسياسة والإدارة والأدب، وكما خاضوا معمعة خضم الحوادث وصار منهم أفراد مشهورون ذوو تاريخ خالد ومجيد، فلابد أنهم كذلك يوجد بينهم نفر عديدٌ في الأجيال الماضية عملوا في الحقل الاقتصادي ونجحوا فيه نجاحًا يتراوح بين السفح والوسط والقمة.

وقد مَرَّ بنا في فصل «ديار بني سليم الأصلية» أن العرب في الجاهلية القريبة من صدر الإسلام كانوا يقدرون مواهب بني سليم، ويفيدون من ثرائهم وثراء بلادهم، فيتاجرون معهم، ويشاركونهم في استثمار مزارعهم وفي تجاراتهم، ما مرَّ بنا في ذلك الفصل أيضًا أنهم كانوا يملكون المصادر المعدنية، وإن كثيرًا من أُسر مكة تحالفت معهم واشتركت معهم في استغلال ثروات البلاد الزراعية والتجارية، وأن أهم ثروات بني سليم إذ ذاك هو الذهب والفضة.

ومَرَّ بنا أيضًا في فصل: «صحابة من بني سليم» في ترجمة (الحجاج بن علاط السُّلمي) أنه كان يملك معدن الذهب الذي يقع في ديار بني سليم، ومَرَّت بنا أيضًا قصة مرداس والد العباس الذي أحيي هو وشريكه القرشي غابة القُرية، ومَرَّ بنا كذلك حديث: (أبي الحصين السُّلمي) الذي قدم المدينة بذهب من معدن بني سليم، فقضىٰ دينًا كان علىٰ رسول الله ﷺ، تحمَّل به، وفضل ذهبٌ مع أبي الحصين مثل بيضة الحمامة فحاول جاهدًا، أن يقبله الرسول منه، فأبىٰ ذلك صلوات الله وسلامه عليه، وأشار له إشارة حكيمة من طريق الكناية لا التصريح بأن يصرف هذه البقية من ذهبه علىٰ من يعول.

كل هذا وذاك، وغيره يجعلنا نؤكد -من مقتضيات الأحوال- أن هناك أشخاصًا عديدين عبر التاريخ الإسلامي من بني سليم مارسوا فن التجارة والأعمال وبرعوا فيهما، ولابد أن لبعضهم ذكرًا في التاريخ المبعثر، وإن كنا لم نعثر إلا علىٰ قلة ضئيلة منهم لا تكاد تذكر، كما أن فيهم سَراة لهم مكانتهم في مجتمعاتهم.

ونحن نرىٰ اليوم بعض بني سليم في المملكة يمارسون التجارة والأعمال الزراعية، وهناك سلميٌّ تاجر في الجاهلية القريبة من صدر الإسلام.

وهو:

قيس بن شيبة السُّلمي:

ذكروا أن قيسًا هذا كان قد تاجر بمكة في أواخر أيام الجاهلية، وكان قدم إلىٰ مكة، ليبيع تجارته فيها، وحدث أن باع متاعًا له من «أبي خلف الجُمَحي»، فذهب أبو خلف بحقه، ولم يعطه إياه، فاستجار قيس بن شيبة السُّلمي، بآل قُصي، فأجاروه،

وقيل: إن هذا الحادث الذي وقع لهذا التاجر السُّلمي في مكة كان السبب المباشر في عقد «حلف الفضول» المعروف[١].

ابن الدُّغنَّة السُّلمي:

اسمه ربيعة بن رفيع بن حيان بن ثعلبة السُّلمي، وابن الدغنة هذا كان من سادة الأحابيش الذين يديرون أمورهم، ولم ينص ما اطلعتُ عليه من المراجع: هل كان ابن الدغنة السُّلمي، و«الحليس» الحارثي، عربيين صريحين أم كانا من بني سليم وبني الحارث بالولاء، ولكن مكانة ابن الدغنة الاجتماعية ربما تدلنا علىٰ أنه سلمي النسب.

وقد أجار ابن الدغنة السُّلمي، أبا بكر الصديق في مكة المكرمة، وهذا يدل علىٰ عظم مكانته في البلد الأمين في نفوس قريش أجمعين، كما أنه شهد معركة حنين[٢]، وله ترجمة في مادة (دغن) بـ «تاج العروس شرح القاموس»، وفي «الاستيعاب» لابن عبد البر أيضًا أن اسمه: ربيعة بن رفيع بن أُهبان، بدلًا من -حيان-، ابن ثعلبة السُّلمي، وقال عنه: «كان يُقال له ابن الدغنة، وهي أمه، فغلبت علىٰ اسمه»[٣].

وفي «جمهرة أنساب العرب» أنه «الربيع بن ربيعة بن ربيع بن أهبان بن ثعلبة بن ضبيعة بن ربيعة بن يربوع بن سماك بن عوف بن امرئ القيس بن بُهثة بن سليم قاتل

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» (ص١١ وما بعدها)، الجزء الثاني وغيره.

(٢) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» للدكتور جواد علي (ص٣٣ و٣٥) الجزء الرابع.

(٣) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للحافظ ابن عبد البر (ص٤٩١) القسم الثاني، طبع مطبعة نهضة مصر.

دريد بن الصمة يوم أوطاس»[١].

وقد مرت بنا ترجمته في فصل «صحابة من بني سليم»... وهناك أوردنا ما ذكره صاحب «الاستيعاب» من أن قتله لدريد بن الصمة كان يوم حنين، وقد أدركه فيه، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة، فإذا برجل، فأناخ به، فإذا شيخ كبير، وإذا هو دريد، ولا يعرفه الغلام، ثم ضربه بسيفه فلم يُغْنِ شيئًا.

قال دريد: بئسما سلحتك أمك، خذ سيفي هذا من مؤخر الرحلِ، ثم اضرب به، وارفع عن العظم، واخفض عن الدماغ؛ فإني كذلك كنت أضرب الرجال، فإذا أتيت أمك فأخبرها أني قتلت دريد بن الصمة، فرب والله يوم قد منعتُ فيه نساءك، ولما رجع ربيعة إلىٰ أمه، أخبرها بقتله إياه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثًا[٢].

ويدلنا فحوىٰ هذه القصة علىٰ استشراء الفوضىٰ في بلاد العرب في جاهليتهم القريبة من الإسلام، وأن القتل لديهم -لسبب موجب أو لغيره- كان أمرًا مألوفًا وسنة متبعة، وعادة سائدة... وإلا لماذا قَتَلَ الغلامُ ربيعةُ بن رفيع أو الربيع بن ربيعة السُّلمي، هذا الشيخَ الكبيرَ في غير ترة ولا معركة ولا خصومة أو مطمع؟...

الشريد السُّلمي:

الشريد السُّلمي كان بقية أهل بيته، وسمي لذلك بالشريد، وكانت له مزرعة كبيرة عرفت في التاريخ باسم «ثنية الشريد»... وكان فيها أعناب ونخل لم يُرَ مثلها،

(١) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص٢٦٢).

(٢) «الاستيعاب» (ص٤٩١) الجزء الثاني.

وحينما قَدِمَ معاوية بن أبي سفيان المدينة طلب المزرعة من صاحبها، فأبىٰ؛ ثم إن الشريد ركب ذات يوم إلىٰ مزرعته فوجد عُمَّاله في الشمس فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا له: نسجم البثار، فركب إلىٰ معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لم يزل في نفسي منعي إياك ما طلبت مني، فهو لك، بما أردت.

فكتب إلىٰ ابن أبي أحمد: أن يدفع إليه الثمن. قال: وسمعتهم يُكثِّرونه جدًّا، فقال له ابن أبي أحمد: إن أمير المؤمنين لم يَسُمْكَ بها وهي علىٰ هذه الحال. فقال: إني رجوت حين صار أمري إليك، التيسير علي، فدفع إليه الثمن(١).

* * *

(١) «وفاء الوفا» للسمهودي (ص١٠٦٦ و١٠٦٧) الجزء الثالث.

شعراء بني سليم

الشعر ديوان العرب، وبنو سليم كان منهم في الجاهلية، وفي صبح الإسلام وضحاه وظُهره، شعراء مبرزون.

وقد سبق لنا في فصل: (إزاحة شبهة علميَّة) أنَّ أبا القاسم الآمري المتوفي سنة (٥٧٠هـ) كان قد ألَّف ستين ديوانًا من دواوين القبائل العربية، كان الرابع والعشرون من هذه الدواوين هو: ديوانَ بني سُليم، وأن هذا الديوان الجامعَ لأشعار السُّلمين وأخبارهم عبثت به أصابع الدهر.

وهذا الفصل الذي خصصناه لشعراء بني سليم وشعرهم العربي الفصيح منذ الجاهلية حتىٰ القرن الهجري السابع، والفصل الذي يليه المخصص لشاعراتهم وأشعارهن هما ذَوَا فائدة واضحة من هذه الناحية، فقد جمعنا فيهما تراجم بعض شعرائهم وطاقات من أشعارهم حتىٰ القرن الهجري السابع، أي: إلىٰ ما بعد زمن جامع شعرهم: (الآمدي) بثمانية قرون ونيف، وقد قفيناه بشيء من شعرهم النبطي أو الحميني المعاصر، ربطًا لحلقات التاريخ قديمًا وحديثًا بقدر الإمكان، فإن الشعر نبتة مغروسة في أعماق غرائز العرب يستوي في ذلك شعراءُ الشعر الفصيح وشعراء الشعر العامي الملحون، المعروف في الحجاز باسم: (الحُميني)، وفي نجد باسم: (النبطي) بفتح النون والباء.

المتنكث -أو- المتنكب السُّلمي:

شاعر جاهلي، له حديث مع عنترة بن شداد العبسي، فهو معاصر له، قال المتنكث أو المتنكب، يذكر يوم النُّخَيل، وقد قُتِلَ فيه دَهْرٌ الجعفي:

ومنـا أبـو حـرب ومنـا مصـرف ... ومنـا عقـال إذ وردنـا إلـىٰ دَهْـرِ
يسـوق الصـفايا عـن خيـار نسـائنا ... ونحـن غَيَارىٰ كالمسـدمة الزُّهـر(١)

وللمتنكث أو المتنكب الأبيات التالية، يمدح فيها بني خفاجة بن عُقَيل:

فسـقىٰ الإلـه بنـي خفاجـة مـن ... مـاء السـماء بطيِّـب الخمـر
أبـدًا ولا زالـت نفوسـهمو ... محبـوَّةً بجبايـة الـدهر
هـم يطعنـون الخيـل مقبلـة ... حتـىٰ يصُـدَّ مجـدة النّفـر(٢)

عمرو بن رياح بن عمرو الشريد السُّلمي:

أبو الخنساء الشاعرة المعروفة، غلب الشريد علىٰ اسمه: (عمرو) بقوله:

تـولَّىٰ إخـوتي وبقيـتُ فـردًا ... وحيـدًا في ديـارهم شـريدا(٣)

وقد سبق لنا أن أوردنا في فصل: «أمراء وزعماء محتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سليم» ترجمة عمرو بن رياح «الشريد» هذا كأحد زعماء العرب في الجاهلية، وذكرنا في ترجمته ما يتعلق به من قصة إيفاد النعمان بن المنذر لنفر من سادات العرب إلىٰ كسرىٰ ليرىٰ بعينيه ويسمع بأذنيه أحاديثهم المُضَمَّخة بشهامة العرب، وليطلع علىٰ إبائهم وشممهم وحيويتهم البالغة من كثب.

---

(١) الصفايا: ما يصطفيه قائد الجيش لنفسه، والمسدمة: بمعنىٰ الفحول المشدودة الأفواه، الممنوعة من الضراب.
(٢) «المحمدون من الشعراء وأشعارهم» لعلي القفطي (ص٣٥٣)، منشورات دار اليمامة، و«معجم الشعراء» للمرزباني (ص٤٥٤).
(٣) «البيان والتبيين» (ص٢٨٩) الجزء الأول.

معاوية بن عمرو السُّلمي:

أخو الخنساء الشاعرة المشهورة... ذكره المرزباني في «معجم الشعراء» وأورد بعض شعره وهو شاعر جاهلي، مات قتيلًا في الجاهلية، في وقعة أوردنا قصتها في فصل «أيام بني سُليم في الجاهلية والإسلام»، وكان قتله قبل قتل أخيه صخر بزمن.

وقد رثتهما أختهما الخنساء بشعر رائع يذيب الصَّخْرَ، وجُمع هذا الرثاء الحزين في ديوانها المطبوع.

صخر بن عمرو السُّلمي:

أخو الخنساء أيضًا، قُتِل في أيام الجاهلية في إحدىٰ المعارك القَبَلَيَّةِ حسب ما فصلناه أيضًا في فصل «أيام بني سليم في الجاهلية والإسلام»، ولم يدرك صخر الإسلام.

وقد وصفوه بأن كان حليمًا جوادًا، محبوبًا في عشيرته، شريف قومه، وكان أبوه عمرو يأخذ بيده ويد أخيه معاوية، ويقول: «أنا أبو خَيري مضر» فتعترف له العرب بذلك.

وكان صخر أخا الخنساء لأبيها، فليس بشقيق لها، وقاتِلُ صخر هو ربيعة بن ثور الأسدي، ولصخر قصيدة عالية النَّفَسِ، تكشف لنا عن سماحته وشهامته، يقول فيها:

وقالوا ألا تهجو فوارس هاشم ... وما لي وإهداء الخَنا ثُمّ ماليا

أبَىٰ الهجو أنِّي قد أصابوا كريمتي ... وأنْ ليس إهداء الخَنَا مِن شماليا

***

إذا مـا أمـرؤٌ أهـدىٰ لميـت تحيـة ... فحيـاك ربُّ النـاس عنـي معاويـا
لـنعم الفتـىٰ أدَّىٰ ابـنُ صـرمة بـزَّةُ ... إذا راح فحْـلُ الشَّـول أحـدَبَ عاريـا
إذا ذُكـر الإخـوان رقرقـت عبـرة ... وحَيَّيـتُ رَمْسًـا عنـدَ ليَّـةَ ثاويـا
وطَيَّـبَ نفسـي أننـي لـم أقـل لـه ... كَـذَبْتَ ولـم أبخـلْ عليـه بماليـا
وَذِي إخـوةٍ قطَّعـتُ أقْـرانَ بيـنهِمْ ... كمـا تركـوني واحـدًا لا أخـا ليـا

ولو أردنا أن نحلل مدلولات هذه القصيدة لاستطعنا أن نقول: إن صخرًا في رثائه لأخيه معاوية إنما يمتَحُ من بئر غزيرة فياضة بالشعر البديع وبالحزن الممض، وقد أجاد في التعبير عما في ضميره المكبوت الخفاق بالآلام والأوصاب من جراء الفراق الأبدي المحزن لأخيه الحبيب (معاوية).

ولست أدري أرثاؤه له، نابع من روح أخته الخنساء، أم رثاؤها له ولصخر راثي أخيه بعد مقتله هو النابع من رثائه البليغ؟! أم هناك تفاعل بين رثاء الأخوين الشاعرين البارعين، خاصة في شعر الرثاء، الذي بلغا فيه القمة، بساطةً وتأثرًا وتأثيرًا وإشجاءً... لست أدري!

ومن أخبار قتل صخر: أنه لما طعنه أبو ثور الأسدي أدخل حلَق الدرع في جوفه، فمرض زمانًا، فجعل ينفث الدم، وينفث معه حلق الدرع، وكانت امرأته (سليمىٰ) تقوم عليه، فطال مرضه عليها وملته، فمر بها رجل -وكانت ذات خَلْقٍ- فقال: أيُباعُ الكَفَلُ؟ فقالت: عما قليل، فسمع صخر ما دار بينهما من الحوار، وقال لها رجل آخر: كيف صخر؟ فقالت: لا حيٌّ فيرجىٰ، ولا ميت فيُستراح منه، فسمعها صخر أيضًا... فَهَمَّ بأمرٍ في نفسه، وقال لها: ناوليني سيفي -وهو يريدها- أنظُرْ ما بقي من قوتي، فناولته السيف؛ فإذا يده لا تُقِلُّهُ، فقال صخر عندئذ -وكأنه يرثي نفسه،

وهو الشاعر الذي يجيد الرثاء كل الإجادة-... قال:

أرىٰ أُمَّ صخر ما تجفُّ دموعُها ... ومَلَّتْ سُلَيمىٰ مضجعي ومكاني
وما كنتُ أخشىٰ أن أكون جنازة ... عليك ومن يغترُّ بالحدثان
فأيُّ امرئ ساوىٰ بأمٍّ حليلةً ... فلا عاش إلا في شقًا وهوانِ
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنَّزَوانِ

***

وحي حلال قد صبحت بغارة ... كرَجْلِ جراد أو دَبا كتفان
فلو أنَّ حيًّا فائتَ الموت فاته ... أخو الحرب فوق القارح الغذوانِ(١)

معاوية بن مالك السُّلمي:

شاعر جاهلي، قال في يوم جَبَلَة، وكان قتل دثار بن وهب:

لما رأيت نساء قومي حُسَّرًا ... وترت إليَّ النفس غير مزاحِ
أقدمتُ حتىٰ لم أجدْ مُتَقَدَّمًا ... وعلمتُ أن اليوم يوم فضاحِ
إني ثأرت أخي فلم أُسْبَق به ... وشفيتُ نفسي من بني الطماحِ

هند بن خالد السُّلمي:

يسمي العربُ الذكر والأنثىٰ كليهما باسم «هند»، وهذا هند بن خالد شاعر جاهلي، نسبه: هند بن خالد بن صخر بن الشريد السُّلمي، ومن شعره:

---

(١) النذوان: السريع... عن هذه القصة راجع كتاب «المصون في الأدب» للحسن العسكري (ص١٨٦ و١٨٧) طبع الكويت.

ألا أبلــغ لــديك بنــي كــلاب وشـــاعرها وفي الأقـــوال عُـــورُ
ألـــم تـــر أننـــا لبنـــي فـــراس سَـــمَونا تحتنـــا الـــوُقُحُ الـــذكورُ
وكـــلُّ طِمِـــرَّةٍ مَرَطـــي إذا مـــا تحـــدر عـــن مغانيهـــا العصـــيرُ
فأشـــبعنا ضـــباعَ الفيـــفِ مـــنهم وطيـــــرًا لا تغـــــب ولا تطيـــــرُ

وقد أجاب هند، بهذه الأبيات علىٰ رثاء يزيد بن الصعق الكلابي، لمالك بن خالد بن الصخر بن الشريد الذي هو أخوه.

سباع بن كوثل السُّلمي:

ذكره ثعلب، فقال: وأنشدني زُبير، لسباع بن كوثل السليمي هكذا بالياء قبل الميم:

نظـرتُ إلـىٰ مَـي خلاسًـا عشـية علـىٰ عجـل والكاشـحون حضـورُ
كـذا مثـل طـرف العـين ثـم أجنَّهـا رواقٌ أتـىٰ مـن دونهـا وسـتُورُ
فقالـت حـذار القـوم إن نفوسـهم وعـيشِ أخـي وجـدًا عليـك نفـورُ[(١)]

وقد ذكر ابن منظور، كوثَلًا السُّلمي في مادة (كثل)، وقال عنه: رجل معروف، إليه يعزىٰ سباع بن كوثل أحد شعرائهم[(٢)].

عرعرة بن عاصية السُّلمي:

كان عرعرة بطلًا وشاعرًا، أوقع ببني سهم بن معاوية، من هذيل في الجُرُفِ،

(١) «مجالس ثعلب» لأبي العباس أحمد بن يحيىٰ ثعلب (ص٨١) القسم الأول، طبع دار المعارف بمصر.
(٢) «لسان العرب» (ص٥٨٤)، المجلد الحادي عشر. مادة (كثل).

وبذلك أدرك ثأر أخيه عمرو بن عاصية السُّلمي، القتيل.

قال عرعرة في ذلك:

ألا أبلــغ هُــذيلًا حيــث كانــت ... مغلغلــة تُخُــبُّ عــن الشــفيقِ

مقــامكم غــداة الجُــرْف لمــا ... تواقفــت الفــوارس بالمضــيقِ

وكان الجرف الذي أوقع فيه عرعرة بأعدائه يسمىٰ (العِرْضَ)، وكان مخضوضرًا، قال كعب بن مالك فيه:

فلمــا هبطنــا العِــرْضَ قــال سَــراتُنا ... عَـلامَ إذا مـا لـم نمنـع العـرض نـزرع

قالوا: وسبب تسمية «العرض» بالاسم الجديد الذي هو: «الجرف» هو قولُ تُبَّعٍ عنه في مسيرته: «هذا جُرُفُ الأرض»... فلزمه هذا الاسم[(١)].

مالك بن عمير السُّلمي:

لقبه المرزباني بـ «الناصري».

له مع النبي ﷺ حديث. وهو القائل:

ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه ... يدعه ويغلبه علىٰ النفس ضيمها[(٢)]

ضمضم بن الحارث السُّلمي:

كان ضمضم أَحَدَ فرسان بني سُليم.

وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكم بن خالد بن الشريد، فقَتَل به ضمضمٌ

---

(١) «معجم ما استعجم» للبكري (ص٣٧٨) الجزء الثاني.

(٢) «معجم الشعراء» للمرزباني (ص٢٦٢).

محجنًا، وابن عم له، وهما ثقفيان، فقال ضمضم من قصيدة له يخاطب ثقيفًا:

نحن جلبنا الخيل من غير مجلب إلىٰ جُرَشٍ من أهل زَيَّان والفمِ
نُقتِّلُ أشبال الأسود ونبتغي طَواغيَ كانت قبلنا لم تُهدَّمِ
فإن تفخروا بابن الشريد فإنني تَركْتُ بِوَجٍّ مأتمًا بعد مأتمِ
أبأتُهما بابن الشريد وغَرَّهُ جِوَارُكُمَ وَكان غير مُذَمَّمِ
تُصيبُ رجالًا من ثقيف رِمَاحُنَا وأسيافُنا يُكلمنهُمْ كل مَكْلَمِ(١)

ومن شعر ضمضم، القصيدة التالية، وهي قصيدة تتحدث عن شؤون اجتماعية، وقد تحدث فيها عن أخلاق النساء «الحلائل» مع أزواجهن، في شخص تجاربه مع «حليلته»، ويبدو من «أبياته» أنه لم يكن زوجًا مغتبطًا ولا سعيدًا مع هذه الحليلة، وقد قاس أخلاق سائر الحلائل علىٰ أخلاق زوجه، قال:

أبلغْ لديك ذوي الحلائل آية لا تَأْمَنَنَّ الدهرَ ذات خمارِ
بعد التي قالت لجارة بيتها قد كُنْتُ لو لبث الغَزيُّ بدارِ
لما رأت رجلًا تسفع لونه وغزا المصيفة والعظامُ عوارِ
مُشُط العظام تراه آخر ليله متسربلًا في درعه لغوارِ
إذ لا أزال علىٰ رحالة نهدة جرداء تلحق بالنجاد إزاري
يومًا علىٰ أثر النهاب وتارة كُتِبَتْ مجاهدة مع الأنصارِ
وَزُهَاءَ كل خميلة أزهقتها مَهَلًا تَمَهَّلُهُ وكل خَبَارِ

(١) راجع «سيرة ابن هشام» (ص١١٣) المجلد الرابع.

كيمــا أُغيــرُ مــا بهــا مــن حاجــة وتــــردُّ أني لا أئـــوب فَجَـــارِ[١]

«شاعر حُنَينٍ» العباسُ بن مرداس السُّلمي:

العباس بن مرداس السُّلمي، من الشخصيات البارزة في بني سليم، في الجاهلية والإسلام، هو فارس وشاعر، ومن أسرة مرموقة في قومه، وفي يوم حوزة كان شابًّا في مقتبل العمر متميزًا بالحسن، والحسُن في فتيان بني سُليم صفة مشهورة، وأبوه مرداس وأمه الخنساء، أشهر شواعر العرب، وأبعدها صيتًا في الحسب والنسب والأدب.

وأمه مخضرمة أدركت طرفًا من الجاهلية وأدركت الإسلام، وأسلمت وحسن إسلامها، وهو مثلها في هذه الشمائل، وقيل: بل أمه هند بنت سنَّة بن سنان بن جارية بن عبد السُّلمية ولدت (يزيد ذا الرمحين، وهُريمًا، وسراقة، وأنسًا، وهبيرة، وعبَّاسًا) بني مرداس بن أبي عامر السُّلمي[٢].

كان لوالد العباس الذي هو «مرداس» صنم اسمه ضماد أو ضمار[٣]... ولما

---

(١) «سيرة ابن هشام» (ص١١٤) المجلد الرابع.
(٢) «المحبر» (ص٤٥٦).
(٣) ليس مرداس والد العباس السُّلمي، السُّلميَّ الوحيد الذي تعبد وسدن صنمًا في الجاهلية، فقد ذكر هشام الكلبي في كتاب «الأصنام» أن سدنة العزىٰ كانوا بني شيبان بن جابر بن مرة ابن عبس بن رفاعة بن الحارث بن عتبة بن سليم بن منصور من بني سليم، وكان آخر من سدنها منهم دبية بن حرمي السُّلمي، فلم تزل العزىٰ كذلك حتىٰ بعث اللهُ نبيه ﷺ فعابها وغيرها من الأصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها... وفي عام فتح مكة دعا النبي ﷺ خالد بن الوليد فقال له: «انطلق إلىٰ شجرة ببطن نخلة فاعضدها». فانطلق فأخذ دبية فقتله وكان سادنها. (ص٢٢-٢٤)، طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة (١٣٣٢هـ-١٩١٤م).

حضرت الوفاة مرداسًا أوصىٰ (العباسَ) به وبعبادته والقيام عليه، فجعل العباس يأتيه في كل يوم وليلة مرة... فلما ظهر أمر رسول الله ﷺ قال العباس: «سمعت صوتًا في جوف الليل راعني، فوثبت إلىٰ ضماد فإذا الصوت في جوفه يقول:

قــل للقبائــل مــن سُـليم كلهــا ... هلك الأنِيسُ وعـاش أهـلُ المسـجدِ

إن الــذي ورث النبــوة والهــدىٰ ... بَعْـدَ ابـن مَـريم مـن قُـرَيْش مُهتـدي

أوْدَىٰ الضِّــماد وكــان يُعْبَـد مــرة ... قبــل الكتــاب إلــىٰ النبــي محمــدِ

قال: فكتمت الناس ذلك، فلم أُحَدِّث به أحدًا، حتىٰ انقضت غزوة الأحزاب، فبينا أنا في إبلي في طرف العقيق، وأنا نائم، إذ سمعت صوتًا شديدًا، فرفعت رأسي، فإذا أنا برجل علىٰ حيالي، بعمامة، يقول: «إن النور الذي وقع بين الإثنين وليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة العضباء، في ديار بني أخي العتقاء».

فأجابه طائف عن شماله لا أبصره... فقال: بَشِّرِ الجن وأجناسها، إن وَضَعت المتطيُّ أحلاسها، ووَكَفَت السماء أحراسها، أن بعض السوق أنفاسها.

قال العباس: فوثبت مذعورًا، وعرفتُ أن محمدًا رسول الله ﷺ مصطفىٰ، فركبتُ فرسي، وسرتُ حتىٰ انتهيتُ إليه، فبَايَعْتُه، وأسلمتُ، انصرفتُ إلىٰ ضماد، فأحرقته بالنار».

وقصة الهاتف الذي سمعه العباس بن مرداس من جوف الصنم، وقصة الهاتف الآخر الذي سمعه ولم يره، فيما بعد، مُبَشِّرَيْنِ برسالة محمد ﷺ، تتفق كلتا القصتين مع ثبوت وجود العالم غير المنظور... بالنسبة لأبصارنا نحن البشر... وآيةُ ذلك أن هنا في آفاقنا وفي أجوائنا ملايين المخلوقات الصغرىٰ جدًّا، التي لا نراها نحن البشر بأبصارنا المجردة، وقد ظلت أُلوفَ السنين مجهولة الوجود لدىٰ بني

الإنسان قاطبة مع شدة التصاقها بأجسامهم وأبصارهم وشدة تأثيرها الإيجابي والسلبي علىٰ صحتهم وفي مآكلهم ومشاربهم...

فلما هيأت المقادير لبعض بني الإنسان أن يخترعوا «المجاهر المكبِّرة» أبصروا هذا العالم المتموج واستكشفوا وجوده بالوسائط المجهرية التي اخترعوها والتي بَصَّرتهم به من كثب... بعد جهل مطبق بوجودها وحيويتها يتصاعد في القدم إلىٰ أجيال البشرية الأولىٰ.

ويقاس علىٰ وجود هذه المخلوقات الصغرىٰ «الذَّرَّة» التي بدأت في عصرنا الحديث تفعل الأفاعيل الكبرىٰ، وهي لا تُرىٰ بالعين المجردة، وما كان يتحقق وجودها وعظم مفعولها قبل استكشاف الأجهزة التي تجليها وتؤثر في كيانها.

ومثلها هذه الكهرباء أيضًا التي تعطينا النور المتوهج وتقوم بشتىٰ الأفعال... فوجود عوالم غير منظورة لنا نحن البشر، واختفاؤها عن حواسنا ومُدْرَكاتنا لا ينافي وجودها ولا يقتضي عدم وجدودها، وأعني بهذه العوالم الخفية من مُحَسَّاتنا البصرية: الملائكة والجن... وما جاز علىٰ المثل -من ناحية الاختفاء عن أبصارنا مع ثبوت الوجود- يجوز علىٰ المماثل...

وما دامت الجراثيم قد ثبت وجودها علىٰ أرضنا وثبتت حياتها معنا، وحولنا، وفوقنا وتحتنا، وثبت أننا كنا في جهل مطبق حيال وجودها وتكاثرها المريع علىٰ سطح الأرض مع أنها حيوان مثلنا... فبالأحرىٰ أن يثبت لدينا وجود الملائكة والجن، برغم عدم رؤية أبصارنا لها إذ عدم رؤيتنا للجراثيم والذرة والكهرباء ثبت أنها لا ينهض دليلًا علىٰ عدم وجودها، بل ثبت أنه قام دليلًا علىٰ وجودها، وما ينطبق

علىٰ الجراثيم الحيوانية المائجة حولنا ينطبق علىٰ ما هو أبلغ منها شفوفًا وروحانية وخفاءً عن الأبصار البشرية.

وما صنعته أيدي الناس وعقولهم من الآلات هو الذي كشف لهم بأَخَرَة عالم الجراثيم الصغير الكبير الخطير، فالملائكة والجن أشف كيانًا من الجراثيم وأعمق استتارًا من الجراثيم عن العيون وعن وسائل الإدراك البشرية المادية... ولذلك يراهم صفوة الخَلْق من الأنبياء، ويرىٰ الجِنَّ ذوو الشفافية الروحانية وبالمناسبات إذا تشكلوا بأشكال غير أشكالهم الطبعية البالغة الشفوف والاحتجاب.

وعباس بن مرداس لا يوجد سبب مادي أو أدبي يدعوه إلىٰ اختلاق هذه القصة، فإنه إذا أراد آمن بالرسول ﷺ، لمجرد تصديقه برسالته، كما فعل كثير غيره من مشركي العرب الذي ضربوا بالشرك والوثنية عرض الحائط، جهارًا نهارًا، ورفضوا عبادة الأصنام بإصرار وحماسة ودخلوا في الإسلام وآمنوا برسالة محمد ﷺ بمجرد إيمان قلوبهم وعقولهم بها وبه، ولا حاجة مطلقًا ولا ضرورة ملجئة لعباس إلىٰ أن يختلق قصة وهمية خيالية لإسلامه كهذه القصة، وقد آمن برسالة محمد ﷺ أكابر المسلمين وغيرهم من دون وقوع قصص كهذه لهم.

هذا، وتمضي بنا قصة إسلام العباس بن مرداس، فتفيدنا بأنه كانت تحته حبيبة بنت الضحاك بن سفيان السُّلمي، أحد بني رعل، وقد خرج العباس حتىٰ انتهىٰ إلىٰ إبله، وهو يريد النبي فبات بها، فلما أصبح دعا براعيه، فأوصاه بإبله، وقال له: (من سألك عني فحدثه أني لحقت بيثرب، ولا أحسبني إن شاء الله تعالىٰ إلا آتيًا محمدًا، وكائنًا معه، فإني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور، فإن كان خيرًا لم أُسبَقْ إليه، وإن كان شرًّا أبصرته لخزلته -لخذلته-...» إلخ.

ثم سار إلىٰ النبي وانتهىٰ الراعي نحو إبله، فأتىٰ امرأته حبيبة السُّلمية، فأخبرها بالذي كان من أمر زوجها عباس، ومسيره إلىٰ النبي ﷺ؛ فقامت فقوضت بيتها ولحقت بأهلها(١).

وقد ذكرنا فيما سلف أن العباس شاعر، والشاعر مرهف الشعور، يسجل بريشة شاعريته، عواطفه وانفعالاته وأحواله الفكرية والنفسية والاجتماعية، ولهذا لا غرو أن نرىٰ العباس بن مرداس يسجل لنا بشعره قصة دخوله في الإسلام من أولها إلىٰ آخرها، ووجود القصة في شعره مما يؤكد وقوعها وأنها ليست من صنع الرواة، قال:

لَعْمـري إني يـوم أجْعـلُ جاهـدًا ... ضـمادًا لـرب العـالمين مشـاركًا
وتركـي رسـولَ الله والأوسُ حولـه ... أولئـك أنصـار لـه مـا أولئكَـا
كتارك سهل الأرض والحزَن يبتغي ... ليسـلُكَ في غيـب الأمـور المسـالكَا
فآمنـتُ بـالله الـذي أنـا عبـده ... وخالفـتُ مـن أمسىٰ يريـد الممالكَـا
ووجهتُ وجهي نحـو مكة قاصـدًا ... وتابعـتُ بـين الأخشـبين المُبَاركَـا
نبـيٌّ أتانـا بعـد عيسـىٰ بنـاطق ... مـن الحـق فيـه الفصـل منـه كـذلكَا
أمينًـا علـىٰ الفرقـان أوَّلَ شـافع ... وآخِـرَ مبعـوثٍ يُجيـبُ الملائكَـا
تَلَافَىٰ عُـرَا الإسـلام بعـد انفصـامها ... فَأَحْكَمَهـا حتَّـىٰ أقـام المناسـكَا

***

(١) «الأغاني» للأصفهاني (ص١٣١).

رأيتـك يـا خيـر البريـة كلهـا　　تَوَسَّطتَ في القربىٰ من المجد مالكَا
سـيقتهم بالمجـد والجـود والعـلا　　وبالغايـة القصـوىٰ تَفُـوتُ السَّـنابكَا
فأنت المصفَّىٰ من قريش إذا سَـمَتْ　　غلاصـمها تُبقـي القـرومَ الفواركَـا

وكان قدوم العباس بن مرداس علىٰ النبي في المدينة، وهو يريد المسير إلىٰ مكة، لفتحها فواعده رسول الله ﷺ قُدَيْدًا، وقال: «**القنىٰ أنت وقومك بقديد**» فلما نزل رسول الله قُدَيدًا، وهو ذاهب لَقِيَهُ -في رواية- عباسُ بن مرداس، في ألف من بني سُليم.

وفي ذلك يقول:

بَلِّـغ عبـاد الله أن محمـدًا　　رسـولُ الإلـه راشـدًا أيـن يمَّمَـا
دعـا قومـه واستنصـر الله ربـه　　فأصـبح قـد وافىٰ الإلـه وأنعمَـا
عشـية وَاعَـدْنَا قُدَيْـدًا محمـدًا　　يـؤم بهـا أمـرًا مـن الله مُحكمَـا
حلفـتُ يمينًـا بـرَّةً لمحمـد　　فأوفيتـه ألفًـا مـن الخيـل مُعلمَـا
سـرايا براهـا الله وهـو أميرهـا　　يـؤم بهـا في الـدين مـن كـان أظلمَـا
علىٰ الخيل مشدودًا عليها دُروعنا　　وخَـيْلًا كـدفاع اللـواتي عرمرمَـا
أطعنـاكَ حتـىٰ أسـلم النـاسُ كلهـم　　وحتـىٰ صَـبَحْنَا الخيـلَ أهْـلَ يَلَمْلَمَـا

وسار العباس وقومه إلىٰ فتح مكة ثم إلىٰ حنين مع رسول الله ﷺ، وقسم الرسول غنائم هوازن، فأكثر العطايا لأهل مكة، وأجزل لهم القسم ولغيرهم، ممن خرج إلىٰ حنين، حتىٰ إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة، والآخر ألف شاة، وزوىٰ كثيرًا من القسم عن أصحابه، فأعطىٰ الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن،

والعباس بن مرداس عطايا، فضل فيها عيينة والأقرع علىٰ العباس، فتأثر العباس من ذلك، وما سكت علىٰ تأثره، لأنه كان مؤمنًا صادق الإيمان يكاشف الرسول بدخيلة نفسه، وقد جاءه وأنشده:

وكانت رزايا تلافيتها ... بِكريٍّ علىٰ المُهرِ في الأجرع
وإيقاظيَ الحيَّ أن يرقدوا ... إذا هجع القوم لم أهجع
فأصبح نهبي ونهبُ العُبَيْد(١) ... بين عيينة والأقرع
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرأ ... فلم أُعْطَ شيئًا ولم أُمْنَع
وما كان حِصنٌ ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع
وما كنتُ دون امرئٍ منهما ... ومَنْ تَضَع اليوم لا يُرْفَع

فبلغ قوله رسول الله، فدعاه؛ فقال له: «أنت القائل: فأصبح نهبي ونهبُ العبيد بين الأقرع وعيينة».

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لم يقل ذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعر وما أنت براوية، قال: «**فكيف؟**»، قال: فأنشده أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فقال رسول الله ﷺ: «**هما سواء، لا يضرك بأيهما بدأت: بالأقرع أم بعيينة**». وقال رسول الله ﷺ: «**اقطعوا عني لسانه**». وأمر بأن يعطوه من الشَّاةِ والنَّعَمِ ما يرضيه، ليمسك، فأُعطي(٢)، وهكذا كان العباس من المؤلفة قلوبهم.

ويقول عبد البديع صقر: «إن العباس بن مرداس وُلِدَ في عهد النبي ﷺ»(٣).

(١) العبيد -بضم العين المهملة وفتح الباء التحتية الموحدة-: اسم فرس العباس بن مرداس.
(٢) «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني (ص١٢١-١٢٦) الجزء الثالث عشر، القسم الأول.
(٣) «شاعرات العرب» (ص٦٢)، منشورات المكتب الإسلامي ببيروت.

ولم أرَ هذا القول لغيره فيما لديَّ من المراجع، فإنها تكتفي بأن تقول: إنه مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم.

ومن رأيي أنه إذا كان قول عبد البديع صقر، مطابقًا للواقع فلابد أن يكون مولد العباس في الحقبة التي سبقت البعثة النبوية إما بقليل أو أكثر من القليل، وذلك لأننا نعرفُ العباس بن مرداس، وهو فارس وشاعر في عام فتح مكة، ونعرفه قبل ذلك بطلًا معلمًا خاض المعارك مع خُفَاف بن ندبة السُّلمي، وقال في حروبه معه شعرًا نشرنا شيئًا منه.

وعام الفتح هو السنة الثامنة للهجرة وبين الفتح ومولد الرسول ﷺ حقبة من الزمن هي واحد وستون عامًا، فإذا كان عباس بن مرداس ولد في حياة النبي فمولده – علىٰ ما نقدر– في العقد الثاني من عمره ﷺ... ومعنىٰ هذا أنه كان وقت البعثة شابًّا مكتمل الشباب، وسنه حول العشرين عامًا، وعندما كان الفتح، وهو بعد البعثة بواحد وعشرين عامًا كان في آخر أيام شبابه، فهو يومئذ يقف علىٰ عتبة الكهولة والنضج، ونحن نراه قبل الفتح زوجًا لحبيبة السُّلمية التي لم ترضَ عن تحوله إلىٰ الإسلام، فارتحلت عنه وهجرته مفارقة له.

ونحن نراه قبل الفتح ذا خيل وإبل ولأنْعَامِهِ راعٍ خاص بها، كما نراه قبل إسلامه سادنًا للصنم الذي كان والده يرعاه وقد أوصاه به وبعبادته بعد وفاته ففعل، ومن كان كذلك لابد أن يكون رجلًا يتحمل المسئوليات، ويؤثل الأموال ويعهد إليه بالمهام...

ونحن نرىٰ أن الحرب التي نشبت بينه وبين خُفاف نشبت بعد البعثة النبوية وقبل فتح مكة... وقد كانت رحاها تدور بينهما قبل إسلامه وقبل إسلام خصمه وابن

عمه، خُفاف بن ندبة... ولا يقوم بأعباء حرب كهذه إلا رجلٌ قوي البِنْيَةِ مكتمل الشباب والفتوة.

وظل العباس بن مرداس علىٰ بداوته -بعد الإسلام- كان أليف الفيافي، فلم يسكن بعد إسلامه مكة ولا المدينة، ولم يُقِمْ في أي بلد إقامة دائمة... وكان إذا حضر إحدىٰ غزوات النبي لا يلبث أن يعود بعدها إلىٰ مضارب قومه في قلب البادية، يستنشق نسيمها العليل، ويأنس بنغمات طيورها البرية، ويرتاح إلىٰ عشبها وأشجارها، ويهفو إلىٰ صحوها وغيمها، ويغرم بصحاراها وجبالها وأوديتها...

وقالوا: إنه قدم البصرة مع من قدموا إليها من قومه بعد تمصيرها في خلافة عمر بن الخطاب، ولكنه لم يتخذها موطنًا، كما اتخذها غيره من بني عمومته، بل إنه عاد لسكنىٰ البادية التي تخفق الأرواح في أبياتها الشَّعَرَيَّة أو الجِلْدية، وكان منزلة بالعقيق مما يلي سفوان.

وقد حرَّم علىٰ نفسه الخمر وهو في الجاهلية، وهذه مزية نفسية تدلنا علىٰ أنه كان لبيبًا وذا رأي قويم في بعض الأمور الضارة أو النافعة للصحة العامة والخاصة، وللمروءة والكرامة الإنسانية؛ فالخمر أمُّ الخبائث وشُربْهَا يؤدي إلىٰ ارتكاب المحرمات الأخرىٰ، لأنها تسلب عقْلَ العاقل، وكرامة الكريم، ولُبَّ اللبيب، وقليل هم الذين حرموها علىٰ أنفسهم من عرب الجاهلية، في الفترة الأخيرة من الجاهلية، لشفوف أذهانهم وانجلاء بصائرهم وتفهمهم لعواقبها الوخيمة علىٰ الفرد والمجتمع.

توفي العباس بن مرداس في الشام سنة (١٦هـ) وله من الأولاد: جاهمة أو

جلهمة وله صحبة، وأُبي، وسعيد، ومن ذرية جاهمةَ: عبدُ الملك وهارون ابنا حبيب، ومن ذرية سعيد، بكار بن أحمد بن عبد الله بن سعيد المحدث العابد، مات بمصر.

خصائص شعره:

يمتاز شعر عباس بن مرداس بالطراوة والطلاوة مع الوضوح، ومع أنه بدوي موغل في البداوة أليف صحراء ووهاد ونجود... ورب سيف، وخَوَّاض معارك، فإن شعره الذي بين أيدينا كان رطبًا سلسًا خفيف الروح، لا تجد فيه شيئًا من جفاف البداوة، ولا شيئًا من عنجهية الجاهلية، ويمكن أن نشبهه في هذه الناحية بالنابغة الذبياني، مع الاختلاف بينهما في سعة الأفق، وفي أن النابغة قد يقول من الشعر ما لا يختلف عن أضرابه في كزازة اللفظ وجهامة التعبير بعض الأحيان، وفي ديوان شعره شواهد واضحة علىٰ هذا المسلك الجاهلي الماثل في كثير من الشعر العربي الجاهلي... إلىٰ جانب شعره الرطب السمح الجميل...

ونحن نتحدث هنا (خاصة) عن شعر عباس بن مرداس قبل إسلامه... أما شعره بعد الإسلام فقد صقلته تعابير الإسلام، وصقله وهذبه الإسلام، ومصطلحاته الرائعة الجديدة علىٰ دنيا العرب وحياتهم.

نماذج من شعره الجاهلي:

كان قيس بن شيبة السُّلمي من رهط العباس بن مرداس باع بمكة متاعًا من أُبَيِّ بن خلف، فلواه وذهب بحقه، فاستجار برجل من بني جمح فلم يُجِرْهُ فقال قيس:

يَـا لِقصـيٍّ كيـف هـذا في الحـرم ... وحرمـة البيـت وأخـلاق الكـرمْ

أُظلم لا يمنع عني من ظلمْ

فبلغ العباس بن مرداس قوله، فقال:

إن كـان جـارك لـم تنفعـك ذمتـه — وقـد شـربت بكـأس الـذل أنفاسَـا
فأتِ البيوت وكن من أهلها صَدَدًا — لا تلـق نـادمهم فحشًـا ولا باسَـا
وثـم كـن بفنـاءِ البيـت معتصـمًا — تلق ابن حرب وتلق المرء عباسَـا
قَرْمَـي قـريش وحَـلَّا في ذؤابتهـا — بالمجد والحزم ما عاشا وما ساسَـا
سـاقي الحجـيج وهـذا يـا سـر فلـج — والمجـد يـورث أخماسًـا وأسداسَـا[(١)]

ويبدو أن قيسًا أخذ بنصيحة عباس بن مرداس فرد العباس وأبو سفيان عليه ما له وكان لك سبَبَ حلف الفضول الذي قام علىٰ رد المظالم.

***

وقال العباس بن مرداس يهجو خفاف بن ندبة السُّلمي، وطالما تلاحيا وتهاجيا وتقاتلا في جاهليتهما:

أراني كلمـــا قاربـــت قـــومي — نَـــأوا عَنِّـــي وقَطْعُهُـــمُ شـــديدُ
سَـئمْتُ عتـابهم فصـفحتُ عـنهم — وقلـــتُ لعـــل حلمهُـــم يعـــودُ
وعَـــلَّ الله يمكـــن مـــن خُفَـــاف — فأســـقيه التـــي عنهـــا يحيـــدُ
بمـــا اكتســـبت يـــداه وجَـــرَّ فينًـــا — مـــن الشـــحنا التـــي ليســـت تبيـــدُ
فـــإني لـــو يـــؤدبني خُفَـــافٌ — وعَـــوْفٌ والقلـــوب لهـــا وقـــودُ

---

(١) «ديوان العباس بن مرداس» جمع وتحقيق الدكتور يحيي الجبوري (ص٧٥)، طبع بغداد، وقول العباس في أبيات الشعر السينية: (وكن من أملها صددًا) أي: كن قريبًا من أهلها.

فضــاقت بــي صــدورهم وغصَّــتْ حُلُــوقٌ مــا يــبض لهــا وريــدُ
متـــىٰ أبعـــدْ فشـــرهم قريـــب وإن أقـــرُبْ فَـــودُّهم بعيـــدُ
أقــول لهــم وقــد لهجــوا بشــتمي ترقــوا يــا بنــي عــوف وزيــدوا
فمــا شــتمي بنــافع حــيّ عَــوْف ولا مثلـــي بضـــائره الوعيـــد
فمــا أدري ومــا يدريــه عَــوْفٌ أينفعنـــي الهبـــوط أم الصـــعودُ
أتجعلنـــي سَـــرَاةُ بنـــي سُـــلَيم ككلـــب لا يهـــر ولا يصـــيدُ
كــأني لــم أقُــدْ خــيلًا عتاقًــا شـــوازِبَ مثلُهـــا في الأرض عـــودُ
أُجشِّـــمُها مَهَامِـــهَ طامســـات كــأن رمــال صحصــحها قعــودُ
عليهــا مــن ســراة بنــي سُــلَيم فــوارس نجــدة في الحــرب صــيدُ
فــأُوطئُ مَــنْ تريــد بنــي ســليم بكلكلهــا ومَــنْ ليســت تريــدُ(١)

تلوح من هذه القصيدة من شعر عباس بن مرداس مسحة من الألم المكبوت، وشكوىٰ مكنونة من الاستخفاف به الذي لمسه من بني قومه... وربما كان ذلك منهم إبّان القتال الناشب بينه وبين ابن عمه «خفاف»... زهو يذكر هنا أسماءً معينة، يوجه إليها قوارص العتب واللوم والتقريع، جزاء شتمهم له... وهؤلاء: حَيُّ عَوْف الذين لهجوا بشتمه.

وقد ضمهم إلىٰ خفاف في استنكار موقفهم منه، وقد خاطبهم بقوله: (ترقوا في سلم شتمي وزيدوا فما يشفي غيظكم شتمي ولا يضرني وعيدكم)، وشعره هذا شعر جاهلي بالنسبة إليه، لأنه يتحدث فيه يوم قاله عن الملابسات القائمة فيما بينه وبين

(١) «ديوان العباس بن مرداس السُّلمي» (ص٤٢، ٤٣).

خفاف من هجاء وملاحاه وقتال.

وهجا عباس بن مرداس عمرو بن معديكرب بقوله:

ألا أبلغا عمرًا علىٰ نأي داره فقد قُلْتَ قولًا جائرًا غير مهتدِ
أتُهدي الهجاء لامرئ غير مفحم وتُهْدي الوعيد لامرئ غير مُوعَدِ
فإن تلقني تلق امرأً قد بلوته حديثًا وإن تفجر عليَّ تُفَنَّدِ
ألا تعلمن يا عمرو أني لقيتكم لدىٰ مأقط والخيل لم تبدد
وعَرَّدَ عني فارساكم كلاهما وقد علما بالجزع أن لم أعرِّدِ
وما زلت أحمي صحبتي وأذودكم برمحي حتىٰ رُحْتُ قطرًا بمفردي

ويُذكر أن عمرو بن معديكرب فر من العباس في إحدىٰ المعارك وأن العباس أسر أخته ريحانة، وقال في ذلك شعرًا.

ومن قصائده «المنصفات» -ومعنىٰ المنصفات: القصائد التي يُنصف فيها الشاعر خصومه الحربيين فيذكر ما حدث له ولقومه، وللخصوم معًا من نصر وهزيمة، وإقبال وإدبار، وكر وفر- من هذه القصائد قصيدته السينية المثبتة في ديوانه الذي جمعه وحققه الدكتور يحيىٰ الجبوري (طبع بغداد).

ومطلعها قوله:

لأسماء رسم أصبح اليوم دراسًا وأقفر منها رَحرَحانُ فراكسا[(١)]

وفي هذه القصيدة يذكر لنا أن «المتغزل فيها»:

(١) يبدو أن هذا البيت أقواءً.. إذ الفصح أن يقول: فراكس، لأنه معطوف علىٰ (رحرحان) المرفوع لكونه فاعلًا لـ (أقفر)، والمعطوف علىٰ المرفوع مرفوع لا منصوب.

تضـوع منهـا المسـك حتـىٰ كأنمـا ... تَرَجَّــلُ بالريحــان رطبًــا ويابسًــا

و(تَرَجَّلُ) بمعنىٰ تُسَرِّحُ الشَّعَر، ومن هذا يبدو أن تسريح شعر النساء بالريحان رطبًا ويابسًا عادة كانت لديهن مألوفة في الجاهلية.

وقد قطع عباس نسيبه في «أسماء» قطعًا، بالانصراف إلىٰ شؤون أعدائهم فقال:

فَـدَعْها ولكــنْ قــد أتاهــا مَقادُنــا ... لأعــدائنا تُزْجــىٰ الثِّقــالَ الكوادســا

إلىٰ أن يقول:

سَـمَونا لهــم سـبعًا وعشـرين ليلـة ... نجـوب مـن الأعـراض قفـرًا ويابسًـا

وهو يصف بُعْدَ منازل أعدائهم الذين غزوهم في عقر دارهم، مصعدين، لأن منازلهم بتثليث قرب نجران، وتثليث بعيدة عن منازل بني سليم... هي في الجنوب، وهم في الشمال، قال:

فبتنـا قعـودًا في الحديـد وأصـبحوا ... علـىٰ المركبـات يجـردون الأيابسـا

فلم أرَ مثل الحي للحقيقة مُصبَّحًا ... ولامثلنــا لمــا التقينــا فوارســا

أكــرَّ وأحْمــىٰ للحقيقــة مــنهم ... وأضْـرَبَ منـا بالسـيوف القوانسـا

وبينما يصف الشاعر هنا قومه بالفروسية والبطولة، ينثني فيصف أعداءهم بأنهم أكرُّ علىٰ الأبطال وأحمىٰ للحقيقة، وبأن قومه هو -بني سليم- أضربُ للأبطال بالسيوف... وهذا إنصاف من الشاعر.

ويعود إلىٰ وصف شجاعة قومه فيقول:

وأحْصَــنَا مــنهم فمــا يبلغوننــا ... فــوارسُ منـا يحبسـون المحابسـا

وهو هنا يصف لنا موقف قومه الدفاعي... وهذا إنصاف آخر منه، فما أحسن

الحقيقة حين تقال في مثل هذه المواقف.

ثم يعود ليُفَصِّلَ موقف الجانبين المتساوي إزاء بعضٍ في حومة الوغي فيقول:

إذا ما شددنا شَدَّةً نصَبُوا لها ... صدور المذاكي والرِّماحَ المداعسا

والمذاكي من الخيل ما دخل السنة السادسة، والمَداعسُ من الرماح: الغليظ الشديد الذي لا ينثني، ومعنىٰ دعسه بالرمح: طعنه به، كما فسرناه في مكان آخر من هذا الكتاب.

وهنا ينصف عباس إنصافًا صريحًا واضحًا... فيصف لنا الموقف المتكافئ بين قومه وعدوهم علىٰ حقيقته دون تحيز... إذ يقول: إنَّا إذا شددنا عليهم شدة، أي إذا هجمنا عليهم هجومًا شديدًا، قابلوا هجومنا الشديد بصدور الرماح وصدور الجيل المسومة... فنقف هجومنا وتتوازن كفتا القتال الدائر بيننا وبينهم عندها فلا غالب ولا مغلوب.

ويعتذر عن أسباب غزوهم لمراد في «تثليث» النائية عنهم، وهم قوم شُوسٌ مغاوير وليوث حرب بقوله:

نطاعن عن أحسابنا برماحنا ... ونضربهم ضرب المُذِيد الخَوامسا

ويعود إلىٰ تبيان فعاله في هذه الحرب الضروس المتكافئة:

وكنتُ أمام القوم أوَّلَ ضارب ... وطاعنتُ إذ كان الطِّعانُ تَخالُسا

ولا يكتفي بمديح بطولته التي جعلته أمام القوم أول ضارب، فنراه يستشهد علىٰ تقدمه لغيره من الأبطال في الإقدام في ساحة المعركة بشهود عدول أحياءٍ شاهدوا موقفه المشرف:

فكـــان شـــهودي مَعْبَـــدٌ ومُخــارِق وبِشْـرٌ ومـا استشـهدت إلا الأكايسـا

لكنه يعود فيفيد سامع شعره وقارئه بأنه لم يكن (منفردًا) في مقدمة الصفوف، بل كان معه ابنا صُرَيم دارعيَن -أي: لابسَيْن للدروع الواقية من وقع السيوف وطعن الرماح- ومعهما عُروة أيضًا، وإنصافًا لهؤلاء الأبطال الأماجد الثلاثة الذين شاركوه في الإقدام وتقدم الصفوف للنزال والضرب والطعان يقول:

مَعِـي ابنـا صُـرَيم دارعـان كلاهمـا وعُـرْوَةُ لـولاهم لَقيـتُ الدَّهارسـا

ومن إنصاف أن يقول: إنه لولا حماية هذا النفر الثلاثة له لَلَقي الدَّواهي، فالدهاوس هي الدواهي.

ويستمر في وصف وقائع المعركة فيقول: فأما زيد فقد مارس الإقدام، لولا إقصار خطا مهره، وبنو سليم كانت الخيل لديهم كثيرة وفيرة... كما قدمناه:

ومـارس زيـد ثـم أقصَـر مهـره وحـقَّ لـه في مثلهـا أن يمارسـا

ولعنترة في معلقته وصف يماثل ما وصف به العباس «زيدًا»... يقول عنترة: (ولكني تضايق مقدمي).

وأما قرة فكان موقفه حمَايةَ المنهزمين والمتفرقين في المعركة، وطَعْنَ الأعداء بقوة وضراوة، فلله دره من فارس مغوار:

وقُـرَّةُ يحمـيهم إذا مـا تبـددوا ويطعـنهم شـزرًا فأبرَحْـتَ فارسـا

ويجلي لنا الموقف تمامًا أنَّ بني سليم في غزوهم لمراد في أرضهم: «تثليث» تمكنوا من (جَرْحِ) من أعدائهم لاغتبطت الضباع هنالك بكثرة القتلىٰ، والسبب في

عدم تمكن السُّليميين الغُزاة من القضاء علىٰ خصومهم يعود إلىٰ أن هؤلاء الخصوم كانوا يلبسون الدروع المضاعفة فلا تصل إلىٰ أجسامهم سيوف بني سليم ولا رماحهم:

ولو مات منهم من جَرَحْنا لأصبحت ... ضِبَاعٌ بأكناف الأراك عرائسَا

ولكنهم في الفارسي فلا يُرَىٰ ... من القوم إلا في المُضَاعَفِ لابسَا

ويقصد بـ «الفارسي» هنا: الدروع الفارسية المضاعفة؛ أي: المنسوجة حلقتين حلقتين، فهي لذلك تقي لابسها من الضرب والطعن.

ويزيدُ الموقِفَ (انجلاءً): فيذكر أن أعداءهم إذا تمكنوا من قتل كريم منهم فإنهم هم أيضًا قد قتلوا به منهم قتْلَىٰ تُذِلُّ أنوفهم، فقد قتلوا بالقتيل السُّلمي الواحد خمسة بل ستة من أعدائهم:

فإن يقتلوا منا كريمًا فإننا ... أبأنا به قَتْلًا تُذِلُّ المَعاطِسا

قتلنا به في ملتقىٰ الخيل خمسة ... وقاتِلَه زِدْنا مع الليل سادسَا

وقد اقتضىٰ المشهد هنا أن يبرز شهامة قومه وإباءهم في الحروب، وتقدمهم إليها كما يتقدم حبيب لحبيبٍ:

وكنا إذا ما الحرب شَبَّتْ نَشبُّها ... ونَضْربُ فيها الأبْلَجَ المتقاعسا

و«الأبلجُ»: «المتكبر، والمتقاعس»: المتمنع الذي لا يطأطئ رأسه.

وهنا يختتم الشاعر قصيدته «المنصفة» بوصف شامل لما حدث في الصدام المسلح بينهم وبين مراد... فيقول:

فأُبنا وأبقىٰ طعْنُنا في رماحنا ... مَطَارِدَ خطِّيٍّ وحُمْرًا مَداعِسا

والمطاردُ: ما يبقىٰ من الرماح إذا انكسرت. والخطيُّ: الرمح المنسوب إلىٰ خطب البحرين.

وجُرداً كأنَّ الأُسْدَ فوق متُونها ... من القوم مَرءُوسًا وآخر رائسا

وهكذا عاد الغزاة السُّلميون من صدام مسلح لم يكن لهم فيه نصر ولا انكسار... ولكنهم حققوا في غزوتهم معنىٰ البطولة، ودافعوا بالهجوم البعيد المدىٰ الذي شنوه علىٰ أعدائهم في عقر ديارهم عن أعراضهم وسمعتهم وشرفهم وحماهم... والهجوم من أنجع وسائل الدفاع وأنجحها... قديمًا وحديثًا.

هذا وقد ذكَّرني (اختتامُ) العباس بن مرداس (لسينيته المنصفة) هذه، بقول عمرو بن كلثوم في (قصيدته المنصفة) -معلقته النونية المعروفة-:

فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وأُبنا بالملوك مصفدينا

ويبدو أن العباس كان علىٰ علم بقول عمرو بن معديكرب له من قصيدة سينية أو هما بيتان فقط:

أعباس لو كانت شيارًا جيادَنا ... بتثليث ما ناصَبْتَ بعدي الأحامسا

ولكنها قِيدتْ بصعدة مرَّة ... فأصبحن ما يمشين إلا تكاوسا

نماذج أخرى من شعره الإسلامي:

لقَّبنا عباس بن مرداس السُّلمي بشاعر حنين، لما اتضح لنا من دراسة شعره الإسلامي، من أنه أكثر من قال الشعر في يوم حنين وأنداهم صوتًا، خاصة وإنه شهد المعركة مع بني سليم وخاض معهم غمارها.

من ذلك قوله في حنين:

فــإني والســـوانح يـــوم جَمْــعٍ ... ومـا يتلـو الرسـول مـن الكتـابِ
لقــد أحببــتُ مــا لَقيَــتْ ثقيـف ... بجنـب الشـعب أمـسِ مـن العـذابِ

* * *

ركضــنا الخيــل فــيهم بــين بَــسٍّ ... إلــىٰ الأروال تــنحط(١) بالنهــابِ
بــذي لجـــب رســول الله فــيهم ... كتيبتـــه تَعــــرَّضُ للضِّـــرابِ

ومن ذلك قوله أيضًا في يوم حنين:

ويــوم حنــين حــين سـارت هــوازن ... إلينــا وضــاقت بــالنفوس الأضــالعُ
صــبرنا مــع الضـــحاك لا يســـتفزنا ... قـــراعُ الأعــــادي مــــنهم والوقــــائعُ
أمـــام رســـول الله يخفـــق فوقنـــا ... لــواءٌ كخــذروف(٢) السـحابة لامــعُ
عشــية ضــحاك بــن سـفيان مُعْـتَصٍ ... بسـيف رسـول الله والمـوت كـانعُ(٣)

إلىٰ أن يقول:

نـذود أخانـا عـن أخينـا ولـو نـرىٰ ... مصـــالًا لكنـــا الأقـــربين نُتَـــابِعُ

---

(١) في ديوانه: الأوراد، وقال جامع الديوان ومحققه: «موضع عند حنين». أما الأورال باللام فهو ما ورد في «السيرة»... والأروال: أجبل ثلاثة سود بجانبها ماء لبني عبد الله بن دارم. ومعنىٰ تنحط بالنهاب: أي تخرج أنفاسها عالية بما تنهب.

(٢) خذروف السحابة: طرقها... أراد بذلك سرعة تحرك هذا اللواء المظفر.

(٣) معنىٰ (معتص): ضارب بسيف رسول الله، والضحاك بن سفيان هو من كلاب، أمره رسول الله علىٰ بني سليم وكان قائدهم في معركة حنين. وحذف الألف واللام في (الضحاك) لضرورة وزن الشعر.

ولكـــن ديـــن الله ديـــن محمـــد رضـينا بــه، فيـه الهـدىٰ والشـرائعُ
أقــام بــه بعــد الضــلالة أمرنــا ولـــبس لأمـــر حَمَّـــهُ الله دافـــعُ

يقول في الأبيات الثلاثة الأخيرة: إنهم يقاتلون إخوتهم (هوازن) الذين تجمعهم بهم وشيجة النسب من كثب، في (قيس)، يقاتلونهم عن إخوتهم في الإسلام الذين يربطهم ببعض ما هو أقوىٰ من وشيجة النسب من كثب، وإن بني سليم لو كانوا يرون في حكم الدين مصالًا ومجالًا أو تطاولًا علىٰ الناس لكانوا مع الأقربين نسبًا: أي: مع هوازن في حربها الضروس للإسلام، ولكنه الإسلام فَرَّق بين بني سليم، وهوازن إذ ذاك بحق... فبنو سليم دخلوا الإسلام، وهوازن ما زالت علىٰ شركها القديم: ويقول: إننا مع ذلك نريد لهم الهداية والرشاد.

وللعباس بن مرداس غير هذه القصائد والأبيات شعر كثير في غزوة حنين، ضمنه كل ما يطفح به قلبه المؤمن من ذكريات رائعة لانتصار الإسلام، وعظمة الإسلام.

***

علىٰ أن من أروع ما قاله في يوم حنين قصيدته (الكافية) التي استهلها بمدح المصطفىٰ ﷺ، وقد ضمَّنها الإشادة بشجاعة الضحاك بن سفيان الكلابي قائد بني سليم البطل الذي عينه الرسول قائدًا عليهم.

قال:

يــا خــاتم النُّبَّــاءِ إنــك مرســل بــالحق كــلُّ هُــدىٰ الســبيل هُــداكَا
إن الإلـــه بنـــىٰ عليـــك محبـــة في خلقـــه ومُحَمَّـــدًا ســـمَّاكَا

ثـم الـذين وفـوا بمـا عاهـدتهم　جُنْـدٌ بَعَثْـت علـيهم الضـحَّاكَا
رَجُـلًا بـه ذَرَبُ السـلاح كأنـه　لمـا تكنفـه العـدو يراكَـا
يغشىٰ ذوي النسب القريب وإنما　يبغـي رضـا الـرحمن ثـمَّ رضـاكَا
أُنْبيـكَ أني قـد رأيـت مَكَـرَّهُ　تحـت العجاجـة يـدفع الإشـراكَا
طـورًا يعنـق باليـدين وتـارة　يَفْـرِي الجمـاجم صـارِمًا بتَّاكَـا
يغشـي بـه هـام الكُمـاةِ ولـو تـرىٰ　منـه الـذي عاينـتُ كـان شـفاكَا
وبنـو سُـليم مُعنِقُـون أمامـه　ضَـرْبًا وطعنًـا في العـدو دراكَـا
يمشـون تحـت لوائـه وكـأنهم　أُسْـدُ العـرين أرَدْنَ ثَـمَّ عراكَـا
مـا يرتجـون مـن القريـب قرابـة　إلا لطاعـة ربهـم وهواكَـا
هـذي مشـاهدنا التـي كانـت لنـا　معروفـة وَوَلِيُّنـا مولاكَـا[١]

خُفَاف بن عمير السُّلمي:

أحد شعراء بني سليم المعروفين، وصفه الأصمعي حينما سئل عنه، وعن عنترة، والزبرقان بن بدر، بقوله: «هؤلاء أشعر الفرسان، ومثلهم عباس بن مرداس السُّلمي» ولم يقل إنهم فحول[٢].

ولخفاف ترجمة وافية سبقت لنا في فصل: (صحابة من بني سليم) اكتفينا بها عن تكرار ترجمته في هذا الفصل حيث إن في تلك مقطوعات طيبة من شعره.

(١) «سيرة ابن هشام» وغيرها.
(٢) «الموشح» للمرزباني (ص١٤٠) طبع دار النهضة مصر (١٩٦٥م).

الفَرَّار السُّلمي:

(حيان بن الحكم)، شاعر مخضرم، صحابي، وكان أحد أصحاب راية بني سليم يوم فتح مكة، وتقدمت ترجمته في فصل «صحابة من بني سليم» أيضًا، وله شعر جزل رصين.

وقد مكنته شاعريته القوية من أن يُحسِّن الفرار علىٰ قبحه، حتىٰ حَسن، قال:

وكتيبة لبَسَّتُهَا بكتيبةٍ — حتىٰ إذا التبستْ نفضتُ لها يدِي
فتركتهم تَقِصُ الرماحُ ظُهورَهُم — ما بين مقتول وآخر مسندِ
هل ينفعنِّي أن تقول نساؤهم — وقتلتُ دون رجالها لا تبعدِ(١)

ويذكرنا تحسينه للفرار في شعره هذا، بقول الحارث بن هشام حين فر عن أخيه أبي جهل بن هشام، واعتذر عن ذلك في قوله:

الله يعلم ما تركتُ قتالهم — حتىٰ عَلَوا فرسي بأشقر مُزْبِدِ
وشممتُ ريح الموت من تلقائهم — في مأزق والخيل لم تتبددِ
وعلمتُ أني إن أقاتلْ واحدًا — أُقْتَلْ ولا يضرر عدوي مشهدي
فصدرتُ عنهم والأحبةُ فيهم — طمعًا لهم بعقاب يومٍ مُرْصَدِ

وكان حسان بن ثابت قد هجا الحارث بقصيدة -بسبب فراره- يقول فيها:

إن كُنْتِ كاذبة الذي حدثتني — فنجَوْتِ منجي الحارث بن هشام

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (ص١٣٩، ١٤٠) المجلد الأول، وفي «شرح ديوان الحماسة»: «ما بين منعفر وآخر مسند»، والمنعفر: الملقىٰ في التراب... فالمعنىٰ واحد. جاء في «القاموس المحيط» أن المترجم «حبان» -بالباء التحتية الموحدة-، لأنه أورد اسمه في (مادة حب) .

تَــرَكَ الأحبــةَ أن يُقاتِــلَ دونهــم ... ونجــا بــرأسِ طِمْــرةٍ ولجــام

وأبيات الحارث المتقدمة قالها جوابًا عن هجاء حسان هذا.

مالك بن عمير السُّلمي:

صحابي وشاعر، له حديث رواه عن النبي ﷺ في الشعر، راجع ترجمته في فصل: (صحابة من بني سليم).

أبو شجرة: عمرو السُّلمي:

هو عمرو بن عبد العُزّىٰ بن عبد الله بن رواحة بن مُلَيلٍ -بضم الميم بعدها لام مفتوحة فياء ساكنة فلام- ابن عُصية، أمُّه الخنساء الشاعرة، أورد ابن حزم أنه شاعر[(١)].

ارتد أبو شجرة مع من ارتد من قومه في خلافة أبي بكر، وله شعر في ذلك يقول فيه:

فلــو ســألتْ عنــا غــداة مُزَامِــرٍ ... كمـا كنـتُ عنهـا سـائلًا لـو نأيتُهَـا

لقــاء بنــي فهــر وكــان لقــاؤهم ... غــداة الجِــواء حاجــةً فقضــيتُهَا

صبرتُ لهم نفسي وعَرَّجْتُ مُهْرتي ... علىٰ الطعن حتىٰ صار وردًا كُمَيْتُهَا

إذا هــي صــدت عــن كَمــيٍّ أريــده ... عَــدَلْتُ إليهــا صــدرها فهــديتُهَا

وقال في ردته عن الإسلام:

صحا القلب عن مَي هـواه وأقصرا ... وطــاوع فيهــا العــاذلين فأبصــرَا

(١) «جمهرة أنساب العرب» (ص٢٦١).

وأصبح أدنىٰ رائد الجهل والصبىٰ ... كما وُدّها عنا كذاك تغيرَا
وأصبح أدنىٰ رائد الوصل منهم ... كما حبلها من حبلنا قد تبترَا
ألا أيها المُدلي بكثرة قومه ... وحظك منهم أن تضام وتُقْهرَا
سل الناس عنا يوم كل كريهة ... إذا ما التقينا دارعين وحُسَّرَا
ألسنا نعاطي ذا الطماح لجامه ... ونطعن في الهيجا إذا الموت أقفرَا
وعارضة شهباء تخطر بالقنا ... ترىٰ البُلْق في حافاتها والسنورَا
فروَّيْتُ رمحي من كتيبة خالد ... وإني لأرجو بعدها أن أُعَمَّرَا

وقد عُمِّرَ أبو شجرة بعد الردة كما رَجَا... ومن حسن حظه أن أسلم ودخل فيما دخل فيه الناس.

أبو شجرة وعمر بن الخطاب:

وفي زمن عمر بن الخطاب قَدِم أبو شجرة المدينة، وأناخ بصعيد بني قريظة -وإخاله شرقي المدينة حيث حَرَّةُ بني قريظة؛ لأن هذه الناحية هي الموالية لبلاد بني سليم- ثم أتىٰ عمر، وهو يعطي المساكين من الصدقة، ويقسمها بين فقراء العرب، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطني فإني ذو حاجة. قال: ومَن أنت؟! قال: أبو شجرة بن عبد العزىٰ السُّلمي. قال عمر: أبو شجرة؟! أي عَدوَّ الله! ألستَ القائل:

فَرويتُ رمحي من كتيبة خالد ... وإني لأرجو بعدها أن أُعمرا

ثم جعل عمر يعلوه بالدِّرَّة -السوط- في رأسه حتىٰ سبقه أبو شجرة عَدْوًا، فرجع أبو شجرة إلىٰ ناقته فارتحلها ثم أسندها في حرة شَوْران[1] راجعًا إلىٰ أرض

(١) شوران -بفتح الشين وسكون الواو-: جبل مطل علىٰ السد مرتفع بجنوب غرب المدينة =

بني سليم، وقال يحكي ما حدث بينه وبين عمر بن الخطاب في المدينة:

ضَـن علينـا أبـو حفـص بنائلـه	وكـل مختـبط يومًـا لـه ورقُ
مـا زال يُرْهِقنـي حتىٰ خـذيتُ لـه	وحال من دون بعض الرغبة الشفقُ
لمـا رَهَبْـتُ أبـا حفـص وشـرطته	والشيخُ يفـزع أحيانًـا فينحمـقُ
ثـم ارعويـت إليهـا وهـي جانحـة	مثـل الطريـدة لـم ينبـت لهـا ورقُ
أوْرَدْتُها الخل من شَوْران صادرة	إني لأزري عليهـا وهـي تنطلـقُ
تطيـر مَـرْوُ أبـان عـن مناسـمها	كمـا توقـد عنـد الجهبـذ الـورقُ
إذا يعارضـها خَـرْقٌ تُعارضـه	وَرْهـاءُ فيهـا إذا استعجلتها خَـرَقُ
ينـوء آخرهـا منهـا بأولهـا	سُرْح اليدين بها نهاضة العنقُ(١)

ولقصة أبي شجرة مع عمر بن الخطاب ذكر في كتاب «الكامل» للمبرد(٢).

نضلة السُّلمي:

شاعر من بني سليم، روىٰ له ثعلب في «مجالسه» شعرًا قاله في قصة خلاصتها أن قومًا من بني سليم مروا علىٰ رجل مُزَني يقال له: «نضلة» في إبل له، فاستسقوه لَبَنًا

=

المنورة، وفيه مياه كثيرة يقال لها: البحيرات، وعن يمينك حينئذ عير، وبحذاء شوران هذا جبل مطيان. «معجم البلدان» لياقوت الحموي مادة (شور).

(١) «تاريخ الطبري» (ص٤٩٣-٤٩٥) الجزء الثاني، وهكذا وردت كلمة (العنق) في المرجع المذكور، مضافًا إليها ... ويجب عندئذ أن تكون مكسورة الحرف الأخير، وهذا فيه إقواء ظاهر؛ لان القصيدة مضمومة حرف الروي، وربما كانت صحتها: «عنق» بدون (أل)، والعنق: محركة سير منبسط للإبل «القاموس».

(٢) (ص٣٨٨، ٣٨٩)، الجزء الأول، وفيه أن أبا شجرة أقبل ناقته حرة بني سليم.

فسقاهم، فلما رأوا أنه ليس في الإبل غيره، ازدروه فأرادوا أن يستاقوها، فجالدهم حتىٰ قتل منهم رجلًا، وأجْلَىٰ الباقين عن الإبل، فقال في ذلك رجل من بني سليم، قال «لسان العرب»: إنه نضلة السُّلمي، والأبيات هي هذه:

ألم تسأل فوارس من سُلَيم ... بنضلة وهو موتور مشيحُ
رأوه فازدروه وهو خِرقٌ ... وينفع أهلَهُ الرجلُ القبيحُ
فَشَدَّ عليهمُ بالسيف صَلْتًا ... كما عرض الشبا الفرسُ الجموحُ
وأطْلَقَ غُلَّ صاحبه وأرْدىٰ ... قتيلًا منهم ونجا جريحُ
ولام يخشوا مصالته عليهم ... وتحت الرَّغوةِ اللَّبَنُ الصريحُ(١)

وقد عزا الجاحظ هذه الأبيات إلىٰ أبي محجن الثقفي، ولاحظ عليه «المعلق» حسن السندوبي قوله: «لم أجد هذه الأبيات في ديوان أبي محجن، وليس فيها ما يدل علىٰ أنها له، ولعلها لنضلة السُّلمي المذكور فيها باسمه وصفته».

هل عَمرو بن مسعود سُلمي؟

بعدما أورد محمد بن داود بن الجراح ترجمة عمرو بن مسعود الشاعر المعمر علىٰ أنه ثقفي، وذكر له أبياتًا مدح بها معاوية بن أبي سفيان يُذكره فيها بالأيام الحلوة التي قضاها عمرو مع والده أبي سفيان في الجاهلية صديقًا حميمًا له، ويطلب رفد معاوية، لكبر سنه -سنِّ عمرو- وذهاب ثرائه، مع الأيام.

عاد ابن الجراح فذكر أنه كتب إليه «عبد الله بن أحمد بن سودة مولىٰ بني هاشم ما رواه عن مسنده إلىٰ أبي عيسىٰ موسىٰ بن أبي بكر البكري، قال: قَدِمَ عمرو

---

(١) «مجالس ثعلب» (ص٨) القسم الأول، طبع دار المعارف.

بن مسعود السُّلمي هذا -قال إنه من بني سليم- علىٰ معاوية وكان صديق أبي سفيان فلم يصل إليه شهرين، فكلمه عبد الله بن جعفر فيه، فقال: ما علمتُ أنه باق... فأذِنَ له، فذكر الحديث -أي قصة قدومه إليه- وأنشد الشعر، قال: وقال له: وكم كان ولدك؟ قال: عشرة كلهم قد دعا عليَّ وكفاني، فماتوا وبقي الإناث، وذهب مالي، فأمر له بديتهم وبَرَّه وحمله وكتب إلىٰ عماله بالمدينة أن يُدني مجلسه، ويقضي حوائجه».

وقد نقد ابن الجراح رواية سوادة الهاشمي هذه فيما يتعلق بِسُلَمية عمرو بن مسعود وصلة معاوية له نقدًا بالغًا، فقال معقبًا عليها: «وفي شعره الذي أنشدنيه أبو حنيفة ما يصدق حديث ابن سوادة، أنه -أي: عمرو بن مسعود- أقام بباب معاوية شهرين... فأما نسبه إلىٰ سُلَيم وما حكىٰ أنه وصله به، فهو مضطرب، وكذلك إسناده.

وكان أبو حنيفة إسماعيل بن عبد الله حدَّث المؤلف بأن ابن مسعود الثقفي هذا بعدما دخل علىٰ معاوية عقب المدة التي لم يتمكن من الدخول عليه أنشده قصيدة طويلة وصف فيها ما كان بينه وبين أبيه، وما مر عليه من ريب الزمان، وما أصيب به من ماله وولده ومن حُجَّاب معاوية، وأولها:

أصبحتُ شيخًا كبيرًا هامَةً لِغَدٍ ... تزقو لدىٰ جدثي أوْ لَا فبعد غدِ
أوْدىٰ الزمان حَلُوباتي وما جمعتْ ... كَفَّاي من سَبَدِ الأموال واللبدِ
حتىٰ أحال علىٰ من كان لي عَضُدًا ... يا للرجال فلستُ اليوم ذا عَضُدِ
والله لو كان يا خير الخلائق ما ... لا قيتُ في أحُدٍ ذَلَّتْ ذُرىٰ أحدِ

قال: فبكىٰ معاوية، وقربه إليه، وبرَّه وأكرمه، ووصله بصلة سنية، ورده إلىٰ

الطائف، وكتب إلىٰ عامله يوصيه به، فلم ينشب أن مات...

هذا وقد صحب عروةُ بن مسعود أخو عمرو بن مسعود الثقفي رسولَ الله ﷺ واستشهد بالطائف.

ومما قاله عمرو بن مسعود الثقفي من الشعر في معاوية قوله:

ما بال شيخك مخنوقًا بجرتِهِ ... طال الثواءُ به دهرًا وقد صَبَرا

أباك تُرْعَدُ كَفَاهُ لِمحجنه ... لم يترك الدهر من أولاده ذَكَرَا

فاذكر أباك أبا سفيان فاحفظْهُ(١) ... في خِلَّةِ فلقد ضَيَّعْتَهُ عُصُرَا

وفي ختام ترجمة عمرو بن مسعود أورد لنا ابن الجراح البيتين التاليين من رواية ابن سوادة له:

قد مر شهر وشهر لا يُرىٰ طَمَعٌ ... مدنيهِ منك وهذا الموت قد حضرا

أخنىٰ حَلُوبته واجتاح آلته ... لم يترك الدَّهر من أبنائه ذكرا(٢)

نصر بن حجاج السُّلمي:

كان نَصْرٌ من أجمل العرب، وهو تابعي، وأبوه حجاج السُّلمي من الصحابة، وقد مرت بنا ترجمته في فصل «صحابة من بني سليم»، ونصر من شعراء سليم.

وقد أورد لنا الرواة قصة افتتان بعض نساء العرب في المدينة بجماله الباهر، وحينما ثبت لدىٰ عمر بن الخطاب -وهو خليفة- تشبيب امرأة به في أبيات شعر

(١) هكذا ورد في مخطوطة «من سمي من الشعراء عمرًا» الورقة (٤٩)، ولا ريب أنه خطأ من الناسخ؛ إذ فيه إخلال واضح بالوزن، اللهم إلا أن يعتبر فتح الظاء من ضرورات الشعر.
(٢) من سمي من الشعراء عمرًا، لمحمد بن داود بن الحراج (الورقة ٤٨، ٤٩).

أَنْشَدَتْهَا ليلًا، فسمعها أثناء عَسِّه وتجواله في سِكَك المدينة غَرَّب نصرًا عن المدينة إلىٰ البصرة اتقاء الفتنة به في بلد الرسول ﷺ.

ومجمل القصة: أن «الذلفاء»(١) هَوِيَت نصرًا ودعته إلىٰ نفسها، فزجرها ولم يوافقها، وبينما عمر يعس في بعض سِكَكِ المدينة ليلًا إذ سمع نشيد شعر من دار فوقف يتسمع فإذا الذلفاء تقول:

يا ليت شعري عن نفس أزاهقة ... مني ولم أقض ما فيها من الحاج
ألا سبيلٌ إلىٰ خمر فأشربها ... أم لا سبيل إلىٰ نصر بن حجاج

فأمر عمر، فأخرجت من منزلها، وحبَسَها، وحينما علمت بالسبب أنِفَت علىٰ نفسها أن يعاقبها أمير المؤمنين بما سمع منها... فكتبت إليه شعرًا تقول فيه:

قل للإمام الذي تُخشىٰ بوادره ... ما لي وللخمر أو نَصرِ بن حجاجِ
إني عنيت أبا حفص بغيرهما ... شرب الحليب وطرف قاصر ساجِي
لا تجعل الظن حقًّا أو تيقنه ... إن السبيل سبيل الخائف الراجِي
إن الهوىٰ زَمَّهُ التقوىٰ فخيسه ... حتىٰ أقر بإلجام وإسراجِ

فبعث إليها عمر وأطلق سراحها وقال لها: لم يبلغنا عنك إلا خير... ومن يومئذ لقبت «الذلفاء»: بالمتمنية، وسار لقبها هذا في الآفاق، وشرق وغرب، حتىٰ وصل إلىٰ العراق، وعرفته نساؤها، وتداولته، وضربت بها الأمثال.

---

(١) جزم ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» بأن المرأة التي قالت هذا الشعر هي: «فريعة» أم الحجاج بن يوسف أمير العراق، وكانت زوجة المغيرة بن شعبة، وقدم الدليل علىٰ رأيه في الصفحة (٢٦٣).

وقالوا: إن عمر لقب نصرًا بالمُتَمَنَّىٰ -بضم الميم الأولىٰ وفتح الثانية وفتح النون وتشديدها- وقد أحضره إليه، فلما رآه بهره جماله، فقال له: أنت تتمناك الغانيات في خدروهن؟ لا أم لك! أما والله لأزيلن عنك الجمال، ثم دعا بحجام[(١)]، فحلق جمته -مجتمع شعر الرأس- ثم تأمله فقال: أنت محلوقًا أحسنُ.

فقال نصرٌ: وأي ذنب لي في ذلك؟ فقال عمر: صدقت! الذنب لي إن تركتك في دار الهجرة، ثم أركبه جملًا، وسَيَّرهُ إلىٰ البصرة، وكتب به إلىٰ مجاشع بن مسعود السُّلمي[(٢)] -ابن عمه- بأني «قد سَيَّرْتُ المُتَمَنَّىٰ نصر بن الحجاج السُّلمي إلىٰ البصرة».

فأنزله مجاشع منزله لقرابته ولمكانته ومكانة أبيه في المجتمع السُّلمي والإسلامي، ولابد أنه سمع من قبل ورود خطاب عمر إليه بما حدث جملة وتفصيلًا، وأخدمه امرأته «شميلة» وكانت أجمل امرأة بالبصرة، فعلقته وعلقها، حتىٰ انكشف أمرهما لزوجها مجاشع، فقال لنصر: «يا بن العم، ما سَيَّرك عمر إلىٰ خير، قم فإن وراءك أوسع لك».

---

(١) يفهم من هذا أن الحجامين كانوا يتولون الحلاقة مع مهنة الحجامة، في عهد عمر، هذا وحسن وجوه رجال بني سليم مشهور في التاريخ، وقد وصف النبي ﷺ قدر بن عمار السُّلمي أو قددًا كما سمته «نهاية الأرب» بقوله لبني سُليم بعد موته: «**وأين الرجل الحسن الوجه الطويل اللسان الصادق الإيمان؟**»، ووصف الجهنية زوج هاشم بن حرملة له، العباس بن مرداس، بقولها: «رأيت شابًّا جميلًا له وفرة حسنة»، فقال هاشم بن حرملة لها: ذاك العباس بن مرداس السُّلمي.

(٢) لمجاشع هذا ترجمة في فصل «صحابة من بني سليم»؛ لأنه صحابي، وترجمة في فصل: «امراء وزعماء وفرسان ومحتسبون وقادة وولاة وموظفون من بني سليم»، لأنه كان واليًا علىٰ البصرة بالنيابة في خلافة عمر، وربما كانت كتابة عمر بن الخطاب إليه في شأن تغريبه لنصر بن الحجاج إلىٰ البصرة، إبان ولايته لها بالنيابة عن المغيرة بن شعبة.

فخرج وعدل إلىٰ منزل بعض السليميين، وفي «خزانة الأدب» (المسلمين) بالبصرة، ووقع لجنبه، وضني من حب شميلة، ومن خدش كرامته مرتين: مرة علىٰ يد الخليفة في المدينة، ومرة علىٰ يد ابن عمه ومُنزِله عنده ومكرمه «مجاشع» نائب أمير البصرة في البصرة، ودنف من جراء الكبت النفسي والألم النفسي معًا، حتىٰ صار رحمة -لحمة- وانتشر خبره، فضرب نساء البصرة به المثل، فقلن: (أدنفُ مِنَ المُتَمَنَّىٰ)...

ثم إن مجاشعًا وقف علىٰ خبر علته، فدخل عليه عائدًا، فلحقته رقَّة لما رأىٰ من الدنف، فرجع إلىٰ بيته، وقال لشميلة: (عزمتُ عليك لما أخذت خبزًا فلبكته بسمن، ثم بادرت به إلىٰ نصر) ففعلت، فعادت إليه صحته، وبرَأ، كأن لم يكن به قلبة، فلما فارقته عاوده النكس، ولم يزل يتردد في علته حتىٰ مات منها.

تلك إحدىٰ روايات قصة نصر بن حجاج السُّلمي...

أما «المدائني» فلم يجعل خاتمة حياته ما ذكر آنفًا، بل قال -وبعد أن أقام نصر، حَوْلًا كتب إلىٰ عمر):

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني ... وما نلتُ ذنبًا إن ذا لحرامُ
وما لي ذنب غير ظن ظننته ... وفي بعض تصديق الظنون أثامُ
أأن غنَّت الحوراء يومًا بمُنية ... وبعض أماني النساء غرامُ
ظننتَ بي الظن الذي ليس بعده ... بقاءٌ وما لي في النديِّ كلامُ
وأصبحتُ منفيًّا علىٰ غير ريبة ... وقد كان لي بالمَّكتين مُقامُ
ويمنعني مما يُظَن تكرُّمي ... وآباءُ صدق سالفون كرامُ

ويمنعهــا ممــا تمنــت صــلاحُها … وطـــولُ قيـــام ليلهـــا وصـــيامُ

فهاتـان حالانـا فهـل أنـت راجعـي … وقـد جُـبَّ منـي كاهـل وسـنامُ

قال صاحب «الأوائل»: فلما وصلت الأبيات إلىٰ عمر، نظر فيها، وكتب إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري، وأمره بالوصاة به، إن أحب، يُقيمُ بالبصرة، وإن أحب الرجوع إلىٰ المدينة فذاك إليه، فاختار نصرٌ المقامَ بالبصرة، ولم يزل مقيمًا بها إلىٰ أن خرج أبو موسىٰ إلىٰ محاربة أهل الأهواز، فخرج معه نصر بن حجاج في الجيش، وحضر معه فتح تستر»(١).

ويفهم من الرواية التي أوردها ابن الحجاج في كتابه «من سُمِّيَ من الشعراء عمرًا»: أن نصرًا هذا عاش حتىٰ زمن معاوية بن أبي سفيان، وقد أوردنا نص هذه الرواية في ترجمة عمرو بن أبي سفيان أبي الأعور السُّلمي في الفصل الذي ذكر فيه فوارس سليم من هذا الكتاب.

ولنا هنا ملاحظات علىٰ هامش رواية المدائني لخاتمة قصة نصر بن الحجاج.

أولًا: إن لقَبَي (المتمنية) و(المتمنِّي) اللذين وُسِمَ بهما كل من الذلفاء أو الفريعة، ونصر بن حجاج، قد بلغا من الاستقرار في النفوس والمجتمعات إلىٰ حد جعل نصرًا نفسه يشير إليهما إشارة واضحة حين يقول في الأبيات التي بعث بها إلىٰ عمر:

ويمنعنـــي ممـــا يُظـــن كرامتـــي … وآبـــاء صـــدق ســـالفون كـــرامُ

ويمنعهــا ممــا تمنــت صــلاحُها … وطـــولُ قيـــام ليلهـــا وصـــيامُ

---

(١) «خزانة الأدب» لعبد القادر البغدادي (ص١٠٨-١١١) الجزء الثاني.

ثانيًا: أرىٰ أن لنصر الحق في اختياره الإقامة بالبصرة عن المدينة، وذلك لأن أمره وأمر (المتمنية) قد ذاع وشاع في سائر الأوساط الإسلامية، وبالمدينة خاصة، وصار موضع التندر والأحاديث العامة والخاصة، فلو عاد إلىٰ المدينة لعاد معه الحديث المتشعب المتواتر الدائم عن أمره وأمر صاحبته المتمنية، مما يقض مضجعه ويعيد إليه الشجون والآلام، فكثرة حديث الناس عن مثل هذا الموضوع يؤثر أثرًا عكسيًّا علىٰ من يقال فيه... وخاصة إذا لاحظنا تزيد الجماهير وتوسعتهم لشقة الظنون ومختلف التفسيرات والتحليلات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ثالثًا: وقيام نصر بن حجاج علىٰ رواية المدائني، بمرافقة الجيش الغازي مع أبي موسىٰ، يدلنا علىٰ عمق إيمان نصر وعلىٰ أنه في المستوىٰ الطيب من كرم الأخلاق وطيب العنصر، فما حال بينه وبين الجهاد في سبيل الله لوكُ الألسنة لاسمه بحق وبغير حق، لقد كان شريفًا وابن شريف وظل علىٰ مستواه الاجتماعي، وقد رأينا عمر بن الخطاب وهو الخليفة الرَّجَّاع إلىٰ الحق متىٰ لا ح له ضياؤه من أي مكان ومن أي إنسان- رأيناه يعطف عليه عطفًا كاملًا ويعيد إليه اعتباره ويكتب إلىٰ عامله بالبصرة بتخييره بين المقام بالبصرة والعودة إلىٰ المدينة... وكم كان نصر حصيفًا ولبيبًا عندما فضل البقاء في البصرة للبواعث التي أشرنا إليها آنفًا، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وليس علىٰ أفواه الناس أقفال!

عباس بن أَنَس بن عباس بن مرداس السُّلمي:

يتراءىٰ لي أن عباسًا هذا هو أحد أحفاد عباس بن مرداس السُّلمي الصحابي الشاعر البطل المعروف(١).

(١) يسند ذلك ما ورد في «معجم الشعراء» للمرزباني، فقد ساق نسبه كما ذكرناه راجع (ص١٠٣).

ولعباس بن أنَس رثاء مؤثر في ابن عمه: عبد الله بن خازم السُّلمي، القائد المحنك وبطل الحروب المغوار الذي أوقع به دهاء عبد الملك بن مروان، حينما حافظ علىٰ كلمة الشرف فلم يقبل أن ينقض بيعته لعبد الله بن الزبير، برغم المغريات الكبيرة التي قدمها له عبد الملك، وقد فصَّلنا ترجمة حياته في فصل «أمراء وزعماء ومحتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سليم».

يقول عباس بن أنَس يرثي عبد الله بن خازم:

نفسي الفداء لعبد الله إذ جشأت ... نفسُ الجبان وضاق الورد والصدرُ
كان المحافظَ والحامي حقيقتنا ... إذا الكماة ارجحنوا والقنا كِسَرُ
وضاقت الخيل تردي في أعنتها ... خزر العيون ولما ترشح العذرُ
حَامَىٰ وخاضَ حياض الموت معتزمًا ... بالسيف يخطر حتىٰ عَزَّهُ النفرُ
وفر أصحابُهُ عنه وأسْلَمَهُ ... للشائنين صروف الدهر والقدرُ
فصادف الموتَ محمودًا أخا ثقة ... كأنَّ غُرَّتَهُ في القسطل القمرُ(١)

وقصيدة عباس بن أنَس هذه تجري مجرىٰ سائر قصائد بني سُلَيم الذين اطلعتُ علىٰ أشعارهم في الجاهلية والإسلام، من حيث جمال الأسلوب، وحصافة المعاني، وجزالة البيان، ووضوح المقاصد والاهداف، وعدم التعثر في حُوشيِّ(٢) الكلام ولا وَحشيه.

موسى بن عبد الله بن خازم السُّلمي:

شاعر مجيدٌ من شعراء بني سُلَيم في صدر الإسلام، وهو ابن القائد البطل

(١) «معجم الشعراء» (ص١٠٣و١٠٤).
(٢) حوشي الكلام: غامضه.

عبد الله بن خازم.

لموسىٰ قصيدة عصماء رثىٰ بها أخاه (محمد بن عبد الله بن خازم) الذي قتل في ولاية والدهما لخراسان:

ذكرتُ أخي والخِلْوُ مما أصابني ... يَغطُّ ولا يدري بما في الجوانحِ

دَعَتْهُ المنايا فاستجاب دعاءها ... وأرغم أنفي للعدو المكاشحِ

فلو ناله المقدار في يوم غارة ... صبرتُ ولم أجوع لنوح النوائحِ

ولكنَّ أسباب المنايا صرعنه ... كريمًا محياه عريض المنازحِ

بكفِّ امرئ كَزٍّ قصير نجاده ... خبيث ثناه عرضة للفضائحِ[1]

لقد أجاد موسىٰ في إبرازِ ما تجيش به نفسه من انفعالات الحسرة والألم بفقده لأخيه في غير معركة ضارية خاضها، وإنما بيد جانية أثيمة تولت اغتياله غدرًا: يَدِ امرئ كَزٍّ قصرٍ نجاده، خبيث ثناه عرضة للفضائح...

هذا ولا يخرج رثاء موسىٰ هذا، ولا رثاء أَنَس بن عباس قبله عن طريقة بني سُلَيم، في المراثي بإبراز ما تكنه صدورهم من مقة وثقة وتقدير لمن يرثونه من ذويهم وقد سارت علىٰ تلك الطريقة نفسها الخنساءُ السُّلميةُ، ولكنها برعت فيها براعة رفعتها إلىٰ مستوىٰ القمة من الرثاة من شعراء العرب وشواعرهم في مختلف العصور ومتوالي الأجيال.

وعلىٰ ذكر «الفضائح» في قصيدة موسىٰ السابقة، فإننا نجد شاعرًا سُلميًّا آخر هو «معاوية بن مالك» يذكر في شعره «الفضيحة»، ويفتخر بتنائيه عن مواقعها في

---

(١) «معجم الشعراء» للمرزباني (ص٢٨٧).

ساحة المعركة، فيقول:

لمـا رأيتُ نسـاء قـومي حُسَّـرًا ... وتـرت إلـيَّ الـنفس غيـر مـزاحِ
أقـدمتُ حتـىٰ لـم أجـد مُتَقَـدَّمًا ... وعلمـتُ أنَّ اليـوم يـومُ فِضـاحِ

واهتمام شعراء بني سليم بذكر (الفضائح) في أشعارهم يدلنا علىٰ شدة مَقتِهِم للوقوعِ فيها...

ولموسىٰ أبيات قوية السَّبكِ منها قوله:

في كـان أحيـا مـن فتـاة حييـةٍ ... وفي الـروعِ أمضىٰ مـن ضُـباريَةٍ وَرْدِ[1]

ولعلَّ من المناسب أن نذكر هنا ما تراءىٰ لنا أثناء دراسة أشعار بني سُلَيم في الرثاء خاصة، فإن أشعارهم تحمل في الرثاء خاصة البلاغة واستخراج ما تجيش به صدورهم من ألم مُمْض وتفجُّع وحزن قائل، في صَوْغٍ مُنسجمٍ مُوسيقي رائع يستبني القلوب ويستهوي الأفكار، ويجعل السامع والقارئ يشاطران شاعرهم حزنه العميق.

نقل ترجمة موسىٰ بن عبد الله بن خازم، مُحَقِّقُ كُتَيِّب «أسماء جبال تهامة وسكانها لعرام السُّلمي» عن «النجوم الزاهرة»، ومحقق ذلك الكُتَيِّب هو: محمد عبد السلام هارون[2].

أبو عَدنان السُّلمي:

عبد الرحمن بن عبد الأعلىٰ البصري، مولىٰ بني سُلَيم، قال عن نفسه: كان جدُّ

---

(١) «معجم الشعراء» للمرزباني (ص٢٨٧).
(٢) (ص٢٨ و٦٧).

أبي من السُّغْد أصابه سِباءٌ، سباه عبد الله بن خازم السُّلمي، فمنَّ عليه.

سمع أبو عدنان من أبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة، والأصمعي، وأبي مالك، ونظرائهم، وكان أحد الرماة المُجيدين، وكان شاعرًا راوية للحديث، وله كتب في الأدب حِسَانٌ... منها: «كتاب قِسيِّ العرب» لم يسبقه أحد إلىٰ تصنيف مثله، وكتابٌ في «غريب الحديث».

وأبو عدنان هو قائل هذا البيت الذي:

سار مسير الشمس في كل بلدة ... وهب هبوب الريح في البر والبحرِ

وذلك البيت هو قوله:

تدس إلىٰ العطار ميرة أهلها ... ولن يصلح العطار ما أفسد الدهرُ[1]

وله زميل لا يقل عنه روعة، وإن قَلَّ عنه شهرة، وهو قوله:

ألم تر أن البان يُجلَبُ عُلبةً ... ويُترَكُ عودٌ لا ضراب ولا ظهر

---

(١) يفهم من هذا البيت أن نساء العرب في عهد الشاعر كن يستعملن نوعًا من «المكياج» لتجميل وجوههن، وللبيت رواية أخرىٰ:

تروح إلىٰ العطار تصلح وجهها ... وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

وقد سبق إلىٰ هذا المعنىٰ الشاعر جران العود حيث قال:

عجوز ترجي أن تكون فتية ... وقد لحب الجنبان واحدودب الظهرُ

تسوق إلىٰ العطار ميرة أهلها ... وهل يصلح العطار ما أفسد الدهرُ

بنيت بها قبل المحاق بليلة ... فكان محاقًا كله ذلك الشهرُ

راجع: «تهذيب الألفاظ» لابن السكيت (ص٥٨٠) طبعة بيروت (١٨٩٥م).

وعندما سمعت امرأة أبي رجاء الكلبي البيتين السابقين، أجابته بقولها:

عَـــدِمْتُ الشـــيوخ وأشـــباههم ... وذلـــك مـــن بَعْـــضِ أفعالِيَـــهْ

تـــرىٰ زوجـــة الشـــيخ مُغبـــرةً ... وتمســـــي بصـــــحبته بالِيَـــهْ

لقد كالت له من نفس النوع الذي كاله لها، وجزاء سيئة بمثلها، والبادي أظلم...

ويحدثنا أبو عدنان عن نفسه وعن هذه المرأة، فيقول: بعدما سمع بيتيها السالفين: «فوثبتُ عليها.... فنادت يا لِكلب! وناديت: يا لِكلب! فدخل علينا النساء دون الرجال، فضربنني، وخنقنني، وشققن مدرعتي...

وقال محمد بن الجراح: أبو عدنان الأعور السُّلمي البصري اسمه: وَرْدُ بن حكيم، راوية أبي البيداء.

ومن شعر أبي عدنان قوله:

أهملــتَ نفســك في هــواك ولمتنــي ... لو كنــتَ تُنْصِـفُ لمـتَ نفسـك دوني

مــا بــال عينــك لا تــرىٰ أقــذاءها ... وترىٰ الخفاء مـن الأذىٰ يجفـوني؟!

وقال أحمد بن سليمان: سألت أبا عدنان عن قول النبي ﷺ لأبي أيوب: «**إن طلاق أم أيوب لَحُوبٌ**» أهو الأثم؟ فقال: لو كان كذا، لضاق علىٰ كل مطلق الطلاقُ، ولكن الحوب: الوحشُ... وأنشد:

إن طريق مِثْقَبٍ لحُوبُ

أي: لَوَحشٌ. قال: ومِثقَبٌ: طريق الكوفة إلىٰ مكة.

وطريق البصرة إلىٰ مكة يدعىٰ (فَلْجًا) وأنشد:

إن بنـــي العنبـــر أحْمَـــوا فَلْجـــا ... مــــاءً رَوَاءً وطريقًـــــا نَهْجَـــــا

ويدعىٰ طيق اليمامة إلىٰ مكة (المنكدر)، وأنشد:

لا تأخذ العلم طريق المنكدر ... ولا تكاري من فقيمي عَسِرْ
تسير يومين ويومًا تنتظر ... ولا يزال قد أتاك يعتذر
بالإفك والزورِ وإياك يغُرّ(١)

مَعْن بن أبي عاصية السُّلمي:

يقال إن اسمه: يعقوب بن أبي عاصية الأجدع السُّلمي.

وهو مديني شاعر، له في مَعْن بن زائدة مديح سائر، وكان ناصبيًّا، استعمله زياد بن عبد الله الحارثي لما كان علىٰ المدينة للمنصور علىٰ ينبُع، فحبس بعض أولياء عبد الله بن حسن، فشهر (فشتمه) عبد الله، فهجاه وقبَّح... وسماه عمر بن شبة: يَعْقُوبَ. وقال الزبير: اسمه مَعْن.

وهو القائل لمعن بن زائدة:

إن زال معن بن شريك لم يزل ... يومًا إلىٰ بلد بعير مسافرِ
نَذْرًا عليَّ لئن لقيتك سالمًا ... أن تستمر بها شفار الجازرِ

وهو القائل عند قدومه إلىٰ العراق:

تطاول ليلي بالعراق ولم يكن ... علي بأكناف الحجاز يطولُ
فهل لي إلىٰ أرض الحجاز ومن به ... بعاقبة قبل الممات سبيلُ

---

(١) «نور القبس المختصر من المقتبس» لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري (ص٢١٧ و٢١٩)، طبع فيسبادن (١٩٦٤م، ١٣٨٤هـ).

إذا لـم يكـن بيني وبينـك مرسـل　　فـريح الصـبا منى إليـك رسـولُ(١)

ابن أُقيصر السُّلمي:

تنازع ابن أقيصر الشاعر السُّلمي إلىٰ الحسن بن زيد في قطيعة سلمة بن مالك السُّلمي، فعرفها الحسن، فقال: ائتوني ببرهان، مع معرفتي (قال ابن أقيصر): فأتينا عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، فسألناه، فأخبرنا عن أبيه عن جده، رفعه إلىٰ عمار بن ياسر: أن النبي ﷺ أقطع سلمة بن مالك السُّلمي وكتب له: «**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطىٰ محمد رسول الله ﷺ، سَلَمَةَ بن مالك، أعطاه ما بين الحناظل إلىٰ ذات الأوساد، ومن حَاقه فهو مبطل، وحقه حق**»(٢).

ولعل ابن أبي أقيصر السُّلمي الذي تنازع إلىٰ الحسن بن زيد في أمر قطيعة سلمة بن مالك السُّلمي هو محمد بن أقيصر الذي هو والد عمر؛ فقد حَدَّث عن يحيىٰ بن عروة بن أُذَينَةَ، فقال: أتىٰ أبي وجماعة من الشعراء هِشَامَ بنَ عبد الملك، فأنشدوه، فنسبهم، فلما عرف أبي قال: ألست القائل:

لقد علمتُ وما الإسراف من خُلقي　　أن الـذي هـو رزقـي سـوف يـأتيني

أسـعىٰ لـه فيُعنِّيني تطلُّبـه　　ولـو قعـدت أتـاني لا يعنيني

فألا جلست حتىٰ يأتيك؟ قال: فسكت أبي، فلم يجبه، فلما خرجوا جلس أبي علىٰ راحلته حتىٰ قدم المدينة، وتنبه هشام عليهم، فأمر بجوائزهم، ففقد أبي، فسأل

---

(١) «معجم الشعراء» للمرزباني (ص٣٢٤، ٣٢٥) وغيره.

(٢) «مجالس ثعلب» (ص٤٣٥)، والحناظل: موضع في ديار بني أسد كانت فيه وقعة لبني تميم علىٰ بكر. راجع هامش الصفحة (٤٣٥)، من مجالس ثعلب لعبد السلام محمد هارون.

عنه، فأخبروه بانصرافه، فقال: لا جرم والله، ليعلمن هذا أن ذاك سيأتيه في بيته. قال: ثم أضعف له ما أعطىٰ واحدًا من أصحابه، وكتب له فريضتين، كنت أنا آخذهما[١].

الأرقم السُّلمي:

أورد له العماد الأصفهاني في تراجم شعراء الأندلس وأدبائها، بيتين من الشعر، هما:

يا ذا الذي يخشىٰ سوىٰ من حُكْمه ... مـا بـين كـاف الأمـر منـه ونونِـه
لا تخـــش إن الله كـــافٍ عبـــده ... أيخوفونـك بالـذي مـن دونـه[٢]

وكتب محققا الخريدة: عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، في هامش ما سبق ذكره، قولهما: ورد اسم أرقم مبهمًا في «نفح الطيب»، وذكر أنه ينتسب إلىٰ بني ذي النون، ولكنهم تبرءوا منه؛ لأنه كان ابن أمة مهينة، كما أورده ابن سعيد في «المغرب» تحت اسم: «الأمير أرقم بن عبد الرحمن بن إسماعيل... بن ذي النون».

وقال نقلًا عن صاحب «المسهب»: إنه أخو إسماعيل أول من ملك طليطلة من بني ذي النون. وقال: إنه يكنىٰ بأبي الضراس، ويظهر أن أسرته ضاقت به، ففر منها، قدست له من قتله؟[٣] وإذا ثبت هذا النسب للأرقم فهو ليس بسلمي وإنما هو

(١) «مجالس ثعلب» (ص٤٣٤).
(٢) يعني الشاعر: أيها الذي يخشىٰ غير الله تعالىٰ الذي أمره بعد الكاف والنون (كن) لا تخش غيره: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]. ويشير الشاعر في البيت الثاني إلىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:٣٦].
(٣) «خريدة القصر وجريدة العصر مع هامشها» القسم الرابع، الجزء الثاني (ص١٥٨)، ط. مطبعة دار نهضة مصر بالقاهرة.

بربري، لأن بني ذي النون أمراء طليطلة بالأندلس برابرة كما هو معروف.

محمد بن أبي بدر السملي:

من شعراء بني سليم، وكان نزل الجبل، وله في زهير بن هلال من قصيدة محمسة، أولها:

الحمـــــد لله علــــىٰ الســـــراء   والحمــــــد لله علــــىٰ الضـــــراء
رزاق أهــــــل الأرض والســــــماء   مــــا أحســـن الصـــبر علـــىٰ الـــبلاء
والشكر لله علىٰ الرخاءِ

ثم حرف الباء خمسة أبيات، مثل حرف الهمزة، وهكذا إلىٰ آخر حروف الهجاء[(١)].

عمرو بن مَرْثِدٍ أبو الغرَّاف السُّلمي:

هو أحد شعراء سُليم المعروفين، وقد رد علىٰ ربيعة الرقي قوله الذي مدح به يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب وهجا فيه يزيد بن أسيد السُّلمي:

لشــتان مــا بــين اليزيــدين في العلــىٰ[(٢)]   يزيـــد سُـــليم والأغـــر بـــن حـــاتم
يزيـــد سُـــلَيم ســـالم المـــال والغنـــىٰ   أخـــو الأزد للأمـــوال غيـــر مُسَـــالم
فَهَـــمُّ الفتـــىٰ الأزدي تفريـــق[(٣)] مالـــه   وهَـــمُّ الفتـــىٰ القيســـي جمـــع الـــدراهم

---

(١) «معجم الشعراء» (ص٤٠٥).
(٢) في رواية أخرىٰ «في الندىٰ» وهي أقرب إلىٰ المعنىٰ المقصود من هذه الأبيات.
(٣) في رواية أخرىٰ لهذا البيت: «إتلاف» بدلًا من ضيغة «تفريق» والرواية الأخرىٰ هذه أدق بالنسبة للهدف المنشود من الأبيات جميعًا.

وهـمُّ الفتىٰ القيسي دُفٌّ ولعبة ... وهم الفتىٰ الأزدي ضرب الجماجم
فلا يحسب التمتام أني هجوته ... ولكنني فَضَّلتُ أهل المكارم

وقد عَقَّب «ابن الجراح» علىٰ ما ذكر آنفًا بقوله: «فهجا أبو الغرَّاف اليمن وربيعة».

وقال أبو الشمقمق في هذا المعنىٰ يهجو يزيد بن حاتم ويزيد بن أسيد، ويفضل عليهما يزيد بن مزيد الشيباني:

لشتان ما بين اليزيدين في الندىٰ ... إذا عُد في الناس المكارمُ والمجدُ
يزيدُ بني شيبان أكرمُ منهما ... وإن غضبتْ قيسُ بن عيلان والأزد
فتًىٰ لم يلده من سُليم قبيلة ... ولا لخمُ يُنْميه ولم يُنْمِهِ نهْدُ
ولكن نمتْه الغُر من آل وائل ... وبَرَّةُ تنميه ومن بعده هِنْدُ

ومن هذا ومن استقرائي للكتاب ظهر أن ما قاله المزرباني في «معجم الشعراء» من وجود الأبيات التي هجا بها أبو الغراف السُّلمي اليمن وربيعة في كتاب «مَن سُمِّي من الشعراء عمرًا» لابن الجراح، هو غير واقع بالنسبة للنسخة المخطوطة القديمة التي اطلعت عليها بمكتبة الدكتور عزة حسن بدمشق، فكل ما جاء فيها هو الإشارة إلىٰ تلك الأبيات فقط دون إيرادها.

عمرو بن عبد العزيز السُّلمي:

بطل موفق، وشاعر. عاش في عهد العباسيين، وشارك في حروبهم الداخلية.

ترجم له ابن الجراح، فقال: «عمرو بن عبد العزيز السُّلمي شاعر عباسي، صاحب العصبية في فتنة محمد بن الأمين، علىٰ مثل ما كان خرج عليه أبو الهينام،

يقول حمزة بن ميمون: حضرت عبد الملك بن صالح يومًا، وقد دخل إليه عمرو بن عبد العزيز وهو يسائله بعد أن استأمن إليه، لما قلده محمد الأمين الشام، فأعجبه محاورتُه وجوابُه، فقال: يا عمرو، لقد تناهىٰ إليَّ من خبر ظفرك بأعدائك في حروبك ما يُعْجَب منه، فهل تعرف لذلك سببًا تخبرني به؟ قال: لا والله أصلح الله الأميرَ إلا ما قال الشاعر:

فمـــا إن قتلنـــاهم بِـــأَكْثَرَ مـــنهم ... ولكـــن بـــأولىٰ بالطعـــان وأصـــبرَا

وقام عمرو من عنده - من عند عبد الملك بن صالح - فقال: أنت والله كما قال الشاعر:

يغـدو إذا مـا خِـلاجُ الشـك عـنَّ لـه ... علـىٰ صـريمة أمـر غيـر مـردودِ
رَكَّـابُ مـا يكـره الأبطـالُ يَقْدُمُـه ... رأيٌ جميـعٌ وقلـبٌ غيـرُ رعديـدِ

وأورد «ابن الجراح» من شعره قوله:

دعـوتُ بنـي عمـي فكـان جـوابهم ... بلبيـك فعـل السـادة النُّجُـبِ الغُـرِّ
فما لُمتُهُم في النصر حين دعوتهم ... ولا لامني قومي لـدىٰ النَّهي والأمرِ

وقوله:

يطلـبُ الثـأر مـن إذا هَـمَّ أمضـىٰ ... همـه كـان مُخطئًـا أو مصـيبًا
لـيس يخشـىٰ عواقـب الأمـر يغشـا ... ه إذا نالـه وإن كـان حُوبَـا

وقوله:

مـا الفتـك إلا لمـن إن قـال يفعلـه ... ولا يشـاور فيمـا يرتئـي أحـدَا
لا كالمُشـاور فيمـا يرتئيـه وقـد ... يخشـىٰ العواقـب إن بقـي لـه ولـدَا

لا تخش عاقبة في الفتك وامضِ لما ... هَمَمْتَ إن غية كانت وإن رشدَا
من يستشر يختزل أولىٰ عزيمته ... في الفتك أو يطلُب الأعوان والمددَا[(١)]»

ويبدو جليًّا أن الخطة التي يقررها عمرو بن عبد العزيز السُّلمي في شعره قد نفذها في حياته - وهي خطة المبادرة إلىٰ اقتحام المخاطر بدون تروٍّ وبدون مشاورة - هي خطة كثيرًا ما توقع صاحبها في مهاوي التهلكة والزلل والفشل.. بخلاف الخطة المضادة التي هي خطة إعمال الفكر، واستعمال المشورة قبل ركوب المخاطر. فإنها كثيرًا ما ترفع صاحبها إلىٰ قمة النجاح وتحقيق الأهداف المثلىٰ، وهذه الخطة الحكيمة هي التي وجه إليها بشار بن برد الأنظار والأسماع في قوله البليغ:

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعن ... برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورىٰ عليك غضاضة ... مكان الخوافي قوةٌ للقوادم

وهي التي وصف مزاياها أبو الطيب المتنبي في قوله الحكيم:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أولٌ وهي المحل الثانِي
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة ... بلغت من العلياء كل مكانِ

علي بن بدال السُّلمي:

تحدَّث أبو القاسم الزجاجي، فقال: «أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال: أنشدني عبد الرحمن عن عمه، علي بن بدال من بني سليم:

---

(١) كتاب «مَن سمي من الشعراء عمرًا» لمحمد بن داود بن الجراح (الورقة ٦٤ و٦٥).

لعمـــرك إننـــي وأبـــا ريـــاح ... علـىٰ حـال التكاشـر منـذ حـين
لأبغَضُـــهُ ويبغضـــني وأيضًـــا ... يـــراني دونـــه وأراه دونِـــي
فلـــو أنـــا علـــىٰ حجـــر ذُبِحْنـــا ... جـرىٰ الـدميان بـالخبر اليقـينِ(١)

«التكاشر» في البيت الأول بمعنىٰ المباسطة من الكشر وهو التبسم.

وقد أورد عبد القادر البغدادي، هذه الأبيات، وعزاها أيضًا إلىٰ علي بن بدال السُّلمي(٢).

المفضل بن خالد السُّلمي:

شاعر مجيد. ويعتبر من شعراء خراسان، ذكره المدائني، وله في الفتنة:

قـد قُلْـتُ لـلأزد قـولًا مـا ألَـوْتُ بـه ... نُصْـحًا لهـم وأعـدتُ القـول لـو نفعَـا
يـا معشـر الأزد إني قـد نصـحتُ لكـم ... فـلا تطيعـوا جُـدَيْعًا أيمـا صَـنَعَا
فمـــا تنَـــاهَوْا ولا زادتهـــم عظـــةٌ ... إلا لجاجًـا وقـالوا الهجـر والقـذعَا
يـــا معشـــر الأزدِ مهـــلًا قـــد أظلكُـــمُ ... مـا لا يُطـاق لـه دَفْـعٌ إذا وقعَـا(٣)

مؤرج السُّلمي:

أحد شعراء بني سُلَيم، ذكر له البكري في «معجم ما استعجم» بيتين في مادة

---

(١) «أمالي الزجاجي» (ص٢٠) طبع مطبعة المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، وقول علي بن بدال: «جرىٰ الدميان» يشير إلىٰ زعمهم أن الرجلين المتعاديين إذا ذبحا لم تختلط دماؤهما.
(٢) «خزانة الأدب» (ص٣٥١) الجزء الثالث، طبع مطبعة بولاق بمصر.
(٣) «معجم الشعراء» (ص٢٩٧).

(الربذة)، وكان قد قال ذينك البيتين حول حفائر حفرها المهدي، علىٰ ميلين من جبل القُهْب. وتدعىٰ «ذا بقر» قال:

قَدَرٌ أحلَّك ذا النخيل وقد أرىٰ ... وأبيك مالك ذو النخيل بدار
إلا كداركم بذي بقر الحمىٰ ... هيهات ذو بقر من الزوار!

أشجع السُّلمي:

أسهب عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة).. في «الشعراء والشعراء» - في ذكر مقطوعات أشجع وقصائده مما يدلنا علىٰ إعجابه بشاعريته وبشعره.

وقد ترجمه مُختصرُ «شرح التبريزي لديوان الحماسة» فأفادنا بأنه: «من ولد الشريد بن مطرود السُّلمي، وكان يكنىٰ أبا الوليد.. شاعر إسلامي عباسي، نشأ بالبصرة، وقال الشعر وأجاد فيه حتىٰ عُد من الفحول، وكان الشعر يوم نبغ في ربيعة واليمن، ولم يكن لقيس شاعرٌ، فلما نجم أشجع، وقال الشعر افتخرت به قيس، وانقطع إلىٰ البرامكة ومدحهم، واختص بجعفر، فأصفاه مدحه، فأعجب به جعفر، ووصَّلَهُ إلىٰ الرشيد، ومدحه، فأعجب به أيضًا، وأمده بالمال، فأثرىٰ، وحسنت حاله في أيامه، وتقدَّم عنده، وله في المدائح المختارة والقصائد السائرة»[(١)].

وقال ابن قتيبة عنه: «أشجع بن عمرو من بني سُليم، وكان متصلًا بالبرامكة، وله فيهم أشعار كثيرة، منها قوله في يحيىٰ بن خالد، وكان غاب:

قد غاب يحيىٰ فما أرىٰ أحدًا ... يأنس إلا بذكره الحَسَنِ

(١) «مختصر شرح التبريزي علىٰ ديوان الحماسة» لأبي تمام الطائي (ص٣٥٤ و٣٥٥) الجزء الأول، طبع مطبعة السعادة بمصر.

أَوْحَشَـــتِ الأرضُ حــين فارقهـا ... مـــن الأيـــادي العظـــام والمـــنن
لــولا رجــاء الإيــاب لانصــدعت ... قلبنـــا بعـــده مـــن الحَـــزَنِ[1]

ولأشجع أبيات في فائدة الإلحاح في طلب الحاجات يقول:

لــــــيس للحاجـــــات إلا ... مــــن لــــه وجــــه وقـــاحُ
ولســــــان طرمــــــذان[2] ... وغـــــــــــــدوٌّ ورواحُ
إن أكـــن أبطـــأت الحـــا ... جـــة عنـــي والســـراحُ
فعلـــي الجهـــد فيهـــا ... وعلـــى الله النجـــاحُ

وله مدائح سيارة في هارون الرشيد، منها قوله:

وصلت يداك السيف يوم تقطعت ... أيـدي الرجـال وزلَّـت الأقـدامُ
وعلى عدوك يا بن عمِّ محمد ... رصـدان ضـوء الصـبح والإظـلامُ
فـإذا تنبـه رعتـه وإذا هـدا ... سـلت عليـه سـيوفك الأحـلامُ

وقد ذكر الجاحظ البيتين الأخيرين: «وعلى عدوك...» إلخ وقال: إنهما قالهما أشجع السُّلمي في هارون الرشيد[3].

ولأشجع أبيات في منتهى الروعة والطلاوة، مدح بها جعفر بن يحيى:

بديهتُـــه مثـــلُ تـــدبيره ... متـــى هِجتـــه فهـــو مســـتجمعُ
إذا هـــم بـــالأمر لـــم يثنـــه ... هجـــوعٌ ولا شـــادنٌ أفـــرَعُ

(١) «الشعر والشعراء» (ص٧٥٨).
(٢) أي: مفتخر بما ليس عنده ومتكثر بما لم يفعل.
(٣) «البيان والتبيين» (ص١٩٤) الجزء الثالث.

ففـــي كفـــه للغنـــىٰ مطلـــب ... وللســـر في صـــدره موضـــعُ
وكـــم قائـــل إذ رأىٰ بهجتـــي ... ومـــا في فضـــول الغنـــىٰ أصـــنعُ
غـــدًا في ظـــلال نـــدىٰ جعفـــر ... يَجُـــر ثيـــاب الغِنـــىٰ أشـــجعُ
ومـــا خلفـــه لامـــرئ مطمـــعٌ ... ولا دونـــه لامـــرئ مَقْنَـــعُ[(١)]

وقد ترجم عبد القادر البغدادي، أشجع، ترجمة وافية، وفي هذه الترجمة زيادات علىٰ ما جاء في الكتب السالف ذكرها.

ومن ذلك: أن أباه تزوج امرأة من أهل اليمامة، فشخص معها إلىٰ بلدها، فولدت له هناك أشجع، ونشأ باليمامة، ثم مات أبوه، فقدمت به أمه البصرة، فطلبت ميراث أبيه، وكان له هناك مال، فماتت بها، وربي أشجع، ونشأ بالبصرة، فكان من لا يعرفه يدفع نسبته.

ثم كبر، وقال الشعر فأجاد، وعُد من الفحول، وكان الشعر يومئذٍ في ربيعة واليمن، ولم يكن لقيس عيلان شاعر، فلما نجم أشجع افتخرت به قيس، وأثبتت نَسَبه، ثم خرج أشجع إلىٰ الرقة، والرشيد بها، فنزل علىٰ بني سُليم، ومدح البرامكة وانقطع إلىٰ جعفر خاصة، فوصله الرشيد، فأثرىٰ، وحسنت حاله.

ولما ولي الرشيد جعفر بن يحيىٰ خراسان، جلس لتهنئة الناس، وأنشده الشعراء، ودخل في آخرهم أشجع، فارتجل مقدمة نثرية مختصرة بارعة الأسلوب، قال فيها يُخاطب جعفرًا: «لِتَأْذَن في إنشاء شِعرٍ قضيتُ به حق سؤددك وكمالك، وخَفَّفتُ به ثِقَلَ أياديك عندي».. فقال له جعفر: هات يا أبا الوليد. فأنشده قوله:

---

(١) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٧٦٠) طبع بيروت.

أتصـــبر يـــا قلـــب أم تجـــزع؟ ... فـــإن الـــديار غـــدًا بلقـــعُ
غـــدًا يتفـــرق أهـــل الهـــوىٰ ... ويكثـــر بـــاكٍ ومســـترجعُ

ومضىٰ حتىٰ بلغ قوله:

ودويـــة بـــين أقطارهـــا ... مقـــاطعُ أرضـــين لا تُقْطَـــعُ
تجاوزتهـــا فـــوق عيرانـــة ... مـــن الـــريح في ســـيرها أســـرعُ
إلـــىٰ جعفـــر نزعـــت رغبـــة ... وأي فتًـــىٰ نحـــوه تنـــزعُ
فمـــا دونـــه لامـــرئ مطمـــع ... ولا لامـــرئ دونـــه مَقْنَـــعُ
ولا يرفـــع النـــاس مـــا حطـــه ... ولا يضـــعون الـــذي يرفَـــعُ
يريـــد الملـــوكُ نـــدىٰ جعفـــرٍ ... ولا يصـــنعون الـــذي يَصْـــنَعُ
ولـــيس بأوســـعهم في الغنـــىٰ ... ولكـــن معروفـــه أوســـعُ
يلـــوذ الملـــوك بآرائـــه ... إذا نالهـــا الحـــدث الأفظـــعُ
بديهتُـــه مثـــلُ تـــدبيره ... متـــىٰ رمتَـــهُ فهـــو مُســـتجمع(١)

البلاء موكل بالمنطق:

وعندي نقد «بما تحمل صيغة النقد من معنىٰ لغوي وفني شامل» فالقصيدة في وزنها وفي خفة روحها وسلاسة ألفاظها وعذوبتها وروعة معانيها، هي في ذروة «الشعر السُّلمي» الذي نرىٰ أنه يمتاز بهذه المعاني كلها.. وكلما ارتقىٰ أحد شعرائهم أو شاعراتهم سلم المجد الشعري كان شعره كالشلال الفياض الشفيف المُفعم

(١) «خزانة الأدب» (ص١٤٣ و١٤٤) الجزء الأول.

بالجمال حِسًّا ومعنًىٰ.. وروحًا ومبنًىٰ. **هذا من جهة.**

ومن جهة أخرىٰ: فقد يكون الشاعر المفلق «أشجع» ذهب به التأثُّر من فراق صديقه ومُسدي جم الإحسان إليه: «جعفر البرمكي» - إلىٰ أن يبدأ قصيدة تهنئته هذه العظيمة له بمعاني الفراق والجزع، وخلو الديار، وتفرق أهل الهوىٰ وكثرة الباكين والمسترجعين لفراقهم لهذا الغيث المنسجم والربيع الخصب المُمْرِع، والروضة الغناء التي كل ثمارها يانعة بالكرم والجود..

ولكن فاته أهم شيء وهو «اللماحية» التي يحتاج إليها الشعراء دائمًا وهم يمدحون العظماء.. فإن العبارات المتشائمة الحزينة الباكية التي جعلها مقدمة قصيدته المهنئة لا يحسن بمثله علىٰ كل حال أن يتفوه بها ولا أن يقدمها بين يدي قصيدة يهنئ بها عظيمًا صديقًا وُلِّي منصبًا كبيرًا؛ لأنها عبارات تشاؤم تحمل ولابد إلىٰ الممدوح ريحًا كريهة من النكد والتقزز والانزعاج الخفي من المستقبل الذي رسمته له هذه الأبيات.

إنها عبارات تغلق شهية المديح، وتفتح باب الانكماش والشؤم من المنصب الذي قوبل بهذه الألفاظ المكروهة المسمومة.

وكان الأجدر بأشجع أن يكون شاعرًا لبقًا يعرف من أين تؤكل الكتف، فيُبعد جدًّا ممدوحه عن سماع هذه النغمات الحزينة الممرضة، ويقدم إليه بدلًا عنها باقات نضرة فواحة باسمة بالأمل والرجاء وبالأماني المعسولة بدوام العز والبهجة والحبور، وبانتظام الشمل، وكثرة الأفراح والليالي الملاح.. وأن يفرش الأزاهير والورود الفواحة بين يدي مديحيته العصماء.. في أرضها وفي الأجواء..

وإني أعتقد أن جعفرًا - وهو مثقف وذو إحساس أدبي مرهف، لابد أن يكون

في قرارة نفسه غير مستحسن لهذا المطلع الأسود القاتم العابس في وجه مستقبله الذي يرجو أن يكون كله باسمًا ومشرقًا وعبقًا.. والبلاء كما يقولون موكل بالمنطق.. فقد وقع كل ما جاء في مقدمة قصيدة أشجع وإن كان غير قاصد لا ولا مريد ولا راغب فيه..

فَنُكِبَ البرامكة نكبة تاريخية هائلة، وتفرق عنهم الأحبة، وآضَتْ ديارهم بعد عمران زاهر بلاقع تندب حظها وحظهم، وبكاهم الباكون، واسترجع المسترجعون، ورثوا عزهم الآفل، ومجدهم الزائل، ورحم الله الشاعر أشجع المخلص لجعفر البرمكي، وغفر له حيال ما قدمه لممدوحه الأثير لديه -من الإنذار، بالمستقبل المظلم العابس المكفهر، بعد الحاضر الناضر المزدهر، علىٰ طبق زمردي رائع من قصيدته هذه البليغة الساحرة...

هذا، ولأشجع قصيدة ممتعة في أحمد بن يزيد بن أسيد السُّلمي، (وكان يزيد قد اعتل ثم أفاق من علته):

لئن جَرحتْ شكاتُك كُلَّ قلب ... لقد قرت بصحتك العيونُ
وحق لها بأن تخشىٰ المنايا ... عليك وأنت منكبها اليمينُ
ولو فقدتك قيس يا فتاها ... إذن لتضعضعت منها المتونُ
ولو أن المنون بدت لقيسٍ ... لما نالتك أو يفنىٰ المنونُ

وقد علق الرقيق القيرواني علىٰ الأبيات المتقدمة بقوله: «وكان أحمد بن يزيد (السُّلمي) وأبوه (يزيد) شريفين مذكورين».

وحينما مات أحمد بن يزيد السُّلمي الذ يبدو أنه كان ركنًا ركينًا للجالية السُّلمية في «جرجان» رثاه أشجع بقصيدة منها:

رحـــم الله أحمـــد بـــن يزيـــد رحمـــة تغتـــدي وأخـــرىٰ تـــروحُ
جـــبلًا أطبقـــوا عليـــه بجرجـــا ن ضـــريحًا مـــاذا أجَـــن الضـــريح (١)

ولأشجع السُّلمي قصيدة طويلة رثىٰ بها علي بن الحسين بن علي بن حمزة الملقب بالرضا، وهو الذي جعله المأمون الخليفة العباسي وليَّ عهد المسلمين ثم توفي في حادث غامض بطوس فدفنه المأمون إلىٰ جانب أبيه هارون الرشيد، وقد روىٰ هذه القصيدة أبو الفرج الأصفهاني وقال عنها: «إنها لما شاعت غير أشجع ألفاظها فجعلها في الرشيد..».

وهذه أبيات مقتطفة من تلك القصيدة:

يا صـاحب العيسِ يَخْدي في أزِمتها اسْمَع وأَسْمِعْ غدًا يا صاحب العيس
إقْـرَ السـلام علـىٰ قبـرٍ بطُـوسَ ولا تَقْرا السـلام ولا النُّعْمىٰ علىٰ طوسِ
فقـد أصـاب قُلـوبَ المسـلمين بهـا رَوْعٌ وأفـــرخَ فيهـــا روعُ إبلـــيسِ
وأخلَسَـتْ واحـد الـدنيا وسـيدها فـــأي مُخـــتلسٍ منـــا ومخلـــوسِ

إلىٰ أن يقول:

أوفىٰ عليـه الـردىٰ في خِـيسِ أشْـبلهِ والموت يلقىٰ أبا الأشبال في الخيسِ
مـا زال مقتبسًـا مـن نـور والـده إلـىٰ النبـي ضـياءً غيـر مَقْبُـوسِ

ويختم أشجع السُّلمي قصيدته الرثائية البليغة لعلي الرضا، بقوله:

أحلَّـــك اللهُ دارًا غيـــر زائلـــة في منـــزلٍ برســـول الله مـــأنوسِ (٢)

(١) «تاريخ أفريقية والمغرب» للرقيق القيرواني (ص١٥٤ و١٥٥) طبع تونس.
(٢) «مقاتل الطالبيين» لأبي الفرج الأصفهاني (ص٥٦٨ - ٥٧٠) طبعة بيروت.

رأي في شعر أشجع:

لابن الجهم وللبحتري الشاعرين رأي في شاعرية أشجع.

يقول البحتري: «فاوضتُ ابن الجهم عليًّا في الشعر، وذكر أشجع السُّلمي فقال: إنه كان يُخلِي فلم أفهمها عنه، وأنِفْتُ أن أسأله عنها، فلمَّا انصرفتُ فكرتُ فيها، ونظرت في شعر أشجع، فإذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة ليس فيها بيت رائع»[(١)].

وهذا النقد الصادر من علي بن الجهم فالبحتري لشعر أشجع، يحتمل المناقشة والنقد، وقد درستُ ما وصل إلىٰ يدي من شعر أشجع فما رأيتُ هذا النقد منطبقًا عليه، ومعلوم أن المعاصرة تذهب المناصرة، لاسيما وأن أشجع كان قد احتل مكانة طيبة لدىٰ هارون الرشيد ولدىٰ البرامكة، فلابد أن تناله بعض عقارب الحسد من زملائه في صناعة الشعر، هذا أمرٌ طَبَعيٌّ مألوف، وليس معنىٰ هذا أن شعر أشجع كله درر وغُرر، فما من شاعر في الدنيا مهما تتعاظم شاعريته إلا وله سقطات، وكفانا بالمتنبي وأحمد شوقي شاهدًا ومثالًا.

عمرو بن مسلم الرياحي السُّلمي:

هو من بني الشريد، يكنىٰ أبا المسلم، حجازي، شاعر مجيد، روىٰ عن نفسه، قال: أتيت الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخا صاحب فجٍّ، وكان جوادًا، وهو بينبع، وقد امتدحته.. فقال لي: من أنت؟ فقلت: عمرو بن مسلم. قال: الرياحي؟ قلت: الرياحي! قال: لا حياك الله، يا عاضَّ كذا،

(١) «العمدة في صناعة الشعر ونقده» لابن رشيق (٢٥٠) الجزء الأول، طبع مطبعة السعادة بمصر.

وكذا... أَلَسْتَ الذي تقول في محمد بن خالد العثماني:

أيـا بـن الـذي حَـنَّ الحصـا في يمينـه ... وأكـرم مـن وافىٰ منًـىٰ والمحصـب[١]

وخَيْـرَ إمـامٍ كـان بعـد ثلاثـة ... مَضَـوْا سَـلَفًا أرواحُهُـمْ لـم تشـعب

هـو الثالـثُ الهـادي بهَـدْيِ محمـد ... علـىٰ رغـم أنـف السـاخط المُتَعَتـبِ

فقلت: أنا القائل، والله لئن احتملت[٢]...

وقد ترجم له ابن الجراح في كتابه «من سُمِّيَ من الشعراء عمرًا» ترجمة وافية، وقد تحصَّلنا في هذا الكتاب علىٰ إكمال النقص المذكور آنفًا، والذي ورد في آخر ترمة كتاب «الورقة» لابن الجراح نفسه، في النسخة المطبوعة بالقاهرة والتي أشرف علىٰ تحقيقها الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج.

ويدل الهامش الذي دوناه أسفل من هذه الورقة والذي كتبه المحققان علىٰ أنهما لم يطلعا علىٰ كتاب «من سُميَ من الشعراء عمرًا» وهذه هي تكملة النقص المذكور: «قال: قلت: نعم، أعزك الله، أنا قائل ذاك، والله لئن احتملتُ رَحْلي حتىٰ أُصَيِّرَ هذه الرحلة بيني وبينك ليأتينك مني ما قال زهير:

لـئن حللـتَ بجـوٍّ في بنـي أسـد ... في ديـن عمـرو وحالـت بيننـا فـدكُ

ليأتينـك منـي منطـق قـذع ... بـاق كمـا دنـس القبطيـة الـودكُ

(١) هذا البيت علىٰ هذه الرواية فيه إقواء.. فقد كسرت كلمة (المحصب) تمشيًا مع القافية، وكان حقها أن تفتح، لأنه معطوف علىٰ منصوب.

(٢) كتيب «الورقة» لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح (ص٧٣) طبعة دار المعارف بالقاهرة.. هذا وقد عقب المحققان لكتاب الورقة علىٰ العبارة الختامية: «ووالله لئن احتملت» عقبا عليها بقولهما في الهامش: (هاهنا تبقىٰ عبارة الأصل ناقصة).

قال: فقال: ادْنُ لا حياك الله.. وأوسع لي، إلىٰ جنبه، وأوقر لي رواحلي تمرًا» اهـ(١).

وقد أورد ابن الجراح في كتابه «من سُمِّيَ من الشعراء عمرًا» شيئًا من شعر عمرو بن مُسَلم أبي المُسلم الرياحي هذا بعد أن قال عنه: إنه مديني حسن السعر يمدح ويهجو وله حظ من الأدب، فمن شعره الذي أتحفنا به ابن الحراج قوله عن نفسه:

ألا يـا لقـومٍ للفـؤادِ المُعَـذَّبِ — وعَـيْنٍ تمـادَت في البكـا والتنحُّـبِ
وقلـبٍ كئيـب لا يـزال تُهيضُـهُ — لِمَيـةَ رَبْـعٌ ذو أمـان وملعـبِ
ليـالي لا تُوليـك إلا تحبُّبًـا — إلينـا ألا أهـلًا بـذاك التحببِ
أقمنـا بـذاك العـيش ثـم انتحىٰ لنا — مـن الـدهر صـرف المـرة المتقلـبِ

وكان الشاعر أبو المسلم قد طلق امرأته ومتَّعها وحملها إلىٰ أهلها، فلما استقلت ركابها قال:

ولسـتُ بنـاسٍ إذ غـدوا فتحملـوا — لزومي علىٰ الأحشاء من لاعـج الوجـد
وقـولي وقـد زالـت بليـلٍ حمـولهم — بـواكر تخـدي لا يَكُـن آخـر العهـد(٢)

أبو عمران السُّلمي:

شاعر من بني سليم أورد أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح شيئًا من شعره،

(١) الورقة (٦٢) من كتاب «من سمي من الشعراء عمرًا» المخطوط.
(٢) «من سمي من الشعراء عمرًا» لابن الجراح (الورقة ٦٢و ٦٣) من المخطوطة.

في كتابه «الورقة»، ومن شعره الذي أورده ابن الجراح قوله في البطين المصري الشاعر:

إنمــــا شِـــعْرُ البطــــين ... مثـــلُ سَـــلْحِ وَسْـــطَ طـــينِ
لـــــيس إن فكَّــــرت فيــــه ... لعَرِيـــــــقٍ أو قطــــــينِ

وقوله في ابن راشد بن إسحاق:

بـــأبي يـــا بـــنَ راشـــدِ ... يـــا كـــريمَ المَشَـــاهِدِ
أنـــتَ أشـــهىٰ إلـــيَّ واللـــ ... ـــه مـــن كـــل نَاهِـــدِ[1]

أبو الصلت مولى بني سليم:

شاعر من شعراء بني سليم بالولاء، وكان أعرابيًّا، وذكر دعبلُ بنُ علي الخزاعي أحد مشاهير شعراء الدولة العباسية» أن أبا الصلت هذا، صار إلىٰ البصرة، ثم إلىٰ بغداد، وكان أبوه يعمل التنانير فيما زعموا.

ولأبي الصلت بيتان من مقذع الهجاء علىٰ غرار هجاء الحطيئة أو أشد إقذاعًا، وهما في أبي عُذافر وردِ بن سعد أو ابن عبد الصمد العمي الشاعر.. وهاهما بحذف الكلمة المقذعة الواردة في الشطر الأول من البيت الأول:

وكـان اسـمه فيمـا مضـىٰ... أمـهُ ... يُسـمىٰ بـه في كـل بـدوٍ وحاضـرِ
فلمـا اكتسـىٰ ريشًـا وعـاد جناحـه ... تَسَـمَّىٰ بـوردٍ واكتنَـىٰ بعـذافرِ[2]

---

(١) كتيب «الورقة» (ص١١ و١٢) لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح (ص١١ و١٢) تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج، طبعة دار المعارف بمصر.
(٢) كتيب «الورقة» لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح (ص٣) طبعة دار المعارف بمصر.

هل أبو المحلم عوف بن المحلم سلمي أم خُزاعي؟

أما أبو العلاء المعري فيقرر أنه سُلمي.. وإليك الدليل:

يقول أبو العلاء: «وتلك الثمانون ألقِيَ فيه الريع إلىٰ أن يصير قيراطُها قنطارًا، ولا فَتِئَ كلها معطارًا، أي: هو قريب من عطر، لا يعدم في صيام ولا فطر، أوفَرُ حظًّا من التي ذكرها الحراني السُّلمي أبو المحلم عوف بن المحلم في قوله:

إن الثمــــــانين وبُلِّغْتُهــــــا ... قــد أحوَجــتْ سَــمعي إلــىٰ تَرجمــانْ

وبَـــــدَّلتني بالشـــــطاط انْحنـــــا ... وكنــتُ كالصــعدةِ تحــت السـنانْ[(١)]

فهذا نص صريح منه بأن أبا المحلم عوف بن المحلم سُلَمي..

وأما الأستاذ خير الدين الزركلي في «الأعلام» و(مصادره) فيقولان إنه خزاعي بالولاء، حرَّاني الأصل، ولم ينقل الأستاذ الزركلي فيما استند إليه من المراجع أن أحدًا قال عنه إنه سُلمي، ومن مراجعه علىٰ أن عوف بن مُحَلِّم هو خزاعي - ولقبه بأبي المنهال-: «فوات الوفيات»، و«إرشاد الأديب»، و«معاهد التنصيص»، و«سمط اللآلي»، و«الأزمنة والأمكنة»[(٢)].

وقد أيدت الدكتورة (بنت الشاطئ) في تحقيقها وشرحها لـ«رسالة الغفران» للمعري، ما جاء في هذه الرسالة من أن عوف بن المحلم هو سلمي، وأضافت أنه توفي في عهد المأمون سنة (٢١٤هـ) واستندت في قولها هذا إلىٰ كتابين، أحدهما: «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي، الصفحة (٣٢) والسطر (٢) من الجزء الثاني،

---

(١) «رسالة الغفران» (ص٤٠٥) طبع دار صادر - دار بيروت، ببيروت.

(٢) راجع كتاب الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي (ص٢٨٧) المجلد الخامس الطبعة الثالثة، بيروت.

وثاني الكتابين اللذين استندت إليهما هو كتاب «الأغاني» (ص١٤٥) والسطر (٤)[(١)].

وقد راجعتُ في «شذرات الذهب» الصفحة والجزء اللذين عيَّنَتْهما بنتُ الشاطئ فوجدتُ هذا الكتاب لم يتعرض هنا لنسب عوف بن المحلم، ولم ينسبه لا إلىٰ سُليم، ولا إلىٰ خزاعة، ولا إلىٰ غيرهما، بل اكتفىٰ بوصفه له بصيغة (الشاعر)[(٢)].

كم راجعنا كتاب «الأغاني» أيضًا فاتضح أنه لم يقل - في الصفحة والجزء اللذين قالت بنت الشاطئ إنهما مستندها، لم يقل فيهما عن عوف بن محلم إنه سلمي أو غير سلمي، ولم يترجمه في هذه الصفحة، وإنما جاء باسم «عوف بن محلم» في معرض حديث. وهذا نص ما ورد في الأغاني: «قال الحارث: اختر من شئت. قال: أختار الشيخ القاعد عوف بن محلم، قال الحارث بن عباد: يا عوف! أجرْهُ! قال: لا! حتىٰ يقعد خلفي، فأمره فقعد خلفه، فقال: أنا مهلهل...» إلخ.

ومن هذا النص ندرك أن «عوف بن محلم» هذا ليس «عوف بن المحلم» الذي عاش إلىٰ زمن المأمون وقال البيتين السابقين «ونصهما في رواية أخرىٰ»:

إن الثمانين وبُلغتُها ... قد أحوجت سمعي إلىٰ ترجمانْ
وبدلتني بالنشاط انحنا ... فصرت كالصعدة تحت السنانْ

والذي أراه أنه اسمٌ طابق اسمًا، وقد اختلف المُسَمَّىٰ بهما... شخصًا وزمنًا وتاريخًا.

---

(١) «شرح وتحقيق رسالة الغفران» للدكتورة بنت الشاطئ (ص٥٤٢) طبع دار المعارف بمصر.
(٢) راجع الصفحة (٣٢) والسطر (٢)، من الجزء الثاني من كتاب «شذرات الذهب» نشر مكتبة المقدسي بمصر سنة (١٣٥٠هـ).

وقد تحقق هذا الرأي عندي بما ورد في كتاب «الأعلام» (ص٢٧٨، الجزء الخامس» وهو: «عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، من أشراف العرب في الجاهلية.. توفي نحو سنة (٤٧ ق.هـ)».

هذا وقد أورد أبو العباس المبرد ثلاثة أبيات هي:

ألا يـا حمـام الأَيْـكِ إلفُـكَ حاضـر　　وغُصــنك ميــادٌ ففــيم تنــوحُ

أفِـق لا تَـنُح مـن غيـر شـيء فـإنني　　بكيــتُ زمانًــا والفــؤادُ صــحيحُ

ولُوعًــا فشــطت غُرْبَــةً دارُ زينــب　　فهأنــا أبكـــي والفـــؤاد قـــريح

وعَزَاها المبرد إلىٰ عوف بن محلم، فرد عليه محقق المطبوعة: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم بقوله: «قال المرصفي: الشعر لأبي كبير الهذلي، لا لعوف». اهـ.

ويدعم ردَّ محمد أبي الفضل إبراهيم علىٰ المبرد ما وَرَدَ في كتاب «إرشاد الأديب» لياقوت الحموي(١).

وأرىٰ أن الأمر اختلط علىٰ أبي العباس المبرد في قائل هذه الأبيات، فظن أنه عوف بن محلم أو «عوف بن المحلم»، فكتب ذلك في كتابه «الكامل» وربما كتبه اعتمادًا علىٰ الذاكرة أو علىٰ رواية غير دقيقة، ولعل سر هذا الاشتباه الذي وقع فيه المبرد يعود علىٰ أن عوف بن المحلم قال قصيدة علىٰ رَوِي أبيات أبي كبير وعلىٰ وزنها.

وكان عوف بن المحلم قال تلك الأبيات بعدما كلفه عبد الله بن طاهر بقولها ومعارضة أبي كثير -أبي كبير-، ويلاحظ أن عوفًا «ضَمنَ» قصيدته أحد أبيات أبي

---

(١) «إرشاد الأريب» (ص٩٧) المجلد السادس، طبع مطبعة هندية بالموسكي بمصر.

كبير، وهي القصيدة التي نسج علىٰ منوالها، قصيدته في الوزن والقافية والمعنىٰ.

والبيت الذي أدخله عوف علىٰ قصيدته من قصيدة أبي كبير، هو السادس الذي مبدؤه: (ألا يا حمام الأيكِ إلفكَ حاضر) قال عوف بن المحلم:

أفي كــل عــام غربــة ونــزوح ... فهــل أرَيَــن البــين وهــو طلــيحُ

وأرقنــي بــالري نــوحُ حمامــة ... فنحــتُ وذو البــث الغريــب ينــوح

علــىٰ أنهــا ناحــت ولــم تُــذر دمعــةً ... ونحــت وأســرابُ الــدموع سُــفُوح

وناحــت وفرخاهــا بحيــث تراهمــا ... ومــن دون أفراخــي مهامــه فــيحُ

(ألا يــا حمــام الأيــك إلفُــك حاضــر ... وغُصْــنُك ميــادٌ ففــيم تنــوح)

عسىٰ جود عبد الله أن يعكس النوىٰ ... فنُلقي عصـا التطـواف وهـي طـريح

فـإن الفتـىٰ يُـدني الفتـىٰ مـن صـديقِه ... وعُــدْمُ الفتــىٰ بــالمقترين طــروح

وقد نجح عوف بن المحلم في بغيته؛ إذ إن شعره الباكي الحزين المعبر قد خالط شغاف عبد الله بن طاهر، فتمثل حقيقة ما يكابده الشاعر الهرم من كربة الغربة، فاستعبر، ومن ثم رحم شيبة هذا الشاعر المتقدم السن، الغريب الدار، ذي الوجد المبرح بأفلاذ كبده النائين عنه أمدًا مديدًا قضاه في خدمة ابن طاهر وتسليته ومديحه السيَّار، فأذن له بالإياب إلىٰ أهله الذين طال أمد نزوحه واغترابه عنهم، بعدما أعرب له عن ضَنهِ بمفارقته، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

فسُر عوف بن المحلم بهذه المكرمات بالغ السرور، فمدحه ومدح أباه مديحًا أغر محجلًا، وكرر وصف حاله وضعفه وكبر سنه ورقة عظمه، مما جعل حنينه يزداد وأشواقه تتضاعف وحاجته تتفاقم إلىٰ المكث بين أهله وذويه بقية عمره، ليمتع بهم

حينًا ويستأنس فؤاده الخافق المُعَنَّىٰ الذي برح به الشوق فهو مُتْلِفُهُ إن لم يعجل الأوبة.

وخلال وصفه لما يعانيه وما يقاسيه من كل ذلك نراه يعرج عن قصور آل طاهر الذين بلغوا القمة في تكريمه، فهو في القصيدة ذاتها يدعو لتلك القصور بالسقيا، قال مخاطبًا عبد الله بن طاهر:

يا بن الذي دان له المشرقانْ | وأُلبِسَ الأمن به المغربانْ
إن الثمانين وبُلِّغتُها | فقد أحوجت سمعي إلىٰ ترجمانْ

إلىٰ آخر هذه القصيدة الموسيقية ذات الوزن الخفيف والروي الرنان، والتي تتألف من (١٣) بيتًا فقط علىٰ ما رواه ياقوت، وقد أذن له عبد الله بن طاهر بالرحيل علىٰ مضض من فراقه، ومن ثم ودعه الوداع الأخير، وسار هو قافلًا إلىٰ أهله.. ولكنه مات في الطريق قبل أن يصل إليهم[١] فدفنت معه آلامه وأشواقه وأحلامه إلىٰ الأبد...

موسى بن محمد السُّلمي: أبو عمران:

شاعر بصري مسجدي متوكلي، من شعره في الشيب والخضاب قوله:

قعد الشَّيبُ بي عن اللذات | ورماني بجفوة القيناتِ
فإذا رُمْتُ ستره بخضاب | فضحته طلائع الناصلاتِ
ما رأيت الخضاب إلا سرابًا | غر في لمعه بأرض فلاةِ
فإذا ما دعا إلىٰ الناس داع | قلتُ ما للكبير والشرباتِ

(١) «إرشاد الأريب» (ص٩٧ و٩٨ و٩٩) المجلد السادس.

لستُ بعد الشباب ألْتَذُّ بالعيـ ـــش فدعني وغصة العبراتِ
إن فقد الشباب أنزلني بَعْـ ـــدَكِ دار الهموم والحسراتِ
ورماني بأسهم الشيب دهر قارعتني أيامه عن حياتِي

ويفوح من هذا الشعر أن الشاعر صوفي النزعة فهو من طرازم أبي العتاهية في شعر الزهد المتصوف.

وله بيتان ينمان عن «تزهده» في شعره، قال يخاطب شخصًا كبيرًا يهابه ويقدره، ولعل هذا الشخص وجه إليه إساءةً ما، وحاول إلصاقها بموسىٰ:

أتلزمني ذنبًا وأنت جنيته ولكنني أخشاك أن أتكلمَا
ولولا اتقائي أن تميتك دعوتي دعوتُ علىٰ ما كان أخفىٰ وأظلمَا(١)

ابن الطريف السُّلمي اليمامي:

علي بن سليمان، ونسبته إلىٰ اليمامة تدل إما علىٰ ولادته بها أو سكناه فيها. وكان أحد شعراء العسكر، وله أبيات مشرقة الديباجة في رثاء (علي بن يحيىٰ المنجم):

قد زرت قبرك يا علي مسلمًا ولك الزيارة من أقل الواجبِ
ولو استطعتُ حملتُ عنك ترابه قد طال ما عني حملتَ نوائبي
ودمي فلو أني علمت بأنه يُروي ثراك سقاه صوبُ الصائبِ
لسفكته أسفًا عليك وحسرة وجعلتُ ذاك مكان دمعٍ ساكبِ

---

(١) «معجم الشعراء» (ص٢٩٠).

فلئن ذهبتَ بملء قبرك سؤددًا ... لجميلُ ما أبقَيْتَ ليس بذاهبِ

وعلي بن المنجم الذي رثاه ابن الطريف بهذه الأبيات هو شاعر أيضًا قال عنه المرزباني: «من بيت الأدب ومعدنه، ومغاني الشعر وموطنه»، وأورد له قصيدة لا بأس من إيرادها هنا، للمناسبة القائمة، وللتعريف بشعره علىٰ مكانته الشعرية.

قال علي:

وإني لأثني النفس عما يريبها ... وأنزِلُ عن دار الهوان بمعزل

بهمةِ نُبْلٍ لا يرام مكانُها ... تحل من العلياء أشرف منزل

ولي منطق إن لجلج القول ... بتكشيفِ إلباسٍ وتطبيق مفصلِ(١)

ولابن الطريف السُّلمي أبيات لطيفة:

يا باذل المعروف قبل سؤاله ... ومن الثناء له خصوصًا مكسب

إن التفضل عادة لك عندنا ... وبها إليك جَمِيعنا نتقرب

---

(١) «معجم الشعراء» (ص١٤٧)، وعلي هو ابن هارون بن علي بن يحيىٰ بن أبي منصور المنجم البغدادي المتوفىٰ سنة (٢٨٨هـ)، ومصنف كتاب «البارع في أخبار الشعراء المولدين»، وقد جمع فيه مائة وواحدًا وستين شاعرًا، وافتتحه ببشار بن برد، واختار فيه من شعر كل شاعر، عيونه.. وقال ابن خلكان عنه: «وهو من الكتب النفيسة يغني عن دواوين الذين ذكرهم، فإنه اختصر أشعارهم، وأثبت منها زبدتها، وترك زبدها، وإن كتاب «الخريدة» للعماد الكاتب، وكتاب الحظيري، والباخرزي، والثعالبي، فروع عنه وهو الأصل الذي نسجوا علىٰ منواله». اهـ من «مقدمة ديوان بشار بن برد» للشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة في تونس ببعض اختصار (ص٧٣ و٧٤)، و«كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان» لأبي محمد عبد الله اليافعي المكي.

خُـذ لـي بوعـدك والـذي عـودتني ... كَمَلًا فما لي عـن نوالـك مـذهب[١]

أبو النجم هلال السُّلمي:

مولاهم، شاعر معروف من شعراء بني سليم بالولاء، ويكنىٰ أبا الرميل. يقال إنه أنشد أبا الشيص قوله:

كأنـــــه في الفلـــــك الـــــدَّوْ ... وَار صـــــــوت المـــــــــردن

قال أبو الشيص: قاتلكم الله يا معشر بني سليم. تقول الخنساء: (كأنه عَلَمٌ في رأسه نار) وأنت تقول هذا[٢]..

الأمير أبو الفتح: الحسن بن عبد الله (بن أبي حُصَيْنَة) السُّلمي:

ليس هذا الذي أسطره هنا تحليلًا لشاعرية هذا الشاعر السُّلمي الفحل، وإنما هو ترجمة له، يُضاف إليها تقديم فكرة عن شاعريته الثرة، بعرض نماذج من شعره القوي الآسر..

وهذه سلسلة نسبه: أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبي حصينة السُّلمي المعري، يتصل نسبه ببني سليم.

وُلد أبو الفتح ابن أبي حصينة، قبل سنة (٣٩٠هـ)، ويُرجَّح أن مكان ولادته في المعرة، ولم يوقف علىٰ حقيقة السنة التي وُلد فيها، فقد اضطربت أقوال المؤرخين في ذلك. وقال ابن عساكر -أقدمُ مَن كتب عنه-: «إن ولادته كانت قبل سنة (٣٩٠هـ) نفسها».

---

(١) «الفهرست» لابن النديم (ص٢١٦ و٢١٧).

(٢) «الفهرست» لابن النديم (٢١٦ و٢١٧).

وتلقىٰ ابن أبي حصينة العلم عن شيوخ يرجح أنهم من شيوخ المعرة، وأنهم من الطبقة التي تتلمذ عليها أترابه، من أبي العلاء المعري (٣٦٣ - ٤٤٩هـ) وطبقته[(١)].

ويبدو أنه دخل المسجد الجامع الأموي، وجلس في حلقاته العلمية والأدبية، ثم اتصل بآل مرداس، أمراء حلب، بعد انقراض الدولة الحمدانية من سنة (٤٠٦هـ) إلىٰ سنة (٤١٥هـ).

وكان أول أمير مرداسي اتصل به هو الشاب ثمال بن صالح، وقد نظم فيه قصائد مديحية جيدة وعمرُهُ في نحو ثمانية وعشرين عامًا، وكان ممدوحه الأمير ثمال كريمًا مقصودًا، يعيش عيشة الأمراء من أهل البادية، وفي تلك الفترة استولىٰ صالح بن مرداس أبو (ثمال) علىٰ حلب وما إليه حتىٰ طرابلس، وذلك بسنة (٤١٧هـ).

وفي سنة (٤٢٠هـ) قُتل صالح وتملك بعده ابناه: معز الدولة ثمال، وشبل الدولة نصر. ثم تفرد، شبل الدولة، بالأمر سنة (٤٢١هـ)، فخرج ثمال مغاضبًا له، وعازمًا علىٰ قتال أخيه، وتوسط أمراء الأطراف من العرب بينهما بأن تكون حلب لنصر، وبالس والرحبة لثمال، أما أبو الفتح فقد ظل علىٰ ولائه للمرداسيين الكلابيين يمدحهم، وينال من جوائزهم السنية حتىٰ أقعدته الشيخوخة عن متابعة ذلك.

وفي حياة أبي الفتح ظهرت في تاريخ الشام «بادرة الإنعام» علىٰ كبار الشعراء بألقاب الإمارة.. وهي الألقاب التي كان المتنبي وأضرابه من كبار شعراء جيله يسيل لعابهم طمعًا في إحرازها، ولكنهم حرموا منها، لأن أوان تقرير الدولة لها لم يحن بعدُ، لا لأنهم لم يكونوا أهلًا لها، فاستحقاق المتنبي لها ومن في مستواه من شعراء

---

(١) «مقدمة محمد أسعد طلس لديوان أبي الفتح» الذي حققه وطبعه المجمع العلمي العربي بدمشق.

زمانه أمر لا ريب فيه.

وقد استشرف أبو الفتح لنيل لقب الإمارة الشعرية المرموقة؛ حيث إنه رأىٰ نفسه أهلًا لها.. وكان من حسن حظه أن أوفده الأمير تاج الدولة بن مرداس، إلىٰ المستنصر العبيدي، فمدح المستنصر بقصيدة عصماء، مطلعها:

ظهر الهدىٰ وتجمل الإسلامُ وابنُ الرسول خليفة وإمامُ
مستنصر بالله ليس يفوته طَلَبٌ ولا يعتاصُ عنه مرامُ

ثم مدحه بقصيدة أخرىٰ عام (٤٥٠هـ)، فوعده بإعطائه الأمارة، وفي عام (٤٥١هـ) أنجز له وعده «وقد تسلم أبو الفتح سِجِل «الإمارة الشعرية» من يدي المستنصر في ربيع الآخر بتلك السنة»[(١)].

وكان الذي سعىٰ في تأميره، وكتب له سجل الإمارة هو أبا علي صدقة بن إسماعيل بن فهد الكاتب، فكافأة أبو الفتح علىٰ صنيعه بأن مدحه بقصيدة غرَّاء كان مستهلها:

قد كان صبري عِيلَ في طلب العُلا حتىٰ استندتُ إلىٰ ابن إسماعيلا

(١) بوسعنا أن نستنبط من هذا النص نتيجتين:
إحداهما: أن لمنح لقب إمارة الشعر في عهد العبيديين بمصر، سجلًا خاصًّا تدون فيه أسماء الأمراء الشعراء الذين منحوا هذا اللقب بأمر رسمي.
كما أن لهم شهادات أو براءات - وهذه ثانية النتيجتين - تسلم إليهم لإثبات ذلك.. كما أن لهم مكانة شرف ممتازة في أوساط مجتمع ذلك العصر..
وإذن؛ فإن منح الأمير أحمد شوقي في هذا القرن، لقب إمارة الشعر ليس بدعًا في الحضارة العربية الإسلامية، بل له سابقات قبل نحو ألف عام، وأحمد شوقي جدير بهذا اللقب كل الجدارة، فلم يجئ بعد أحمد أبي الطيب المتنبي من يفري فريه غير سميه هذا «أحمد شوقي».

فظفرت بالخطر الجليل ولم يزل يحوي الجليل من استعان جليلا
لولا الوزير أبو علي لم أجد أبدًا إلىٰ الشرف العلي سبيلا
إن كان ريب الدهر قبَّح ما مضىٰ عندي، فقد صار القبيح جميلا
وأجل ما جعل الرجال، صلاتُهُم للراغبين العز والتبجيلا
اليوم أدركتُ الذي أنا طالب والأمس كان طِلابه تعليلا

وكان تَسَلُّم الأمير أبي الفتح لسجل الإمارة هذه في ربيع الآخر سنة (٤٥١هـ).

هذا، وقد انهالت الجوائز المالية السخية علىٰ «أبي حصينة» شاعر المرداسيين، فأثرىٰ وعمر وبنىٰ.

وكان قد مدح الأمير محمود بن نصر بن صالح بن مرداس عندما تملك حلب سنة (٤٥٢هـ)، فأيد منحه لقب إمارة الشعر.. والقصيدة التي مدحه بها منها قوله:

أبا سلامة عش واسلم حليف عُلا وسؤدد بشعاع النجم مقرون
أُشقي عداكم وأهوىٰ أن أدين لكم وللعدىٰ دينهم فيكم ولي ديني

وقد ثبتت إمارة محمود أخيرًا لحلب، فما كان منه إلا أن خلع طاعة العبيديين، وخطب للعباسيين، كما صنع زميله في إفريقية الشمالية المعز بن باديس في القرن ذاته، وظل محمود المرداسي حاكمًا لحلب حتىٰ مات، وقد تابع صاحبنا أبو الفتح بن أبي حصينة مديحه له أسوة بن سبقه من الأمراء المرداسيين.

وكان ابن أبي حصينة شاعرًا ثَر الشاعرية، جزل التراكيب ينحو في غزله منحىٰ الشعر العربي القديم، تَصَوُّنًا وعفافًا وبُعدًا عن الإسفاف.

ولكن شاعريته تأثرت بالبيئة العُبيدية التي تجنح إلىٰ المبالغة والتهويل في مدح

الحكام، وكان ذا طموح وطمع في جمع الأموال، وقد أغدق عليه المرداسيون الأمراء العرب الأجواد فيضًا زاخرًا من العطايا السنية السخية، ما بين عينية وعقارية وغيرهما، وهبَهُ بعضهم (دارة رحبة جميلة) فسماها (دار المعونة).

وحضر بعض أمرائهم الحفلة التي أقامها بمناسبة بنائه لدار فخمة في قطعة أرض منحها له نصر بن صالح المرداسي، وكان في رأس قائمة الحاضرين نَصْرٌ نفسه، وبعد أن تناول الطعام سأله: كم أنفق في عمارة الدار؟ فقال له: ألفي دينار فأعطاه ألفي دينار، مصرية، تعويضًا عما أنفق، وزاده ثوبًا أطلس، وعمامة مذهبة، وحصانًا بطوق ذهب، وسرفسار ذهب(١)، مبالغة في تقديره وتكريمه، ومدح الشاعر أبو الفتح صالح بن مرداس السُّلمي(٢) بقصيدة منها قوله:

تطولـــــــــت وخولـــــــــت ... علــــــىٰ قـــــدرِك لا قــــــدري
وأدنيـــــــــــتَ وأغنيـــــــــت ... وأقنيـــــــت إلـــــىٰ الحشـــــــرِ
وآمنـــــــتَ مـــــــن البأســـــا ... ء مـــــن يُولَـــدُ مـــــن ظهـــــري

---

(١) السرفسار: تاج الفرس مرصعًا بالذهب.

(٢) في مقدمة أبي العلاء المعري لشرحه لـ«ديوان ابن أبي حصينة» نص أبو العلاء علىٰ أن بنىٰ مرداس سلميون؛ إذ وصف طليعة دولتهم: صالح بن مرداس بأنه سلمي، وفي المراجع التاريخية أنهم كلابيون لا سلميون، وقد أيد محمد أسعد طلس في «هامش المقدمة» نظرية أبي العلاء وأكدها. راجع (ص٥)، الجزء الأول، طبع دمشق.

وهذا عكس ما تقول به المصادر التاريخية القديمة والحديثة، فبنو كلاب كبني سليم عدنانيون وهم بنو عمومة لبني سليم ولكنهم ليسوا منهم، وكان لبني كلاب شأن يذكر في الشام، وأخيرًا أنشئوا دولة لهم علىٰ يد صالح بن مرداس.. وقد أحدثوا في زمن سيف الدولة حدثًا أزعج سيف الدولة وأحنقه عليهم فغزاهم في عقر دارهم وسبىٰ نساءهم، فتلطف المتنبي وتوسط في قصيدة بائية غراء مدح بها سيف الدولة في أن يصفح عنهم.

وأثريـــــتُ بنعمــــاكَ   ومـــا أملـــتُ أن أُثْـــرِي
وقـــد زِدتَ فـــزاد اللهُ   مـــن عُمـــرك في عمـــري
ســأجزيك ومـــا يجزيــ   ـك لا طِرســـي ولا حِبـــري
وأقنيــك ثنًـــا يبقـــىٰ   علـــىٰ غـــابرة الـــدهرِ
وأوصـــافًا لهـــا نشـــرٌ   ذكـــيُّ الطـــي والنشـــرِ
ومـــا يبقـــىٰ علـــىٰ الـــدنيا   ومـــا فيهـــا ســـوىٰ الـــذِّكر

وثلاثة هم شعراء الشام، في القرن الهجري السادس: أبو العلاء المعري - وكان أرفعهم شأنًا - وابن حَيُّوس، وابن أبي حُصينة السُّلمي، ولكن من هؤلاء الأعلام ديوان شعر مطبوع.

وابن حيوس وابن أبي حصينة فرسا رهان فيما يرىٰ محمد أسعد طلس.. ونؤيده، فإن الدارس لشعرهما يجدهما متوازيين في الطلاوة والفصاحة والجزالة وطُول النفس، وابن حيوس أقرب إلىٰ طريقة أبي تمام، وابن أبي حصينة أقرب إلىٰ منهج البحتري، وأبو تمام والبحتري فرسا رهان، والخمسة جميعهم من زعماء الشعر في الشام.

ومما يسترعي الانتباه في بعض قصائد ابن أبي حصينة أنه سلك فيها أسلوب أبي الطيب المتنبي، فقد مدح الأميرَ ثمالًا معز الدولة بن صالح بن مرداس بدالية بليغة وأنفذها إليه من دمشق بمناسبة فتحه لقلعة حلب في شهر ربيع الأول سنة (٤٣٤هـ)، قال:

لسيفك بعـد الله قـد وجـبَ الحمـدُ   فيـا ليـت جَفنـي مـا حييـتُ لـه غمـدُ

ومضىٰ إلىٰ أن يقول:

غيوثٌ إذا جادوا ليوث إذا عَدَوا ... كثير إذ عادوا قليل إذا عُدُّوا

يشُكُّون في ظهر العدو أسنةً ... إذا خرجت من صدره خرج الحقدُ

ثم يقول واصفًا فتح قلعة الثغر:

وعدتم لذاك الثغر سدًّا من العدىٰ ... وأيُّ سديد ما درىٰ أنكم سَدُّ!

وما رد كيد الروم خلقٌ سواكم ... يُنيل إذا لم يبق من دونهم ردُّ

أتوا يثقلون الأرض من فوق شُربٍ ... إذا أسرعت في الخط أثقلها السردُ

يواريهم نسج الحديد عليهم ... فما فيهم من منه جارحةٌ تبدو

فلولاكم لم ينههم عن حريمنا ... وعن حرمة الإسلام جمعٌ ولا حشدُ

ولكنكم قبَّلتموهم ذوابلًا ... من الخط لُدًّا مشرِعوها هم اللدُّ

وخضتم عجاجًا يُرْمِدُ الجو نَقْعُه ... ولكنه تحيا به الأعين الرُّمدُ

فما انجاب ذاك النقع حتىٰ طرحْتَهم ... فرائس تقتات الوحوش بها بعدُ

وصارت حياضًا للمياه جماجم ... مفلقة فاستجمع الزاد والوردُ

فلا تطمع الآمالُ فيما ملكتم ... فما تتخلىٰ عن فرائسها الأسْدُ

فهذه القصيدة اللامعة تنظر إلىٰ قصيدة قالها أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي في مدح محمد بن سيار بن مكرم التميمي.. في وزنها ومعانيها وفي قافيتها..

وله (رائعة) في مديح (ثمال) المرداسي، يقول فيها فيما يقول:

أبا صالح أنت حُسْنُ الزما ... ن وحُسن الرُّواء بحسن العَلَمْ

إذا نظـــم المـــدحَ فيـــك امـــرؤ وجـــدناك أشـــرف ممـــا نظـــمْ
إمِنـــا بقربـــك صـــرف الزمـــا ن فـــنحن الحَمـــامُ وأنـــت الحـــرمْ

ومضىٰ إلىٰ أن يقول:

جـزىٰ الله خيـرًا ظهـور الركـاب وأحســـنَ عنِّـــي جـــزاء القلـــمْ
فقـــد كنـــتُ ألـــتمسُ الأكـــرمين وأطلـــبُ للمـــدح أهـــل القـــيمْ
فلمـــا وجـــدتُ بنـــي صـــالح وجـــدتُ الغِنـــىٰ وعـــدمتُ العـــدمْ
وثمـــرت مـــن فضـــلهم نعمـــة وجاهًـــا ومـــالًا ولحمًـــا ودمْ
ملـــوك إذا مـــا عـــددتَ الملـــوك عـــدَدتَ الملـــوك لهـــم في الحشـــمْ
خـــدمتهمو في قمـــيص الشـــباب وأخـــدمهم في قمـــيص الهـــرمْ

ومن روائعه أيضًا قوله يمدح ثمالًا المرداسي:

كـــذا لا تـــزال رفيـــعَ الرُّتـــب كثيـــر العـــدو كثيـــر الغلـــب
وقـــد وهـــب الله هـــذا النعـــيم ومـــا يرجـــعُ الله فيمـــا وهـــب

إلىٰ أن يقول:

إذا ســـــلم الله روح الأميـــــر فـــأهون شـــيء ذهـــاب الـــذهبْ
ومـــن كســـب الحمـــد في الخـــافقين فلـــيس يبـــالي علـــىٰ مـــا كسَـــبْ
فخـــذ مـــا صـــفا مـــن لذيـــذ الحيـــاة ودع لســـــواك الأذىٰ والنصـــــبْ

ومن جيد قصائده: (الرائية) التي يقول فيها يمدح ثمالًا المرداسي:

أقـول لصـحبي بجـو الغُمَيْـر (١) وقـد ضـل حـادي المطايـا وحـارَا
تَيَـامَنْتُمُ عـن بـلاد المعـز فعوجـوا يسـارًا تصـيبوا يسـارَا
ولاقـوا أميـرًا قليـل النظيـر يحـب الثنـاء ويشْـنا النُّضـارَا
كـريم النجـار عفيـف الإزار حـوىٰ المكرمـات وشـاد الفخـارَا
أعـاد وأبـدىٰ وللفضـل أسـدىٰ وللقـرن أردىٰ وللـريح بـارَىٰ
كـريم الصـنيعة ضـخم الدسـيعة سـهل الشـريعة لـم يـأت عـارَا
غنـاء الفقيـر ونعـم النصـير إذا المسـتجير إليـه اسـتجارَا
يفـك الأسـارىٰ ويحمـي العـذارىٰ ويُعطـي المهـارىٰ ويُفني المهـارَا
إذا حـل في البـدو زان العمـود وإن حـل في الحضـر زان الجـدارَا
أبـا صـالح قـد فضـلتَ الملـوك فعُـدتَ يمينًـا وعـادوا يسـارَا
وألبسـك الله ثـوب الوقـار فـلا نـزع الله عنـك الوقـارَا
تحوَّلـت بـالأمس عـن موضـع فآنسـتَ دارًا وأوحشـتَ دارَا

ونالت أبا الفتح قَوَارِصُ الألسن من المنافسين والحَسَدة، وكل ذي نعمة محسود، وكان هذا الموقف بالنسبة إليه يماثل موقف سلفه أبي الطيب المتنبي الذي توفي قبل ميلاده بست وعشرين سنة، فقد كان سيف الدولة إذا تأخر مدح المتنبي له شقَّ عليه ذلك، فيحضر من لا خير فيه فيتقدم إليه بالتعرض للمتنبي في مجلسه بما لا

(١) الغُمير -بالتصغير-: موضع في ديار بني كلاب عند التلبوث.. فهو من منازل قوم ممدوحه ثمال المرداسي الكلابي، وفي ذكره لفتة مناسبة دلت علىٰ دقة ملاحظة وحسن ذوق شعري من الشاعر.

يحب، وذات مرة أنشد المتنبي سيف الدولة قصيدته (الميمية) السائرة.. وقال له فيها معرِّضًا بمن يتعرض له في غيابه بمجلسه:

وجاهل مدهُ في جهله ضحكي   حتىٰ أتته يدٌ فرَّاسَةٌ وفم

ثم يعود إلىٰ سيف الدولة ويخاطبه بقوله معاتبًا علىٰ إرخائه العنان للمتغرضين المتعرضين له في غيابه:

إن كان سركم ما قال حاسدنا   فما لجرح إذا أرضاكم ألمُ

وقد أثرت أيضًا عن ابن أبي حصينة هذه القوارص الخفية التي تقرضه في غيابه، فقال:

ذري عذلي فشأنك غير شاني   ولا تملكي طرفَي عِنانِي
ورُدِّي يا بنة السُّلمي قلبي   فقد فارقتُ قلبي ما كفانِي

وهو هنا يتغزل بسلمية من بنات عمه.. ثم يصل إلىٰ هدفه فيقول مُورِّيًا ومكنيًا والكناية أبلغ من التصريح:

أحبُّ من السماذع كل ندبٍ   كريم الخيم مأمون اللسانِ
يعفُّ عن الخنا ويَشِف حِلْمًا   كما شفت ذُرىٰ عَلَمَيْ أبانِ

ثم يصرح بما يريد أن يقوله وأن يوجهه إلىٰ مغتابيه بحضرة الأمير المرداسي:

وأمقتُ كل مغتابٍ نَمُومٍ   حريص بالنميمة غير واني
ألا بئس الحديثُ حديثُ زورٍ   يُبلغهُ فلانٌ عن فلان

ثم يمعن في كشف ذات صدره لأولئك النمامين الحسدة فيقول:

مضىٰ العيد السعيد وغِبتُ عنه — وفاز الناس قبلي بالتهاني
فهلا أحسن الشعراءُ غيبي — وكفوا عن عتابهمو لساني
فقد حضروا فما نابوا منابي — ولا سدُّوا وإن كثروا مكاني
وكم طلبوا اللحاق وما تهدَّتْ — قرائحهم إلىٰ هذي المعاني
أعابوني بقرواشٍ (١) وعيبي — بقرواشٍ جمالي في زماني
وليس أبو المنيع وإن توالت — إليَّ صلاتُه كمن اصطفاني
كلا الملكين أولاني جميلًا — ولكن الجميل لمن يداني
ولو أني بُليتُ بهاشمي — خئُولته بنو عبد المدانِ
لهان عليَّ ما ألقىٰ ولكن — تعاليْ فانظري بمن ابتلانِي
أعلمه الرماية كل يومٍ — فلما اشتد ساعده رماني

والأبيات الثلاثة الأخيرة قديمة ضمنها الشاعر قصيدته.

ومما يسترعي الانتباه مخاطبته في أحد هذه الأبيات الثلاثة للسُّلمية التي تغزل فيها.. فقال معدلًا صيغة البيت الأصلية:

لهان علي ما ألقَىٰ ولكن — تعالي فانظري بمن ابتلاني

(١) أبو المنيع قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل والكوفة.. كان أديبًا شاعرًا وسياسيًّا ماهرًا دامت إمارته خمسين عامًا، ومات سنة (٤٤٤هـ) سجينًا، ويبدو أن الشاعر ابن أبي حصينة كانت له صلة به، إلىٰ صلته بآل مرداس، فلذلك وجد الوشاة هذه الثغرة فدخلوا منها علىٰ الطعن في أبي الفتح عند الأمير المرداسي في غيابه، وربما وجدوا منه أذنًا صاغية.. فنظم الشاعر السُّلمي ابن أبي حصينة هذه القصيدة يمدح بها الأمير المرداسي ويعتذر له ويدفع عن نفسه كيد الخصوم.

وأصل البيت هكذا:

لهــان علــيَّ مــا ألقــىٰ ولكــن تعــالوا فــانظروا بمــن ابــتلاني

وكما أسهم المتنبي بقصائده الخوالد في مواكب الجهاد الإسلامي الذي كان يقوم به علي بن عبد الله التغلبي (سيف الدولة) بما ينظمه وينشده إياه من قصائد ظاهرها مديح سيف الدولة وباطنها الإشادة بجهاده وكفاحه لنصرة الإسلام والدفاع عن حوزته ودياره وثغوره.

كذلك كان للأمير ابن أبي حصينة نصيبٌ طيب في هذا الميدان.. ففي ديوانه قصائد عصماء من هذا القبيل، ونحن هنا نقدم للقارئ أبياتًا مختارة من إحدىٰ هذه القصائد، وقد قال ابن الوردي عنها: إنه في «سنة (٤٢٦هـ) وصلت الروم إلىٰ حلب، فقاتلهم صاحبه شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس، وتبعهم إلىٰ عزاز، فقتل وغنم، وكان اسم ملك الروم أرمانوس، فقال أبو الفتح الحسن بن عبد الله ابن أبي حصينة المعري (السُّلمي) من قصيدة طويلة أنشده إياها بظاهر قنسرين». وأورد ابن الوردي الأبيات التي اخترنا منها ما يلي:

إلــىٰ نصــر وأي فتــىٰ كنصــر إذا حلــت بمغنــاه الركــابُ
أمنتهــكَ الصــليب غــداة ظلــت حُطامًــا فــيهم السُّــمْر الصِّــلابُ
جنــودك لا يحــيط بهــن وصــف وجــودك لا يحصــله حســابُ
وذكــرك كلــه ذكــر جميــل وفعلــك كلــه فعــل عُجــابُ
وأرمــانوس كــان أشــد بأسًــا وحــل بــه علــىٰ يــدك العَــذَابُ
أتــاك يجُــر بحــرًا مــن حديــد لــه في كــل ناحيــة عُبــابُ

إذا ســـــارت كتائبـــــه بــــأرض تزلزلـــت الأبـــاطح والهضـــابُ
فعـــادَ وقـــد ســـلبت الملـــك عنـــه كمـــا سُـلِبَت عـــن المَيْـــت الثيـــابُ
فمـــا أدنـــاه مـــن خيـــر مجـــيءٌ ولا أقصـــاهُ مـــن شـــر إيـــابُ
فـــلا تســـمع بطنطنـــة الأعـــادي فـــإنهم إذا طنُّـــوا ذُبـــابُ!
ولا ترفـــع لمـــن عـــاداك رأسًـــا فـــإن الليـــث تنبحـــه الكـــلابُ

ويلوح لي أن هذه القصيدة البائية الماتعة الرائعة تنظر من قريب أو من بعيد إلىٰ (بائية) المتنبي التي تماثلها في الوزن والقافية وإن كانت تزايلها في الموضوع والهدف.. ولاسيما في قول أبي الطيب المتنبي:

وجُـــرْمٍ جَـــرهُ سُـــفهاء قـــوم فحـــل بغيـــر جارمـــه العقـــابُ

فهو قريب الشبه والسمات من قول ابن أبي حصينة:

وأرمـــانوس كـــان أشـــد بأسًـــا وحـــل بـــه علـــىٰ يـــدك العـــذابُ

وكما أن لابن أبي حصينة مدائح فله مَراثٍ نشير هنا إلىٰ إحداها، وهي التي قالها في سنة ٤٤٣هـ حينما توفي زعيم الدولة أبو كامل بركةُ بن المقلد بن المسيب العُقيلي - شريك أخيه قرواش في ملك الموصل - بتكريت.

قال ابن أبي حصينة من قصيدة طويلة:

مـــن عظـــيم الـــبلاء مـــوت العظـــيم ليتنـــي مـــتُّ قبـــل مـــوت الـــزعيمِ
يـــا جفـــوني سُـــحِّي دَمًـــا أو فَحَمِّـــي صـــحن خـــدي بعبـــرة كـــالحميمِ

وحينما توفي، في سنة (٤٤٤هـ)، قرواش معتمد الدولة أبو منيع بن المقلد العُقَيْلي صاحب الموصل مسجونًا بقلعة الجرَّاحية رثاه الأمير أبو الفتح السُّلمي

بقصيدة باكية منها قوله:

أمثـــل قـــرواش يـــذوق الـــردىٰ ... يــا صــاح مــا أوقــح وجــه الحِمَــامْ

وله مَرَاث أخرىٰ مدونة في ديوانه المطبوع، ومن أهمها رثاؤه لصديقه الحميم أبي العلاء المعري الذي أملىٰ لديوانه شرحًا قال في مقدمته عنه: «وكان مولاي الأمير الجليل أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة سألني أن أسمع شِعرهُ، فقرئ علي ما أنشأه من أنواع القريض، فوجدتُ لفظه غير مريض، ومعانيه صحاحًا مُخترعة، وأغراضه بعيدة مبتدعة، وهو -وإن كان متأخرًا في الزمان- فكأنه من فرط عهد النعمان، ومن سمع كلامه علم أنه لم يغير شهادة، ولا خرم في إبداع الكلام سيادة»(١).

وشهادة كهذه من إمام في الشعر واللغة والعلوم كأبي العلاء المعري، لا شك أنها ترفع إلىٰ القمة مستوىٰ الشاعر المشهود له فيها برفعة المكانة الشعرية..

يقول الأمير أبو الفتح السُّلمي في رثاء صديقه أبي العلاء المعري:

العلــم بعــد أبــي العــلاء مُضــيَّعُ ... والأرضُ خاليــة الجوانــب بلقــعُ

أودىٰ وقــد مــلأ الــبلاد غرائبًــا ... تسـري كمـا تسـري النجـوم الطُّلَّـعُ

مـا كنـتُ أعلـم وهـو يـودع في الثرىٰ ... أنــا الثــرىٰ فيــه الكواكــب تــودعُ

ثم يقول فيه أيضًا:

تتصـــرم الـــدنيا ويـــأتي بعـــده ... أُمَـــمٌ وأنـــت بمثلـــه لا تســـمعُ

ثم يقول فيه أيضًا:

(١) «مقدمة ديوان ابن أبي حصينة» لأبي العلاء المعري (ص٣) طبع دمشق.

قَصَـدَتْكَ طُـلاب العلـوم ولا أرىٰ   للعلـم بابًـا بعـد بابـك يُقـرَعُ

هذا وللأمير أبي الفتح جولات في ميادين الحكمة.

قال:

أشـد مـن فاقـة الزمـان   مُقـامُ حُـرٍّ علـىٰ هـوانِ
فاسـترزق الله واسـتعنه   فإنـه خيـر مُسـتعانِ
وإن نبـا منـزلٌ بحـر   فمـن مكـان إلـىٰ مكـانِ

وقال:

إذا المـرء لـم يـرض مـا أمكَنَـه   ولـم يـأت مـن أمـره أحسـنَهْ
فدعـه فقـد سـاء تـدبيره   سيضـحك يومًـا ويبكـىٰ سَـنَه

وقد طُبع الشرح الذي أملاه أبو العلاء المعري علىٰ ديوان ابن أبي حًينة السُّلمي في دمشق، وتولىٰ تحقيقه محمد أسعد طلس، وقد وصفه محققه وصفًا قيمًا، قال: «إن ابن أبي حُصينه سار فيه علىٰ الطريقة التي سار عليها في (معجز أحمد) و(اللامع العزيزي) و(عبث الوليد).

وكان أبو العلاء المعري قد بدأ إملاءه بشرح القصيدة التي أولها:

هـل بعـد شـيبكَ مـن عـذر لمعتـذر   فـازجر عـن الغـي قلبًـا غيـر منزجـرِ

واختتمه بشرحه للقصيدة التي أولها:

كـم تُكثِـران العـذل والتفنيـدا   أفتحسـبان المتهـام رشـيدَا

توفي الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله المشهور بابن أبي حصينة السُّلمي

المعري سنة (٤٥٦هـ) أو (٤٥٧هـ)(١). وربما كانت وفاته في «سروج».

النظَّام المصري: جبرائيل بن ناصر بن المثنى السُّلمي:

قال عنه العماد الأصفهاني الكاتب: «لقيته بدمشق علىٰ باب جيرون، نافق السوق، كثير الزبون، ثم عاد إلىٰ مصر، عند المملكة الصلاحية بها، ودارت رحىٰ رجائه بالنجح علىٰ قطبها، وقصد اليمن عند افتتاح الملك المعظم شمس الدولة توران شاه، لها، وكان وَعَدَه بألف دينار، فقبضها منه وحصلها، ولم يزل بمصر مستقيم الحال، مُثمر المال، آلفًا صعود جده - أي: حظه - بالصعيد، عارفًا سعود حظه بالمزيد، إلىٰ أن نَسَبَ إليه والي قوص، أنه يُواطئُ الخارجي بها في آخر سنة اثنتين وسبعين (بعد الخمسمائة) فطلبه وصلبه، بعدما سلبه، وذلك في المحرم سنة ثلاث وسبعين (بعد الخمسمائة) - بقوص. ووقعَت إلي من شعره قصيدةٌ بخطه، نظمها في سيف الدين أخي صلاح الدين، عند خروج الكنز(٢) بأسوان، وقتله والفتك به، والفتك بالسودان، من جملتها:

ومن ذا يطيق الترك في الحرب إنهم ... بَنُوها وكل الناس زور وباطلُ
حُماةٌ كُماةٌ كالضراغم خيلُهم ... معاقلهم والخيل نعم المعاقلُ

ومنها في صفة الجيش:

بجيش يضيع الليل فيه إذا سرىٰ ... وتخفي نجوم الجو منه القساطلُ

---

(١) المراجع: مقدمة محمد أسعد طلس لديوان ابن أبي حصينة، مع شعر ابن أبي حصينة، وشرح أبي العلاء المعري أو تعليقاته علىٰ ديوانه الذي قام بطبعه ونشرهالمجمع العلمي العربي بدمشق، وكذلك ديوان محمد بن سلطان المشهور بابن حيوس، من مطبوعات، المجمع العلمي العربي بدمشق أيضًا.

(٢) الكنز: رجل ثار فقتل.

إذا ما خَبَت فيه المشاعل عاضها — من أيدي الجياد المنعلات المشاعلُ
وتطَّردُ الراياتُ فيه كأنها — أفاع إلىٰ أوكارهن جوافل
فما لاح ضوء الصبح حتىٰ تحكمت — لهم في أعاديهم قنًا ومَنَاصلُ
كأن مُثار النقع سحبٌ وبَيْضَهم — بروقٌ تلالا فيه والدم وابلُ

ومنها:

لكم يا بني أيوب في البأسِ والندىٰ — مذاهب تُعيي غيركم ومداخلُ
ألنتُم لنا الأيام من بعد قسوة — وحليتموها وهي قبل عواطلُ
وقلدتمونا البيض تُثْقِل بالحُلي — عواتِقنا أعنادها والحمائلُ
ضربنا بها أعداءكم فجيادنا — لها من دماء المارقين خلاخلُ

وله من أخرىٰ:

أما ملَّ من عذلٍ عاذلي — فيطرح حلي علىٰ كاهلِي
لقد أطمع النفس في سلوة — يخيبها طمعُ العاقلِ
ومن غمر هذا الهوىٰ أنني — لأعشقُ مَن عشقه قاتِلِي
أحب فأقتلُ نفسي فلا — أفوز من الحب بالطائلِ
ولي كل يوم وقوف علىٰ — حِمًىٰ وسلام علىٰ راحلِ
متىٰ يسأم القلب من هجركم — فيصغىٰ إلىٰ عذل العاذلِ؟
ويبطل سحر الجفون التي — بها يعمل السحر في بابلِ
ويجلو فؤاد امرئ لم يزل — من الوجد في شغل شاغلِ

متـــىٰ وجـــدت لكـــم وحشـــة ... تعللـــــت بالشــــبح الماثـــــلِ

* * *

صـــلوا واعطفـــوا واحســـنوا[1] ... وجـــودوا فـــلا خيـــر في باخـــلِ

فلســـتُ بتـــارك حـــق الهـــوىٰ ... ولـــو أننـــي منـــه في باطـــلِ

ولكـــن إذا مضَّـــني جـــورُكم ... شـــكوتُ إلـــىٰ الملـــك العـــادلِ

مليـــك مشـــىٰ النـــاس في عصـــره ... مـــن العـــدل في مـــنهج ســـابلِ

* * *

أقـــامَ الجهـــاد علـــىٰ ســـوقه ... وحـــرب كحـــرب بنـــي وائـــلِ

ففـــي كـــل يـــوم لـــه جحفـــل ... يُغيـــر علـــىٰ الشـــرك بالســـاحِلِ

* * *

فـــديناك يـــا مـــن ســـنا وجهـــه ... يفـــوق ســـنا القمـــر الكامـــلِ

وإنـــك أنفـــع في عصـــرنا ... مـــن الغيـــث في البلـــد الماحـــلِ

أنلـــت الرعيـــة مـــا فاتهـــا ... مـــن الشـــرك في عصـــرنا الزائـــلِ

فأضـــحت مـــن العـــدل في غـــامر ... وأمســـت مـــن الأمـــن في شـــاملِ

ويروي لنا العماد الأصفهاني الكاتب قصيدة أخرىٰ، شفيفة الأسلوب رقيقة المعاني، وهي في الغزل، ومطلعها:

(١) الهمزة في (وأحسنوا) همزة قطع، لأنه فعل أمر ماضيه «أحسن» فوصل الهمزة في البيت كان بحكم ضرورة الوزن في الشعر.

زاد بـــــي شـــــوقي فَبُحْـــــت وجـــــرىٰ دمعـــــي فَنُحْـــــتُ

أيهـــا العـــاذل هـــل يُثْـــ ـــنِي لِســـان العـــذل صَـــمْتُ

إنَّ نَعْـــــتَ البـــــدر والشَّمْـــــ ـــسِ لمـــن أهـــواه نَعْـــتُ(١)

أبو عبد اللّه الخضر بن عبد الرحمن السُّلمي الدواتي المعدل:

ذكره العماد الأصفهاني في كتابه «خريدة القصر وجريدة العصر»، والدواتي نسبة عامية للدواة، وهي نسبة مخالفة للقاعدة النحوية.. فالقاعدة تقول: إن صحة النسبة إلىٰ الدواة: دَوَوِي، ومنه لقب أبي علي ابن الرئيس خليفة الدووي(٢).

❊ ❊ ❊

(١) خريدة القصر، وجريدة العصر – قسم شعراء مصر – (ص١٤٠ – ١٤٢) الجزء الثاني، طبع مصر.
(٢) خريدة القصر، وجريدة العصر: ذيل الصفحة (٢٦٠) بالقسم العراقي، الجزء الثاني، طبع المجمع العلمي العراقي بغداد ١٣٨١هـ = ١٩٦٤م.

شاعرات من بني سُليم

ريطة بنت العباس بن أنس السُّلمي:

المعروف بالأصم:

كانت ريطة تعيش في الجاهلية، وهي إحدىٰ شواعر بني سُليم.

قالت ترثي أباها أو أخاها أو زوجها:

لعمري وما عمري عليَّ بهين ... لنعم الفتىٰ أرديتمو آل خثعمَا
وكان إذا ما أورد الخيل بِيشَةً ... إلىٰ هضب أشراك أناخ فألجمَا
فأرسلها رهوًا رِعالًا كأنها ... جراد زفته ريح نجد فأتهمَا
فأمسىٰ الحوامي قد تَعَفَّيْنَ بعده ... وكان الحصىٰ يكسو دوابرها دمَا
فآبت عشاء بالنهاب وكلها ... يُرىٰ قلقًا تحت الرجالة أهضمَا
وكانت إذا ما لم تطارد بعاقل ... أو الرس خيلًا طاردتها بِعَيْهَمَا
وكان ثِمالَ الحي في كل أزمة ... وعِصْمَتَهُم والفارسَ المتغشمَا
وينهض للعليا إذا الحرب شمرت ... فيطفؤها قهرًا وإن شاء أضرمَا
فأقسمتُ لا أنفك أُحْدِر عبرة ... تجود بها العينان مني لتسجمَا(١)

ويدلنا ذكر ريطة السُّلمية لإيراد المرثي للخيل إلىٰ بيشة وغيرها، ووصفها لخيله يدلنا ذلك علىٰ كثرة وجود الخيل لدىٰ سليم في الجاهلية، كما أشار إليه

---

(١) أعلام النساء، لعمر رضا كحالة، (ص٤١٠ و٤١١).

المؤرخون، ولهذا نفسه نجد كثرة من شعرائهم وفرسانهم يكثرون في قصائدهم من ذكر الخيل في كل مناسبة.

الخنساء تُماضر السُّلمية:

يقول بشار بن برد: «ما قالت امرأة شعرًا إلا وظهر الضعف فيه..» قيل له: والخنساء؟ قال: «تلك غلبت الفحول».

ويقول بروكلمان أن «الخنساء بلغت في الرثاء أقصىٰ مراتب الشهرة».

وكان دريد بن الصمة من أشراف قومها وشعرائهم، قد خطبها -وهو شيخ- فردته، وتزوجت بعد ذلك بمرداس بن أبي عامر السُّلمي، والد عباس بن مرداس، وبعد وفاة زوجها مرداس تزوجها عبد الله بن عبد العزىٰ.

وقد ورثت أخويها: معاوية وصخرًا بقصائد[١] في غاية الرقة وتفيض بمشاعر الحزن المتفجرة، وقد أقامت بمكة بعد غزوة بدر بقليل، وكانت تناهز الخمسين عامًّا عندما زارت عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالمدينة فيما بعدُ، ولا يعرف تاريخ وفاتها بالتحديد.

وكانت تنافس هندًا في سوق عكاظ، في عظم المصيبة عن قتلاها في الجاهلية، وقتلىٰ هند في بدر.

في ذات يوم دخلت الخنساء علىٰ أم المؤمنين عائشة فأنشدتها قولها في رثاء أخيها صخر:

ألا يــا صــخر إن أبْكَيْــتَ عينــي فقــد أضــحكتني زمنًــا طــويلًا

---

(١) قصائدها في الرثاء، مجموعة في ديوان شعرها المطبوع.

فقالت لها عائشة: أتبكين صخرًا وهو جمرة في النار؟! فقالت الخنساء: يا أم المؤمنين، ذاك أشدُّ لجزعي عليه، وأبعثُ لبكائي، وعُدَّ هذا الجواب من الأجوبة المسكتة.

عمرة بنت مرداس السُّلمية:

أخت عباس بن مرداس السُّلمي، وهي شاعرة مقلة مخضرمة، أمها الخنساء.. فعمرة إذن نشأت في محيط مزدهر بالشعر.. أمها شاعرة وأخوها شاعر، وعَمَّاها شاعران. وقد أوردت «حماسة أبي تمام» أبياتًا لعمرة تعتبر من جيد الشعر. قالت:

أعينـــيَّ لـــم أختلكمـــا بخيانـــة ... أبـىٰ الـدهر والأيـام أن أتصـبرَا
ومـا كُنـتُ أخشـىٰ أن أكـون كـأنني ... بعيـرٌ إذا يُنْعَـىٰ أُخـيَّ تحسـرَا
ترىٰ الخصـم زورًا عـن أُخَـيَّ مهابةً ... ولـيس الجلـيسُ عـن أُخـيَّ بـأزورَا

وهكذا سلكت عمرة في رثائها الحزين الجميل الأسلوب والمعبر عن عواطفها - مسلك والدتها وإخوتها في الرثاء.. ومن يشابه «أهله» فما ظلم.

ويقول بروكلمان: «إن عمرة بنت الخنساء ورثت عن أمها ملكة الشعر، وإن بعض أشعار عمرة بقيت في ديوان أمها»(١).

ولعمرة أخ اسمه يزيد، كان قد قَتَلَ قيس بن الأسلت في بعض حروبهم، فطلبه بثأره هارون بنُ النعمان بن الأسلت، حتىٰ تمكن من قتله، فقتله بقيس بن أبي قيس وهو ابن عمه، فقالت عمرة ترثي أخاها يزيد: «أعيني لم أختلكما بخيانة» الأبيات الثلاثة المتقدمة آنفًا..

---

(١) «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (ص١٦٤) الجزء الأول، طبع دار المعارف بمصر.

ولها فيه مرثية أخرىٰ تقول فيها:

أجَـــدَّ ابــــنُ أمِّـــيَ ألَّا يؤويـــا ... وكـــان ابــنُ أُمِّــيَ جَلْــدًا نجيبَــا

وعندما مات أخوها عباس بن مرداس بالشام سنة ١٦هـ قالت ترثيه:

لِتَبْـكِ ابـنَ مـرداسٍ علـىٰ مـا عـراهم ... عشــيرتُهُ إذ حُــمَّ أمــس زوالُهَــا

لـدىٰ الخصـم إذ عنـد الأمير كفـاهمو ... فكـــان إليهـــا فَضْـــلُها وحلالهَــا

ومعضــــلةٍ للحــــاملين كفيتهـــا ... إذا أَنْهَلَــتْ هُــوجَ الريــاح طِلالُهـا

ولها قصيدة بائية ذكرت فيها الأقيصر بن نشبة الذي مات صغيرًا، وتعرض لأخيها: شداد، لأنه كان شامتًا بموته، وقد جاء فيها قوله:

مَــنْ مُبْلِّــغٌ عِنــي فُلانًــا رِســالَةً ... فما أنتَ عـن قـولِ السِّفاهِ بمُعتَـبِ(١)

وقد رثت عمرة بنة مرداس أباها مرداس بن أبي عامر، وكان يقال له (الفيض) لفرط سخائه، تقول عنه فبها:

والفَـيضُ فينـا شـهابٌ يُستضـاءُ بـه ... إنـا كـذلك فينـا تُوجَـدُ الشُّـهب(٢)

وتوفيت عمرة سنة (٤٩هـ)(٣).

حبيبة بنت الضحاك السُّلمية:

الضحاك هو أبو سفيان السُّلمي، وهي شاعرة من شاعرات العرب، وكانت

---

(١) شاعرات العرب، جمع وتحقيق عبد البديع صقر، (ص٢٧٢ – ٢٧٦)، منشورات المكتب الإسلامي.
والدر المنثور في طبقات ربات الخدور لزينب علي العاملي، (ص٣٥٢ و٣٥٣) طبع المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣١٢هـ.

(٢) «شاعرات العرب» (ص٢٧٤).

(٣) «شاعرات العرب» (ص٢٧٢).

تحت العباس بن مرداس المولود في عهد النبي ﷺ علىٰ قول صاحب كتاب «شاعرات العرب» فعلمت حبيبة بإسلامه فغضبت وارتحلت وقالت قصيدة تؤنبه. منها:

ألم ينه عباسَ بن مرداس أنني ... رأيت الورىٰ مخصوصة بالفجائعِ

ثم قالت له:

لعمري لئن تَابَعْتَ دين محمد ... وفَارَقْتَ إخوان الصَّفا والصَّنائعِ

لَبَدَّلْتَ تلك النفس ذُلًّا بعزةٍ ... غداة اختلاف المُرهفَات القواطعِ[(١)]

شاعرة سلمية غير مسماة:

هذه شاعرة سُلمية لم نقف علىٰ اسمها.. وقد ذكرها ثعلب في مجالسه يسنده قال: أخبرني أبو الزبير ثابت بن عبد الرحيم قال: أنشدتني امرأة من بني سُليم:

وإنَّ امرأ أمسىٰ ودون حبيبه ... سواسٌ فوادي الرَّسِّ والهميانِ

لمعترف بالنأي بعد اقترابه ... ومعذورة عيناه بالهَمَلانِ

فما ريح ريحان بمسك بعنبر ... برند بكافور بدُهنة بانِ

بأطيبَ من ريا حبيبي لو انني ... وجدتُ حبيبي خاليًا بمكانِ[(٢)]

وقد أورد «لسان العرب» البيتين الأولين في مادة (سوس) وعزاهما لثعلب، وقال عن «سواس»: موضع: واستشهد بالبيت الأول عن ذلك.

ريا بنت الفطريق السُّلمي:

ترجمت لهذه السُّلمية -التي لم أتأكد بعدُ أنها من بني سُليم بن منصور-

---

(١) «شاعرات العرب» (ص٦٢).

(٢) «مجالس ثعلب» (ص٥٩٩ و٦٠٠) القسم الثاني، طبع دار المعارف بمصر، تحقيق عبد السلام محمد هارون.

ترجمتْ لها زينب بنت علي العاملي فقالت: «كانت ذات جمال باهر وأدب ظاهر، ولها معرفة بأشعار العرب، وكانت تقول الشعر الجيد، عشقها عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري عَلِقها بمسجد الأحزاب في المدينة المنورة يوم متنزه، إذ هو جالس في المسجد، ودخل عليه نسوة، وفيهن جارية لم يرَ مثلها، فوقفت وقالت: ما تقول في وصل من يطلب وصلك؟ ثم مضت ولم يعرف لها خبر، فلما كان في اليوم الثاني توجه إلىٰ مسجد الأحزاب وجلس في المكان الذي كان فيه بالأمس، وإذا بالنسوة أقبلن ولم يرَ فيهن الجارية. فقلن له: ما ظنك بطالبة وصالك؟ فقال: وأين هي؟ قلن له: مضىٰ بها أبوها إلىٰ السماوة، فأنشد:

خليلـيَّ ريـا قـد أجَـدَّ بكورهـا ... وسارت إلىٰ أرض السماوة عيرهَا

خليليَّ قد غشيتُ من كثرة البكا ... فهل عند غيري عبرة أستعيرهَا

وتوجه إلىٰ أبيها هو وصاحب له، فأكرم وفادتهما، وسألهما عن أمرهما. وقال: اذكرا حاجتكما.. فأخبراه بخطبة عتبة إلىٰ ابنته. فقال: ذلك إليها. فدخل وأخبرها بذلك، فأجابت وشكرت له عتبة، فقال: قد نُمِي إليَّ أمرُك معه، وأقسم: لا أزوجك به. فقالت: إن الأنصار لا يُردون ردًّا قبيحًا، فإن كان ولابد، فأغلظ عليهم المهر. فقال: نِعْمَ ما أشرتِ به! ثم خرج فقال: قد أجبتُ، ولكن علىٰ ألف دينار وخمسة آلاف درهم هجرية، ومائة ثوب من الأبراد والخز وخمسة أقراص من العنبر، فَضَمِنَا ذلك، وقالا له: إذا أحضرناها لك أجَبْتَ؟ قال: أَجَبْتُ! فأحضروا له ذلك، فأولم أربعين يومًا، ثم أخذها ومضىٰ، فلما قارب المدينة خرج عليه خيل كثيرة فقاتل عتبة حتىٰ قُتِلَ، فحين علمت ريًّا بموته جاءت وبكت بكاءً مُرًّا حتىٰ أبكت عليه من كان حاضرًا وأنشدت:

تصـــبرتُ لا أني صـــبرت وإنمـــا أعلــل نفســي أنهــا بِــكَ لاحقــهْ

ولو أنصفت روحي لكانت إلىٰ الـردىٰ أمامــك مــن دون البريــة ســابقهْ

فمـا أحـد بعـدي وبعـدك منصـف خلــيلًا ولا نفــس لنفســي موافقــهْ

ثم شهقت شهقة فماتت، فواروهما التراب في قبر واحد، فنبت علىٰ قبرها شجرة، فسموها «شجرة العروسين»(١).

* * *

(١) «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» (ص٢١٣).

رواة من بني سُليم

نقصد بالرواة هنا رواة العلم المتعلق بلغة العرب وأماكنهم وتاريخها وتاريخهم وأشعارهم وأخبارهم.

وإلىٰ هؤلاء الرواة العرب والأعراب بصفة عامة يرجع كثير من ثراء رصيدنا العلمي والأدبي عن العرب في جاهليتهم وفي صدر إسلامهم.

وقد ذكرنا في هذا الفصل من تسنىٰ لنا الإلمام بهم أو بما سجلوه لنا في رواياتهم التي كتبت عن بني سُليم منهم وكانوا معتمدين بحقٍّ فيها.

عرام بن الأصبغ السُّلمي:

كان عرام أحد أعراب بني سُليم المتفتحي الأذهان، الراغبين في نشر المعلومات التاريخية والجغرافية والنباتية والاجتماعية التي عرفها بحكم جولاتِه في بلاد العرب.

وقد رأينا يؤلف كتيبًا موجزًا مُكْتَنِزًا بالمعلومات التي جمعها من هنا وهناك. وقد سماه: «أسماء جبال تهامة وسكانها. وما فيها من القرىٰ وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه».

والكتاب يحوي المعلومات التي تحصل عليها عرام عن تهامة والحجاز، وقلما يعثر عليها الباحث في غيره، فهو من هذه الناحية أحد المراجع المهمة في التعريف بماضي الأماكن التي تحدَّثَ عنها في زمن الجاهلية وفي عهد الإسلام حتىٰ عصره.

وكان عرام يعيش في القرن الهجري الرابع، ونسخة كتابه المطبوعة يرويها السيرافي عن أبي محمد السُّكري عن أبي سعد عن عبد الرحمن المعروف بأبي الأشعث الكندي عن عرام(١).

وقد نشر هذا الكتيب المفيد نشرًا علميًّا علىٰ نفقة الشيخ محمد نصيف ويوسف زينل رحمهما الله وتولىٰ إخراجه وتحقيقه والتعليق عليه الأستاذ عبد السلام محمد هارون وطبع بمصر سنة (١٣٧٣هـ) في (٨١) صفحة من الحجم دون المتوسط، ووضعت له الفهارس العامة اللازمة.

رُواةٌ آخرون من بني سُليم:

روىٰ الهجري عن رواة سُلميين منهم: محمد بن الرياحي السُّلمي، ومحمد بن يزيد الحضر السُّلمي، وموسىٰ بن رُبَيق بن صبَّاح بن بهثة ابن سُليم، ويحيىٰ بن الخير من خُفاف سُليم والحبيبي السُّلمي، والحضي السُّلمي، والحريمي السُّلمي، وأبو سفيان السُّلمي، وأبو عروة السُّلمي، وشغنوب بن صالح السمالي السُّلمي، والصويعة وأبو محمد عبد الله بن موسىٰ البهثي وغيرهم(٢).

* * *

(١) مقدمة كتاب جبال أسماء تهامة وسكانها، لعبد السلام محمد هارون.
(٢) أبو علي الهجري للأستاذ حمد الجاسر.

شعراء الشعر (الحميني) أو النبطي من بني سليم

عقد الأستاذ خير الدين الزركلي في كتابه: (ما رأيت وما سمعت) فصلًا خاصًّا بشعر البُدَاةِ، ويقول عن هذا الشعر البدوي: إنه مختلف في لغته وأوزانه عن الشعر الصحيح أو القريض، وقال عنه: (ويسمونه «الحميني» ولم أعلم اشتقاق هذه اللفظة ولا أصلها).

وأضاف إلىٰ ذلك قوله: «ويُسَمُّونَ المساجلة بين الشاعرين منهم: «قصيدًا»». كما يسمون القصيدة الطويلة أو القصيرة «نشيدًا»، ويسمون القصائد علىٰ الإطلاق: «مجالسيَّات» ويعرف عندهم اللغز باسم: «الغبوة».

وهم يقولون للشاعر إذا أحسن: «صح لسانك» بدلًا من قول العرب الأقدمين للشاعر المُجِيد: «لا فض فوك».

وقل من شعراء البادية من يتفق له أن يتلقىٰ في صغره شيئًا من مبادئ علوم العربية، أما مَن تهيأ له ذلك فيستعين بسليقته الشعرية علىٰ نظم شيء من الشعر الصحيح، وقد تكون فيه معان جديدة توحي بها إليه بداوته وصفاء قريحته..

ومن شواهد هذا النوع من القريض البدوي الفصيح، بعضُ شِعر الوقداني، ومنه قوله في رثاء أمير مكة الشريف عبد الله بن محمد بن عون:

المُلْـــك لله والـــدنيا مداولـــة ... ومـا لِحَـيٍّ علـىٰ الأيـام تخليـدُ
والناس زرع الفنا والمـوت حاصـده ... وكـل زرع إذا مـا تـم محصـودُ

وشعر البادية اليوم وقبل اليوم ينتشر بالواسطة أو بالرواية علىٰ التعبير الدقيق،

فهو في كيانه وتنقله وذيوعه وانتشاره يشبه شعر العرب الفصحاء قبل ظهور الإسلام؛ إذ كان له رواة يحفظونه في صدورهم وينقلونه إلىٰ الجماهير بألسنتهم، فيُحفظُ عنهم ويُروىٰ جيلًا فجيلًا.

وهناك رواة للشعر الحميني معروفون.

ويبدو أن شعراء الشعر الحميني في البادية هم حملة مقاليد اللغة بين البادية، فلهم الحق في التصرف في مقاليدها كما تملي عليهم قرائحهم وكما تستدعيه منهم الأوزان الشعرية التي يصنعونها، وهم في هذا شبيهون أيضًا بشعراء العرب القدامىٰ.

ولغة الشعر الحميني «بدوية عامية صرف» ومن شواهد هذا تعبيرهم في شعرهم بقولهم: (إليا) في معنىٰ (إذا): (إليا نصيتَ الرَّبع) أي: إذا قصدت الرَّبع. فنصا عندهم بمعنىٰ (قصد) ولِنَصا مشتقاتها: (يَنْصي) مضارع، و(إنْصَ): فعل أمر، و(ناصيه): قاصِدُه - اسم فاعل وهكذا، ويقولون (لا جاك) والمعنىٰ: (إذا جاءك) ويقولون (بَرْضُه) أخذًا من عامية مصر، فإن مصر كانت ذات خلطة قديمة بالحجاز بدوه وحضره.

وفي صيغة (تنصي) بمعنىٰ (تقصد) يقول محمد الجبرتي السُّلمي:

سلام رديه وفَىٰ مِن بالي ... تَنْصَىٰ الرجال والمحل الغالي

وفي (اليا) بمعنىٰ (إذا) يقول حبيب بن قليشان السُّلمي:

سُوَاة الطريدْ اليا عطىٰ حاجر ... علىٰ السجرة اللي متبعها تباريها

و(اللي) عندهم بمعنىٰ (الذي)، ومن شواهد ذلك قول حسين بن هندي السُّلمي:

يـا للِّـي سَـقَيْتَ الأرض مـن غُـر الأمـزان　　　يـا لِلي خلقـتَ الـورش في درُوس الأفنـان[١]

وشعراء البادية كغيرهم من البادية يُسَكِّنون أواخر الكلمات، وهم يسمون الجواب «ردادًا».

وفي لغتهم كثير مما لا تنطق به العامة في مصر والشام، وفيها كثير من الكلمات المتفرعة من العربية الفصحىٰ الباقية علىٰ ما كانت عليه قبلًا، وهذه توارثوها عن أسلافهم، وقد دخلت إلىٰ لغتهم كلمات كثيرة من الأقطار المجاورة أيضًا.

وللحميني بحور ومقاطع يعرفها شعراؤه بالسليقة، كما كان العربي القديم يعرف أوزان شعره ويُجري عليها قصائده بالسليقة.

ويبتدئ شعراؤهم شعرهم الحميني بمقياس معروف لديهم فيقولون قبل لأن يبدءوا في نظم القصيدة (يا لا لا لا لا للي، لي لا لا لا لا للا) أو ما يتفق مع النغم الذي يريد الشاعر البدوي أن ينظم القصيدة فيه، ومن ثم يرتجل قصيدته، فلا يختلف فيها البيت عن الآخر وزنًا وقافية، وإنما دليله الوحيد هو النغمُ الذي تَفَوَّهَ به واللالاتُ التي نطَقَ بها مقدمًا ليس غير.

وإذا برع أحدهم في شعر الحميني فقد لا يحتاج إلىٰ تقديم (اللالات) هذه فيما ينظم.. يكتفي بسليقته ودُربته علىٰ قول الشعر بمقتضاها وعلىٰ مقياسها ذوقيًّا وسليقيًّا، فيأتي شعره موزونًا علىٰ الأوزان المصطلح عليها لديهم فيه كما أراد تمامًا.

وشعراء البادية أقرب إلىٰ الطريقة الإفرنجية في أوزان شعرهم، لأنهم يعتمدون

(١) ما ورد في أربعة الأسطر الأخيرة من الصفحة السابقة (٥٠٥) وثلاثة الأسطر الأولىٰ من هذه الصفحة هو من كلام المؤلف. وما قبلهما وما بعدهما مأخوذ من كتاب «ما سمعت وما رأيت» بتلخيص من المؤلف.

علىٰ المقاطع وهي كالأسباب في عروض الشعر العربي، ويدل علىٰ هذا أنهم لا تكاد تمر بهم كلمة ذات ثلاثة حروف متحركة إلا سكَّنُوه أحدها، فليس في شعرهم (متفاعلن) ولا (مفاعلتن).

وطريقة الأخذ بالمقاطع هي الشائعة في شعر أكثر اللغات وفي شعر جميع لغات أوربا مثل الإنكليزية والفرنسوية والألمانية وغيرها.

وخلاصة القول في أوزان الحميني: أن شعراءه يشبهون شعراء العرب قبل وضع العروض، وذلك بإخراجهم القصيدة متساوية مع المطلع، وميزان الشعر الحميني يتركز في المقاطع: (لا لا لا)، وتَسكين المتحرك، ومدُّ أحد المتحركين كثير في شعرهم.

ولهم أسماء لبعض أنواع الشعر الحميني: فيسمون (المجرور) لما يلتزم فيه الشاعر (التسميط) مثل قول أحد شعراء البادية حين اضطرمت نار الحرب بين العرب والأتراك في أيام النهضة حيث تحصن الأتراك في جبل عكابة (جبل حول الطائف) وأخذ العرب يرمونهم من (شَرَقْرَق) وهو جبل حول الطائف، ومن (شُبْرَةَ) حتىٰ أزالوهم عن مواقعهم:

عكابه رموك . من شرقرق وشبره . ببندق ميازر

ولا والله فتك فيك . تظلين عبره . لكل النواظر

والبندق هنا بمعنىٰ الرصاص.

وبالجملة: فإن أوزان الشعر الحميني تشبه أوزان شعر العامة في مصر والشام، فهي كالزجل والمعنىٰ والقراديات، فكلاهما معتمد علىٰ المقاطع.

وهنا اختلاف دقيق بين الشعر الحميني لدىٰ البادية ولدىٰ الحاضرة.. فشعر البادية فيه وعورة علىٰ فهم الحضري، وشعر الحاضرة قريب من لغتهم.

ومن أمثلة تمايز الشعرين في الأسلوب واللهجة قول زيد بن هويشل من (نشيد):

الظفـر[١] لا بـد مـن صـغره يبـين ظَفِـر ويكـرم سـبال الغـانمين
كـل قـالات[٢] الرجـال الهـا فَطِـين قبـل يبلـغ بالعـدد عشـرين عـام

وقول الشريف عبد الله بن محمد بن هزاع من «نشيد» أيضًا:

آه مـن قلـب تَعَنَّـىٰ وانقسـمْ أتعـب الأعيـان واغْـداني سَـقيم[٣]
في هـوىٰ مـن فـاق حُسْـنُه واسـتتم فاق جمع الخُود لـم جالُـه حتـيم[٤]

ومن شعر الحميني (الرَّدَح) وتسميه هُذَيْلُ الرَّجَزَ (وكلاهما بفتح أوله وثانيه) وهو في عرفهم أن يسير جمع من الناس أو يصطفوا وقوفًا يتوسطهم شاعرهم، فيبدأ باللالات ثم يرتجل البيت من الحميني، فيعيدونه جميعًا هازجين، ويستمر ويرتجل حتىٰ ينتهي من (نشيده) أي قصيدته[٥].

* * *

وبعد: فقد قدمنا ما سبق، ليستبين علىٰ ضوئه حقيقةُ شعر الحميني السُّلمي

(١) الظفر بفتح فكسر: الشاب.
(٢) قالات: أقوال.
(٣) الأعيان: العيون.
(٤) لم جاله: لم يجيئ له. حتيم: شبيه ونظير.
(٥) راجع كتاب ما رأيت وما سمعت، للأستاذ خير الدين الزركلي من (ص١٦٢) إلىٰ (ص١٧٩).

وألوانه، وهو الشعر الذي عقدنا له هذا الفصل.. وذكرنا ما أمكننا ذكره من شعرهم وشعرائهم فيه.

حبيب بن قليشان السُّلمي:

هو من شعراء الشعر النبطي، من بني نَوَالٍ إحدىٰ بطون بني سليم الموجودة اليوم في ديارها في أعالي الحجاز، بين الحجاز ونجد..

توفي حبيب قبل نحو (٩٠) عامًا، واسم (حبيب) الذي سمي به، هو اسم قديم في بني سليم: سَمُّوا به في الجاهلية وصدر الإسلام وضحاه، وقد مر بنا في فصل: «أمراء وزعماء ومحتسبون وفرسان وقادة وولاة وموظفون من بني سليم»، اسم (نبيشة بن حبيب السُّلمي) ومر بنا في فصل «العلماء السُّليميين» (عبد الملك بن حبيب) ومر بنا اسم (يربوع ابن حبيب) الذي هو أيضًا عتبة بن فرقد السُّلمي في فصل «صحابة من بني سليم»، ومر بنا اسم (حبيب بن ربيعة) في ذلك الفصل أيضًا.

يقول حبيب بن قليشان النوالي السُّلمي يصف سيره علىٰ راحلته السَّبوق وقد قابلته (دَوْرِيَّه)(١) عساكر الترك واستجوبوه، فأفادهم بأنه حامل بريد رسمي، كلفه الحاكم -أمير مكة- بإيصاله، فلم يصدقوه وهددوه بالقتل، فما خاف منهم، ثم تركوه ومضىٰ لسبيله حتىٰ أدىٰ مهمته كما يجب.

أقوله وأنا طرقى مع الديره اللِّى خُوفْ ... علىٰ وَسْقْ(٢) هِجْن شائباتٍ مقاريها
لِيَا(٣) حثها المشعاب تسبق عام ... تذاري كما اذَّارَىٰ الهائبْ يراعيها

---

(١) الدورية: كلمة كانت تستعمل في عهد الأتراك ولا تزال، ومعناها: طائفة من الجند يسيرون ليلًا أو نهارًا في الأماكن للتفتيش وتوطيد الأمن.

(٢) وسق: ظهر.

(٣) ليا: إذا. المشعاب: عصا ذات رأس منحن.

سُـــواة الطريـــد(١) اليـــاعَطَىٰ حــــاجر — علــىٰ الجُـره(٢) اللــى تبعهـا بتاريهـا
ذبحها الظما والجوع والحقتها الماحوف — ولا غيـر أواريهـا ولا غيـر لا أداريهـا
نصَـانِي(٣) عسـاكر خيـل وأرسـانهن — مـع الـوادي اللـى نَـب سـاله يواليهـا
وقالوا وِش انْتْ وقالت أنا واحد مكلوف — مكلفنـي الحـاكم مكاتيـب أوديهـا(٤)
وقالوا تموتْ وقلت ما أنتم سلوك الموت — ونفـسَ البِنَـادم(٥) علمهـا عنـد واليهـا

مطلق بن عُضَيْب المطرودي النوالي السُّلمي:

أحد شعراء الشعر النبطي من بني سُليم، توفي قبل نحو (٨٠) عامًا.

ومن شعره النبطي أو العامِّي قوله يخاطب الشريف عون الرفيق باشا إبان إمارته علىٰ مكة فيما يتعلق بالعناية ببني سليم:

قـــال النَّـــوالي(٦) واق(٧) عــــالي(٨) — في رأس ضـلع السـليم ضـلع طويـل
في المرقــب اللــي مــا بــداه الــذليل — واللي عـن المقسـوم روحـه مداريه

---

(١) الطريد: الغزال.

(٢) الجرة: الأثر.

(٣) نصاني: قصدني. وفي مراجع اللغة: نصاه: قبض بناصيته، وانتصاه: اختاره.

(٤) أوديها: أعطيها لأهلها.. «وأدي»: من معانيها أعطي، قال الله تعالىٰ: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها﴾.

(٥) (البنادم) كلمة بمعنىٰ (بني آدم)، دخل فيها لكثرة استعمال العوام ما يسمونه التركيب المزجي، في اللغة الفصحىٰ، مثل (عبشمي) في النسبة إلىٰ (عبد شمس). والتركيب المزجي، في بعض الأحيان، يقتضي حذف بعض الحروف من الكلمات الممزوجة ببعضها.

(٦) النوالي: نسبة إلىٰ بني نوال.

(٧) واق: طلع ذروة الجبل.

(٨) البتيلي: الضلع المرتفع.

مطلق بدع(١) زين اللحن ثم غنَّاه   قاف(٢) كما در البكار المُعَفاه
ولا كما ذوب العسل من خلاياه   ذوب العسل جنىٰ النحل من

❋ ❋ ❋

ولا بِيَّهْ(٣) إلا مرهفات النحايل   ومسلب(٤) تكلم بها كل عائل(٥)
نبيعها من خوف قيل لقايل   كم مِقْلَدٍ(٦) من صدر راعيه نرميه

❋ ❋ ❋

ولا بِيَه إلا ناعمات الودايا   اللي عليها عاكفين البنايا
كم واحدٍ خلت عياله قوايا   جريدهن الخضر يبست علاويه

❋ ❋ ❋

ولا بِيه إلا القودْ(٧) عوج العراقيب   اللي علىٰ عضمانها يَنعب الذيب
واللي بقي منهم نشيله مصاويب   كم فازت بروحْ وفقراء تخليه

❋ ❋ ❋

ولا بِيه إلا ناطحين المعازيب   فأوسقها يَقدونها(٨) بالمشاعيب

---

(١) بدع: نظم قصيدة.
(٢) القاف: قصيدة.
(٣) ولا بيه: لا أخشىٰ إلا من الحسود.
(٤) المسلم: البندقية.
(٥) عائل: شاب تائه.
(٦) مقلد: حزام الرصاص.
(٧) القود: الإبل.
(٨) يقدونها: يسوقونها.

إمـا نكيفـة[١] قـوم وإلا مغاييـب — وإلا طُرَيْقـي يبـي[٢] مـن يعشِّـيه

* * *

واللي بحط البيت من فرع الأبيات — كيـف يتهنـىٰ فيـه ويقـيم ويبـات
وهم لياجوا ياخذونه بالأنعات[٣] — يلقـىٰ عليـه الـدرب ولا مُغَبِّيَّـه

* * *

ولا بيَّـه إلا ان كـان جونـا لسـاير — بينـاتهم سُـواة شـط الـذخائر
وهــم يبــون افْكَاكَهَـا بالبصـائر — وهـم لهـم بيتٌ علىٰ الـدرب نبنيه

* * *

مبنـي علـىٰ فنجـال وابْهَـارَهْ الهيـلْ — لنجو ضحىٰ وان كان لافين بالليل
واليـوم مـا نلقـاه يـا حَيْـل أبـا لْحَيْـلْ — عَـدَمْتْ تكاليفـه وعَـدْمًا أوانيـه

* * *

ولا بِيَّـهْ الا حـال أميـرَ القبيلـهْ — من حـال صـابه مـا معـي فيـه حيلـه
غـاوي كمـا تغـدي شـباة النحيلـهْ — لا منتحـي روحيـه ولا قـادر انتحيـهْ

* * *

يـا (عـون باشـا) دونـك أربـع قبائـلْ — لنـا يَرمـون[٤] الشَّـرَك[٥] والحبائـلْ

---

(١) نكيفة: الرجوع بعد الغزو.
(٢) يبي: يريد.
(٣) الإنعات: الإشارة إلىٰ شيء ما.
(٤) يرمون: يضعون ويكيدون.
(٥) الشرك (بفتح الشين المثلثة والراء المهملة بعدها كاف): المكيدة.

حطُّـوا لنـا علـىٰ دُرُوبَـك دلائـلْ ... نَبِـي المُواجَـهْ ميـر مـا نقـدر انجيـه

* * *

وقـال (العـلاوي): لـي علـيهم قديمـه ... قرشـين فـوق المصـبحه والمقيمـه
إخـلاف سـاير[1] لومـا هـي غنيمـه ... لـو حـق مـا أنكرتـه ولا انكـرت راعيـه

* * *

لِـن جيـت[2] أطلِـعْ[3] يَـمْ سـيدي شـكيةْ ... دونـه مـراقص خيـل وملاحِميـه
وأحـراب دونَـه وقـوم لَظِيـهْ ... تحُـول مـن دونـه وتَقصُـر بباغيـه
وان كـان رُحنـا للبنـادر مسـافير ... رحنـا علـىٰ حـد الحـداد السـواطير
في ديـرة الدُّولَـه وحـرب المنـاعير ... واللـي ذبحنـا لـه دلائـل تقديـه

محمد الجبرتي السُّلمي:

يسمونه «الشاعر الكبير» وهذه أبيات متفرقة من شعره النبطي، ويلاحظ أنه أقرب إلىٰ أوزان الشعر العربي المعروفة قديمًا، وأقرب في تعابيره إلىٰ تعابير اللغة العربية الفصيحة. يقول:

سـلام علـيكم مـن كبيـر الجباريـت ... من الهاجس اللي فيه بايع وشـاري
وأنا حاكم الشُّعَّار[4] حكم العفاريت ... كما الصقر يوم انهْ يحكم الحَبَاري

---

(١) سائر: نظام القبيلة السائر عليها.
(٢) جيت: أردت.
(٣) أطلع: أرفع.
(٤) الشعار: الشعراء.

والبيتان السابقان يدلاننا علىٰ مدىٰ اعتزاز محمد الجبرتي السُّلمي بشاعريته بين قومه.. كما يدلاننا علىٰ بلاغته في الوصف وإبراز العواطف.

ويقول:

سلام رديَّه وفَىٰ مِن بالي   تَنْصَىٰ[1] الرجال والمحل الغالي

من لا له أول لا يجي له تالي   لابد من يوم نَصُف[2] احسابه

* * *

والحي لا بد تجي له فاقَه   مثل الحصاة اللي علىٰ المطراقه

إن طقها رأس القدم طقاقَه   مَن طق بابَ الناس طَقُّوا بابه

وهو في أبياته الأربعة هذه ينحو نحو الشعر العربي الجاهلي في الحكمة الاجتماعية..

وله يصف لنا كيف سطا عليه (الناموس) - البعوض - ليلًا وحرمه لذيذ النوم حتىٰ أصبح عليه الصباح وهو سهران:

البارح الناموس سرىٰ عليه   جاني بقُوَّاته وقوم لظيه[3]

سهران حتىٰ الصبح تُومي[4] بيديه   وأصبحت من فعل النواميس

حميد حويمد الجبرتي:

ظفرنا له ببيتين قالهما في (الحكمة الدينية):

---

(١) تنصىٰ: قصد.

(٢) نصف: نتحرىٰ.

(٣) لظية: من اللظىٰ. أي: شديد اليأس.

(٤) تومي: من الإيماء، أي تتحرك ذات اليمين وذات الشمال.

العاجِلَــه لمجمعــين الحُطــام والآخـره للمسـكنه والفُقـارا(١)
ومـن لا يصـلي مـا قُبِـل لـه صـيام حيث الصلاة لكل مسلم شعارا(٢)

عتيق الله عُضيب المطرودي السُّلمي:

نظم هذه القصيدة قبل أكثر من ستين عامًا، ويبدو أنه أخو مطلق بن عُضيب المطرودي الذي سبق ذكره آنفًا:

قـال النـوالي بـدا في مسـتقل البتيـل(٣) في مرقب من صلاة الصبح بادي حَجَاه(٤)
أطـرىٰ علـي نهـار فيـه الشـليل(٥) لا عـاده الله، نهـار، ولا نهـار كمـاه(٦)
صـاح المصـبح ضـحىٰ لمـرَاوقين الحقيـل نـادىٰ بصـوت شـهير كـل مـن قام أحـاه(٧)
قلنـا: علامـك؟ قـال: المـال جـاكم جفيـل والمـال الآخـر تقـافَىٰ والملـح في قفـاه(٨)
ثـم احتزمنـا وأخـذنا كـل سـردًا جليـل نـار القَـبَس في جلبهـا مـا تَعُـوز الوشـاه(٩)
نـار القـبَس في جلبهـا مـا تعيـز الفتيـل ومَسُـلبات هـوىٰ الخـاطر وغايـة منـاهْ!

---

(١) الفقار: جمع فقير.
(٢) الشعار: العلامة.
(٣) معنىٰ: مستقل: أعلىٰ. البتيل: الجبل.
(٤) حجاه – بفتح الحاء – أعلاه.
(٥) الشليل: الانهماك في السلب والنهب.
(٦) كماه: أصلها: كما هو، أي مثله.
(٧) أحاه: أصله: وحاه من الوحي؛ أي: السماع.
(٨) الملح – بفتح الميم واللام –: البارود.
(٩) السرد: البندقية بدون غلاف. وجليل بمعنىٰ ضخم.

نرمـي جـدا والشـاب وكـل لـبس ثقيـل حتىٰ التحقنا بهم في الصمد(١) وزن النباه(٢)
اللاشْ يدرق يبي الفيَّه(٣) وعمر طويل مـا حسب إنه علىٰ مادَه تجيه الوفاه(٤)
أوصيك يا اللي تضم الهرج بنت الذليل يـأتي ولـدها كما خاله قليل مزاهْ(٥)
يا ليت يا ليت لو ما هي التمني حصيل قلنا سمعنا لقومانه نهارًا مغزاه
أظن منهم تطيب النفس دون المسيل من دون وادي العمق قدام يقطع وراه
الذيب لِنْ(٦) جاع يلقي لُهْ طعام سبيل يلقىٰ العتيبي غدا له والذيابي عشاه
وإن كان ما كفاه يلقىٰ الشيخ زادًا جزيل شفناه يرمي بروحه يوم رَبِّي رماه
ومُسَلب(٧) مع عياله يكسبون الجميل يعرف حلاهم(٨) وأنا ما أعرف هذا من هذاه
يا روق(٩) جا دونكم عَيْزُوم مثل القفيل لكن بأسرع ما أدرجنا عليه الرحاه
راعي... يبي له في العواني مقبل حرم عليه المقيل إن كان عزب نقاه

---

(١) نار القبس: القمع. الوشاة: حركة طويلة، والمقصود أن البنادق سريعة الصواب.
(٢) الصمد: يقصد به المكان المتسع. النباة: يقصد المحل العالي، من النبوة بمعنىٰ المكان المرتفع.
(٣) اللاش: الجبان، يدرق: يختفي في غيره. الفية: الظل من الفيء.
(٤) ماده: أجله.
(٥) تضممم: تفهم. مزاه: هيبته.
(٦) لن - بكسر اللام وسكون النون - بمعنىٰ: لئن.
(٧) مسلب: البندقية المجردة من غلافها.
(٨) حلاهم: أي صفاتهم.
(٩) يا روق: اروقة بطن من عتيبة. وعيزوم: بطن من عتيبة يقال لهم العوازم، والقفيل: الجبل.. يقول: إنهم سرعان ما ألحقوا بالعوازم، الهزيمة، وأدرجوا عليهم الرحىٰ، أي: وضعوا عليهم الرحىٰ.

امـا يجيبـه علـىٰ سـبل النقـا والـدليل | والا نجيبـه علـىٰ سـبله ودرب عطـاه

حسين بن هندي السُّلمي:

شاعر سلمي معاصر، وشِعره مثل معاصريه نبطي، ويمتاز بوضوحه، وهو رئيس قرية الكامل أم قرىٰ المنطقة ومركز الحكم والإمارة.

له من قصيدة نبطية قوية البناء ضمنها نصائح وإرشادات لابنه:

قال:

يــا الله طلبنــاك الهدايــه والإيقــان | يـا اللـي خلقـتَ الـورشْ[1] في روس الأفنـان
يـا اللـي سَـقَيتَ الأرض مـن غُـر الأمـزان | يـا مهجـي[2] الجيعـان مـن كـل مشـهاه

❋ ❋ ❋

اني طلبتــك ســتر فــوق الرفاقــه | مــن هجــرة جاتنـا علـىٰ غيـر فاقـه
فيهــا وســيم الحــق مــا لــه ســياقه | وإن كـان تطلـب حـق مـا عـاد تلقـاه

مبارك عبد التواب الصادري النوالي الربعي السُّلمي:

شاعر سلمي نبطي الشعر، وهو من أوائل من قدموا من ديارهم إلىٰ جُدة، ابتغاء التقدم التجاري والثقافي.. ويعتبر الأثريَّ الأول بالنسبة لمواطنيه، لاهتمامه بآثار منطقته قبل غيره وركوبه المشقات في التعرف علىٰ تلك الآثار والتعريف بها.

قال هذه القصيدة يوصي حفيده لابنته خالد أحمد سالم باكواسة بمكارم

(١) الورش: النبات.
(٢) مهجي: مطعم ومشبع.

الأخلاق. وقد ذكر في قصيدته هذه أنه بلغ نحو (٥٠) عامًا ولم يرزق بأبناء ذكور:

أقــول باســم الله في كــل مجهــاه ... وأنــا الحبيــب أهــواه في كــل نيــه
ويقـول ابـن ثـواب وسُـهل مـا غـاب ... لـي جُـرحْ دُوبـه طـابْ وأعـادْ فيـه
أعادْنصــفَ الليــلْ هَيْـل بـلا كيـلْ ... وأنـا مـا أحـب الميْـلْ منـي وَفِيَّـهْ
يـــا رب عـــافيني ولا تبتلينـــي ... وانـــت عَـــوِيني في بَيَــان وخَفيَّـــهْ
إنـت شـفيت أيـوبْ مـن كـل مكـروبْ ... يـــا رب يـــا مطلـــوبْ رب البريـــه
شــافي لــي الأجْــراحْ والـدم سَـفاح ... والصـــبْرْ منـــي بـــاحْ ممـــا عَلَيْـــه
يـا رب وِايـشْ اقـول والقلـبْ مهـذول ... أريـــدْ منـــكِ احْلـــولْ تـــوحي إلَيـــهْ
يـا رب أنـا محتـار وكـأني علـىٰ نـار ... يـــا عـــالم الأســـرار رب البريـــه
يـا رب راسـي شـاب مـا أعـرف الأسـباب ... يقلـون لـي الأصـحاب هـاذي عطيـه
يـا خالـد أبوصـيك لا عـاش شـانيك ... أوصـــيك في دِينـــك تراهـــا وصـــيه
وصــــية القــــرآن في كــــل الأزمــــان ... وصــىٰ بهـــا الــديان كـــل البريـــهْ
أوصـيك باخوانـك في طولـتْ زمانـك ... الله معْوانــــكْ وخُــــذْ بالوصــــيهْ
إخوانــك القصــارْ جَمْـرَهْ مِـنَ النـار ... وصـــيةَ القهـــار أقـــوىٰ وصـــيه
يا خالد أنا أهـواكْ ومـا أشـوف حليـاك ... وحيـات رب انْشـاك مالـك سـويه
حُبــك هوايَــه نــابع مــن حَشــايَه ... وانتــه مُنايــه في الضــحىٰ والعشــية
والله مـا يَنْسـاك لـو طـال مَشْـحاك[١] ... ولـــو عنـــي رُحْـــت في الحَضْـــرميه

---

(١) بعدك في مكان تفضله علىٰ غيره.

وما أخاف عني تروح والقلب مجروح — جدك يا خالدْ له علومٍ خفيه
يعلم بها الوالي جويد الحبالي — الله لا ذالي ويعلم ما بيه
ويا خالد الجيران في كل الأزمان — وصيةَ الرحمن وفي الجاهليهْ
أُوصيك به لو جار ولو باح الأسرار — أقبل له المعذار ولو جاتْ خَطِيهْ
وخيلانكْ السلمان ذر فين الايمانْ — هيهات ويا خيلان فعل وحميهْ
أهل الكرم والشعر ذباحة النمر — تاريخهم يخبر رجال شفيهْ
وربْعَك لا تنساهم ترىٰ ما كما هم — رُد السلام وخُصهُم بالتحيهْ
تُجار محترمين في الحين والحين — اللي في حضرموت واللي هِنَيه
ولا بد فيه يُقال من بعض الأحوال — والناس قِيل وقال فيهم سجيه
يا خالد احذرهم ولا تَتَّمِنْهُم — لابد ما منهم بيان وخفيه
احذر من الضحاك ولو كان سلاك — لابد من يدهاك بأكبر دهيه
يدور الغرات في كل الأوقات — حتىٰ يحني سلة النافعية
واحذر من المكار في كل الاقطار — تراه شر ونار نارُه قويه
ترىٰ الرجال اجناس في جملة الناس — فيهم ذهب ونحاس علىٰ السويه
واحذر من الشينين في الحين والحين — وخلك من الزينين علىٰ السويه
والناس فيه تقول من غير معقول — ويا خالد أنا أقول خالد شَفِيه
يا خالد أنا أهواك وحيات مولاك — والله ماشْ سواك عندي هَنيه
إنتَه حبيبي والله اللي رقيبي — وأنته نصيبي في بيان وخفيه

إنتـه حيـاتي وإنتـه ملجـأ بنـاتي | إذا جاءت وفاتي من لهم يا شفيهْ
إذا غبت في مغياب وضوء القمر غاب | مَن يُقري الغُياب في الخرمسيه[١]
ويا خالد الضيفان من كل الأوطان | عَبِّي لهم دله بها شاذِليه
وأكثر بدقَّ الهيل في الصبح والليل | في دلال صُفْرْ ونجر هنالك وليه
رحب بهم يا شب واطلب من الرب | والرز صُبه صب للألفويه[٢]
والعود والماجود ولو كان محدود | وافتح لهم قلبك بزين التحيه
وكثِّر الترحاب لالِن جاك غُياب | وأقسم للغُياب أكثر تحيه
حتىٰ انهم يَقلون[٣] في البيت مأمون | وسَهْرَ العُيون ولا يخون الوصيه

وقد نظم مبارك هذه القصيدة في (١٦ المحرم ١٣٩١هـ).

وقصائد الوصايا للأبناء لها سابقات في قديم الشعر العربي وحديثه.

عثرنا في كتاب «ما رأيت وما سمعت» للأستاذ خير الدين الزركلي علىٰ قصيدة للشريف حامد بن عبد الله: «نشيد» طويل يوصي به ابنه (سعدًا)، ومنها قوله في المطلع:

يقول حامد يوم هَجرس[٤] بالغنا | حديث أحلىٰ من حليب القود

ويقول:

عسىٰ الله يخلي لي سعد يحتضي[٥] | لا أستوي في قبري الملحود

(١) الحرمسية: الظلام.
(٢) الألفوية: هم الضيوف.
(٣) يقلون: يقولون.
(٤) هجرس بالغنا: رفع صوته بالغناء.
(٥) يحتضي: يحظىٰ. لا أستوي إلىٰ أن أستوي.

ويبدأ وصيته له فيقول:

أنا أوصيك مني يا سعد واستمعْ لي ... افطن ولا تنس وصاة العود
أوصيك في أسناع الشكالهْ تفيدها ... ترىٰ الشكالهْ حبلها ممدود(١)
وأوصيك في ضيفك اليا جاك حَشِّمُهْ ... تَجَملْ ورحبْ بُهْ علىٰ الماجُودْ(٢)

فوصايا الشريف حامد بن عبد الله لابنه، وحسين بن هندي السُّلمي لابنه، ومبارك عبد التواب السُّلمي لحفيده من ابنته هي من هذا النوع من «النشيد» أي «القصيد» في شعر الحميني الذي هو شعر باديتنا الوحيد اليوم.

ومن وصايا الآباء للأبناء أو أبناء الأخ ومن يشبههم في شعر العرب القدامىٰ قصيدة نونية وصي بها لبيد ابن أخيه ولم يكن له ولد ذكر، فهو من هذه الناحية يشبه حالة مبارك السُّلمي حينما نظم قصيدته النبطية في وصية حفيده لابنته، ومنها قول لبيد من تلك القصيدة يخاطب حفيده لابنته:

وافعل بمالك ما بدا ... لك إن مُعَانًا أو معينَا
واعفف عن الجارات وامنحـ ... ـهن ميسرك السمينَا
وابذل سنام القدر إن ... سواءها دُهمًا وجونَا
ذا القدر إن نَضِجَتْ وَعجْل ... قبله ما يشتوينَا
إن القدور لواقح ... يَحْلبنَ أمثل ما رُعِينا(٣)

---

(١) الشكالة: الشجاع.
(٢) اليا: إذا، الماجود: الموجود.
(٣) يقول لابن أخيه: اذبح الإبل السمان للضيوف والضيفات وعجل قبل نضح لحم الإبل ما تشتوي الجارات، إن القدور لقائح تحلب لناحرها من الشرف والحمد والذكر الحسن أكثر مما يطعم فيهن، =

ويمضي لبيد في وصيته لابن أخيه وذلك عندما شعر لبيد بوطأة الكبر فيقول في القصيدة ذاتها:

وإذا دفنـــــت أبـــــاك فاجـــــــعل فوقــــه خشـــبًا وطينَــــا
وصـــــــــفائحًا صُـــــــــمًّا رَوَا ســـــيها يُسَـــــدَّدْنَ الغضـــــونَا
لِيقَـــينَ وجـــه المـــرء سفســـاف التـــــراب ولـــــن يقينَـــــا
ثـــم اعتبـــر بثنـــاء رهطـــك إذ ثـــوىٰ جـــدثًا جنينَـــا
وتراجعـــــوا غُبْـــرَ المـــــرا فـــق مـــن أخـــيهم يائســـينَا
تلـــك المكـــارم إن حَفِظْـــــتَ فلــن تُــرىٰ أبــدًا غبينَــا

* * *

ومن أجود قصائد الوصايا وأروعها وأمتعها قصيدة يزيد بن الحكم الثقفي معاصر الفرزدق وجرير.. وهو يوصي فيها ابنه (بدرًا) بمكارم الأخلاق، ويدله علىٰ طرق المجد المؤثل والثناء المستطاب.. يقول:

يـــا بـــدرُ - والأمثـــال يضـــربها لــــذي اللـــــب الحكـــــيمُ
دُمْ للخليـــــــــل بِـــــــــودِّهِ مــــا خيــــر ودٍّ لا يـــــدومُ
واعـــرف لجـــارك حقـــه والحـــق يعرفـــه الكـــريمُ
واعلـــم بـــأن الضـــيف يـــو مًـــا ســـوف يحمَـــدُ أو يلـــومُ
والنــــــــاس مُبْتَنَيَــــــــانِ محمـــود البنايـــة أو ذمـــيمُ

=

ومعنىٰ «رعين»: استحفظن وجعل فيهن.

واعلـــــم بُنَــــي فإنـــــه بـــــالعلم ينتفـــع العلــــيمُ
أن الأمـــــــور دقيقهـــــا ممــــا يهـــيج لـــه العظـــيمُ

ويمضي فيقول له:

قـــد يُقْتِـــرُ الحَـــوِلُ التقـــيُّ ويكثـــر الحَمِـــقُ الاثـــيمُ
يُمْلَـــىٰ لـــذاك ويُبْتَلَـــىٰ هـــذا فأيهمـــا المَضِـــيمُ

ويمضي فيقول في ختام وصاياه لبدر ابنه الأثير لديه:

واعلـــم بـــأن الحـــرب لا يَســـطِيعُها المـــرحُ السَّـــئومُ
والخيـــل أجودهـــا المُنَـــا هِـــبُ عنـــد كَبَّتهـــا الأزومُ(١)

وأعتقد أنه لو تتبع باحثٌ دواوين الشِّعر العربي القديم لوجَد الكثيرَ مِن هذا النوع من الشعر العربي الرصين.

❊ ❊ ❊

---

(١) «ديوان الحماسة» لأبي تمام، (ص٤٦ - ٤٩) الجزء الثاني، طبع مطبعة السعادة بمصر.

كلمة شكر واجبة

أشكر للأصدقاء الأماثل، ما أمدوني به من المراجع التي لم تكن لدي، وهؤلاء هم:

* صاحب المعالي الشيخ محمد سرور الصبان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، فقد أهداني كتاب «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين الفاسي، بكامله، واستفدتُ منه كثيرًا.

* سعادة الصديق الأستاذ خير الدين الزركلي، فقد فتح لي مكتبته العامرة ببيروت وأفدت منها كثيرًا.

* سعادة الصديق الأستاذ السيد عبيد مدني: فقد أمدني من مكتبته العامرة بالمدينة المنورة بكتاب «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» لزينب بنت علي العاملي المطبوع في مطبعة بولاق الأميرية بمصر سنة (١٣١٢هـ).

* سعادة الأستاذ الصديق السيد حبيب محمود أحمد، فقد أمدني من مكتبته العامرة بالمدينة المنورة، بالجزء الثاني عشر من كتاب «دائرة المعارف الإسلامية» الترجمة العربية بمصر.

* سعادة الأستاذ الصديق أحمد عبد الغفور عطار، فقد أمدني من مكتبته العامرة بمكة المكرمة بديوان العباس بن مرداس السُّلمي.

* سيادة الدكتور عزة حسن المدير العام لدار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق، فقد أعارني من مكتبته العامرة بنسخته المخطوطة من كتاب «من سمي من الشعراء

عمرًا» لابن الجراح.

* كما أشكر للإخوان: الشيخ حسين بن هندي والشيخ مبارك عبد التواب والسيد عبيد السُّليميين، ما زودني به من معلومات عن ديارهم ومن قصائد «حمينية» لشعرائهم وغير ذلك.

إني أشكر للجميع فضلهم وصنيعهم، جزاهم الله عني خير الجزاء.

* * *

مراجع الكتاب

* القرآن الكريم.
* صحيح البخاري.
* تاريخ واسط - لأسلم بن سهل الرزَّاز.
* صفة جزيرة العرب - للهمداني.
* صبح الأعشىٰ - للقلقشندي.
* تعليقات محمد بن بليهد علىٰ صفة جزيرة العرب - للهمداني.
* تقرير البعثة الزراعية الأمريكية إلىٰ المملكة العربية السعودية.
* جزيرة للعرب - لمصطفىٰ مراد الدباغ.
* كتاب أخبار مجموعة - لمؤلف مجهول.
* أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرىٰ وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه - لعرام بن الأصبغ السُّلمي.
* الرحلة اليمانية - لشرف عبد المحسن البركاتي.
* العبر وديوان المبتدأ والخبر... لعبد الرحمن بن خلدون.
* معجم البلدان - لياقوت الحموي.
* كتاب الأمكنة والمياه والجبال - لمحمود بن عمر الزمخشري.
* أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - للبشاري.
* وفاء الوفاء - للسمهودي.
* تهذيب الألفاظ - لابن السكيت.
* التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت علىٰ عهد تأسيس المدنية الإسلامية العلية - لعبد الحي الكتاني.

* تعليقات أوغشت هفير علىٰ كتاب النبات والشجر - للأصمعي.

* القاموس المحيط - للفيروزآبادي.

* تاج العروس - لمرتضىٰ الزبيدي.

* شرح ديوان الحطيئة - لابن السكيت والسكري والسجستاني.

* مدائن صالح - لمحمد عبد الحميد مرداد.

* المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - لجواد علي.

* دائرة المعارف الإسلامية - الترجمة العربية بمصر.

* الأعلاق النفيسة - لابن رستة.

* معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي - للمستشرق زامباور، ترجمة زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود.

* مجلة المنهل.

* تحقيق أمكنة في الحجاز وتهامة - لعبد القدوس الأنصاري.

* بين التاريخ والآثار - له.

* المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية - تأليف ل. س. تويتشل ومساهمة إدوارد ج. جورجي: ترجمة شكيب الأموي.

* لسان العرب - لابن منظور.

* تهذيب اللغة - لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري.

* جمهرة أنساب العرب - لابن حزم.

* تاريخ العرب قبل الإسلام - لجواد علي.

* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - لأحمد بن محمد المقَّري التلمساني.

* البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب - للمقريزي.

* تعليقات عبد المجيد عابدين علىٰ كتاب البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب.
* فهرس المخطوطات العديد - لعلوش وعبد الله الرجراجي.
* درة الحجال في غرة أسماء الرجال - لابن القاضي.
* قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان - للقلقشندي.
* تاريخ الجزائر في القديم والحاضر - لمبارك الميلي.
* التعريف بابن خلدون - لابن خلدون.
* تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب - لعبد الرحمن ابن عبد الكريم الأنصاري.
* الاشتقاق - لابن دُريد.
* مجلة كلية الآداب السنوية بجامعة الرياض.
* الأعلام - لخير الدين الزركلي.
* العمدة - لابن رشيق.
* مقاتل الطالبيين - لأبي الفرج الأصفهاني.
* معجم ما استعجم - للبكري.
* الطبقات الكبرىٰ - لمحمد بن سعد.
* أيام العرب في الجاهلية - لمحمد أحمد جاد المولىٰ وزميليه.
* العقد الفريد - لابن عبد ربه.
* أيام العرب في الإسلام - لمحمد أحمد جاد المولىٰ وزميليه.
* الإكليل - للهمداني.
* جداول أمراء مكة وحكامها - للشريف مساعد بن منصور.

* درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة - لعبد القادر الجزيري الأنصاري.
* مرآة الحرمين - لإبراهيم رفعت.
* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - لأبي المحاسن.
* فتوح البلدان - للبلاذري.
* تاريخ الأمم والملوك - للطبري.
* سيرة ابن هشام - لابن هشام.
* مختصر سيرة ابن هشام - لمحمد بن عبد الوهاب.
* الكامل في التاريخ - لابن الأثير.
* طبقات علماء إفريقية وتونس - لمحمد بن أحمد بن تميم القيرواني.
* ديوان ابن أبي حُصَينة السُّلمي.
* ديوان ابن حيُّوس.
* إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان - لأحمد بن أبي الضياف التونسي.
* الاستقصا في أخبار المغرب الأقصىٰ - لأحمد بن خالد الناصري.
* تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي - لحسن إبراهيم حسن.
* الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية - لابن منقذ القسنطيني.
* الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلىٰ أقدس مطاف - لشكيب أرسلان.
* تاريخ إفريقية والمغرب - للرقيق القيرواني.
* ترجمة القاضي أبي بكر بن العربي - لمحب الدين الخطيب - في مقدمته لكتاب العواصم من القواصم.

* المقدمة - لابن خلدون.
* مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية - لناصر الدين الأسد.
* علماء يُنسبون إلىٰ مدن أعجمية وهم من أرومة عربية - لناجي معروف.
* العواصم من القواصم - لأبي بكر بن العربي.
* سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر - لمحمد خليل المرادي.
* معجم قبائل العرب - لعمر رضا كحالة.
* قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية - لأحمد أمين.
* نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - للقلقشندي.
* تاريخ السودان - لنعوم شقير.
* ميزان الاعتدال في نقد الرجال - للذهبي.
* اللباب في تهذيب الأنساب - لابن الأثير.
* تقريب النواوي - للنووي.
* تدريب الراوي شرح تقريب النواوي - للسيوطي.
* القاموس الإسلامي - لأحمد عطية.
* الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ - للسخاوي.
* محمد عبده - لعباس محمود العقاد.
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب - للحافظ أبي عمر بن عبد البر.
* المعارف - لابن قتيبة الدينوري.
* قصص العرب - لمحمد أحمد جاد المولىٰ وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم.
* الحماسة الشجرية - لابن الشجري هبة الله بن علي العلوي الحسني.

* العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين – لتقي الدين الفاسي.
* البيان والتبيين – للجاحظ.
* جمهرة اللغة – لمحمد بن الحسن بن دريد الأزدي.
* الموشح – للمرزباني.
* الشعر والشعراء – لابن قتيبة.
* من سُمِيَّ من الشعراء عمرًا «نسخة مخطوطة قديمة» – لابن الجراح.
* الإصابة في تمييز أسماء الصحابة – لابن حجر العسقلاني.
* الكامل – للمبرد.
* العقد الفريد – لابن عبد ربه.
* تهذيب التهذيب – لابن حجر العسقلاني.
* تاريخ بغداد – للخطيب البغدادي.
* معرفة القُرَّاء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار – للذهبي.
* مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم – لطاشكبري زاده.
* مقدمة ديوان العباس بن مرداس السُّلمي – ليحيىٰ الجبوري.
* ديوان العباس بن مرداس السُّلمي – تحقيق يحيىٰ الجبوري.
* ديوان الحماسة – لأبي تمام.
* معجم الشعراء – للمرزباني.
* المحبر – لمحمد بن حبيب الهاشمي البغدادي.
* لباب الآداب – لأسامة بن منقذ.
* خزانة الأدب – للبغدادي.
* الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني.

* الهفوات النادرة – لغرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابي.

* ديوان الأخطل.

* الحلة السيراء – للقضاعي.

* مرآة الجنان – لليافعي.

* ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك – للقاضي عياض.

* الإحاطة بأخبار غرناطة – للسان الدين الخطيب.

* أخبار القضاة – لوكيع.

* الفهرست – لابن النديم.

* الحلل السندسية – لشكيب أرسلان.

* جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس – لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي.

* تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس – لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن الفرضي.

* تاريخ الأدب العربي – لبروكلمان.

* حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر – لعبد الرزاق البيطار.

* الوافي بالوفيات – لصلاح الدين الصفدي.

* التاج المكلل – لصديق حسن القنوجي.

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب – لابن العماد الحنبلي.

* معجم الأدباء – لياقوت الحموي.

* تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل علىٰ الروضتين – لابن شامة الدمشقي.

* ديوان الخنساء السُّلمية.
* الدر المنثور في طبقات ربات الخدور - لزينب بنت علي العاملي.
* ما رأيت وما سمعت - للأستاذ خير الدين الزركلي.
* المسالك والممالك - للإصطخري.
* ديوان لبيد بن ربيعة العامري.
* معجم المؤلفين - لعمر رضا كحالة.
* أئمة الفكر الإسلامي - لرضوان علي الندوي.
* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - لابن حجر العسقلاني.
* الحلل السندسية في الأخبار التونسية - لمحمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج.
* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - للسخاوي.
* معجم المطبوعات العربية والمُعرَّبة - ليوسف إليان سركيس.
* تاريخ اليعقوبي.
* المحمدون من الشعراء وأشعارهم - لعلي بن يوسف القفطي.
* بلاد العرب - للحسن بن عبد الله الأصفهاني.
* المصون في الأدب - للحسن العسكري.
* مجالس ثعلب - لأبي العباس أحمد بن يحيىٰ ثعلب.
* شاعرات العرب - لعبد البديع صقر.
* نور القبس المختصر من المقتبس - لأبي المحاسن اليغموري.
* خريدة القصر وجريدة العصر - للعماد الأصفهاني.
* أمالي الزجاجي.

* مختصر شرح التبريزي علىٰ ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي.

* الشعر والشعراء - لابن قتيبة.

* العمدة في صناعة الشعر ونقده - لابن رشيق القيرواني.

* رسالة الغفران - للمعري.

* تحقيق رسالة الغفران - لبنت الشاطئ.

* داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس - لعبد الجبار الجومرد.

* مقدمة محمد الطاهر بن عاشور لديوان الأخطل.

* شرح أبي العلاء المعري لديوان الأمير ابن أبي حصينة السُّلمي.

* مقدمة محمد أسعد طلس لديوان أبي الفتح بن أبي حصينة السُّلمي.

* أعلام النساء - لعمر رضا كحالة.

* * *

موضوعات الكتاب